سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٤٨٢)

أرجى آية و أرجى عمل

من مصنفات التفاسير والكتب المسندة

د / يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل

بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها

وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail .com

https://t .me/dralhoshan تليجرام

"ما ودعك ربك وما قلى أي ما تركك منذ اختارك ، ولا أبغضك منذ أحبك ، وهذا جواب القسم .
وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك من الثواب ، وقيل: من النصر والتمكن وكثرة المؤمنين فترضى .

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا ابو عبد الله محمد بن عامر السمرقندي قال: حدثنا عمر بن بحر قال: حدثنا عبد بن حميد ، عن قتيبة ، عن سفيان ، عن الأوزاعي ، عن إسماعيل بن عبد الله ، عن علي بن عبد الله بن عباس [عن أبيه] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رأيت ما هو مفتوح على أمتي من بعدي كفرا كفرا» [١٦٣] فسرني ذلك ، فنزلت ولسوف يعطيك ربك فترضى قال: أعطي في الجنة ألف قصر من لؤلؤ ترابها المسك ، في كل قصر ما ينبغي له «١» .

وأخبرني عقيل أن أبا الفرج ، أخبرهم عن ابن جرير قال: حدثني عباد بن يعقوب قال:
حدثنا الحكم بن ظهر ، عن السدي ، عن ابن عباس: في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال: رضا محمد ان لا يدخل أحد من أهل بيته النار ، وقيل: هي الشفاعة في جميع المؤمنين .

أخبرنيه أبو عبد الله القنجوي قال: حدثنا أبو علي المقري قال: حدثنا محمد بن عمران بن أسد الموصلي قال: حدثنا محمد بن أحمد المدادي قال: حدثنا عمرو بن عاصم قال: حدثنا حرب بن سريح البزاز قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن علي قال: حدثني عمي محمد بن علي بن الحنفية ، عن أبيه علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أشفع لأمتي حتى ينادي ربي عز وجل: رضيت يا محمد ، فأقول: رب رضيت» ثم قال لي: إنكم معشر أهل العراق تقولون: إن أرجى آية في القرآن يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قلت: انا لنقول ذلك ، قال: ولكنا أهل البيت نقول: إن أرجى آية في كتاب الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهي الشفاعة [١٦٤] «٢» .

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن حمدان قال: حدثنا أبو عامر بن سعدان قال: حدثنا أحمد بن صالح المصري ، قال: حدثنا عبد الله بن وهب ، قال: أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر بن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله سبحانه في إبراهيم: فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم وقول عيسى: إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه ثم قال:
«اللهم أمتي أمتي» وبكى .

---

(١) المعجم الكبير: ١٠/ ٢٧٧ . جامع البيان للطبري: ٣٠/ ٢٩٢ .

(٢) شواهد التنزيل: ٢/ ٤٤٦ . ." (١)

"أنت العزيز الحكيم (٨) وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم (٩) إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون (١٠) قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل (١١) ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير (١٢)

وقوله – عز وجل –: (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم . . . (٧)

قد ذكرنا في غير موضع أن التسبيح بحمد ربهم هو الثناء عليه ، والحمد له بالتبرئة والتنزيه عن جميع أوصاف الخلق ومعانيهم ، وعن جميع ما قال الملاحدة فيه .

وقوله – عز وجل –: (ويستغفرون للذين آمنوا) .

هذه أرجى آية للمؤمنين ، والآيات التي فيها استغفار الرسل للمؤمنين من نحو قول نوح – عليه السلام – حيث قال: (رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات) ، وقول إبراهيم – عليه السلام –: (ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) ، وما أمر الله رسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يستغفر لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات إنما هو في الذنوب التي ليس له أن يعذبهم عليها ، وهي الصغائر ، وليس له أن يغفر الكبائر ، ويستدل على ذلك بقوله: (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) ، إنما أمره أن يستغفر للذي تاب ، فأما من لم يتب ، ولم يأمره بالاستغفار ، فيجب القول بما قلنا ؛ عملا بالآيتين .

لكن نقول نحن: إنه لو كان استغفاره لمن ذكر خاصة لأصحاب الصغائر على ما قالوا ، يصير كأنه أمر النبي – عليه السلام – أن يستغفر لهم ، ولا يحزن عليهم ؛ إذ هم مغفور ذنبهم ؛ فيحصل قولهم على ما ذكرنا ، وذلك وخش من القول ، والله أعلم .

ثم يجيء أن يكون المعتزلة والخوارج في الظاهر أبعد الخلائق من المعاصي وأقربهم إلى الطاعات ، ونحن أقرب الخلائق إلى المعاصي وأبعدهم عن الطاعات ؛ لأنهم لا يرون النجاة إلا بأعمالهم ولا يرون برحمة الله ، ولا بشفاعة أحد ، ولكن بأعمالهم ؛ فيجب أن يكونوا أبدا متكلين ملازمين على الطاعات في كل وقت وساعة ، لا يعصون الله طرفة عين ، ونحن لم نر النجاة بالأعمال ، ولكن إنما نرى ذلك برحمة الله تعالى ، وبشفاعة من ارتضى بشفاعته ؛ فيجب أن نكون معتمدين على رحمة الله وفضله غير مشتغلين بشيء من الطاعات .

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٠/٢٢٤

ثم في الحقيقة يجب أن يكونوا هم أقرب الخلائق إلى المعاصي وأبعدهم من الطاعات ، ونحن ألزم الخلائق بالطاعات وأبعدهم من المعاصي ؛ لأنا نرى عند الله ." (١)

"يؤمر بالاستغفار ، كقول إبراهيم – عليه السلام – حيث قال: (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) ، لكن ليس ذنب الأنبياء وخطاياهم كذنب غيرهم ؛ فذنب غيرهم ارتكاب القبائح من الصغائر والكبائر ، وذنبهم ترك الأفضل دون مباشرة القبيح في نفسه ، والله الموفق .

ثم أرجى آية للمؤمنين هذه الآية ؛ لأنه – عز وجل – أمر رسوله – عليه السلام – أن يستغفر لهم ، فلا يحتمل ألا يستغفر وقد أمره مولاه بالاستغفار ، ثم لا يحتمل – أيضا – أنه إذا استغفر لهم على ما أمره به فلا يجيب له ، وكذلك دعاء سائر الأنبياء – عليهم السلام – نحو دعاء نوح – عليه السلام –: (رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات) ، وقول إبراهيم – عليه السلام –: (ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) ، ونحو ذلك ، وكذا استغفار الملائكة لهم – أيضا – لقوله: (ويستغفرون لمن في الأرض) ، وقوله: (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك . . .) الآية ، هذه الآيات أرجى آيات للمؤمنين ودعوات الأنبياء – عليهم السلام – أفضل وسائل تكون إلى الله – تعالى – وأعظم قربة عنده ، والله الموفق .

ثم قوله – عز وجل –: (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) فيه دلالة نقض قول المعتزلة ، لأنهم يقولون: إن الصغائر مغفورة ، لا يجوز لله – تعالى – أن يعذب عباده عليها ، والكبائر مما لا يحل له أن يغفرها لهم إلا بالاستغفار منهم والتوبة ؛ فهذه الآية تنقض قولهم ومذهبهم ؛ لأنه أمر رسوله أن يستغفر لهم ، فلا يخلو إما أن تكون صغائر ، وهي مغفورة عندهم ؛ فكأنه يقول: اللهم لا تجر ؛ لأنها مغفورة لا يسع له أن يعذب عليها ، أو كبائر ولا يحل له المغفرة عنها ، فيكون قوله: اللهم اغفر لهم ، كأنه قال: اللهم جر ؛ لأن مغفرته إياهم الكبائر يكون جورا ووضع الشيء في غير موضعه .

فكيفما كان ففيها نقض قولهم وحجة لقولنا: إن له أن يعذبهم عليها وإن كانت صغائر ، وله أن يعفو عنها وإن كانت كبائر ؛ إذ المغفرة عن الذنب تكون ، والله الموفق للصواب .

وقوله – عز وجل –: (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) قال بعضهم: (والله يعلم متقلبكم) في النهار (ومثواكم) من الليل .

وقيل: يعلم ما ينقلبون بالنهار ويسكنون بالليل ؛ وهما واحد .

وقال بعضهم: (والله يعلم متقلبكم) في الدنيا (ومثواكم) في الآخرة ؛ أي: مقامكم ." (٢)

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٩/٦

(٢) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٩/٢٧٥

"الفراء: السلام على من اتبع الهدى ولمن اتبع الهدى سواء . (إنا قد أوحي إلينا أن العذاب) يعني الهلاك والدمار في الدنيا والخلود في جهنم في الآخرة . (على من كذب) أنبياء الله (وتولى) أعرض عن الإيمان . وقال ابن عباس: هذه أرجى آية للموحدين لأنهم لم يكذبوا ولم يتولوا . قوله تعالى: (قال فمن ربكما يا موسى) ٢٠: ٤٩ ذكر فرعون موسى دون هرون لرءوس الآي . وقيل: خصصه بالذكر لأنه صاحب الرسالة والكلام والآية . وقيل إنهما جميعا بلغا الرسالة وإن كان ساكتا ، لأنه في وقت الكلام إنما يتكلم واحد ، فإذا انقطع وازره الآخر وأيده . فصار لنا في هذا البناء فائدة علم ، أن الاثنين إذا قلدا أمرا فقام به أحدهما ، والآخر شخصه هناك موجود مستغنى عنه في وقت دون وقت أنهما أديا الأمر الذي قلدا وقاما به واستوجبا الثواب ، لأن الله تعالى قال:" اذهبا إلى فرعون ٢٠: ٤٣" وقال:" اذهب أنت وأخوك ٢٠: ٤٢" وقال:" فقولا له ٢٠: ٤٤" فأمرهما جميعا بالذهاب وبالقول ، ثم أعلمنا في وقت الخطاب بقوله:" فمن ربكما ٢٠: ٤٩" أنه كان حاضرا مع موسى . (قال) موسى: (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه) ٢٠: ٥٠ أي أنه يعرف بصفاته ، وليس له اسم علم حتى يقال فلان بل هو خالق العالم ، وهو الذي خص كل مخلوق بهيئة وصورة ، ولو كان الخطاب معهما لقالا: قالا ربنا . و" خلقه" أول مفعولي أعطى ، أي أعطى خليقته كل شي يحتاجون إليه ويرتفقون به ، أو ثانيهما أي أعطى كل شي صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به ، على قول الضحاك على ما يأتي . (ثم هدى) قال ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي: أعطى كل شي زوجه من جنسه ، ثم هداه إلى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه ، وعن ابن عباس: ثم هداه إلى الألفة والاجتماع والمناكحة . وقال الحسن وقتادة: أعطى كل شي صلاحه ، وهداه لما يصلحه . وقال مجاهد: أعطى كل شي صورة ، لم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم ، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان ، ولكن خلق كل شي فقدره تقديرا . وقال الشاعر:

وله في كل شي خلقة . . . وكذاك الله ما شاء فعل ." (١)

"وقرأ الجمهور" خطوات" بضم الطاء . وسكنها عاصم والأعمش . وقرأ الجمهور:" ما زكى " بتخفيف الكاف ، أي ما اهتدى ولا أسلم ولا عرف رشدا . وقيل:" ما زكى " أي ما صلح ، يقال: زكا يزكو زكاء ، أي صلح . وشددها الحسن وأبو حيوة ، أي أن تزكيته لكم وتطهيره وهدايته إنما هي بفضله لا بأعمالكم . وقال الكسائي:" يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان" معترض ، وقوله:" ما زكى منكم من أحد أبدا" جواب لقوله أولا وثانيا:" ولولا فضل الله عليكم" . الحادية والعشرون- قوله تعالى: (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة) الآية . المشهور من الروايات أن هذه الآية نزلت في قصة أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه ومسطح بن أثاثة . وذلك أنه كان ابن بنت خالته وكان من المهاجرين البدريين المساكين . وهو مسطح بن أثاثة ابن عباد بن المطلب بن عبد مناف . وقيل: اسمه عوف ، ومسطح لقب . وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه لمسكنته

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٢٠٤/١١

وقرابته ، فلما وقع أمر الإفك وقال فيه مسطح ما قال ، حلف أبو بكر ألا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة أبدا ، فجاء مسطح فاعتذر وقال: إنما كنت أغشى مجالس حسان فأسمع ولا أقول . فقال له أبو بكر: لقد ضحكت وشاركت فيما قيل ، ومر على يمينه ، فنزلت الآية . وقال الضحاك وابن عباس: إن جماعة من المؤمنين قطعوا منافعهم عن كل من قال في الإفك وقالوا: والله لا نصل من تكلم في شأن عائشة ، فنزلت الآية في جميعهم . والأول أصح ، غير أن الآية تتناول الأمة إلى يوم القيامة بألا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ألا ينفع من هذه صفته غابر الدهر . وروى الصحيح أن الله ﷻ لما أنزل:" إن الذين جاؤ بالإفك عصبة منكم" العشر آيات ، قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره: والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ، فأنزل الله تعالى:" ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة" إلى قوله-" ألا تحبون أن يغفر الله لكم" . قال عبد الله بن المبارك: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى ، فقال أبو بكر رضى الله عنه: والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: لا أنزعها منه أبدا . ." (١)

"الثانية والعشرون- في هذه الآية دليل على أن القذف وإن كان كبيرا لا يحبط الأعمال ، لأن الله تعالى وصف مسطحا بعد قوله بالهجرة والإيمان ، وكذلك سائر الكبائر ، ولا يحبط الأعمال غير الشرك بالله ، قال الله تعالى:" لئن أشركت ليحبطن عملك «١» " [الزمر: ٦٥] . الثالثة والعشرون- من حلف على شي لا يفعله فرأى فعله أولى منه أتاه وكفر عن يمينه ، أو كفر عن يمينه وأتاه ، كما تقدم في" المائدة" «٢» . ورأى الفقهاء أن من حلف ألا يفعل سنة من السنن أو مندوبا وأبد ذلك أنها جرحة في شهادته ، ذكره الباجي في المنتقى . الرابعة والعشرون- قوله تعالى: (ولا يأتل أولوا الفضل) " ولا يأتل" معناه يحلف ، وزنها يفتعل ، من الألية وهي اليمين ، ومنه قوله تعالى:" للذين يؤلون من نسائهم" وقد تقدم في" البقرة" «٣» . وقالت فرقة: معناه يقصر ، من قولك: ألوت في كذا إذا قصرت فيه ، ومنه قوله تعالى:" لا يألونكم خبالا «٤» " [آل عمران: ١١٨] . الخامسة والعشرون- قوله تعالى: (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) تمثيل وحجة أي كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم ، وينظر إلى هذا المعنى قوله عليه السلام: (من لا يرحم لا يرحم) . السادسة والعشرون- قال بعض العلماء: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى ، من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ . وقيل . أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله تعالى:" وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا» " [الأحزاب: ٤٧] . وقد قال تعالى في آية أخرى:" والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير «٦» " [الشورى: ٢٢] ، فشرح الفضل الكبير في هذه الآية ، وبشر به المؤمنين في تلك . ومن آيات الرجاء قوله تعالى:" قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم «٧» " [الزمر: ٥٣] . وقوله تعالى:

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ١٢/٢٠٧

(١) . راجع ج ١٥ ص ٢٧٦ .

(٢) . راجع ج ٦ ص ٢٦٤ فما بعد .

(٣) . راجع ج ٣ ص ١٠٣ .

(٤) . راجع ج ٤ ص ١٧٨ .

(٥) . راجع ج ١٤ ص ٢٠١ .

(٦) . راجع ج ١٦ ص ٢٠ .

(٧) . راجع ج ١٥ ص ٢٦٧ . [. . . . .] ." (١)

"رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت:" والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون" [الفرقان: ٦٨ إلى آخر الآية فتلاها عليه ، فقال أرى شرطا فلعلي لا أعمل صالحا ، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله . فنزلت:" إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" [النساء: ٤٨] فدعا به فتلا عليه ، قال: فلعلي ممن لا يشاء أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله . فنزلت:" يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله" فقال: نعم الآن لا أرى شرطا . فأسلم . وروى حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ:" قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم" . وفي مصحف ابن مسعود" إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء" . قال أبو جعفر النحاس: وهاتان القراءتان على التفسير ، أي يغفر الله لمن يشاء . وقد عرف الله عز وجل من شاء أن يغفر له ، وهو التائب أو من عمل صغيرة ولم تكن له كبيرة ، ودل على أنه يريد التائب ما بعده" وأنيبوا إلى ربكم" فالتائب مغفور له ذنوبه جميعا يدل على ذلك" وإني لغفار لمن تاب" [طه: ٨٢] فهذا لا إشكال فيه . وقال علي بن أبي طالب: ما في القرآن آية أوسع من هذه الآية:" قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله" وقد مضى هذا في [سبحان «١»] . وقال عبد الله بن عمر: وهذه أرجى آية في القرآن فرد عليهم ابن عباس وقال أرجى آية في القرآن قول تعالى:" وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم" [الرعد: ٦] وقد مضى في [الرعد «٢»] . وقرى" ولا تقنطوا" بكسر النون وفتحها . وقد مضى في" الحجر «٣» " بيانه . قوله تعالى: (وأنيبوا إلى ربكم) أي ارجعوا إليه بالطاعة ، لما بين أن من تاب من الشرك يغفر له أمر بالتوبة والرجوع إليه ، والإنابة الرجوع إلى الله

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٢٠٨/١٢

بالإخلاص . (وأسلموا له) أي اخضعوا له وأطيعوا (من قبل أن يأتيكم العذاب) في الدنيا

---

(١) . راجع ج: ١ ص ٣٢٢ وما بعدها طبعه أولى أو ثانية .

(٢) . راجع ج ٩ ص ٢٨٥ طبعه أولى أو ثانية .

(٣) . راجع ج ١٠ ص ٣٦ طبعه أولى أو ثانية . ." (١)

"[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٣٠ الى ٣١]

وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير (٣٠) وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير (٣١)

قوله تعالى:" وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم" قرأ نافع وابن عامر" بما كسبت" بغير فاء . الباقون" فبما" بالفاء ، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم للزيادة في الحرف والأجر . قال المهدوي: إن قدرت أن" ما" الموصولة جاز حذف الفاء وإثباتها ، والإثبات أحسن . وإن قدرتها التي للشرط لم يجز الحذف عند سيبويه ، وأجازه الأخفش واحتج بقوله تعالى:" وإن أطعتموهم إنكم لمشركون" «١» [الانعام: ١٢١] . والمصيبة هنا الحدود على المعاصي ، قاله الحسن . وقال الضحاك: ما تعلم رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب ، قال الله تعالى:" وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم" ثم قال: وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن ، ذكره ابن المبارك عن عبد العزيز بن أبي رواد . قال أبو عبيد: إنما هذا على الترك ، فأما الذي هو دائب في تلاوته حريص على حفظه إلا أن النسيان يغلبه فليس من ذلك في شي . ومما يحقق ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينسى الشيء من القرآن حتى يذكره ، من ذلك حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم: سمع قراءة رجل في المسجد فقال: (ماله رحمه الله لقد أذكرني آيات كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا) . وقيل:" ما" بمعنى الذي ، والمعنى الذي أصابكم فيما مضى بما كسبت أيديكم . وقال علي رضي الله عنه: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل . وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه ! وقد روي هذا المعنى مرفوعا عنه رضي الله عنه ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها النبي صلى الله عليه وسلم:" وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم" الآية: (يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم . والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا عنه

---

(١) . آية ١٢١ سورة الانعام . ." (٢)

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٢٦٩/١٥

(٢) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٣٠/١٦

"" المثلات" تبدل من الضمة فتحة لثقلها ، وقيل: يؤتى بالفتحة عوضا من الهاء . وروي عن الأعمش أنه قرأ" المثلات" بفتح الميم وإسكان الثاء ، فهذا جمع مثلة ، ثم حذف الضمة لثقلها ، ذكره جميعه النحاس رحمه الله . وعلى قراءة الجماعة واحده مثلة ، نحو صدقة [وصدقة] «١» ، وتميم تضم الثاء والميم جميعا ، واحدها على لغتهم مثلة ، بضم الميم وجزم الثاء ، مثل: غرفة وغرفات ، والفعل منه مثلت به أمثل مثلا ، بفتح الميم وسكون الثاء . (وإن ربك لذو مغفرة) أي لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا ، وعن المذنبين إذا تابوا . وقال ابن عباس: أرجى آية في كتاب الله تعالى" وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم" . (وإن ربك لشديد العقاب) إذا أصروا على الكفر . وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال: لما نزلت: وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هنأ أحد عيش ولولا عقابه ووعيده وعذابه لاتكل كل أحد" . قوله تعالى: (ويقول الذين كفروا لولا) أي هلا (أنزل عليه آية من ربه) . لما اقترحوا الآيات وطلبوها قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (إنما أنت منذر) أي معلم . (ولكل قوم هاد) أي نبي يدعوهم إلى الله . وقيل: الهادي الله ، أي عليك الإنذار ، والله هادي كل قوم إن أراد هدايتهم .

[سورة الرعد (١٣): الآيات ٨ الى ٩]

الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار (٨) عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال (٩)

فيه ثمان مسائل: الأولى- قوله تعالى: (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) أي من ذكر وأنثى ، صبيح وقبيح ، صالح وطالح ، وقد تقدم في سورة" الأنعام" «٢» أن الله سبحانه منفرد بعلم الغيب وحده

---

(١) . من ا .

(٢) . راجع ج ٧ ص ١ فما بعد . ." (١)

"وحكى ابن جرير عن طائفة من أهل العلم أنه سأل ذلك لأنه شك في قدرة الله ، واستدلوا بما صح عنه - صلى الله عليه وسلم - في الصحيحين وغيرهما من قوله " نحن أحق بالشك من إبراهيم ، وبما روى عن ابن عباس أنه قال: ما في القرآن عندي آية أرجى منها . أخرجه عنه الحاكم وصححه ، ورجح هذا ابن جرير بعد حكايته له .

---

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، شمس الدين ٢٨٥/٩

قال ابن عطية وهو عندي مردود يعني قول هذه الطائفة ثم قال: وأما قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: " نحن أحق بالشك من إبراهيم " فمعناه أنه لو كان شاكا لكنا نحن أحق به ونحن لا نشك فإبراهيم أحرى أن لا يشك " .

فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم .

وأما قول ابن عباس: هي أرجى آية فمن حيث أن فيها الإدلال على الله وسؤال الإحياء في الدنيا وليست مظنة ذلك .

ويجوز أن نقول هي أرجى آية لقوله (أو لم تؤمن) أي أن الإيمان كاف لا يحتاج معه إلى تنقير وبحث ، قال: فالشك يبعد على من ثبت قدمه بالإيمان فقط فكيف بمرتبة النبوة والخلة والأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعا .

وإذا تأملت سؤاله عليه السلام وسائر الألفاظ للآية لم تعط شكا ، وذلك أن الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن حالة شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسئول نحو قولك: كيف علم زيد ، وكيف نسج الثوب ، ونحو هذا ، ومتى قلت كيف ثوبك وكيف زيد فإنما السؤال عن حال من أحواله .

وقد يكون كيف خبرا عن شيء شأنه أن يستفهم عنه بكيف نحو قولك: كيف شئت فكن ، ونحو قول البخاري: كيف كان بدء الوحي ، وهي في هذه الآية استفهام عن هيئة الإحياء ، والإحياء متقرر ، ولكن لما وجدنا بعض ". (١)

"(قل يا عبادي) قرىء بإثبات الياء وصلا ووقفا . وبغير الياء . وهما سبعيتان (الذين أسرفوا) أي أفرطوا (على أنفسهم) في الكفر أو المعاصي واستكثروا منها (لا تقنطوا) بفتح النون وبكسرها أي لا تيأسوا (من رحمة الله) أي من مغفرته ، وفي هذه الآية من أنواع المعاني والبيان أشياء حسنة: منها إقباله تعالى عليهم ، ونداؤهم ومنها إضافتهم إليه إضافة تشريف ومنها الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله: (من رحمة الله) ومنها إضافة الرحمة لأجل أسمائه الحسنى ، ومنها إعادة الظاهر بلفظه في قوله الآتي: (إن الله) ، قاله السمين .

وقال عبد الله وغيره: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله سبحانه لاشتمالها على أعظم بشارة فإنه أولا أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم ، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي والاستكثار من ." (٢)

"ذنوبه وقيل هذه آية مختصة بالكافرين على معنى أن ما يصابون به بسبب ذنوبهم من غير أن يكون ذلك مكفرا عنهم لذنب ولا محصلا لثواب ويترك عقوبتهم عن كثير من ذنوبهم فلا يعاجلهم في الدنيا بل يمهلهم إلى الدار الآخرة والأولى حمل الآية على العموم ، والعفو يصدق على تأخير العقوبة ، كما يصدق على محو الذنب

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١١٠/٢

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٢٩/١٢

ورفع الخطأ به .

وقال الواحدي وهذه أرجى آية في كتاب الله لأنه جعل ذنوب المؤمنين صنفين ، صنف كفره عنهم بالمصائب ، وصنف عفا عنه في الدنيا وهو كريم لا يرجع في عفوه ، فهذه سنة الله مع المؤمنين ، وأما الكافر فإنه لا يعجل له في الدنيا عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة ، وعن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لا تصيب عبدا نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر ، وقرأ وما أصابكم الآية " أخرجه الترمذي وعبد بن حميد وعن عمران ابن حصين أنه دخل عليه بعض أصحابه وكان قد ابتلي في جسده فقال إنا لنبتئس لك لما نرى فيك ، قال فلا تبتئس لما ترى ، فإن ما ترى بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر ، ثم تلا هذه الآية إلى آخرها وعن معاوية بن أبي سفيان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " ما من شيء يصيب المؤمن في جسده يؤذيه إلا كفر الله به عنه من سيئاته " ، أخرجه أحمد وعن البراء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما عثرة قدم ، ولا اختلاج عرق ، ولا خدش عود ، إلا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله أكثر " أخرجه ابن مردويه . ." (١)

"تفسير قوله تعالى: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم)

قال الله جل جلاله: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ [الزمر:٥٣] .

هذه الآية الكريمة هي أرجى آية في كتاب الله ، هي آية تدع الإنسان يرجو رحمة ربه ولا يقنط منها مهما صدر عنه من ذنب وجريمة .

فبعد أن قص الله علينا حال المؤمنين ثم حال الكافرين ذكر في هذه الآية الكريمة رحمته الشاملة ، فذكر أنه يغفر الذنوب جميعا ولو كانت ملء السموات والأرض لمن جاءه تائبا مستغفرا .

فقوله: ((قل)) ، أي: قل يا رسول الله ! وناد عبادي ، يا عباد الله ! لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا .

والمعنى: يا محمد ، ناد الخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم ، ناد الذين أسرفوا على أنفسهم وتجاوزوا الحد في الذنوب ، وقتلوا النفس التي حرم الله ، وكفروا بالله وجعلوا له شريكا ، وظلموا الناس ، قل لهؤلاء الذين أسرفوا على أنفسهم: ((لا تقنطوا)) أي: لا تملوا ولا تيأسوا ((من رحمة الله)) ، ومن عفوه ومغفرته ، ((إن الله يغفر الذنوب جميعا)) ، سواء كانت من كافر أو كانت من مؤمن أو كانت من عاص ، فجميع تلك الذنوب يغفرها الله ؛

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٠٦/١٢

لأنه هو الغفور الرحيم .

والغفور: صيغة مبالغة ، أي: كثير المغفرة والستر لذنوب عباده .

والرحيم: الذي يرحم عباده التائبين المستغفرين ؛ ولذلك يقول بعد: ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له﴾ [الزمر:٥٤] أي: توبوا إلى الله وارجعوا إليه تائبين مستغفرين نادمين على ما صدر منكم .

وهذه الآية قال عنها عبد الله بن مسعود: هي آية الفرج للناس كلهم كافرهم ومؤمنهم .

وقال علي كرم الله وجهه: هي أعظم آية وأرجى آية في كتاب الله أي: أكثر الآي رجاء وطمعا في رحمة الله للمذنبين العصاة المخالفين .

ذات مرة خطب عليه الصلاة والسلام على المنبر ، وذكر هذه الآية حتى اهتز فرحا وارتج المنبر ، حتى قال ابن مسعود: لقد ظننت أن المنبر سيخر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو هذه الآية: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ [الزمر:٥٣] ، ثم قال عليه الصلاة والسلام: (ما أود أن لي الدنيا بحذافيرها وألا تكون نزلت هذه الآية علي) .

جاء عن أنس بن مالك وعن أبي أيوب الأنصاري وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم فيما رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن: أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (لو أن أحدكم أتى بذنوب ومعاص ملء السماوات والأرض ثم تاب إلى الله وندم لغفر الله له) .

ثم قال: (ولو لم تذنبوا ثم تتوبوا وتستغفروا لأتى الله بأقوام يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم ، ثم تلا هذه الآية الكريمة: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ [الزمر:٥٣]) الآية .

فالله جل جلاله هو التواب الغفور الرحيم ، أخبرنا بهذه الآية ونحن ما زلنا أحياء ، فهو ينصحنا ويوجهنا ويدخلنا في رحمته ، ويدلنا على الطريق التي نتبعها ليغفر لنا خطايانا .

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يا رسول الله ! لقد غدرت غدرات ، وفجرت فجرات في الجاهلية ، فهل لي من مغفرة ؟ قال: أتشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال: نعم ، وأشهد أنك رسول الله ، قال: لقد غفر لك على ما كان منك) .

وجاء أقوام وذكروا لرسول الله أنهم زنوا وقتلوا وكفروا وأشركوا ؛ هل لهم من مغفرة إذا تابوا ، فأنزلت هذه الآية: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ [الزمر:٥٣] .

والقنوط: اليأس ، و ﴿لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [يوسف:٨٧] .

وقف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على واعظ يعظ ويعلم ، فوجده يتكلم عن النار وسلاسلها وعذابها وما فيها من مقت وغضب ، فقال: يا مذكر ! لا تقنط الناس من رحمة الله ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (الإسلام يجب ما قبله) ، وقد وعد الله جل جلاله المستغفرين التائبين أن يغفر لهم وأن يتوب عليهم ، وذلك معنى قوله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء:٤٨] .

فالله لن يغفر الشرك إلا لمن كان حيا ثم تاب من شركه وأناب وعاد للإيمان والتوحيد ، أما من مات على الشرك وعلى الكفر فلا مغفرة له البتة ، ولو أتى بملء الأرض ذهبا وبمثله معه فداء فلن يغفر الله له .

فقوله: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ [الزمر:٥٣] أي: يا أيها الذين أذنبوا وعصوا وأفرطوا في المعصية ، يا من ارتكبت من الكبائر أكبرها وأفظعها وأعظمها ، لا تقنطوا ولا تيأسوا من رحمة الله ؛ إن الله يغفر الذنوب جميعا كبائرها وصغائرها ، ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ [الزمر:٥٣] أي: يغفر الذنب ويرحم المذنب بالمغفرة . ." (١)

"تفسير قوله تعالى: (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل)

قال تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ [الأحقاف:٣٥] يخاطب الله عبده وحبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم ، ويقول له: اصبر ، وهي آية مكية في سورة مكية ، والنبي عليه الصلاة والسلام مدة مقامه بمكة كان تحت اضطهاد قومه وتحت شتائمهم وتكذيبهم وإيذائهم له ، فقد أدموا عقبيه صلى الله عليه وسلم وهو الذي يفدى بالنفس والمال والولد ، ورموا عليه جزورا وتآمروا على قتله ، ولبب في عنقه ، وتآمروا على سجنه ، وتآمروا على طرده ، هذا مع التكذيب ومع ما كان يواجه به صلى الله عليه وسلم ، وكان أحيانا يجد في نفسه شيئا فالله يثبته ويقويه ، فقال له: ﴿فاصبر﴾ [الأحقاف:٣٥] أي: تحمل ذلك واصبر قليلا والعاقبة لك والنصر لك ، والعاقبة على أعدائك بأن لهم الذل والهزيمة ، ولهم العذاب في الدنيا والآخرة .

قوله: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ [الأحقاف:٣٥] أي: فاصبر كما صبر من سبقك من أولي العزم والحزم والإرادة من رسل الله من آبائك ومن إخوانك ، فلا تكن بدعا بينهم ولا تخرج عن سننهم بل اصبر كما صبروا ، ومنهم أولوا العزم .

والجمهور يقول: هم خمسة: نوح عليه السلام ، وإبراهيم عليه السلام ، وموسى عليه السلام ، وعيسى عليه السلام ، ونبينا خاتمهم وإمامهم محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وقال قوم: هم ستة ، وقالوا: أكثر ، وقالوا: جميع رسل الله أولوا عزم وحزم ؛ ف (من) هنا بيانية وليست تبعيضية كما تقول: اشتريت ثوبا من خزف ، ولا تريد أن تقول: أخذت بعض الخزف فصنعته ثوبا ، ولكنك تريد أن تبين أنك اشتريت ثوبا من خزف ليس قطنا ولا صوفا ، روي أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أم المؤمنين عائشة يريد طعاما فلم يجد فقال لها: (نحن معاشر آل البيت لم يرد الله لنا الدنيا ولا تليق بنا الدنيا ، ربي يأمرني بالصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل قبلي ، فقد أمرني بالصبر على مكروه الدنيا وبالصبر عن محبوبها ، ولذلك فلا حاجة لي في دنيا ولا نعيمها ولا رفاهيتها ولا يليق ذلك بي ولا بآل بيتي) هكذا كان يقول المصطفى صلى

(١) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ٢/٢٧٨

الله عليه وعلى آله وسلم ، إلا أن النبي عليه الصلاة والسلام قد حصل له بعض الضيق والتبرم من صنع قومه معه ، فكأنه أراد أن يعجل لهم العذاب ، وهو بذلك يكاد أن ينفد صبره ، فوجهه ربه ودله على الطريق الأنسب والأقوم له وأن العاقبة له فلا يستعجل ، قال تعالى: ﴿ولا تستعجل لهم﴾ [الأحقاف:٣٥] أي: لا تستعجل لقومك عذابا ، فلعلهم يعيشون أياما أو أشهرا أو سنوات يتوب منهم من يتوب ويصبحون لك عونا ولدينك أنصارا ، ولعلهم يعيشون أياما وأعواما يخرج الله من أصلابهم مؤمنين به داعين لرسالته أنصارا لك .

قال تعالى: ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾ [الأحقاف:٣٥] هؤلاء القوم كأنهم يوم ينزل بهم ما أوعدوه من عذاب مقيم ومن محنة حالة يستقصرون الزمن وكأنهم لم يعيشوا في دنياهم كلها إلا ساعة من نهار ، وقت بسيط من الزمن كمن يجتمع بآخر للتعارف: من أنت ؟ فلان بن فلان وأنا فلان بن فلان ! وانتهى الجمع والزمن .

فقوله: ﴿كأنهم﴾ [الأحقاف:٣٥] تشبيه ليس واقعا ولكن هذا ندركه في دنيانا قبل أخرانا ، فالمنتظر يقول: الانتظار شديد وصعب ، والمنتظر لشيء مهما كان هذا الشيء تجده يستعجل الزمن ، وتمر الأيام والأسابيع والشهور وكأنها ثوان ، والله شبه الدنيا كلها بالنسبة لهؤلاء المعذبين بقوله: ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾ [الأحقاف:٣٥] ، وماذا عسى أن تكون هذه الساعة ؟ ﴿بلاغ﴾ [الأحقاف:٣٥] أي: كأنهم لبثوا وأقاموا مقدار ما يبلغ الإنسان كلاما لآخر كلف بتبليغه ، والأكثر على أن ﴿بلاغ﴾ [الأحقاف:٣٥] خبر لمبتدأ محذوف ، أي هذا القرآن بلاغ ، جاء لتبليغ الناس بالإيمان بربهم وصلاح حياتهم وسيرتهم مع نظامهم في دنياهم ونظامهم عند آخرتهم ، نظاما أسرويا وشعبيا ، ونظاما يعيشون به مع العدو ومع الصديق ، هذا القرآن جاء بلاغا ومبلغا لكل ذلك ، فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وهو الفصل ليس بالهزل ، ما تركه من جبار إلا قصمه الله ، هو الذي لا يبلى قديمه ، وكأنك عندما تتلوه وتقرؤه تقرؤه لأول مرة لقوة المعاني التي تخطر ببالك وأنت تتلو ، شريطة أن تتلوه وأنت متدبر ومنصت ، وأنت تعيش في معاني ما تتلوه وتقرؤه .

قال تعالى: ﴿فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ [الأحقاف:٣٥] قالوا: هذه أرجى آية في كتاب الله يرجوها إنسان ، وهي كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام: (لا يهلك على الله إلا هالك) .

فقوله: ﴿فهل يهلك﴾ [الأحقاف:٣٥] استفهام تقريري يقرر الله لنا شيئا: لا يهلك على الله إلا الكافر والذي خرج عن الإسلام ألبتة وأشرك بالله وكفر به ، ومن عدا ذلك يرجو وينتظر ويأمل: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء:٤٨] فلا يهلك ولا يقضى عليه إلا الذي جاء الآخرة وهو لا يؤمن بالله ألبتة ، وكما قال عليه الصلاة والسلام: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) وإلا فالصغائر يمحوها الله ما بين الأوقات مع الوضوء والغسل ، ولكن المرتكب للكبائر هو الذي يحتاج للمغفرة ويحتاج للشفاعة ، وقد وعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته من أهل الكبائر ، قال تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾ [الزمر:٥٣] اللهم أطمعنا في رحمتك وشوقنا إليك ولا تجعلنا

من الآيسين: ﴿إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [يوسف:٨٧] فالمؤمن في خير على أي حال ، فمن مات وهو يقول: لا إله إلا الله دخل الجنة ، ومن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة ، ومن مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله أو يوقن بها جنانه فهو في الجنة لا محالة ، إما أن يغفر الله له فيدخل الجنة بلا عذاب ، وإما أن يدخل النار فيبقى فيها ما عسى أن يبقى ، ثم بعد ذلك لا يخلد فيها فيخرج إلى الجنة ويعامل معاملة إخوانه من المؤمنين .

وبهذا نكون قد ختمنا سورة الأحقاف ولله الحمد والشكر والمنة . ." (١)

"تفسير قوله تعالى: (وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحابته أجمعين .

قال الله عز وجل في سورة الشورى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير﴾ [الشورى:٣٠] .

يخبرنا الله سبحانه وتعالى بأننا لا نبتلى ببلاء في هذه الدنيا إلا بذنب اقترفناه ، كما قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ [الشورى:٣٠] ، ومع ذلك فالله كريم عظيم سبحانه يتكرم ويعفو عن الكثير .

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل .

والصحابة لهم تعبيرات جميلة في آيات من كتاب الله سبحانه ، فيرى بعضهم هذه الآية أرجى ، والبعض الآخر قد يرى آية أخرى .

ومعنى قوله: (هذه أرجى آية) أي: أرجو من الله عز وجل فضلها ، وما ذكر في هذه الآية من عفو الله عن الكثير الذي تطمئن الإنسان المؤمن .

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ [الزمر:٥٣] ، قالوا: هذه أرجى آية في كتاب الله ؛ لأن فيها غفران كل الذنوب .

وقالوا أيضا في قوله سبحانه: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء:٤٨] ، هي أرجى آية في كتاب الله طالما الإنسان على التوحيد ، ويقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ولا يقع في الشرك بالله ، ولا في الكفر فهو يرجو رحمة الله .

---

(١) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ٤/٣٣٦

ومعنى قولهم: هذه أرجى ، أي: من آيات الرجاء التي يرجو المؤمن ما فيها من فضل وتكفير ومغفرة .
كذلك هذه الآية: (وما أصابكم من مصيبة) ، أرجى آية في كتاب الله ، فإذا كان يكفر عنا بالمصائب ، ويعفو عن كثير ، فماذا يبقى بعد كفارته وعفوه ، فابتلاك ببعضها في الدنيا وعفا عن كثير سبحانه ، فإذا كان الأمر بين الابتلاء وبين العفو فماذا يبقى بعد ذلك ؟ والغرض بيان سعة رحمة رب العالمين سبحانه .
والمؤمن يرجو الله ويخاف من ذنوبه ، ويعلم أن الله غفور رحيم ، وأن الله شديد العقاب ، فلابد أن يسير في الدنيا بين هذين الأمرين ، أي: بين الخوف والرجاء ، فيخاف ذنوبه أن توبقه ، ويحب ربه ويرجو رحمته ، ويحسن الظن به كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه وهو يموت: (كيف تجدك ، قال الرجل: أجدني أرجو الله وأخاف ذنوبي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموضع إلا أمنه الله مما يخاف ، وأعطاه ما يرجو) .
فرحمة الله عز وجل عظيمة واسعة ، والمؤمن يعبد ربه بين الخوف والرجاء ، كما كان أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام ، فقد قال الله عز وجل عنهم: ﴿ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ [الأنبياء:٩٠] أي: رغبة فيما عندنا ، ورهبة مما عندنا ، فهذا مقام الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ، كلهم يعبدون الله عز وجل بين الخوف والرجاء رغبا ورهبا .
قال تعالى: ((وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير)) جاء عن السلف رضوان الله عليهم في ذلك كلام جميل ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولا هم ولا حزن ، ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه) ، فكل ما يبتلى به الإنسان يكفر الله عز وجل عنه من خطاياه لذلك ، وهذا في الإنسان المؤمن الموحد لربه سبحانه ، الذي يعبد ربه ، ويقع في الذنوب ، فالله يتجاوز ويعفو ويغفر ويبتليه في الدنيا بذلك .
أما الكافر فليس بعد الكفر ذنب ، إنما يعافي الله تعالى له بدنه ، ويعطيه مالا وولدا ؛ حتى يلقى ربه سبحانه ، وليس له عنده شيء ، وليس له حجة .
يقول الحسن: دخلنا على عمران بن حصين رضي الله عنه ، وهو رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الأفاضل الذي كانت الملائكة تسلم عليه ، وكان قد أصيب ببواسير ، فلما اشتد عليه المرض طلب من يكويه فكوي ، فكان آخر العلاج الكي ، وهو بغيض ، وقد كان العرب يستخدمونه كنوع من الوقاية من الأمراض ؛ فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الكي ، فلا يستخدم إلا في أضيق الحدود كنوع من العلاج ، مثل: توقيف النزيف ، أما أنه وقاية من العلاج فلا .
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن كان الشفاء ففي ثلاث: في شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية نار ، وأنهاكم عن الكي) .
ف عمران بن حصين رضي الله عنه لما كوي دخلوا عليه بعد ذلك ، ووجدوه يتألم رضي الله عنه ويقول: لقد اكتوينا

فما أفلحنا ولا أنجحنا .
ويقصد أنه بعد أن اكتوى لم تعد الملائكة تسلم عليه ، ثم ما لبث أن عادت الملائكة تسلم عليه كما كانت .
ف الحسن البصري دخل على عمران بن حصين رضي الله عنه ، فقال رجل من الحاضرين: إني ليمنعني من زيارتك ما بك من الوجع .
فقال عمران: يا أخي ! لا تفعل ، فوالله إني لأحب الوجع ، ومن أحبه كان أحب الناس إلى الله ، والله قدره علي فأنا راض بما قدره الله سبحانه .
انظر لحبهم لله سبحانه وتعالى ، الألم عليه شديد ، وهو يقول: أنا أتألم منه ، لكن أحبه لأنه يقربني من الله ، والله يحب ذلك ، وقد قال الله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير﴾ [الشورى:٣٠] ، فهذا مما كسبت يدي ، وعفو ربي عما بقي أكثر .
إنه اتهام النفس ، والتواضع بين يدي الله سبحانه وتعالى .
قال مرة الهمداني: رأيت على ظهر كف شريح قرحة -ومعلوم أن شريحا القاضي رجل مخضرم عاش في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنه لم يسلم إلا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أعدل القضاة رضي الله تعالى عنه ، وقد قضى لـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولـ علي بن أبي طالب رضي الله عنه دهرا طويلا ، وكان من أعلم الناس بالحكم بين الخصوم- فسأله إنسان فقال له: يا أبا أمية ما هذا ؟ قال: هذا بما كسبت أيدينا ، ويعفو عن كثير .
يعني: هذه بسبب ذنوبنا ، ويعفو الله عن كثير .
والإمام محمد بن سيرين لما ركبه الدين اغتم لذلك ؛ فقد كان رجلا كريما ، ويحب الإنفاق ، فقال: إني لأعرف سبب هذا الغم ، إنه بذنب أصبته منذ أربعين سنة ! فما زال رحمه الله تعالى ذاكرا ذنبه الذي ارتكبه منذ أربعين سنة ، فلما ابتلاه الله عز وجل عرف سبب الابتلاء .
هذا بعض ما جاء عن السلف الصالح رضوان الله عليهم في ذلك ، فعلى الإنسان أن يتهم نفسه إذا ابتلي بشيء وينظر ماذا عمل .
وجاء أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مرض مرضا شديدا وهزل حتى صار كالفرخ من الضعف ، فعاده النبي صلى الله عليه وسلم فتعجب من حالته ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (لعلك دعوت على نفسك بشيء ، قال: نعم ، قال: بم دعوت ؟ قال: قلت: اللهم ما كنت معاقبني به يوم القيامة فعاقبني به الآن .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تستطيع ، سل ربك العفو والعافية) .
فالإنسان يرى رحمة الله عز وجل العظيمة الواسعة ، فلا ينبغي أن يدعو على نفسه ، ولكن يدعو لنفسه بالخير ، ومن أجمل الدعاء: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

ومن ذلك الدعاء في الليالي التي هي مظنة ليلة القدر بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم يعلم عائشة: (اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا) .

فيدعو الإنسان المؤمن له ولأهله ولإخوانه وللمؤمنين ، يدعو بالعفو ، وعفو الله عز وجل أعظم وأوسع بكثير ، فلا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا إلا بخير . ." (١)

"تفسير قوله تعالى: (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة)

قال الله تعالى: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ [النور:٢٢] هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وفي غيره من المؤمنين ، لكنه كان سبب نزولها ، فقد كان ينفق على مسطح بن أثاثة ، وأم مسطح هي بنت خالة أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، أما مسطح فهو ابن خالته مجازا ، واسمه مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف ، وقيل: إن مسطح لقب له واسمه عوف ، وكان فقيرا مسكينا ، وكان من المهاجرين من أهل بدر ، وربنا سبحانه وتعالى قد اطلع على أهل بدر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) .

وكان مسطح بن أثاثة ممن خاضوا في حديث الإفك ، وقد جاء عنه أنه اعتذر لـ أبي بكر رضي الله عنه عن ذلك ، وقال: إنما كنت أغشى مجالس حسان ، وكان حسان شاعرا ، فـ حسان كان يقول الشعر وأنا أسمعه ولا أقول ، فقال له أبو بكر: لقد شاركت فيما قيل ، وأقسم أبو بكر يمينا أنه لا ينفق عليه مرة ثانية ؛ لأنه كان يحضر المجلس الذي يتكلم فيه عن عائشة ، أما اعتذاره ذاك فالله أعلم بثبوته ، إلا أن الله عز وجل قد أمر بإقامة الحد ، فكان مسطح ممن أقيم عليه الحد ، ويلزم منه أنه تكلم فأقيم عليه الحد رضي الله عنه ، كما أقيم الحد على حسان بن ثابت وحمنة أخت زينب بنت جحش ، فهؤلاء الثلاثة أمر الله عز وجل بأن يقام عليهم الحد ؛ تطهيرا لهم في الدنيا ، فلا يكون عليهم يوم القيامة شيء ، وأما عبد الله بن أبي ابن سلول ذاك المنافق فالله عز وجل أخره للآخرة ، فلم يقم عليه الحد في الدنيا ؛ ليكون له العذاب الأليم في الآخرة ، وقد فضحه في كتابه سبحانه حيث قال: ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ [النور:١١] .

فلما حلف أبو بكر رضي الله عنه ألا ينفق على مسطح أنزل الله عز وجل هذه الآية يأمر أبا بكر وغيره بأن يرجعوا في ذلك الحلف الذي حلفوه .

فقال سبحانه: ﴿ولا يأتل﴾ [النور:٢٢] يعني: لا يحلف ولا يقسم ، فأصلها من الألية ، والألية بمعنى اليمين والحلف .

قوله: (ولا يأتل) هذه قراءة الجمهور ، وقرأها أبو جعفر: (ولا يتأل أولوا الفضل منكم والسعة) أي: لا يقسم

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٢/٤٢٩

أولو الفضل منكم والسعة ، وفيه مدحة لـ أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه صاحب فضل ، كما أن فيه إشارة إلى أن كل صاحب فضل يجب أن يراعي أن الله سبحانه قد أعطاه من فضله ، وجعله أفضل من غيره ، فإن أكرمك الله فكن كريما في معاملتك وأخلاقك مع الناس .

قوله سبحانه: ﴿والسعة﴾ [النور:٢٢] أي: الغنى .

قوله تعالى: ﴿أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾ [النور:٢٢] أي: أن يؤتوا أهل القرابة ، وقد كان مسطح ابن خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وهو من أصحاب المسكنة وأصحاب الفقر والمهاجرين في سبيل الله ، والملاحظ هنا أن الذي أتى به مسطح وغيره كبيرة من الكبائر ، إذ الوقوع في عرض إنسان مسلم كبيرة من الكبائر ، فضلا عن أن يقع في عرض عائشة رضي الله عنها وهي المكرمة المطهرة .

وهذه الكبيرة لم تحبط له عملا ، ودليل عدم حبوط العمل من الآية أن الله ذكر أنهم من أولي القربى من المساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وقد كان مسطح من المهاجرين ، فدل على أن الذي وقع فيه لم يحبط عمله ، ولذلك كان البعض من أهل العلم يقولون: هذه أرجى آية في كتاب الله عز وجل ، وآيات الرجاء كثيرة في كتاب الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾ ومع أن أبا بكر الصديق مقصود بالآية إلا أنها عامة له ولغيره ، أي: ينبغي أن تراعي قرابتك وإن أساءوا إليك ، فهذا أبو بكر أساء إليه قريبه بأفظع ما يكون ، حيث رمى ابنته زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمره الله أن يعطيه وإن كان قال ذلك .

قوله: ((والمساكين)) أي: راع الفقير والمسكين ؛ لكونه فقيرا أو مسكينا مسلما ، فيعطى حتى ولو كان مسيئا في جانب آخر ووقع في كبيرة من الكبائر .

قال تعالى: ﴿والمهاجرين في سبيل الله﴾ [النور:٢٢] ، فوصفه بأنه مهاجر ، وهجرته في سبيل الله ، فلم يهاجر لدنيا مع أنه وقع في كبيرة ، ومع ذلك لم يلغ له ذلك سبحانه ، وهذا من فضله ورحمته سبحانه .

قوله: ((وليعفوا)) اللام لام الأمر ، فالله عز وجل يأمر المؤمنين بالعفو ، فإذا كان العفو في ذلك الشيء الفظيع وهو الطعن في العرض ، وقد يحمي الإنسان عرضه بدمه ، مع ذلك فالله يقول له: ((وليعفوا)) ، فكيف بما هو أقل من ذلك ؟ ! فيجب العفو أيضا .

قوله: ((وليصفحوا)) الصفح: هو التجاوز والمغفرة عن هذا الذي وقع في الإساءة ، وقد تعظم الإساءة عند إنسان حتى إذا قيل له: اعف واصفح قال: لا ؛ لأنك لا تعرف ماذا عمل بي ، فقد عمل في كذا وعمل في كذا ، فالله سبحانه وتعالى يقول ﴿وليعفوا وليصفحوا﴾ [النور:٢٢] أي: اعف واصفح ليكون جزاؤك من جنس عملك ، كما أنك تعفو عن الناس فالله يعفو عنك ، وإذا كنت تصفح عن الناس فإن الله يصفح عنك .

ولذا حين تحدث إساءة لإنسان ينبغي أن يتذكر ذنوبه في جانب ربه سبحانه وتعالى ، ويتذكر إساءاته مع الله

عز وجل ، ويتذكر معصيته لله سبحانه وتعالى ، فإذا تذكر ذلك ورغب في مغفرة الله له فعليه أن يغفر للناس ويصفح عنهم ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ [النور:٢٢] ، فلما قال الله عز وجل ذلك قال أبو بكر رضي الله عنه: بلى بلى أحب والله أن يعفو ويصفح عني .

فقد وعد الله سبحانه كرما منه بالعفو والصفح لمن كان من أهل العفو والصفح ، فقال: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ [النور:٢٢] أي: يغفر ويتجاوز ويعفو ﴿والله غفور رحيم﴾ [النور:٢٢] . ." (١)

"علة إيراد قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شعار ودثار ولواء أهل التقوى ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، وعلى سائر من اقتفى أثره واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد: فما زلنا نتفيأ ظلال سورة الأنعام ، والآيات التي سنتحدث عنها في هذا الدرس هي قول الله جل وعلا: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين﴾ [الأنعام:٨٣ - ٨٦] .

هذه الآيات من سورة الأنعام جاءت بعد قول الله جل وعلا: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر﴾ [الأنعام:٧٤] .

والسورة تتحدث عن التوحيد ، وإبراهيم هو أعظم الموحدين ، فالله تعالى نسب الملة إليه فقال: ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾ [الحج:٧٨] ، فكان بدهيا أن تتحدث السورة كثيرا عن إبراهيم .

وقد ذكرت الآيات قضية محاجة إبراهيم لأبيه آزر ، ثم محاجته لقومه ، وقوله: ﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا﴾ [الأنعام:٨١] ، إلى أن قال إبراهيم عليه السلام وهو يحاج قومه ويثبت لهم التوحيد: ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾ [الأنعام:٨١] .

وهنا نأتي إلى قضية أساسية ، وهي أن إبراهيم لم يقل: فأينا أحق بالأمن بل قال: ﴿فأي الفريقين﴾ [الأنعام:٨١] ، قال العلماء في بيان هذا: أراد إبراهيم أن يبين أن المقابلة مقابلة عامة تشمل كل موحد ومشرك ، وليست محصورة في والذي فصل وحكم في أحق الفريقين بالأمن هو الله تعالى ، حيث أنزل قوله: ((الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم)) أي: بشرك ﴿أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ [الأنعام:٨٢] .

وهذا ما دفع القرطبي رحمه الله إلى أن يقول: إن هذه الآية أرجى آية في كلام الله ؛ لأن الله أثبت فيها أن من

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٥/٧٤

مات على التوحيد ولم يشرك بالله شيئا تكفل الله له بالأمن يوم القيامة ، وبالهداية في الدنيا فقال تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ [الأنعام:٨٢] . ." (١)

"أرجى آية في القرآن

وقد حكي أن الصحابة رضي الله عنهم في تدارسهم للقرآن أخذوا يتباحثون: أي آية في كتاب الله أرجى ؟ فقال الصديق رضي الله عنه وأرضاه: قرأت القرآن كله من أوله إلى آخره فلم أر آية أعظم وأرجى من قول الله: ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ [الإسراء:٨٤] ، ثم علل فقال: إن العصيان يشاكل العبد ، والغفران يشاكل الرب ﷻ ؛ لأن الغفران أليق بالرب ، كما أن العصيان أقرب إلى العبد ، وهذا يروى كذلك عن علي من وجه آخر: أنها أرجى آية في كتاب الله ؛ لأنهم قالوا: إن الله جل وعلا سبقت رحمته غضبه .

وفي نفس الرواية قال عمر رضي الله تعالى عنه: قرأت القرآن كله من أوله إلى آخره فلم أر آية أعظم وأرجى من قول الله جل وعلا: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب﴾ [غافر:١ - ٣] ، قال: فقدم غفران الذنب على قبول التوبة .

فقال عثمان: وأنا قرأت القرآن كله من أوله إلى آخره فلم أر آية أرجى من قول الله جل وعلا: ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾ [الحجر:٤٩] .

وقال علي رضي الله تعالى عنه وأرضاه: وأنا قرأت القرآن كله من أوله إلى آخره فلم أر آية أرجى من قول الله: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ [الزمر:٥٣] ، فهذه أربع روايات عن أكابر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

قال القرطبي رحمه الله: وأنا قرأت القرآن كله من أوله إلى آخره فلم أر آية أرجى من قول الله: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ [الأنعام:٨٢] ، ولكل دليله ، وهذه عظمة القرآن أنه كتاب مفتوح تجري في مضماره أفكار العلماء . ." (٢)

"

قوله عز وجل : ﴿ ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ﴾ ؛ أي ثم ردهم الملائكة إلى الموضع الذي لا يملك أحد الحكم فيه إلا الله تعالى : وقوله : ﴿ مولاهم الحق ﴾ أي مولاهم من كل جهة ، فإنه يملك خلقهم وإنشاءهم وتربيتهم وإماتتهم وإحياءهم وضرهم ونفعهم ، وهو الذي دبر في الابتداء أمرهم حيث أنشأهم . ومعنى قوله تعالى : ﴿ مولاهم الحق ﴾ أي الذي عبادته حق ، ويعطي الثواب الحق ، ويتولى العقاب بالحق ، وقيل : إن هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى ؛ لأنه لا مرد للعبد أحسن من مرده إلى مولاه .

---

(١) سلسلة محاسن التأويل - المغامسي، صالح المغامسي ٢/٣٢

(٢) سلسلة محاسن التأويل - المغامسي، صالح المغامسي ٤/٤٣

قوله تعالى : ﴿ ألا له الحكم ﴾ ؛ كلمة بينة ؛ أي اعلموا أن بينة القضاء بين العباد يوم القيامة يحكم فيهم ما شاء وكيف شاء . وقوله تعالى : ﴿ وهو أسرع الحاسبين ﴾ ؛ إذا حاسب فحسابه يسير سريع ؛ لأنه لا يحاسب بحقد ولا يتكلم بآلة ، ولا يحجزه الكلام مع بعضهم عن الكلام مع غيرهم ، بل يحاسب الجميع في دفعة واحدة . ومعنى المحاسبة : تعريف كل واحد ما يستحقه من ثواب أو عقاب ؛ حتى روي في الخبر : أنه يكون حسابه في مقدار حلب شاة .

" (١).

١٨٢"

نعمة وأعطيناه مكانها عافية " نعمة منا قال إنما أوتيته على علم " يعني على علم عندي

" بل هي فتنة " يعني بلية وعطية يبتلى بها العبد ليشكر أو ليكفر " ولكن أكثرهم لا يعلمون " أن إعطائي ذلك بلية وفتنة ذلك لأنه علم أني أهل لذلك ويقال معناه على علم عندي بالدواء " بل هي فتنة " أي بلية

قوله عز وجل " قد قالها الذين من قبلهم " يعني قال تلك الكلمة الذين من قبل كفار مكة مثل قارون وأشباهه

" فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون " يعني لم ينفعهم ما كانوا يجمعون من الأموال " فأصابهم سيئات ما كسبوا " أي عقوبات ما عملوا

" والذين ظلموا من هؤلاء " يعني من أهل مكة " سيصيبهم سيئات ما كسبوا " يعني عقوبات ما عملوا مثل ما أصاب الذين من قبلهم " وما هم بمعجزين " أي غير فائتين من عذاب الله

سورة الزمر ٥٢ - ٥٣

ثم قال " أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء " أي يوسع الرزق لمن يشاء " ويقدر " أي يقتر على من يشاء " إن في ذلك " يعني في القبض والبسط " لآيات " لعلامات لوحدانيتي " لقوم يؤمنون " أي يصدقون بتوحيد الله تعالى

قوله عز وجل " قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم " يعني أسرفوا بالذنوب على أنفسهم قرأ نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر " قل يا عبادي " بفتح الياء والباقون بالإرسال وهما لغتان ومعناهما واحد " لا تقنطوا من رحمة الله " يعني لا تيأسوا من رحمة الله " إن الله يغفر الذنوب جميعا " الكبائر وغير الكبائر إذا تبتم " إنه هو الغفور " لمن تاب " الرحيم " بعد التوبة لهم

وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة

قال أصاب قوم في الشرك ذنوبا عظاما وكانوا يخافون أن لا يغفر الله لهم فدعاهم الله تعالى بهذه الآية " يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله "

---

(١) تفسير القرآن العظيم المنسوب للإمام الطبراني الطبراني ٢/٢٧٥

وقال مجاهد " يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم " بقتل الأنفس في الجاهلية

وقال في رواية الكلبي نزلت الآية في شأن وحشي يعني أسرفوا على أنفسهم بالقتل والشرك والزنى

لا تيأسوا " من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا " لمن تاب

وقال ابن مسعود أرجى آية في كتاب الله عز وجل هذه الآية

وهكذا قال عبد الله بن عمرو بن العاص وروي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال فيها عظة ." (١)

"٢٣٢

عنهم " وينشر رحمته " يعني المطر " وهو الولي الحميد " يعني الولي للمطر يرسله مرة بعد مرة " الحميد " يعني أهلا أن يحمد على صنعه

قوله عز وجل " ومن آياته " يعني من علامات وحدانيته " خلق السموات والأرض " يعني خلقين عظيمين لا يقدر عليهما بنو آدم ولا غيرهم " وما بث فيهما من دابة " يعني ما خلق في السموات والأرض من خلق أو بشر فيهما " وهو على جمعهم " يعني على إحيائهم للبعث " إذا يشاء قدير " يعني قادرا على ذلك

ويقال " وما بث فيهما من دابة " يعني في الأرض خاصة كما قال " يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان " [الرحمن ٢٢] يعني من أحدهما

ثم قال " وما أصابكم من مصيبة " يعني ما تصابون من مصيبة في أنفسكم وأموالكم " فبما كسبت أيديكم " يعني يصيبكم بأعمالكم ومعاصيكم " ويعفو عن كثير " يعني ما عفا الله عنه فهو أكثر

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال ألا أخبركم بأرجى آية في كتاب الله أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا بلى فقرأ عليهم " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير " قال فالمصائب في الدنيا بكسب الأيدي وما عفا الله تعالى عنه في الدنيا ولم يعاقب فهو أجود وأمجد وأكرم من أن يعذب فيه يوم القيامة

وعن الضحاك قال ما تعلم رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب ثم قرأ " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم " وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن

قرأ نافع وابن عامر " بما كسبت أيديكم " بحذف الفاء ويكون " ما " بمعنى الذي ومعناه الذي أصابكم وقع بما كسبت أيديكم الباقون " فبما كسبت " بالفاء وتكون الفاء جواب الشرط ومعناه ما يصيبكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم

سورة الشورى ٣١ - ٣٥

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ط دار الفكر أبو الليث السمرقندي ١٨٢/٣

ثم قال " وما أنتم بمعجزين في الأرض " يعني بفائتين من عذاب الله حتى يجزيكم به " وما لكم من دون الله " يعني من عذاب الله " من ولي " يعني من حافظ " ولا نصير " يعني مانع يمنعكم من عذاب الله تعالى ." (١)

"الكبائر ، وغير الكبائر إذا تبتم ، إنه هو الغفور لمن تاب ، الرحيم بعد التوبة لهم . وروى عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة . قال: أصاب قوم في الشرك ذنوبا عظاما ، فكانوا يخافون أن لا يغفر الله لهم ، فدعاهم الله تعالى بهذه الآية: يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا . وقال مجاهد: يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم بقتل الأنفس في الجاهلية . وقال في رواية الكلبي: نزلت الآية في شأن وحشي . يعني: أسرفوا على أنفسهم بالقتل ، والشرك ، والزنى . لا تيأسوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب . وقال ابن مسعود: أرجى آية في كتاب الله هذه الآية . وهكذا قال عبد الله بن عمرو بن العاص . وروي عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال: فيها عظة .

[سورة الزمر (٣٩) : الآيات ٥٤ الى ٦١]

وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون (٥٤) واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون (٥٥) أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين (٥٦) أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين (٥٧) أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين (٥٨)

بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين (٥٩) ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين (٦٠) وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون (٦١)

قوله تعالى: وأنيبوا إلى ربكم يعني: ارجعوا له ، وأقبلوا إلى طاعة ربكم وأسلموا له يعني: أخلصوا ، وأقروا بالتوحيد ، من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون أي: لا تمنعون مما نزل بكم ، واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم قال الكلبي: هذا القرآن أحسن ما أنزل إليهم يعني: اتبعوا ما أمرتم به . ويقال: أحلوا ، وحرموا حرامه ، من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة أي: فجأة ، وأنتم لا تشعرون بنزوله ، أن تقول نفس يعني: لكي لا تقول نفس . ويقال: معناه اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم خوفا ، قبل أن تصيروا إلى حال الندامة .

وتقول نفس: يا حسرتى يعني: يا ندامتا ، على ما فرطت في جنب الله يعني:

تركت ، وضيعت من طاعة الله . وقال مقاتل: يعني: ما ضيعت من ذكر الله . ويقال: يا ندامتاه على ." (٢)

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم ط دار الفكر أبو الليث السمرقندي ٢٣٢/٣

(٢) تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث السمرقندي ١٩١/٣

"قوله تعالى: ولو بسط الله الرزق لعباده يعني: لو وسع الله تعالى عليهم المال لبغوا أي: لطغوا في الأرض وعصوا ولكن ينزل بقدر ما يشاء يعني: يوسع على كل إنسان ، بمقدار صلاحه في ذلك ، قال أبو الليث رحمه الله: حدثنا أبو القاسم ، حمزة بن محمد قال: حدثنا أبو القاسم ، أحمد بن حمزة ، قال: حدثنا نصر بن يحيى ، قال: سمعت شقيق بن إبراهيم الزاهد يقول: ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض قال: لو أن الله تعالى رزق العباد من غير كسب ، لتفرغوا وتفاسدوا في الأرض ، ولكن شغلهم بالكسب ، حتى لا يتفرغوا للفساد .

ثم قال: إنه بعباده خبير بصير يعني: بالبر ، والفاجر ، والمؤمن ، والكافر . ويقال:

يعني: عالم بصلاح كل واحد منهم . قوله تعالى: وهو الذي ينزل الغيث يعني: المطر من بعد ما قنطوا أي: حبس عنهم وينشر رحمته يعني: المطر وهو الولي الحميد يعني: الولي للمطر يرسله مرة بعد مرة الحميد يعني: أهل أن يحمد على صنعه .

قوله عز وجل: ومن آياته يعني: من علامات وحدانيته خلق السماوات والأرض يعني: خلقين عظيمين ، لا يقدر عليهما بنو آدم ، ولا غيرهم وما بث فيهما من دابة يعني:

ما خلق فى السموات والأرض من خلق أو بشر فيهما وهو على جمعهم يعني: على إحيائهم للبعث إذا يشاء قدير يعني: قادر على ذلك . ويقال: وما بث فيهما من دابة يعني: في الأرض خاصة كما قال: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (٢٢) [الرحمن: ٢٢] يعني: من أحدهما ثم قال وما أصابكم من مصيبة يعني: ما تصابون من مصيبة في أنفسكم ، وأموالكم فبما كسبت أيديكم يعني: يصيبكم بأعمالكم ، ومعاصيكم ويعفوا عن كثير يعني: ما عفى الله عنه ، فهو أكثر .

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «ألا أخبركم بأرجى آية في كتاب الله ، أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا بلى . فقرأ عليهم: وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ، ويعفوا عن كثير قال: فالمصائب في الدنيا بكسب الأيدي ، وما عفى الله تعالى عنه في الدنيا ، ولم يعاقب ، فهو أجود وأمجد ، وأكرم من أن يعذب فيه يوم القيامة .

وعن الضحاك قال: ما تعلم رجل القرآن ، ثم نسيه ، إلا بذنب . ثم قرأ: وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وأي: مصيبة أعظم من نسيان القرآن . قرأ نافع وابن عامر «بما كسبت أيديكم» بحذف الفاء . ويكون ما بمعنى الذي ، ومعناه الذي أصابكم وقع بما كسبت أيديكم . وقرأ الباقون: فبما كسبت بالفاء ، وتكون الفاء جواب الشرط ، ومعناه: ما يصيبكم من مصيبة ، فبما كسبت أيديكم ثم قال: ." (١)

" أعرض عن الله فلينتظر الذل والسخط والبغض مع غضب الله في الآخرة . قال الله ! (إن الذين اتخذوا العجل) ! الآية . قال الحسين بن الفضل : لا ترى مبتدعا إلا ذليلا ، لأن الله يقول : ! (وكذلك

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث السمرقندي ٢٤٤/٣

نجزي المفترين) ! . قوله تعالى : ! (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) ﴾ (١) < [الآية : ١٥٥] . قال بعضهم : اختار موسى على عدد الأولياء في الامم السالفة وفي أمته وهم السبعون الذين إليهم متضرع الخلق وبهم يحفظون . قوله تعالى : ! (إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء) ﴾ (٢) < [الآية : ١٥٦] . قال الواسطي رحمة الله عليه : ذلك في نفس المعارف ما عرفه أحد إلا تكدر عيشه ، وأرباب الحقائق لا يعذبون في الدنيا إلا بتواتر نعم الله عليهم والتقرب ، حتى يرد عليه ما منه يغيب من الصفات والنعوت ، فيرتفع عند سوء الأدب في السير . قوله تعالى : (ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون) [الآية : ١٥٦] . قال الكتاني رحمة الله عليه : تسع كل شيء ولكن خص بها الأنبياء لقوله تعالى . ! (فسأكتبها للذين يتقون) ! ومن يمكنه تصحيح التقوى فيكون بشرط الآية . قال بعضهم : وصف العذاب بصفة الخصوص مقرونا بالمشيئة ، وعم الرحمة أنها تسع كل شيء . قال أبو عثمان : لا أعلم في القرآن آية أقنط من قوله : (ورحمتي وسعت كل شيء) والناس يرونها أرجى آية ، وذلك أن الله يقول : ! (فسأكتبها للذين يتقون) ! . قوله تعالى : ! (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) ﴾ (٣) < [الآية : ١٥٧] . قال ابن عطاء : الأمي هو الأعجمي ، قال أعجمي عما دوننا عالم بنا وبما ينزل عليه

---

(٤) ".

"على بعيري ثم لحقت بالمدينة .

وروي عن ابن عمر: أن هذه الآيات نزلن في عياش بن أبي ربيعة ، والوليد ابن الوليد ونفر من المسلمين كانوا أسلموا ، ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا ، فكنا نقول: لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا ، قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عذبوا به ! فنزلت هذه الآيات .

وقال ابن عمر: هذه أرجى آية في القرآن . فرد عليه ابن عباس وقال: بل أرجى ." (٥)

---

(١) الأعراف : (١٥٥) واختار موسى قومه . . . . .

(٢) الأعراف : (١٥٦) واكتب لنا في . . . . .

(٣) الأعراف : (١٥٧) الذين يتبعون الرسول . . . . .

(٤) تفسير السلمي أبو عبد الرحمن السلمي ٢٤٥/١

(٥) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٣٥٧/١٠

"وقال ابن عباس: تعجل للمؤمنين عقوبتهم بذنوبهم في الدنيا ولا يؤاخذون بها في الآخرة .
وقال الحسن: معنى الآية في الحدود ، أن الله تعالى جعل الحدود على ما يعمل الإنسان من المعاصي . وهذا يعطي أن " ما " بمعنى " الذي " .
قال إبراهيم بن عرفة: الكثير الذي يعفو (الله D عنه) لا يحصى . وهذه من أرجى آية في القرآن .
وقال علي Bه في هذه الآية: إذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فماذا يبقى من ذنوبي بين كفارته وعفوه .
وروي عن علي رضي الله أنه قال: ألا أخبركم بأرجى آية في كتاب الله ؟ قالوا: بلى ، ." (١)
"أو لم يروا كيف خالف بين أحوال الناس في الرزق: فمن موسع عليه رزقه ، ومن مضيق عليه ، وليس لواحد منهم شيء مما خص به من التقليل أو التكثير .
قوله جل ذكره:

[سورة الزمر (٣٩) : آية ٥٣]
قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم (٥٣)
«١» التسمية ب «يا عبادي» مدح «٢» ، والوصف بأنهم «أسرفوا» ذم . فلما قال:
«يا عبادي» طمع المطيعون في أن يكونوا هم المقصودين بالآية ، فرفعوا رءوسهم ، ونكس العصاة رءوسهم وقالوا: من نحن . . حتى يقول لنا هذا ؟ ! فقال تعالى: «الذين أسرفوا» فانقلب الحال فهؤلاء الذين نكسوا رءوسهم انتعشوا وزالت ذلتهم ، والذين رفعوا رءوسهم أطرقوا وزالت صولتهم «٣» .
ثم أزال الأعجوبة عن القسمة بما قوى رجاءهم بقوله: «على أنفسهم» يعني إن أسرفت فعلى نفسك أسرفت .
«لا تقنطوا من رحمة الله» : بعد ما قطعت اختلافك إلى بابنا فلا ترفع قلبك عنا .
«إن الله يغفر الذنوب جميعا» الألف واللام في «الذنوب» للاستغراق والعموم ، والذنوب جمع ذنب ، وجاءت «جميعا» للتأكيد فكأنه قال: أغفر ولا أترك ، وأعفو ولا أبقى .

(١) أورد الواحدي في أسباب النزول عدة اقوال بشأن من نزلت فيهم هذه الآية الكريمة ، ومن هذه الروايات:
عن ابن عباس قال: نزلت في أهل مكة حين قالوا: يزعم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له ، فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله إلها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله .
وقال ابن عمر: نزلت في عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٥٩٧/١٠

فتركوا دينهم .
ويروى أنها نزلت في وحشي قاتل حمزة . (الواحدي ص ٢٤٨ ، ٢٤٩) .
(٢) يقول الدقاق: ليس شيء أشرف من العبودية ، وقد سمى بها الحق نبيه (ص) فقال: سبحان الذي أسرى بعبده ، وقال: فأوحى إلى عبده ما أوحى- ولو كان اسم أجل من العبودية لسماه به . (الرسالة ص ١٠٠) .
(٣) راجع ما قاله القشيري في قصة داود: (إن زلة أسفك عليها يوصلك إلى ربك أجدى عليك من طاعة إعجابك بها يقصيك عن ربك) . ويقول على بن أبي طالب: ما في القرآن أوسع من هذه الآية . ويقول عبد الله ابن عمر: هذه أرجى آية في القرآن . [. . . . .]. " (١)

"قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ قيل: هذه أرجى آية في القرآن ، قال ابن عمر: كنا نطلق القول فيمن ارتكب الكبائر بالخلود في النار ، حتى نزلت هذه الآية ، فتوقفنا ﴿ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما﴾ أي: اختلق إثما عظيما ، فإن قال قائل: قد قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ وقال في موضع آخر: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾ فكيف وجه الجمع ؟
قيل أراد به: يغفر الذنوب جميعا سوى الشرك . ." (٢)
"﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور (٣٤) الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب (٣٥) والذين كفروا لهم﴾ أنه قال: أرجى آية في كتاب الله تعالى هذه الآية ؛ لأنه جمع بين الظالم والمقتصد والسابق ، ثم قال: ﴿جنات عدن يدخلوها﴾ وعن بعضهم قال: إن الواو في قوله: ﴿يدخلونها﴾ أحب إلي من كذا وكذا . وعن كثير من السلف أنهم قالوا: كل هؤلاء من هذه الآية .
وقوله: ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ ظاهر المعنى . والأساور: جمع السوار .
وقوله: ﴿ولؤلؤ﴾ أي: من ذهب ولؤلؤ ، وقرئ: " ولؤلؤا " بالنصب أي: يحلون لؤلؤا .
وقوله: ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ أي: الديباج . ومن المعروف أن النبي قال: " من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة " ، وقال: " هو لهم في الدنيا ، ولنا في الآخرة " . ." (٣)

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٢٨٧/٣
(٢) تفسير السمعاني السمعاني، أبو المظفر ٤٣٤/١
(٣) تفسير السمعاني السمعاني، أبو المظفر ٣٦٠/٤

"﴿الفاسقون (٣٥) ﴾

وقوله: ﴿فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ أي: الكافرون ، والفاسق: [هو] الخارج عن طاعة الله ، وذلك الكافر ، ويقال: إن هذه الآية أرجى آية في القرآن . قال قتادة: لا يهلك على الله إلا هالك ، ثم فسر الهالك قال: هو كافر ولى الإسلام ظهره ، أو منافق يصف الإيمان بلسانه وينكر بقلبه . ." (١)

"من رحمة الله [الزمر: ٥٣] ، فبعث بها إليهم فدخلوا في الإسلام ورجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ، ثم قال لوحشي: «أخبرني كيف قتلت حمزة ؟» فلما أخبره قال: «ويحك غيب وجهك عني» ، فلحق وحشي بالشام فكان بها إلى أن مات .

ع «٦٣٤» وقال مخبر عن ابن عمر رضي الله عنه لما نزلت: قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم [الزمر: ٥٣] ، الآية قام رجل فقال: والشرك يا رسول الله ، فسكت ثم قام إليه مرتين أو ثلاثا فنزلت إن الله لا يغفر أن يشرك به .

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير: قال ابن عمر رضي الله عنه: كنا على عهد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات الرجل على كبيرة شهدنا أنه من أهل النار حتى نزلت هذه الآية إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فأمسكنا عن الشهادات . حكي عن علي رضي الله عنه أن أرجى آية في القرآن قوله: ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

ومن يشرك بالله فقد افترى ، اختلق ، إثما عظيما:

«٦٣٥» أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أحمد بن الحسن الحيري أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال:

أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله ما الموجبتان ؟ قال: «من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار» .

«٦٣٦» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل

٦٣٤- ع ضعيف . أخرجه الطبري ٩٧٣٥ و٩٧٣٦ من طريقين عن ابن أبي جعفر الرازي ، عن أبيه ، عن الربيع قال: أخبرني مخبر ، عن ابن عمر . . . فذكره ، وإسناده ضعيف ، وله علتان: جهالة المخبر للربيع بن أنس ، فهذه علة ، والثانية:

---

(١) تفسير السمعاني السمعاني، أبو المظفر ١٦٦/٥

ضعف أبي جعفر الرازي واسمه عيسى بن أبي عيسى .

٦٣٥- صحيح ، محمد بن حماد هو الطهراني ، ثقة حافظ ، وقد توبع ومن دونه ، ومن فوقه رجال البخاري ومسلم ، أبو معاوية هو محمد بن خازم ، الأعمش هو سليمان بن مهران ، أبو سفيان هو طلحة بن نافع .

- وهو في «شرح السنة» (٥٠) بهذا الإسناد .

- وأخرجه مسلم ٩٣ وأبو عوانة ١/ ١٧- ١٨ من طريق أبي معاوية به .

- وأخرجه أبو يعلى ٢٢٧٨ من طريق الأعمش به .

- وأخرجه أحمد ٣/ ٢٤٥ من طريق ابن المبارك ، عن بكر بن عبد الله المزني ، عن جابر به .

- وأخرجه مسلم ٩٣ ح ١٥٢ من طريق أبي الزبير ، عن جابر به .

٦٣٦- إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم ، أبو معمر هو المنقري ، اسمه عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج ، عبد الوارث هو ابن سعيد بن ذكوان ، حسين المعلم هو ابن ذكوان ، أبو الأسود الديلمي ، ويقال الدؤلي اسمه ظالم بن عمرو .

- وهو في «شرح السنة» (٥١) بهذا الإسناد .

- خرجه المصنف من طريق البخاري ، وهو في «صحيحه» (٥٨٢٧) عن أبي معمر بهذا الإسناد .

- وأخرجه مسلم ٩٤ ح ١٥٤ وأحمد ٥/ ١٦٦ وأبو عوانة ١/ ١٩ وابن مندة في «الإيمان» (٨٧) . من طرق عن حسين المعلم به .

- أخرجه البخاري ٢٣٨٨ و٣٢٢٢ و٦٢٦٨ و٦٤٤٤ ومسلم ٩٤ ح ٣٣ والترمذي ٢٦٤٤ والنسائي في «اليوم والليلة» (١١١٨ و١١١٩ و١١٢٢) والطيالسي ٤٤٤ وأحمد ٥/ ١٥٢ وابن حبان ١٦٩ و١٧٠ و١٩٥ وابن مندة ٨٣ و٨٤ و٨٥ و٨٦ وأبو عوانة ١/ ١٩ من طرق زيد بن وهب عن أبي ذر . مطولا ، ومختصرا . [. . . . .] ." (١)

"عن بعض . فأما من لا جرم له كالأنبياء والأطفال والمجانين ، فهؤلاء إذا أصابهم شيء من ألم أو غيره فللعوض الموفى والمصلحة . وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب ، ولما يعفو الله عنه أكثر» «١» وعن بعضهم: من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٦٤٣/١

باكتسابه ، وأن ما عفا عنه مولاه أكثر : كان قليل النظر في إحسان ربه إليه . وعن آخر : العبد ملازم للجنايات في كل أوان ، وجناياته في طاعاته أكثر من جناياته في معاصيه ، لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه ، والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ، ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة : وعن علي رضى الله عنه وقد رفعه : من «عفى عنه في الدنيا عفى عنه في الآخرة «٢» ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الآخرة» وعنه رضى الله عنه : هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن بمعجزين بفائتين ما قضى عليكم من المصائب من ولي من متول بالرحمة .

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٣٢ الى ٣٤]

ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام (٣٢) إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (٣٣) أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير (٣٤)

الجوار : السفن . وقرئ : الجوار كالأعلام كالجبال . قالت الخنساء :

كأنه علم في رأسه نار «٣»

---

(١) . أخرجه عبد الرزاق وابن أبي حاتم من طريق إسماعيل بن سليم عن الحسن والطبري والبيهقي في أواخر الشعب . عن قتادة كلاهما مرسل . ووصله عبد الرزاق من رواية الصلت بن بهرام عن أبي وائل عن البراء رضى الله عنه

(٢) . أخرجه ابن ماجة من رواية أبي جحيفة عن علي رفعه . بلفظ : من أصاب ذنبا في الدنيا فعوقب به ، فالله أعدل من أن يثني على عبد عقوبته . ومن أذنب ذنبا فستر الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود في شيء عفا عنه» ورواه أحمد والبزار والحاكم والدارقطني والبيهقي في الشعب في السابع والأربعين . وقال إسحاق في مسنده :

أخبرنا عيسى بن يونس عن إسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفراء عن يونس بن حبان عن علي نحوه وفيه انقطاع

(٣) .

وإن صخرا لمولانا وسيدنا . . . وإن صخرا إذا يشتو لنحار

أغر أبلج تأتم الهداة به . . . كأنه علم في رأسه نار

للخنساء ترثى أخاها . ويشتو : أى يدخل في الشتاء ، وهو حكاية حال ماضية . ونحار : كثير نحر الإبل للضيفان كناية عن كثرة كرمه . والأغر : الأبيض . والأبلج : الطلق الوجه المعروف . والهداة : جمع هاد : من يتقدم غيره ليدله . والعلم : الجبل : وفي رأسه نار : صفة علم جاءت لترشيح التشبيه وتقريره ، والمبالغة في توضيح المشبه

وتشهيره ، وعادة دليل الركب: الاهتداء إلى الطريق بالجبال الشامخة ، فإذا كان فوقها نار: علم أن أهلها كرام .
ويروى:
وإن صخرا لتأتم الهداة به ." (١)
"والأولى بينة المعنى أي قال هو أنا أعلم أن الله على كل شيء قدير
وهذا
عندي ليس بإقرار بما كان قبل ينكره كما زعم الطبري
بل هو قول بعثه الاعتبار كما يقول الإنسان المؤمن إذا رأى شيئا غريبا من قدرة الله الله لا إله إلا هو ونحو هذا
وقال أبو علي معناه أعلم هذا الضرب من العلم الذي لم أكن علمته
قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه يعني علم المعاينة وأما قراءة حمزة والكسائي فتحتمل وجهين أحدهما قال الملك له اعلم والآخر أن ينزل نفسه منزلة المخاطب الأجنبي المنفصل فالمعنى فلما تبين له قال لنفسه اعلم وأنشد أبو علي في مثل هذا قول الأعشى
(ودع هريرة إن الركب مرتحل
) " البسيط "
و (ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا
) " الطويل "
٣٥٢
وأمثلة هذا كثيرة وتأنس أبو علي في هذا المعنى بقول الشاعر
(تذكر من أنى ومن أين شربه
يؤامر نفسيه كذي الهجمة الآبل) " الطويل "
سورة البقرة ٢٦٠
العامل في " إذ " فعل مضمر تقديره واذكر
واختلف الناس لم صدرت هذه المقالة عن إبراهيم عليه السلام فقال الجمهور إن إبراهيم عليه السلام لم يكن شاكا في إحياء الله الموتى قط وإنما طلب المعاينة
وترجم الطبري في تفسيره فقال وقال آخرون سأل ذلك ربه لأنه شك في قدرة الله على إحياء الموتى وأدخل تحت الترجمة عن ابن عباس أنه قال ما في القرآن آية أرجى عندي منها وذكر عن عطاء بن أبي رباح أنه قال دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال " رب أرني كيف تحيي الموتى " وذكر حديث أبي هريرة أن رسول

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٢٢٦

الله صلى الله عليه وسلم قال (نحن أحق بالشك من إبراهيم)
الحديث
ثم رجح الطبري هذا القول الذي يجري مع ظاهر الحديث
وقال إن إبراهيم لما رأى الجيفة تأكل منها الحيتان ودواب البر ألقى الشيطان في نفسه فقال متى يجمع الله هذه من بطون هؤلاء وأما من قال بأن إبراهيم لم يكن شاكا فاختلفوا في سبب سؤاله فقال قتادة إن إبراهيم رأى دابة قد توزعتها السباع فعجب وسأل هذا السؤال
وقال الضحاك نحوه قال وقد علم عليه السلام أن الله قادر على أحياء الموتى وقال ابن زيد رأى الدابة تتقسمها السباع والحيتان لأنها كانت على حاشية البحر وقال ابن إسحاق بل سببها أنه لما فارق النمرود وقال له أنا أحيي وأميت فكر في تلك الحقيقة والمجاز فسأل هذا السؤال
وقال السدي وسعيد بن جبير بل سبب هذا السؤال أنه لما بشر بأن الله اتخذه خليلا أراد أن يدل بهذا السؤال ليجرب صحة الخلة فإن الخليل يدل بما لا يدل به غيره وقال سعيد بن جبير " ولكن ليطمئن قلبي " يريد بالخلة قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه وما ترجم به الطبري عندي مردود وما أدخل تحت الترجمة متأول فأما قول ابن عباس هي أرجى آية
" (١).

"فمن حيث فيها الإدلال على الله تعالى وسؤال الإحياء في الدنيا وليست مظنة ذلك ويجوز أن يقول هي أرجى آية لقوله " أو لم تؤمن " أي إن الإيمان كاف لا يحتاج بعده إلى تنقير وبحث وأما قول عطاء بن أبي رباح دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فمعناه من حب المعاينة وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (ليس الخبر كالمعاينة) وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من إبراهيم فمعناه أنه لو كان شك لكنا نحن أحق به ونحن لا نشك فإبراهيم عليه السلام أحرى أن لا يشك فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم
والذي روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ذلك محض
٣٥٣
الإيمان إنما هو في الخواطر الجارية التي لا تثبت) وأما الشك فهو توقف بين أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر وذلك هو المنفي عن الخليل عليه السلام
وإحياء الموتى إنما يثبت بالسمع وقد كان إبراهيم عليه السلام أعلم به يدلك على ذلك قوله " ربي الذي يحيي ويميت " البقرة ٢٥٨ فالشك يبعد على من ثبتت قدمه في الإيمان فقط فكيف بمرتبة النبوءة والخلة والأنبياء

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٤٧/١

معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعا وإذا تأملت سؤاله عليه السلام وسائر ألفاظ الآية لم تعط شكا وذلك أن الاستفهام بكيف إنما هو عن حال شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسؤول نحو قولك كيف علم زيد وكيف نسج الثوب ونحو هذا ومتى قلت كيف ثوبك وكيف زيد فإنما السؤال عن حال من أحواله وقد تكون "كيف " خبرا عن شيء شأنه أن يستفهم عنه "كيف " نحو قولك كيف شئت فكن ونحو قول البخاري كيف كان بدء الوحي و "كيف " في هذه الآية إنما هي استفهام عن هيئة الإحياء والإحياء متقرر ولكن لما وجدنا بعض المنكرين لوجود شيء قد يعبر عن إنكاره بالاستفهام عن حالة لذلك الشيء يعلم أنها لا تصح فيلزم من ذلك أن الشيء في نفسه لا يصح مثال ذلك أن يقول مدع أنا أرفع هذا الجبل فيقول له المكذب أرني كيف ترفعه فهذه طريقة مجاز في العبارة ومعناها تسليم جدلي كأنه يقول افرض أنك ترفعه أرني كيف فلما كان في عبارة الخليل عليه السلام هذا الاشتراك المجازي خلص الله له ذلك وحمله على أن يبين الحقيقة فقال له " أولم تؤمن قال بلى " فكمل الأمر وتخلص من كل شك ثم علل عليه السلام سؤاله بالطمأنينة

قال القاضي أبو محمد وقوله تعالى " أولم تؤمن " معناه إيمانا مطلقا دخل فيه فصل إحياء الموتى والواو واو حال دخلت عليها ألف التقرير و " ليطمئن " معناه ليسكن عن فكره والطمأنينة اعتدال وسكون على ذلك الاعتدال فطمأنينة الأعضاء معروفة كما قال صلى الله عليه وسلم (ثم اركع حتى تطمئن راكعا)

." (١)

"من الروايات أن هذه الآية نزلت في قصة أبي بكر بن أبي قحافة الصديق ومسطح بن أثاثه وذلك أنه كان ابن خالته وكان من المهاجرين البدريين المساكين وهو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف وقيل اسمه عوف ومسطح لقب وكان أبو بكر ينفق عليه لمسكنته فلما وقع أمر

١٧٣

الإفك وقال فيه مسطح ما قال حلف أبو بكر ألا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة أبدا فجاءه مسطح فاعتذر وقال إنما كنت أغشى مجلس حسان فأسمع ولا أقول فقال له أبو بكر لقد ضحكت وشاركت فيما قيل ومر على يمينه فنزلت الآية وقال الضحاك وابن عباس إن جماعة من المؤمنين قطعوا منافعهم عن كل من قال في الإفك وقالوا والله لا نصل من تكلم في شأن عائشة فنزلت الآية في جميعهم والأول أصح غير أن الآية تتناول الأمة إلى يوم القيامة بأن لا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف أن لا ينفع من هذه صفته غابر الدهر ورأى الفقهاء من حلف ألا يفعل سنة من السنن أو مندوبا وأبد ذلك أنها جرحة في شهادته ذكره الباجي في المنتقى ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم أيكم المتألي على الله لا يفعل المعروف و " يأتل " معناه يحلف وزنها يفتل من الآلية وهي اليمين وقالت فرقة معناه يقصر من قولك ألوت في كذا إذا قصرت فيه ومنه قوله تعالى " لا يألونكم خبالا " وقرأ أبو

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٤٨/١

جعفر بن القعقاع وزيد بن أسلم ولا يتأل وهذا وزنه يتفعل من الألية بلا خلاف وهي في المصحف ياء تاء لام فلذلك ساغ هذا الخلاف لأبي جعفر وزيد فروياه وذكر الطبري أن خط المصحف مع قراءة الجمهور فظاهر قوله إن ثم ألفا قبل التاء والفضل والسعة هنا هي المال وقوله تعالى " ألا تحبون " الآية تمثيل وحجة أي كما تحبون عفو الله لكم عن ذنوبكم فذلك أغفر لمن دونكم وينظر إلى هذا المعنى قول النبي عليه السلام من لا يرحم لا يرحم فروي أن أبا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال إني لأحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح النفقة والإحسان الذي كان يجري عليه قالت عائشة وكفر عن يمينه وقرأ ابن مسعود وسفيان بن حسين ولتعفوا ولتصفحوا بالتاء من فوق فيهما ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعض الناس هذه أرجى آية في كتاب الله عز وجل من حيث لطف الله فيها بالقذفة العصاة بهذا اللفظ قال القاضي أبو محمد وإنما تعطي الآية تفضلا من

". (١)

"الرجاء في ناحيته والعصي في المشيئة لكن يغلب الخوف في ناحيته

واختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية فقال عطاء بن يسار نزلت في وحشي قاتل حمزة وقال قتادة والسدي وابن أبي إسحاق نزلت في قوم بمكة آمنوا ولم يهاجروا وفتنهم قريش فافتتنوا ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم فنزلت الآية فيهم منهم الوليد بن الوليد وهشام بن العاصي وهذا قول عمر بن الخطاب وأنه كتبها بيده إلى هشام بن العاصي الحديث وقالت فرقة نزلت في قوم كفار من أهل الجاهلية قالوا وما ينفعنا الإسلام ونحن قد زنينا وقتلنا الناس وأتينا كل كبيرة فنزلت الآية فيهم وقال علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عمر هذه أرجى آية في القرآن وروى ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أحب أن لي الدنيا بما فيها بهذه الآية " يا عبادي " و " وأسرفوا " معناه أفرطوا وتعدوا الطور والقنط أعظم اليأس

وقرأ نافع وجمهور الناس تقنطوا بفتح النون قال أبو حاتم يلزمهم أن يقرؤوا " من بعد ما قنطوا " [الشورى : ٢٨] بالكسر ولم يقرأ به أحد وقرأ الأشهب العقيلي بضم النون وقرأ أبو عمرو وابن وثاب بكسرها وهي لغات

وقوله " إن الله يغفر الذنوب جميعا " عموم بمعنى الخصوص لأن الشرك ليس بداخل في الآية إجماعا وهي أيضا في المعاصي مقيدة بالمشيئة و " جميعا " نصب على الحال وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي وقرأ ابن مسعود إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء " وأنيبوا " معناه ارجعوا وميلوا بنفوسكم والإنابة الرجوع بالنفس إلى الشيء وقوله " من قبل أن يأتيكم العذاب " توعد بعذاب الدنيا والآخرة

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٠٩/٤

وقوله تعالى " واتبعوا أحسن " معناه أن القرآن العزيز تضمن عقائد نيرة وأوامر ونواهي منجية وعدات على الطاعات والبر وحدودا على المعاصي ووعيدا على بعضها فالأحسن أن يسلك الإنسان طريق التفهم والتحصيل وطريق الطاعة والانتهاء والعفو في الأمور ونحو ذلك

فهو أحسن من أن يسلك طريق الغفلة والمعصية فيجد أو يقع تحت الوعيد فهذا المعنى هو المقصود ب " أحسن " وليس المعنى أن بعض القرآن أحسن من بعض من حيث هو قرآن وإنما هو أحسن كله بالإضافة إلى أفعال الإنسان وما يلقى من عواقبها قال السدي الأحسن هو ما أمر الله تعالى به في كتابه و " بغتة " معناه فجأة وعلى غير موعد و " تشعرون " مشتق من الشعار

قوله عز وجل من سورة الزمر آية ٥٦ - ٦٠

٥٣٨

" إن " في هذه الآية مفعول من أجله أي أنيبوا وأسلموا من أجل أن تقول

" (١).

"وقرأ بعضهم فيما حكى هارون (فهل يهلك) ببناء الفعل للفاعل وكسر اللام وحكاها أبو عمرو عن الحسن وابن محيصن (يهلك) بفتح الياء واللام قال أبو الفتح وهي مرغوب عنها

وروى زيد بن ثابت عن النبي عليه السلام (فهل يهلك) بضم الياء وكسر اللام (الا القوم الفاسقين) بالنصب

وفي هذه الألفاظ وعيد محض وإنذار بين وذلك ان الله تعالى جعل الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها وامر بالطاعة ووعد عليها بالجنة ونهى عن الكفر وأوعد عليه بالنار فلن يهلك على الله الا هالك كما قال صلى الله عليه وسلم قال الثعلبي يقال إن قوله " فهل يهلك الا القوم الفاسقون " أرجى آية في كتاب الله تعالى للمؤمنين

١٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة محمد

هذه السورة مدنية بإجماع غير ان بعض الناس قال في قوله تعالى " وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي اخرجتك " محمد١٣ إنها نزلت بمكة في وقت دخول النبي فيها عام الفتح او سنة الحديبية وما كان مثل هذا فهو معدود في المدني لأن المراعى في ذلك إنما هو ما كان قبل الهجرة او بعدها

قوله عز وجل

سورة محمد ١ - ٣

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٦٠٥

قوله تعالى " الذين كفروا " الآية اشارة إلى اهل مكة الذين اخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقوله " والذين آمنوا " الآية إشارة إلى الأنصار اهل المدينة الذين آووه وفي الطائفتين نزلت الآيتان قاله ابن عباس ومجاهد ثم هي بعد تعم كل من دخل تحت ألفاظها

وقوله " وصدوا " يحتمل ان يريد الفعل المجاوز فيكون المعنى " وصدوا " غيرهم ويحتمل ان يكون الفعل غير متعد فيكون المعنى " وصدوا " أنفسهم

و " سبيل الله " شرعه وطريقه الذي دعا إليه

وقوله " أضل أعمالهم " أي اتلفها لم يجعل لها غاية خير ولا نفعا وروي ان هذه الآية نزلت بعد بدر وان الإشارة بقوله " أضل أعمالهم " هي إلى الإنفاق الذي انفقوه في سفرتهم إلى بدر وقيل المراد بالأعمال أعمالهم البرة في الجاهلية من صلة رحم ونحوه واللفظ يعم ذلك

وقرا الناس (نزل) بضم النون وشد الزاي

وقرا الأعمش (أنزل) معدى بالهمزة وقوله تعالى " وأصلح بالهم " قال قتادة معناه واصلح حالهم

وقرا ابن عباس (أمرهم)

وقال مجاهد شأنهم

وتحرير التفسير في اللفظة انها بمعنى الفكر والموضع الذي فيه نظر الإنسان وهو القلب فإذا صلح ذلك صلحت حاله فكأن اللفظة مشيرة الى صلاح عقيدتهم وغير ذلك من الحال تابع فقولك خطر في

١١٠

بالي كذا وقولك أصلح الله بالك المراد بهما واحد ذكره المبرد

والبال مصدر كالحال والشأن ولا يستعمل منها فعل وكذلك عرفه ان لا يثني ولا يجمع وقد جاء مجموعا لكنه شاذ فإنهم قالوا بالات ." (١)

"الرجاء في ناحيته ، والعاصي في المشيئة ، لكن يغلب الخوف في ناحيته .

واختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية ، فقال عطاء بن يسار: نزلت في وحشي قاتل حمزة .

وقال قتادة والسدي وابن أبي إسحاق: نزلت في قوم بمكة آمنوا ولم يهاجروا وفتنهم قريش فافتتنوا ، ثم ندموا وظنوا

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٩٦/٥

أنهم لا توبة لهم فنزلت الآية فيهم ، منهم الوليد بن الوليد ، وهشام بن العاصي ، وهذا قول عمر بن الخطاب وأنه كتبها بيده إلى هشام بن العاصي الحديث . وقالت فرقة: نزلت في قوم كفار من أهل الجاهلية ، قالوا: وما ينفعنا الإسلام ونحن قد زنينا وقتلنا الناس وأتينا كل كبيرة فنزلت الآية فيهم . وقال علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عمر: هذه أرجى آية في القرآن . وروى ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال: ما أحب أن لي الدنيا بما فيها بهذه الآية ، يا عبادي و: أسرفوا معناه: أفرطوا وتعدوا الطور . والقنط: أعظم اليأس .

وقرأ نافع وجمهور الناس: «تقنطوا» بفتح النون . قال أبو حاتم: يلزمهم أن يقرؤوا: من بعد ما قنطوا [الشورى: ٢٨] بالكسر ، ولم يقرأ به أحد . وقرأ الأشهب العقيلي بضم النون . وقرأ أبو عمرو وابن وثاب بكسرها ، وهي لغات .

وقوله: إن الله يغفر الذنوب جميعا عموم بمعنى الخصوص ، لأن الشرك ليس بداخل في الآية إجماعا ، وهي أيضا في المعاصي مقيدة بالمشيئة . وجميعا نصب هلى الحال . وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ: «إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي» . وقرأ ابن مسعود: «إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء» . وأنيبوا معناه: ارجعوا وميلوا بنفوسكم ، والإنابة: الرجوع بالنفس إلى الشيء .

وقوله: من قبل أن يأتيكم العذاب توعد بعذاب الدنيا والآخرة .

وقوله تعالى: واتبعوا أحسن معناه: أن القرآن العزيز تضمن عقائد نيرة وأوامر ونواهي منجية وعدات على الطاعات والبر وحدودا على المعاصي ووعيدا على بعضها ، فالأحسن أن يسلك الإنسان طريق التفهم والتحصيل ، وطريق الطاعة والانتهاء والعفو في الأمور ونحو ذلك ، فهو أحسن من أن يسلك طريق الغفلة والمعصية فيجد أو يقع تحت الوعيد ، فهذا المعنى هو المقصود ب أحسن ، وليس المعنى أن بعض القرآن أحسن من بعض من حيث هو قرآن ، وإنما هو أحسن كله بالإضافة إلى أفعال الإنسان وما يلقى من عواقبها . قال السدي: الأحسن هو ما أمر الله تعالى به في كتابه . و: بغتة معناه: فجأة وعلى غير موعد . و: تشعرون مشتق من الشعار .

قوله عز وجل:

[سورة الزمر (٣٩) : الآيات ٥٦ الى ٦٠]

أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين (٥٦) أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين (٥٧) أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين (٥٨) بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين (٥٩) ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين (٦٠) ." (١)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥٣٧/٤

"فإنه كان يقف على قوله: ولا تستعجل ويقول: «بلاغ» ابتداء وخبره متقدم في قوله: لهم وقدح الناس في هذا القول بكثيرة الحائل . وقرأ الحسن بن أبي الحسن ، وعيسى: «بلاغا» ، وهي قراءة تحتمل المعنيين اللذين في قراءة الرفع ، وليس يدخلها قول أبي مجلز ونصبها بفعل مضمر . وقرأ أبو مجلز وأبو سراج الهذلي: «بلغ» ، على الأمر . وقرأ الحسن بن أبي الحسن: «بلاغ» بالخفض نعتا ل نهار .

وقرأ جمهور الناس:

«فهل يهلك» على بناء الفعل للمفعول . وقرأ بعضهم فيما حكى هارون: «فهل يهلك» ببناء الفعل للفاعل وكسر اللام ، وحكاها أبو عمرو عن الحسن وابن محيصن: «يهلك» بفتح الياء واللام . قال أبو الفتح: وهي مرغوب عنها . وروى زيد بن ثابت عن النبي عليه السلام: «فهل يهلك» بضم الياء وكسر اللام «إلا القوم الفاسقين» بالنصب .

وفي هذه الألفاظ وعيد محض وإنذار بين ، وذلك أن الله تعالى جعل الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها ، وأمر بالطاعة ووعد عليها بالجنة ، ونهى عن الكفر وأوعد عليه بالنار ، فلن يهلك على الله إلا هالك كما قال صلى الله عليه وسلم . قال الثعلبي: يقال إن قوله: فهل يهلك إلا القوم الفاسقون أرجى آية في كتاب الله تعالى للمؤمنين . . "(١)

"والبهائم ليس لها ألم قالوا قد ثبت أن هذه الأطفال والبهائم ما كانت موجودة في بدن آخر لفساد القول بالتناسخ فوجب القطع بأنها لا تتألم إذ الألم مصيبة والجواب: أن قوله تعالى: وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم خطاب مع من يفهم ويعقل ، فلا يدخل فيه البهائم والأطفال ، ولم يقل تعالى: إن جميع ما يصيب الحيوان من المكاره فإنه بسبب ذنب سابق ، والله أعلم .

المسألة الرابعة: قوله فبما كسبت أيديكم يقتضي إضافة الكسب إلى اليد ، قال والكسب لا يكون باليد ، بل بالقدرة القائمة باليد ، وإذا كان المراد من لفظ اليد هاهنا القدرة ، وكان هذا المجاز مشهورا مستعملا ، كان لفظ اليد الوارد في حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها لله تعالى عن الأعضاء والأجزاء ، والله أعلم .

ثم قال تعالى: ويعفوا عن كثير ومعناه أنه تعالى قد يترك الكثير من هذه التشديدات بفضله ورحمته ، وعن الحسن قال: دخلنا على عمران بن حصين في الوجع الشديد ، فقيل له: إنا لنغتم لك من بعض ما نرى ، فقال لا تفعلوا فو الله إن أحبه إلى الله أحبه إلي ، وقرأ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فهذا بما كسبت يداي ، وسيأتيني عفو ربي ،

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٠٨/٥

وقد روى أبو سخلة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال: «ما عفى الله عنه فهو أعز وأكرم من أن يعود إليه في الآخرة ، وما عاقب عليه في الدنيا فالله أكرم من أن يعيد العذاب عليه في الآخرة» رواه الواحدي في «البسيط» ،

وقال إذا كان كذلك فهذه أرجى آية في كتاب الله لأن الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين: صنف كفره عنهم بالمصائب في الدنيا ، وصنف عفا عنه في الدنيا ، وهو كريم لا يرجع في عفوه ، وهذه سنة الله مع المؤمنين ، وأما الكافر فلأنه لا يجعل عليه عقوبة ذنبه حتى يوافي ربه يوم القيامة .

ثم قال تعالى: وما أنتم بمعجزين في الأرض يقول ما أنتم معشر المشركين بمعجزين في الأرض ، أي لا تعجزونني حيثما كنتم ، فلا تسبقونني بسبب هربكم في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والمراد بهم من يعبد الأصنام ، بين أنه لا فائدة فيها البتة ، والنصير هو الله تعالى ، فلا جرم هو الذي تحسن عبادته .

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٣٢ الى ٣٩]

ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام (٣٢) إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (٣٣) أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير (٣٤) ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص (٣٥) فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (٣٦)

والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون (٣٧) والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون (٣٨) والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون (٣٩) ." (١)

"" صفحة رقم ٢٨٥ "

المثلات تبدل من الضمة فتحة لثقلها وقيل : يؤتى بالفتحة عوضا من الهاء وروي عن الأعمش أنه قرأ المثلات بفتح الميم وإسكان الثاء فهذا جمع مثلة ثم حذف الضمة لثقلها ذكره جميعه النحاس رحمه الله وعلى قراءة الجماعة واحدة مثلة نحو صدقة وصدقة وتميم تضم الثاء والميم جميعا واحدها على لغتهم مثلة بضم الميم وجزم الثاء مثل : غرفة وغرفات والفعل منه مثلت به أمثل مثلا بفتح الميم وسكون الثاء) وإن ربك لذو مغفرة (أي لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا وعن المذنبين إذا تابوا وقال بن عباس : أرجى آية في كتاب الله تعالى وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) وإن ربك لشديد العقاب (إذا أصروا على الكفر وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : لما نزلت : وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب قال

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦٠١/٢٧

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :)) لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هنأ أحدا عيش ولولا عقابه ووعيده وعذابه لاتكل كل واحد) قوله تعالى :) ويقول الذين كفروا لولا (أي هلا) أنزل عليه آية من ربه (لما اقترحوا الآيات وطلبوها قال الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم) :) إنما أنت منذر (أي معلم) ولكل قوم هاد (أي نبي يدعوهم إلى الله وقيل : الهادي الله أي عليك الإنذار والله هادي كل قوم إن أراد هدايتهم الرعد :) ٨ (الله يعلم ما . . . . . .

) الرعد ٨ : ٩ (

فيه ثمان مسائل : الأولى قوله تعالى :) الله يعلم ما تحمل كل أنثى (أي من ذكر وأنثى صبيح وقبيح صالح وطالح وقد تقدم في سورة الأنعام أن الله سبحانه منفرد بعلم الغيب وحده ." (١)

"الفراء : السلام على من اتبع الهدى ولمن اتبع الهدى سواء . ﴿إنا قد أوحي إلينا أن العذاب﴾ يعني الهلاك والدمار في الدنيا والخلود في جهنم في الآخرة . ﴿على من كذب﴾ أنبياء الله ﴿وتولى﴾ أعرض عن الإيمان . وقال ابن عباس : هذه أرجى آية للموحدين لأنهم لم يكذبوا ولم يتولوا .

قوله تعالى : ﴿قال فمن ربكما يا موسى﴾ ذكر فرعون موسى دون هارون لرؤوس الآي . وقيل : خصصه بالذكر لأنه صاحب الرسالة والكلام والآية . وقيل إنهما جميعا بلغا الرسالة وإن كان ساكتا ؛ لأنه في وقت الكلام إنما يتكلم واحد ، فإذا انقطع وازره الآخر وأيده . فصار لنا في هذا البناء فائدة علم ؛ أن الاثنين إذا قلدا أمرا فقام به أحدهما ، والآخر شخصه هناك موجود مستغنى عنه في وقت دون وقت أنهما أديا الأمر الذي قلدا وقاما به واستوجبا الثواب ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ وقال : ﴿اذهب أنت وأخوك﴾ وقال : ﴿فقولا له﴾ فأمرهما جميعا بالذهاب وبالقول ، ثم أعلمنا في وقت الخطاب بقوله : ﴿فمن ربكما﴾ أنه كان حاضرا مع موسى . ﴿قال﴾ موسى : ﴿ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه﴾ أي أنه يعرف بصفاته ، وليس له اسم علم حتى يقال فلان بل هو خالق العالم ، والذي خص كل مخلوق بهيئة وصورة ، ولو كان الخطاب معهما لقالا : قالا ربنا ''وخلقه'' أول مفعولي أعطى ، أي أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به ، أو ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به ؛ على قول الضحاك على ما يأتي . ﴿ثم هدى﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي : أعطى كل شيء زوجه من جنسه ، ثم هداه إلى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه ، وعن ابن عباس ثم هداه إلى الألفة والاجتماع والمناكحة . وقال الحسن وقتادة : أعطى كل شيء صلاحه ، وهداه لما يصلحه . وقال مجاهد : أعطى كل شيء صورة ؛ ويجعل خلق الإنسان

(١) الجامع لأحكام القرآن القرطبي، شمس الدين ٩/٢٨٥

في خلق البهائم ، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان ، ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا . وقال الشاعر :
وله في كل شيء خلقه . . . وكذاك الله ما شاء فعل ." (١)

"وقرأ الجمهور ﴿خطوات﴾ بضم الطاء . وسكنها عاصم والأعمش . وقرأ الجمهور ﴿ما زكى﴾ بتخفيف الكاف ؛ أي ما اهتدى ولا أسلم ولا عرف رشدا . وقيل : ﴿ما زكى﴾ أي ما صلح ؛ يقال : زكا يزكو زكاء ؛ أي صلح . وشددها الحسن وأبو حيوة ؛ أي أن تزكيته لكم وتطهيره وهدايته إنما هي بفضله لا بأعمالكم . وقال الكسائي : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ معترض ، وقوله : ﴿ما زكى منكم من أحد أبدا﴾ جواب لقوله أولا وثانيا : ﴿ولولا فضل الله عليكم﴾ .

الحادية والعشرون : قوله تعالى : ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة﴾ الآية . المشهور من الروايات أن هذه الآية نزلت في قصة أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه ومسطح بن أثاثة . وذلك أنه كان ابن بنت خالته وكان من المهاجرين البدريين المساكين . وهو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف . وقيل : اسمه عوف ، ومسطح لقب . وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه لمسكنته وقرابته ؛ فلما وقع أمر الإفك وقال فيه مسطح ما قال ، حلف أبو بكر ألا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة أبدا ، فجاء مسطح فاعتذر وقال : إنما كنت أغشى مجالس حسان فأسمع ولا أقول . فقال له أبو بكر : لقد ضحكت وشاركت فيما قيل ؛ ومر على يمينه ، فنزلت الآية . وقال الضحاك وابن عباس : إن جماعة من المؤمنين قطعوا منافعهم عن كل من قال في الإفك وقالوا : والله لا نصل من تكلم في شأن عائشة ؛ فنزلت الآية في جميعهم . والأول أصح ؛ غير أن الآية تتناول الأمة إلى يوم القيامة بألا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ألا ينفع في هذه صفته غابر الدهر . روي في الصحيح أن الله تعالى لما أنزل : ﴿إن الذين جاءوا بالأفك عصبة منكم﴾ العشر آيات ، قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره : والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة﴾ إلى قوله : ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ . قال عبد الله بن المبارك : هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى ؛ فقال أبو بكر : والله إني لأحب أن يغفر الله لي ؛ فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال : لا أنزعها منه أبدا . ." (٢)

"الثانية والعشرون : في هذه الآية دليل على أن القذف وإن كان كبيرا لا يحبط الأعمال ؛ لأن الله تعالى وصف مسطحا بعد قوله بالهجرة والإيمان ؛ وكذلك سائر الكبائر ؛ ولا يحبط الأعمال غير الشرك بالله ، قال الله تعالى : ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ [الزمر : ٦٥] .

الثالثة والعشرون : من حلف على شيء لا يفعله فرأى فعله أولى منه أتاه وكفر عن يمينه ، أو كفر عن يمينه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن القرطبي، شمس الدين ٢٠٤/١١

(٢) الجامع لأحكام القرآن القرطبي، شمس الدين ٢٠٧/١٢

وأتاه ؛ كما تقدم في "المائدة] . ورأى الفقهاء أن من حلف ألا يفعل سنة من السنن أو مندوبا وأبد ذلك أنها جرحة في شهادته ؛ ذكره الباجي في المنتقى .

الرابعة والعشرون : قوله تعالى : ﴿ولا يأتل أولو الفضل﴾ ﴿ولا يأتل﴾ معناه يحلف ؛ وزنها يفتعل ، من الألية وهي اليمين ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿للذين يؤلون من نسائهم﴾ وقد تقدم في "البقرة" . وقالت فرقة : معناه يقصر ؛ من قولك : ألوت في كذا إذا قصرت فيه ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿لا يألونكم خبالا﴾ [آل عمران : ١١٨] .

الخامسة والعشرون : قوله تعالى : ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ تمثيل وحجة أي كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم ؛ وينظر إلى هذا المعنى قوله عليه السلام : "من لا يرحم لا يرحم" .

السادسة والعشرون : قال بعض العلماء : هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى ، من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ . وقيل . أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله تعالى : ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا﴾ [الأحزاب : ٤٧] . وقد قال تعالى في آية أخرى : ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير﴾ [الشورى : ٢٢] ؛ فشرح الفضل الكبير في هذه الآية ، وبشر به المؤمنين في تلك . ومن آيات الرجاء قوله تعالى : ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ [الزمر : ٥٣] . وقوله تعالى : ﴿الله لطيف ." (١)

"رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾ إلى آخر الآية فتلاها عليه ؛ فقال أرى شرطا فلعلي لا أعمل صالحا ، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله . فنزلت : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ فدعا به فتلا عليه ؛ قال : فلعلي ممن لا يشاء أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله . فنزلت : ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ فقال : نعم الآن لا أرى شرطا . فأسلم . وروى حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم ﴾ . وفي مصحف ابن مسعود ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء ﴾ . قال أبو جعفر النحاس : وهاتان القراءتان على التفسير ، أي يغفر الله لمن يشاء . وقد عرف الله عز وجل من شاء أن يغفر له ، وهو التائب أو من عمل صغيرة ولم تكن له كبيرة ، ودل على أنه يريد التائب ما بعده ﴿ وأنيبوا إلى ربكم ﴾ فالتائب مغفور له ذنوبه جميعا يدل على ذلك ﴿ وإني لغفار لمن تاب ﴾ فهذا لا إشكال فيه . وقال علي بن أبي طالب : ما في القرآن آية أوسع

---

(١) الجامع لأحكام القرآن القرطبي، شمس الدين ١٢/٢٠٨

من هذه الآية : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ وقد مضى هذا في ﴿سبحان﴾ . وقال عبدالله بن عمر : وهذه أرجى آية في القرآن فرد عليهم ابن عباس وقال أرجى آية في القرآن قوله تعالى : ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ وقد مضى في ﴿الرعد﴾ . وقرئ ﴿ولا تقنطوا﴾ بكسر النون وفتحها . وقد مضى في ﴿الحجر﴾ بيانه .

قوله تعالى : ﴿ وأنيبوا إلى ربكم ﴾ أي ارجعوا إليه بالطاعة . لما بين أن من تاب من الشرك يغفر له أمر بالتوبة والرجوع إليه ، والإنابة الرجوع إلى الله بالإخلاص . ﴿ وأسلموا له ﴾ أي اخضعوا له وأطيعوا ﴿ من قبل أن يأتيكم العذاب ﴾ في الدنيا ." (١)

"الآية : ٣٠ ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ، وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾

قوله تعالى : ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ قرأ نافع وابن عامر ﴿بما كسبت﴾ بغير فاء . الباقون ﴿فبما﴾ بالفاء ، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم للزيادة في الحرف والأجر . قال المهدوي : إن قدرت أن "ما" الموصولة جاز حذف الفاء وإثباتها ، والإثبات أحسن . وإن قدرتها التي للشرط لم يجز الحذف عند سيبويه ، وأجازه الأخفش واحتج بقوله تعالى : ﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ [الأنعام : ١٢١] . والمصيبة هنا الحدود على المعاصي ؛ قاله الحسن . وقال الضحاك : ما تعلم رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب ؛ قال الله تعالى : ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ ثم قال : وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن ؛ ذكره ابن المبارك عن عبدالعزيز بن أبي رواد . قال أبو عبيد : إنما هذا على الترك ، فأما الذي هو دائب في تلاوته حريص على حفظه إلا أن النسيان يغلبه فليس من ذلك في شيء . ومما يحقق ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينسى الشيء من القرآن حتى يذكره ؛ من ذلك حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم : سمع قراءة رجل في المسجد فقال : "ما له رحمه الله ! لقد أذكرني آيات كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا" . وقيل : "ما" بمعنى الذي ، والمعنى الذي أصابكم فيما مضى بما كسبت أيديكم . وقال علي رضي الله عنه : هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل . وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه ! وقد روي هذا المعنى مرفوعا عنه رضي الله عنه ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها النبي صلى الله عليه وسلم : "وما من مصيبة فبما كسبت أيديكم" الآية : "يا علي ما أصابكم من مرض أوعقوبة أوبلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم . والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا عنه ." (٢)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن القرطبي، شمس الدين ١٥/٢٦٩

(٢) الجامع لأحكام القرآن القرطبي، شمس الدين ١٦/٣٠

" ﴿ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة ﴾ [الرعد : ٦] بالنقمة قبل العافية وذلك أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بإنذاره ﴿ وقد خلت من قبلهم ﴾ أي عقوبات أمثالهم من المكذبين فمالهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا والمثلة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة .
﴿ ينتصرون * وجزاؤا سيئة سيئة مثلها ﴾ [الشورى : ٤٠] ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ [الرعد : ٦] أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال أي ظالمين لأنفسهم قال السدي يعني المؤمنين وهي أرجى آية في كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فإن التوبة تزيلها وترفعها ﴿ وإن ربك لشديد العقاب ﴾ [الرعد : ٦] على الكافرين أو هما جميعا في المؤمنين لكنه معلق بالمشيئة فيهما أي يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴿ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه ءاية من ربه ﴾ [الرعد : ٧] لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية وإحياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ إنمآ أنت منذر ﴾ [النازعات : ٤٥] إنما أنت رجل أرسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأي آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها ﴿ ولكل قوم هاد ﴾ [الرعد : ٧] من الأنبياء يهديهم إلى الدين ويدعوهم إلى الله بآية خص بها لا بما يريدون ويتحكمون ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد ﴾ [الرعد : ٨] ما في هذه
٣٤٩
المواضع الثلاثة موصولة أي يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغيره ذلك وما تغيضه الأرحام أي ويعلم ما تنقصه يقال غاض الماء وغضته أنا وما تزداده والمراد عدد الولد فإنها تشتمل على واحد واثنين وثلاثة وأربعة أوجسد الولد فإنه يكون تاما ومخدجا أو مدة الولادة فإنها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عندنا وإلى أربع عند الشافعي وإلى خمس عند مالك أو مصدرية أي يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الأرحام وازديادها ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ [الرعد : ٨] بقدر وحد لا يجازوه ولا ينقص عنه لقوله : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ [القمر : ٤٩]
جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٤٩
﴿ عالم الغيب ﴾ [الجن : ٢٦] ما غاب عن الخلق ﴿ والشهادة ﴾ ما شاهدوه ﴿ الكبير ﴾ العظيم الشأن الذي كل شيء دونه ﴿ المتعال ﴾ المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها وبالياء في الحالين مكي ﴿ سوآء منكم من أسر القول ومن جهر به ﴾ [الرعد : ١٠] أي في علمه ﴿ ومن جهر به ومن ﴾ [الرعد : ١٠] متوار ﴿ وسارب بالنهار ﴾ [الرعد : ١٠] ذاهب في سربه أي في طريقه

ووجهه يقال سرب في الأرض سروبا .
وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف أو على مستخف غير أن من في معنى الاثنين والضمير في ﴿ له ﴾ مردود على من كأنه قيل لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب ﴿ معقبات ﴾ جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه والأصل معتقبات فأدغمت التاء في القاف أو هو مفعلات من عقبه إذا جاء في عقبه لأن بعضهم يعقب بعضا أو لأنهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه ﴿ من بين يديه ومن خلفه ﴾ [الرعد : ١١] أي قدامه ووراءه ﴿ يحفظونه من أمر الله ﴾ [الرعد : ١١] هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له معقبات من أمر الله أو يحفظونه من أجل أمر الله
٣٥٠
." (١)

" ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده ﴾ [الشورى : ٢٧] أي لو أغناهم جميعا ﴿ لبغوا فى الارض ﴾ [الشورى : ٢٧] من البغي وهو الظلم أي لبغي هذا على ذاك وذاك على هذا لأن الغني مبطرة مأشرة ، وكفى بحال قارون وفرعون عبرة أو من البغي وهو الكبر أي لتكبروا في الأرض ﴿ ولـاكن ينزل ﴾ [الشورى : ٢٧] بالتخفيف : مكي وأبو عمرو ﴿ بقدر ما يشآء ﴾ [الشورى : ٢٧] بتقدير يقال قدره قدرا
١٥٦
وقدرا ﴿ إنه بعباده خبير بصير ﴾ [الشورى : ٢٧] يعلم أحوالهم فيقدر لهم ما تقتضيه حكمته فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط ، ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا ، وما ترى من البسط على من يبغي ومن البغي بدون البسط فهو قليل ، ولا شك أن البغي مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب .
﴿ وهو الذى ينزل الغيث ﴾ [الشورى : ٢٨] بالتشديد : مدني وشامي وعاصم ﴿ من بعد ما قنطوا ﴾ [الشورى : ٢٨] وقرىء ﴿ قنطوا ﴾ ﴿ وينشر رحمته ﴾ [الشورى : ٢٨] أي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب .
وقيل لعمر رضي الله عنه : اشتد القحط وقنط الناس .
فقال : مطروا إذا أراد هذه الآية .
أو أراد رحمته في كل شيء ﴿ وهو الولى ﴾ [الشورى : ٢٨] الذي يتولى عباده بإحسانه ﴿ الحميد ﴾ المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته ﴿ ومن ءاياته ﴾ [الروم : ٢٥] أي علامات قدرته ﴿ خلق السماوات والارض ﴾ [إبراهيم : ١٩] مع عظمهما ﴿ وما بث ﴾ [الشورى : ٢٩] فرق ﴿ وما ﴾ يجوز أن يكون مرفوعا ومجرورا حملا على المضاف أو المضاف إليه ﴿ فيهما ﴾ من السماوات والأرض ﴿ من دآبة ﴾ [الجاثية : ٤] الدواب

---

(١) تفسير النسفي – دار النفائس النسفي، أبو البركات ٢٠٢/٢

تكون في الأرض وحدها لكن يجوز أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور وإن كان ملتبسا ببعضه كما يقال : بنو تميم فيهم شاعر مجيد وإنما هو في فخذ من أفخاذهم ومنه قوله تعالى : ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ [الرحمن : ٢٢] (الرحمن : ٢٢) وإنما يخرج من الملح ، ولا يبعد أن يخلق في السماوات حيوانات يمشون فيها مشي الأناسي على الأرض ، أو يكون للملائكة مشي مع الطيران فوصفوا بالدبيب كما وصف به الأناسي ﴿ وهو على جمعهم ﴾ [الشورى : ٢٩] يوم القيامة ﴿ إذا يشآء قدير ﴾ [الشورى : ٢٩] " إذا " تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي ، قال الله تعالى : ﴿ واليل إذا يغشى ﴾ [الليل : ١] (الليل : ١) .

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٥٤

﴿ ومآ أصابكم من مصيبة ﴾ [الشورى : ٣٠] غم وألم ومكروه ﴿ فبما كسبت أيديكم ﴾ [الشورى : ٣٠] أي بجناية كسبتموها عقوبة عليكم .

﴿ بما كسبت ﴾ [الروم : ٤١] بغير الفاء : مدني وشامي على أن " ما " مبتدأ و

١٥٧

﴿ بما كسبت ﴾ [الروم : ٤١] خبره من غير تضمين معنى الشرط ، ومن أثبت الفاء فعلى تضمين معنى الشرط .

وتعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ وقال لو لم يكن للأطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا .

وقلنا : الآية مخصومة بالمكلفين بالسباق والسياق وهو ﴿ ويعفوا عن كثير ﴾ [الشورى : ٣٠] أي من الذنوب فلا يعاقب عليه أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة ، وقال ابن عطاء : من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر في إحسان ربه إليه .

وقال محمد بن حامد : العبد ملازم للجنايات في كل أوان وجناياته في طاعته أكثر من جناياته في معاصيه لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ، ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة ، وعن علي رضي الله تعالى عنه : هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن لأن الكريم إذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا وإذا عفا لا يعود ﴿ ومآ أنتم بمعجزين فى الارض ﴾ [العنكبوت : ٢٢] أي بفائتين ما قضى عليكم من المصائب ﴿ وما لكم من دون الله من ولى ﴾ [البقرة : ١٠٧] متول بالرحمة ﴿ ولا نصير ﴾ [البقرة : ١٠٧] ناصر يدفع عنكم العذاب إذا حل بكم .

﴿ ومن ءاياته الجوار ﴾ [الشورى : ٣٢] جمع جارية وهي السفينة في الحالين : مكي وسهل ويعقوب ، وافقهم مدني وأبو عمر في الوصل ﴿ الجوار فى البحر كالاعلام ﴾ [الشورى : ٣٢] كالجبال .

(١) ".

(١) تفسير النسفي – دار النفائس النسفي، أبو البركات ٨٧/٤

"أو الفضل في المال ، وهو أن يفضل له عن مقدار ما يكفيه ، والسعة هي اتساع المال ، ونزلت الآية بسبب أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح ، لما تكلم في حديث الإفك ، وكان ينفق عليه لمسكنته ولأنه قريبه ، وكان ابن بنت خالته ، فلما نزلت الآية رجع إلى مسطح النفقة والإحسان ، وكفر عن يمينه ، قال بعضهم: هذه أرجى آية في القرآن ، لأن الله أوصى بالإحسان إلى القاذف ، ثم إن لفظ الآية على عمومه في أن لا يحلف أحد على ترك عمل صالح ألا تحبون أن يغفر الله لكم أي كما تحبون أن يغفر الله لكم ، كذلك اغفروا أنتم لمن أساء إليكم ، ولما نزلت قال أبو بكر رضي الله عنه: إني لأحب أن يغفر الله لي ، ثم رد النفقة إلى مسطح المحصنات الغافلات معنى المحصنات هنا العفائف ذوات الصون ، ومعنى الغافلات السليمات الصدور ، فهو من الغفلة عن الشر لعنوا في الدنيا والآخرة هذا الوعيد للقاذفين لعائشة ولذلك لم يذكر فيه توبة ، قال ابن عباس:

كل مذنب تقبل توبته إذا تاب إلا من خاض في حديث عائشة وقيل: الوعيد لكل قاذف ، والعذاب العظيم يحتمل أن يريد به الحد أو عذاب الآخرة .

يوم تشهد العامل فيه يوفيهم ، وكرر يومئذ توكيدا وقيل: العامل فيه عذاب أو فعل مضمر دينهم الحق أي جزاؤهم الواجب لهم ويعلمون أن الله هو الحق المبين هذه الآية تدل على أن ما قبلها في المنافقين ، لأن المؤمن قد علم في الدنيا أن الله هو الحق المبين ، ومعنى المبين الظاهر الذي لا شك فيه الخبيثات للخبيثين الآية: معناها أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ، وأن الطيبات من النساء للطيبين من الرجال ، ففي ذلك رد على أهل الأفك ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو أطيب الطيبين فزوجته أطيب الطيبات ، وقيل:

المعنى أن الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس ، والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس ، ففيه أيضا رد على أهل الإفك ، وقيل: معناه أن الخبيثات من الأقوال للخبيثين من الناس ، والإشارة بذلك إلى أهل الإفك ، وقيل: معناه أن الخبيثات من الأقوال للخبيثين من الناس ، والإشارة بذلك إلى أهل الإفك: أي أن أقوالهم الخبيثة لا يقولها إلا خبيث مثلهم أولئك مبرؤن مما يقولون الإشارة بأولئك إلى الطيبين والطيبات والضمير في يقولون للخبيثات والخبيثين ، والمراد تبرئة عائشة رضي الله عنها مما رميت به لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها هذه الآية أمر بالاستئذان في غير بيت الداخل ، فيعم بذلك بيوت الأقارب وغيرهم ، وقد جاء في الحديث الأمر بالاستئذان على الأم خيفة ." (١)

"وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون أي ظهر لهم يوم القيامة خلاف ما كانوا يظنون لأنهم كانوا يظنون ظنونا كاذبة . قال الزمخشري: المراد بذلك تعظيم العذاب الذي يصيبهم ، أي ظهر لهم من عذاب الله ما لم يكن في حسابهم فهو كقوله في الوعد فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين [السجدة: ١٧] وقيل: معناها عملوا

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٦٥/٢

أعمالا حسبوها حسنات ، فإذا هي سيئات وقال الحسن: ويل لأهل الربا من هذه الآية وهذا على أنها في المسلمين والظاهر أنها في الكفار وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن معنى حاق حل ونزل وقال ابن عطية وغيره: إن هذا على حذف مضاف تقديره: حاق بهم جزاء ما كانوا به يستهزئون ، ويحتمل أن يكون الكلام دون حذف وهو أحسن ، ومعناه حاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون لأنهم كانوا في الدنيا يستهزئون ، إذا خوفوا بعذاب الله ، ويقولون متى هذا الوعد قال إنما أوتيته على علم يحتمل وجهين أحدهما وهو الأظهر: أن يريد على علم مني بالمكاسب والمنافع ، والآخر: على علم الله باستحقاقي لذلك ، وإنما هنا تحتمل وجهين: أحدهما وهو الأظهر: أن تكون ما كافة وعلى علم في موضع الحال ، والآخر أن تكون ما اسم إن وعلى علم خبرها وإنما قال: أوتيته بالضمير المذكر وهو عائد على النعمة للحمل على المعنى بل هي فتنة رد على الذي قال إنما أوتيته على علم قد قالها الذين من قبلهم يعني قارون وغيره .

قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قال علي بن أبي طالب وابن مسعود: هذه أرجى آية في القرآن ، وروي أن رسول الله صلى الله عليه آله وسلم قال: ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ، واختلف في سببها فقيل: في وحشي قاتل حمزة ، لما أراد أن يسلم وخاف أن لا يغفر له ما وقع فيه من قتل حمزة ، وقيل: نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا ، ففتنوا فافتتنوا ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم ، وهذا قول عمر بن الخطاب: وقد كتب بها إلى هشام بن العاصي ، لما جرى له ذلك وقيل: نزلت في قوم من أهل الجاهلية ، قالوا: ما ينفعنا الإسلام لأننا قد زنينا ، وقتلنا النفوس فنزلت الآية فيهم ، ومعناها مع ذلك على العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيل نذكره ، ." (١)

"وعن بعضهم: من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه ، وأن ما عفا عنه مولاه أكثر ، كان قليل النظر في إحسان ربه إليه . وعن آخر: العبد ملازم للجنايات في كل أوان ، وجناياته في طاعاته أكثر من جناياته في معاصيه ، لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه ، والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ، ليخفف عنه أثقاله في القيامة ، ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة .

وعن علي رضي الله عنه وقد رفعه: «من عفي عنه في الدنيا عفي عنه في الآخرة ، ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الآخرة» ، وعنه رضي الله عنه: «هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن» .

﴿بمعجزين﴾ بفائتين ما قضي عليكم من المصائب ، ﴿من ولي﴾ من متول بالرحمة .

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/٢٢٣

قوله: (وجناية الطاعة من وجوه): منها: لا تخلو قط من نوع خلل فيها ، ومنها: حصول الثواني ، والتقصير في الأداء ، ومنها: إعواز حضور القلب المطلوب منها ، ومنها: شوائب الرياء التي هي أطعمها ، ومنها: ما يلحقها من استعظام النفس والترفع .

قوله: (وعن علي رضي الله عنه ، وقد رفعه) الحديث: من رواية الإمام أحمد بن حنبل في "مسنده" عن علي رضي الله عنه: "ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله ؟ حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ ، وسأفسرها لك يا على: ما أصابك من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم ، والله أكرم من أن يثني عليهم العقوبة في الآخرة ، وما عفا الله عنه في الدنيا ، والله أعظم أن يعود بعد عفوه" .

قوله: (من متول بالرحمة): قيد ﴿ولي﴾ بـ"الرحمة" لما قيد ﴿بمعجزين﴾ بـ"المصائب" ؛

؟ ." (١)

"[﴿ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام * إن يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور * أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير﴾ ٣٢ - ٣٤]

(الجواري): السفن . وقرئ: ﴿الجوار﴾ ، ﴿كالأعلام﴾ كالجبال ، قالت الخنساء:

كأنه علم في رأسه نار

لأن قوله: ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ الآية: كالتقرير لإثبات معنى العفو لله تعالى في قوله تعالى: ﴿ويعفو عن كثير﴾ ، أي: أن الله لشمول رحمته وعميم لطفه يعفو لكم عن كثير من المصائب ، لأنكم لا قدرة لكم أن تفوتوا ما قضي عليكم من المصائب ، ولا لكم أيضا من دونه متول بالرحمة يرحمكم إذا أصابكم مصيبة ، ولا ناصر غيره ينصركم منه ، ولهذا جاء عن علي رضي الله عنه: "هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن" .

قوله: (وقرئ: ﴿الجوار﴾): بغير ياء ؛ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي .

قوله: (كأنه علم في رأسه نار): قبله:

وإن صخرا لمولانا وسيدنا . . . . وإن صخرا إذا نشتو لنحار

أغر أبلج تأتم الهداة به . . . . كأنه علم في رأسه نار

تمدح أخاها تقول: إذا دخل الشتاء والشدة ينحر الإبل للأضياف . "الأبلج": الطليق الوجه في المعروف ، قولها:

---

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) الطيبي ٦٥/١٤

"في رأسه نار": تتميم لقولها: "كأنه علم" .

؟ ." (١)

"أولو جئتك بشيء مبين «١» انتهى . وقيل: الآية اليد . وقيل: العصا ، والمعنى بآية تشهد لنا بأنا رسولا ربك . والظاهر أن قوله والسلام على من اتبع الهدى فصل للكلام ، فالسلام بمعنى التحية رغبا به عنه وجريا على العادة في التسليم عند الفراغ من القول ، فسلما على متبعي الهدى وفي هذا توبيخ له . وفي هذا المعنى استعمل الناس هذه الآية في مخاطباتهم ومحاوراتهم . وقيل: هو مدرج متصل بقوله إنا قد أوحي إلينا فيكون إذ ذاك خبرا بسلامة المهتدين من العذاب . وقيل على بمعنى اللام أي والسلامة ل من اتبع الهدى .

وقال الزمخشري: وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين ، وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين انتهى . وهو تفسير غريب .

وقد يقال: السلام هنا السلامة من العذاب بدليل قوله إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى وبني أوحي لما لم يسم فاعله ، ولم يذكر الموحى لأن فرعون كانت له بادرة فربما صدر منه في حق الموحي ما لا يليق به ، والمعنى على من كذب الأنبياء وتولى عن الأيمان . وقال ابن عباس هذه أرجى آية في القرآن لأن المؤمن ما كذب وتولى فلا يناله شيء من العذاب . وفي الكلام حذف تقديره فأتيا فرعون وقالا له ما أمرهما الله أن يبلغاه قال فمن ربكما يا موسى خاطبهما معا وأفرد بالنداء موسى . قال ابن عطية: إذ كان صاحب عظم الرسالة وكريم الآيات . وقال الزمخشري لأنه الأصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه ، ويحتمل أن يحمله خبثه وذعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان موسى ، ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين «٢» انتهى .

واستبد موسى عليه السلام بجواب فرعون من حيث خصه بالسؤال والنداء معا ثم أعلمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا حيث خصه بالسؤال والنداء معا ثم أعلمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا بوجه مجاز . قال الزمخشري: ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالبا للحق انتهى . والمعنى أعطى كل ما خلق خلقته

---

(١) سورة الشعراء: ٢٦/ ٣٠ .

(٢) سورة الزخرف: ٤٣/ ٥٢ . ." (٢)

---

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) الطيبي ١٤/٦٦

(٢) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٧/٣٣٩

"صالحا ما لم يكن في حسابه من سوء العذاب المترتب على ذلك العمل ، ترتب الفتنة على تلك النعمة . ولكن أكثرهم لا يعلمون: أي أن ذلك استدراج وامتحان .

قد قالها الذين من قبلهم: أي قال مثل مقالتهم أوتيته على علم . والظاهر أن قائلي ذلك جماعة من الأمم الكافرة الماضية ، كقارون في قوله: قال إنما أوتيته على علم عندي «١» . وقيل: الذين من قبلهم هم قارون وقومه ، إذ رضوا بمقالته ، فنسب القول إليهم جميعا . وقرىء: قد قاله ، أي قال القول أو الكلام . فما أغنى عنهم: يجوز أن تكون ما نافية ، وهو الظاهر . وأن تكون استفهامية ، فيها معنى النفي . ما كانوا يكسبون: أي من الأموال . والذين ظلموا من هؤلاء: إشارة إلى مشركي قريش ، سيصيبهم سيئات ما كسبوا: جاء بسين الاستقبال التي هي أقل تنفيسا في الزمان من سوف ، وهو خبر غيب ، أبرزه الوجود في يوم بدر وغيره . قتل رؤساءهم ، وحبس عنهم الرزق ، فلم يمطروا سبع سنين ثم بسط لهم ، فمطروا سبع سنين ، فقيل لهم: ألم تعلموا أنه لا قابض ولا باسط إلا الله تعالى ؟ .

قل يا عبادي الذين أسرفوا: نزلت في وحشي قاتل حمزة ، قاله عطاء أو في قوم آمنوا عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ، ففتنتهم قريش ، فافتتنوا وظنوا أن لا توبة لهم ، فكتب عمر لهم بهذه الآية ، قاله عمر والسدي وقتادة وابن إسحاق . وقيل: في قوم كفار من أهل الجاهلية قالوا: وما ينفعنا الإسلام وقد زنينا وقتلنا النفس وأتينا كل كبيرة ؟

ومناسبتها لما قبلها: أنه تعالى لما شدد على الكفار وذكر ما أعد لهم من العذاب ، وأنهم لو كان لأحدهم ما في الأرض ومثله معه لافتدى به من عذاب الله ، ذكر ما في إحسانه من غفران الذنوب إذا آمن العبد ورجع إلى الله . وكثيرا تأتي آيات الرحمة مع آيات النقمة ليرجو العبد ويخاف . وهذه الآية عامة في كل كافر يتوب ، ومؤمن عاص يتوب ، تمحو الذنب توبته .

وقال عبد الله ، وعلي ، وابن عامر: هذه أرجى آية في كتاب الله .

وتقدم الخلاف في قراءة لا تقنطوا في الحجر .

إن الله يغفر الذنوب جميعا: عام يراد به ما سوى الشرك ، فهو مقيد أيضا بالمؤمن العاصي غير التائب بالمشيئة . وفي قوله: يا عبادي ، بإضافتهم إليه وندائهم ، إقبال وتشريف . وأسرفوا على أنفسهم: أي بالمعاصي ، والمعنى: أن ضرر تلك الذنوب إنما

---

(١) سورة القصص: ٢٨/ ٧٨ . ." (١)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٢١١/٩

"المجرم ويعفو عن بعض . فأما من لا جرم له ، كالأنبياء والأطفال والمجانين ، فهو كما إذا أصابهم شيء من ألم أو غيره ، فللعوض الموفي والمصلحة

وعن علي: هذه أرجى آية للمؤمنين .

وقال الحسن: من مصيبة: أي حد من حدود الله ، وتلك مصائب تنزل بشخص الإنسان ونفسه ، فإنما هي بكسب أيديكم . ويعفوا الله عن كثير ، فيستره على العباد حتى لا يحد عليه . وما أنتم بمعجزين: أنتم في قبضة القدرة . وقيل:

ليست المصائب من الأسقام والقحط والغرق وغير ذلك بعقوبات على الذنوب لقوله:

اليوم تجزى كل نفس بما كسبت «١» ، ولاشتراك الصالح والطالح فيهما ، بل أكثر ما يبتلى به الصالحون المتقون .

وفي الحديث: «خص بالبلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» .

ولأن الدنيا دار التكليف ، فلو حصل الجزاء فيها لكانت دار الجزاء ، وليس الأمر كذلك .

وهذا القول يؤخره نصوص القرآن ، كقوله تعالى: فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا «٢» الآية .

ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ، إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ، أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ، ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص ، فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون ، والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ، والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ، وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ، ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ، ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ، ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل ، وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي .

لما ذكر تعالى من دلائل وحدانيته أنواعا ، ذكر بعدها العالم الأكبر ، وهو السموات والأرض ثم العالم الأصغر ، وهو الحيوان . ثم أتبعه بذكر المعاد ، أتبعه بذكر السفن الجارية في البحر ، لما فيها من عظيم دلائل القدرة ، من جهة أن الماء جسم لطيف شفاف يغوص فيه الثقيل ، والسفن تشخص بالأجسام الثقيلة الكثيفة ، ومع ذلك جعل تعالى للماء

---

(١) سورة غافر: ٤٠/ ١٧ .

(٢) سورة العنكبوت: ٢٩/ ٤٠ . ." (١)

"" صفحة رقم ٢٣٢ "

إلينا أن العذاب على من كذب وتولى (

طه : (٤٨) إنا قد أوحي . . . . . .

وبني) أوحي (لما لم يسم فاعله ، ولم يذكر الموحى لأن فرعون كانت له بادرة فربما صدر منه في حق الموحى ما لا يليق به ، والمعنى على من كذب الأنبياء وتولى عن الإيمان . وقال ابن عباس هذه أرجى آية في القرآن لأن المؤمن ما كذب وتولى فلا يناله شيء من العذاب . وفي الكلام حذف تقديره فأتيا فرعون وقالا له ما أمرهما الله أن يبلغاه قال

طه : (٤٩) قال فمن ربكما . . . . . .

(فمن ربكما ياموسى موسى (خاطبهما معا وأفرد بالنداء موسى . قال ابن عطية : إذ كان صاحب عظم الرسالة وكريم الآيات . وقال الزمخشري لأنه الأصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه ، ويحتمل أن يحمله خبثه وذعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان موسى ، ويدل عليه قوله) أم أنا خير من هاذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين (انتهى .

واستبد موسى عليه السلام بجواب فرعون من حيث خصه بالسؤال والنداء معا ثم أعلمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا حيث خصه بالسؤال والنداء معا

طه : (٥٠) قال ربنا الذي . . . . . .

ثم أعلمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا بوجه مجاز . قال الزمخشري : ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالبا للحق انتهى . والمعنى أعطى كل ما خلق خلقته وصورته على ما يناسبه من الإتقان لم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم ، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا . وقال الشاعر : وله في كل شيء خلقة

وكذلك الله ما شاء فعل

وهذا قول مجاهد وعطية ومقاتل وقال الضحاك) خلقة (من المنفعة المنوطة به المطابقة له) خلقه ثم هدى (أي يسر كل شيء لمنافعه ومرافقه ، فأعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار ، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع ، وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه . قال القشيري : والخلق المخلوق لأن البطش والمشي والرؤية والنطق معان مخلوقة أودعها الله للأعضاء ، وعلى

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣٣٩/٩

هذا مفعول) أعطى (الأول) كل شيء (والثاني) خلقه (وكذا في قول ابن عباس وابن جبير والسدي وهو أن المعنى) أعطى كل شيء (مخلوقه من جنسه أي كل حيوان ذكر نظيره أنثى في الصورة . فلم يزاوج منهما غير جنسه ثم هداه إلى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه . وعن ابن عباس أنه هداه إلى إلفه والاجتماع به والمناكحة . وقال الحسن وقتادة) أعطى كل شيء (صلاحه وهداه لما يصلحه .

وقيل) كل شيء (هو المفعول الثاني لأعطى و) خلقه (المفعول الأول أي) أعطى (خليقته) كل شيء (يحتاجون إليه ويرتفقون به . وقرأ عبد الله وأناس من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)) وأبو نهيك وابن أبي إسحاق والأعمش والحسن ونصير عن الكسائي وابن نوح عن قتيبة وسلام خلقه بفتح اللام فعلا ماضيا في موضع الصفة لكل شيء أو لشيء ، ومفعول) أعطى (الثاني حذف اقتصارا أي) كل شيء خلقه (لم يخله من عطائه وإنعامه) ثم هدى (أي عرف كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل إليه . وقيل : حذف اختصارا لدلالة المعنى عليه ، أي) أعطى كل شيء خلقه (ما يحتاج إليه وقدره ابن عطية كماله أو مصلحته .

طه : (٥١) قال فما بال . . . . . .

(قال فما بال القرون الاولى (لما أجابه موسى بجواب مسكت ، ولم يقدر فرعون على معارضته فيه انتقل إلى سؤال آخر وهو ما حال من هلك من القرون ، وذلك على سبيل الروغان عن الاعتراف بما قال موسى وما أجابه به ، والحيدة والمغالطة . قيل : سأله عن أخبارها وأحاديثها ليختبر أهما نبيان أو هما من جملة القصاص الذين دارسوا قصص الأمم السالفة ، ولم يكن عنده عليه السلام علم بالتوراة إنما أنزلت عليه بعد هلاك فرعون فقال) علمها عند ربى) . وقيل : مراده من السؤال عنها لم عبدت الأصنام ولم تعبد الله إن كان الحق ما وصفت ؟ وقيل : مراده ما لها لا تبعث ولا تحاسب ولا تجازى

طه : (٥٢) قال علمها عند . . . . . .

فقال) علمها عند ربى (فأجابه بأن هذا سؤال عن ." (١)

"" صفحة رقم ٤١٦ "

ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره . ومناسبة السببية أنك تقول : زيد مؤمن ، فإذا مسه الضر التجأ إلى الله . فالسبب هنا ظاهر ، وزيد كافر ، فإذا مسه الضر التجأ إليه ، يقيم كفره مقام الإيمان في جعله سببا للالتجاء ، يحكي عكس ما فيه الكافر . يقصد بذلك الإنكار والتعجب من فعله المتناقض ، حيث كفر بالله ثم التجأ إليه في الشدائد .

وأما الآية الأولى فلم تقع مسببة ، بل ناسبت ما قبلها ، فعطفت عليه بالواو ، وإذا كانت فإذا متصلة بقوله

---

(١) البحر المحيط في التفسير ت محمد معوض أبو حيّان الأندلسي ٦/٢٣٢

:) وإذا ذكر الله وحده (، كما قلنا ، فما بينهما من الآي اعتراض يؤكد به ما بين المتصلين . فدعاء الرسول ربه بأمر منه وقوله :) أنت تحكم (، وتعقيبه الوعيد ، تأكيد لاشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله في الشدائد دون آلهتهم . وقوله :) ولو أن للذين ظلموا (يتناول لهم ، أو لكل ظالم ، إن جعل مطلقا أو إياهم خاصة إن عنوا به . انتهى ، وهو ملتقط أكثره من كلام الزمخشري ، وهو متكلف في ربط هذه الآية بقوله :) وإذا ذكر الله وحده اشمأزت (مع بعدما بينهما من الفواصل . وإذا كان أبو علي الفارسي لا يجيز الاعتراض بجملتين ، فكيف يجيزه بهذه الجمل الكثيرة ؟ والذي يظهر في الربط أنه لما قال :) ولو أن للذين ظلموا (الآية ، كان ذلك إشعارا بما ينال الظالمين من شدة العذاب ، وأنه يظهر لهم يوم القيامة من العذاب ما لم يكن في حسابهم ، أتبع ذلك بما يدل على ظلمه وبغيه ، إذ كان إذا مسه دعا ربه ، فإذا أحسن إليه ، لم ينسب ذلك إليه . ثم إنه بعد وصف تلك النعمة أنها ابتلاء وفتنة ، كما بدا له في الآخرة من عمله الذي كان يظنه صالحا ما لم يكن في حسابه من سوء العذاب المترتب على ذلك العمل ، ترتب الفتنة على تلك النعمة .) ولاكن أكثرهم لا يعلمون (: أي إن ذلك استدراج وامتحان) قد قالها الذين من قبلهم (: أي قال مثل مقالتهم) أوتيته على علم) . والظاهر أن قائلي ذلك جماعة من الأمم الكافرة الماضية ، كقارون في قوله :) قال إنما أوتيته على علم عندى) . وقيل : الذين من قبلهم هم قارون وقومه ، إذ رضوا بمقالته ، فنسب القول إليهم جميعا . وقرىء : قد قاله ، أي قال القول أو الكلام .) فما أغنى عنهم (: يجوز أن تكون ما نافية ، وهو الظاهر . وأن تكون استفهامية ، فيها معنى النفي .) ما كانوا يكسبون (: أي من الأموال .) والذين ظلموا من هؤلاء (: إشارة إلى مشركي قريش ، (سيصيبهم سيئات ما كسبوا (: جاء بسين الاستقبال التي هي أقل تنفيسا في الزمان من سوف ، وهو خبر غيب ، أبرزه الوجود في يوم بدر وغيره . قتل رؤساءهم ، وحبس عنه الرزق ، فلم يمطروا سبع سنين ؛ ثم بسط لهم ، فمطروا سبع سنين ، فقيل لهم : ألم تعلموا أنه لا قابض ولا باسط إلا الله تعالى ؟ .

(قل ياأهل عبادى الذين أسرفوا (: نزلت في وحشي قاتل حمزة ، قاله عطاء ؛ أو في قوم آمنوا عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ، ففتنتهم قريش ، فافتتنوا وظنوا أن لا توبة لهم ، فكتب عمر لهم بهذه الآية ، قاله عمر والسدي وقتادة وابن إسحاق . وقيل : في قوم كفار من أهل الجاهلية قالوا : وما ينفعنا الإسلام وقد زنينا وقتلنا النف وأتينا كل كبيرة ؟ ومناسبتها لما قبلها : أنه تعالى لما شدد على الكفار وذكر ما أعد لهم من العذاب ، وأنهم لو كان لأحدهم ما في الأرض ومثله معه لافتدى به من عذاب الله ، ذكر ما في إحسانه من غفران الذنوب إذا آمن العبد ورجع إلى الله . وكثيرا تأتي آيات الرحمة مع آيات النقمة ليرجو العبد ويخاف . وهذه الآية عام في كل كافر يتوب ، ومؤمن عاص يتوب ، تمحو الذنب توبته . وقال عبد الله ، وعلي ، وابن عامر : هذه أرجى آية في كتاب الله . وتقدم الخلاف في قراءة) لا تقنطوا (في الحجر .

(إن الله يغفر الذنوب جميعا (: عام يراد به ما سوى الشرك ، فهو مقيد أيضا بالمؤمن العاصي غير التائب

بالمشيئة . وفي قوله :) فى عبادى (، بإضافتهم إليه وندائهم ، إقبال وتشريف . و) أسرفوا على أنفسهم (: أي بالمعاصي ، والمعنى : إن ضرر تلك الذنوب إنما هو عائد عليهم ، والنهي عن القنوط يقتضي الأمر بالرجاء ، وإضافة الرحمة إلى الله التفات من ضمير المتكلم إلى الاسم الغائب ، لأن في إضافتها إليه سعة للرحمة إذا أضيفت إلى الله الذي هو أعظم الأسماء ، لأنه العلم المحتوي على معاني جميع الأسماء . ثم أعاد الاسم الأعظم ، وأكد الجملة بأن مبالغة في ." (١)

"" صفحة رقم ٤٩٦ "

الغيث من المنافع والخصب ، والظاهر أن رحمته نشرها أعم مما في الغيث . وقال السدي : رحمته : الغيث ، وعدد النعمة بعينها بلفظين . وقيل : الرحمة هنا ظهور الشمس ، لأن إذا دام المطر سئم ، فتجيء الشمس بعده عظمية الموقع ، ذكره المهدوي .) وهو الولى (: الذي يتولى عباده ، (الحميد (: المحمود على ما أسدى من نعمائه وما بث . الظاهر أنه مجرور عطفا على السموات والأرض . ويجوز أن يكون مرفوعا ، عطفا على خلق ، على حذف مضاف ، أي وخلق ما بث . وفيهما يجوز أن يكون مما نسب فيه دابة إلى المجموع المذكور ، وإن كان ملتبسا ببعضه . كما يقال : بنو فلان صنعوا كذا ، وإنما صنعه واحد منهم ، ومنه يخرج منهما ، وإنما يخرج من الملح ، أو يكون من الملائكة . بعض يشمي مع الطيران ، فيوصف بالدبيب كما يوصف به الأناسي ، أو يكون قد خلق السموات حيوانا يمشي مع مشي الإناس على الأرض ، أو يريد الحيوان الذي يكون في السحاب . وقد يقع أحيانا ، كالضفادع والسحاب داخل في اسم السماء .

وقال مجاهد :) وما بث فيهما من دابة (: هم الناس والملائكة . وقال أبو علي : هو على حذف مضاف ، أي وما بث في أحدهما . وقرأ الجمهور : فيهما بالفاء ، وكذا هي في معظم المصاحف . واحتمل ما أن تكون شرطية ، وهو الأظهر ، وأن تكون موصولة ، والفاء تدخل في خبر الموصول إذا أجري مجرى الشرط بشرائط ذكرت في النحو ، وهي موجودة . وقرأ نافع ، وابن عامر ، وأبو جعفر في رواية ، وشيبة : بما بغير فاء ، فما موصولة ، ولا يجوز أن تكون شرطية ؛ وحذفت الفاء لأن ذلك مما يخصه سيبويه بالشعر ، وأجازت ذلك الأخفش وبعض نحاة بغداد وذلك على إرادة الفاء . وترتب ما أصاب من المصائب على كسب الأيدي موجود مع الفاء ودونها هنا ، والمصيبة : الرزايا والمصائب في الدنيا ، وهي مجازاة على ذنوب المرء وتمحيص لخطاياه ، وأنه تعالى يعفو عن كثير ، ولا يجازي عليه بمصيبة . وفي الحديث : (لا يصيب ابن آدم خدش عود أو عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو عنه أكثر) . وسئل عمران بن حصين عن مرضه فقال ؛ إن أحبه إلي أحبه إلى الله ، وهذا مما كسبت يداي . ورؤي على كف شريح قرحة ، فقيل : بم هذا ؟ فقال : بما كسبت يداي .

---

(١) البحر المحيط في التفسير ت محمد معوض أبو حيّان الأندلسي ٤١٦/٧

وقال الزمخشري : الآية مخصوصة بالمجرمين ، ولا يمتنع أن يستوفي الله عقاب المجرم ويعفو عن بعض . فأما من لا جرم له ، كالأنبياء والأطفال والمجانين ، فهو كما إذا أصابهم شيء من ألم أو غيره ، فللعوض الموفي والمصلحة وعن علي : هذه أرجى آية للمؤمنين . وقال الحسن :) من مصيبة (: أي حد من حدود الله ، وتلك مصائب تنزل بشخص الإنسان ونفسه ، فإنما هي بكسب أيدى كم .) ويعفو (الله) ويعفوا عن كثير (، فيستره على العباد حتى لا يحد عليه .) وما أنتم بمعجزين (: أنتم في قبضة القدرة . وقيل : ليست المصائب من الأسقام والقحط والغرق وغير ذلك بعقوبات على الذنوب لقوله :) اليوم تجزى كل نفس بما كسبت (، ولاشتراك الصالح والطالح فيهما ، بل أكثر ما يبتلي به الصالحون المتقون . وفي الحديث : (خص بالبلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل) . ولأن الدنيا دار التكليف ، فلو حصل الجزاء فيها لكانت دار الجزاء ، وليس الأمر كذلك . وهذا القول يؤخره نصوص القرآن ، كقوله تعالى :) فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا (الآية .

(ومن ءاياته الجوار فى البحر كالاعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن فى ذلك لايات لكل صبار شكور أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون فىءاياتنا ما لهم من محيص فما أوتيتم من شيء فمتاع الحيواة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين ءامنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلواة ." (١)

"مالك ، وأبو الأسود الدؤلي ، ووهب بن منبه ، والحسن ، والسدي ، وغيرهم .

وقال العوفي ، عن ابن عباس: ﴿فصرهن إليك﴾ أوثقهن ، فلما أوثقهن ذبحهن ، ثم جعل على كل جبل منهن جزءا ، فذكروا أنه عمد إلى أربعة من الطير فذبحهن ، ثم قطعهن ونتف ريشهن ، ومزقهن (١) وخلط بعضهن في ببعض ، ثم جزأهن أجزاء ، وجعل على كل جبل منهن جزءا ، قيل: أربعة أجبل (٢) . وقيل: سبعة . قال ابن عباس: وأخذ رؤوسهن بيده ، ثم أمره الله عز وجل ، أن يدعوهن ، فدعاهن كما أمره الله عز وجل ، فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش ، والدم إلى الدم ، واللحم إلى اللحم ، والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها إلى بعض ، حتى قام كل طائر على حدته ، وأتينه يمشين سعيا ليكون أبلغ له في الرؤية التي سألها ، وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم ، عليه السلام ، فإذا قدم له غير رأسه يأباه ، فإذا قدم إليه رأسه تركب مع بقية جثته بحول الله وقوته ؛ ولهذا قال: ﴿واعلم أن الله عزيز حكيم﴾ أي: عزيز لا يغلبه شيء ، ولا يمتنع منه شيء ، وما شاء كان بلا ممانع لأنه العظيم القاهر لكل شيء ، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره .

قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر ، عن أيوب في قوله: ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ قال: قال ابن عباس: ما في القرآن آية أرجى عندي منها (٣) .

---

(١) البحر المحيط في التفسير ت محمد معوض أبو حيّان الأندلسي ٤٩٦/٧

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن المثنى ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت زيد بن علي يحدث ، عن رجل ، عن سعيد بن المسيب قال: اتعد عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص أن يجتمعا . قال: ونحن شببة ، فقال أحدهما لصاحبه: أي آية في كتاب الله أرجى لهذه الأمة ؟ فقال عبد الله بن عمرو: قول الله تعالى: ﴿ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾ الآية [الزمر:٥٣] . فقال ابن عباس: أما إن كنت تقول: إنها ، وإن أرجى منها لهذه الأمة قول إبراهيم: ﴿رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ (٤) .

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث ، حدثني ابن أبي سلمة عن محمد بن المنكدر ، أنه قال: التقى عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال ابن عباس لابن عمرو بن العاص: أي آية في القرآن أرجى عندك ؟ فقال عبد الله بن عمرو: قول الله عز وجل: ﴿ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا [من رحمة الله] (٥) ﴾ الآية -فقال ابن عباس: لكن أنا أقول (٦) : قول الله: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى﴾ فرضي من إبراهيم قوله: ﴿بلى﴾ قال: فهذا لما يعترض (٧) في النفوس (٨) ويوسوس به الشيطان .

وهكذا رواه الحاكم في المستدرك ، عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب بن الأخرم ، عن إبراهيم بن عبد الله السعدي ، عن بشر بن عمر الزهراني ، عن عبد العزيز بن أبي سلمة ، بإسناده ، مثله . ثم قال: صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه (٩) .

---

(١) في أ: "وفرقهن" .

(٢) في أ: "أربعة أجزاء" .

(٣) في ج: "أرجى آية منها" .

(٤) تفسير الطبري (٥/٤٨٩) .

(٥) زيادة من ج ، أ .

(٦) في ج ، أ: "إن كنت تقول" .

(٧) في ج: "لما يعرض" .

(٨) في أ ، و: "في الصدور" .

(٩) المستدرك (١/٦٠) وتعقبه الذهبي بأن فيه انقطاعا . ." (١)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١/٦٩٠

"حال اشتغالهم بالظلم كما يقال: رأيت الأمير على أكله ، أي حال اشتغاله بالأكل ، وهذا يقتضي كونه تعالى غافرا للناس حال اشتغالهم بالظلم ، ومعلوم أن حال اشتغال الإنسان بالظلم لا يكون تائبا ؛ فدل هذا على أنه تعالى قد يغفر الذنوب قبل الاشتغال بالتوبة ، وترك العمل بهذا الدليل في حق الكفر ؛ فوجب أن يبقى معمولا به في حق غير الكفرة ، وهو المطلوب .

ويقال: إنه تعالى لم يقتصر على قوله: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ بل عطف عليه قوله: ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ ؛ فوجب أن يحمل الأول على أصحاب الكبائر ، ويحتمل الثاني على الكفار .

قال المفسريون: «لذو مغفرة» لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا وعن المذنبين إذا تابوا .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أرجى آية في القرآن هذه الآية: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب﴾ إذا أصروا على الكفر .

وروى حمضاد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قال: لما نزلت: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هنأ أحدا عيش ولولا عقابه ووعيده وعذابه لاتكل كل أحد» .

فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون المراد: لذو مغفرة لأهل الصغائر لأجل أن عقوبتهم مكفرة ، ثم نقول: لم لا يجوز أن يكون المراد إن ربك لذو مغفرة إذا تابوا ، وأنه تعالى إنما لا يعجل العقاب إمهالا لهم في الإتيان بالتوبة ، فإن تابوا فهو ذو مغفرة لهم ، ويكون المراد من هذه المغفرة [تأخير العقاب] إلى الآخرة ، بل نقول: يجب حمل اللفظ عليه ؛ لأن القوم طلبوا تعجيل العذاب ، فجيب أن تحمل المغفرة على تأخير العذاب حتى ينطبق الجواب على السؤال .

ثم يقال: لم لا يجوز أن يكون المراد بقوله: ﴿لذو مغفرة﴾ إمهالهم بالتوبة ، ولا يعجل بالعقوبة ، فإن تابوا ، فهو ذو مغفرة ، وإن لم يتوبوا ؛ فهو شديد العقاب ؟ .

فالجواب عن الأول: أن تأخير العذاب لا يمسى مغفرة ، وإلا لوجب أن يقال: ." (١)

"الذنوب ، بل حصول المصائب (للصالحين) والمتقين أكثر منه للمذنبين ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «خص البلاء بالأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» .

الثالث: أن الدنيا دار تكليف ، فلو حصل الجزاء فيها لكانت دار تكليف ودار جزاء معا وهو محال . وقال آخرون: هذه المصائب قد تكون أجزية على ذنوب متقدمة لهذه الآية ، ولما روى الحسن قال: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر» .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١/٢٥٥

قال علي بن أبي طالب: «ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم :» وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوعن كثير « (قال) : وسأفسرها لك يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله عز وجل أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة ، وما عفا الله عنه في الدنيا ، فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه . وتمسكوا أيضا بقوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿أو يوبقهن بما كسبوا﴾ » وذلك تصريح بأن ذلك الاهلاك بسبب كسبهم . وأجاب الأولون بأن حصول هذه المصائب يكون من باب الأمتحان في التكليف ، لا من باب العقوبات ، كما في حق الإنبياء والأولياء .

ويحمل قوله: ﴿بما كسبت أيديكم﴾ على أن الأصلح عند إتيانكم بذلك الكسب إنزال هذه المصائب عليكم .

فصل

هذه الآية تقتضي إضافة الكسب إلى اليد ، والكسب لا يكون بل بالقدرة القائمة باليد فوجب أن يكون المراد من لفظ اليد هاهنا القدرة ، وإذا كان هذا المجاز مشهورا مستعملا كان لفظ اليد الوارد في حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها لله تعالى عن الأعضاء .

قوله: ﴿ويعفوا عن كثير﴾ أي قد يترك الكثير بفضله ورحمته قال الواحدي بعد أن روى حديث علي المتنقدم: وهذه أرجى آية في كتاب الله ؛ لأن الله تعالى جعل ذنوب ." (١)

"لما توعد الكفر ، وبين أن ذلك التقدير لا بد من وقوعه ، يعني : أن ذلك إنما هو من خواص الكفر ، أما سائر الذنوب غير الشرك ، فإنه يغفرها ، إن شاء .

قال الكلبي : نزلت في وحشي بن حرب ، وأصحابه ؛ وذلك أنه لما قتل حمزة ، كان قد جعل له على قتله أن يعتق ، فلم يوف له بذلك ، فلما قدم مكة ، ندم على صنعه ، هو ، وأصحابه ؛ فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا قد ندمنا على الذي صنعنا ، وإنه ليس يمنعنا عن الإسلام إلا أنا سمعناك تقول بمكة : ﴿والذين لا يدعون مع الله إلاها آخر﴾ [الفرقان : ٦٨] الآيات ، وقد دعونا مع الله إلها أخر ، وقتلنا النفس التي حرم الله قتلها وزنينا ، فلولا هذه الآيات ، لاتبعناك ؛ فنزلت : ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا﴾ [الفرقان : ٧٠] ، الآيتين ، فبعث بهما [رسول الله صلى الله عليه وسلم] إليهم فلما قرءوا ، كتبوا إليه : إن هذا شرط شديد نخاف إلا نعمل عملا صالحا فنزل : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشآء﴾ ، فبعث بها إليهم ، فبعثوا إليه : إنا نخاف ألا نكون من أهل المشيئة ؛ فنزلت : ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ [الزمر : ٥٣] فبعث بها إليهم ؛ فدخلوا في الإسلام ، ورجعوا إلى النبي صلى

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٠١/١٧

الله عليه وسلم فقبل منهم ، ثم قال [عليه الصلاة والسلام] لوحشي : " أخبرني : كيف قتلت حمزة " ؟ فلما أخبره ، قال : " ويحك ! غيب وجهك عني " ، فلحق وحشي بالشام ، وكان بها إلى أن مات .

وروى أبو مجلز ، عن ابن عمر : " لما نزلت : " يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم "

٤١٤

الآية ، قام رجل ، فقال : والشرك يا رسول الله ، فسكت ، ثم قام إليه مرتين ، أو ثلاثا ؛ فنزلت : " إن الله لا يغفر أن يشرك به " الآية ، قال مطرف بن الشخير : قال ابن عمر : كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات الرجل على كبيرة ، شهدنا أنه من أهل النار ، حتى نزلت هذه الآية ، فأمسكنا عن الشهادات

.

حكي عن علي – رضي الله عنه – أن هذه الآية أرجى آية في القرآن .

قوله : ﴿ويغفر ما دون ذلك﴾ ، كلام مستأنف ، وليس عطفا على ﴿يغفر﴾ الأول ؛ لفساد المعنى ، والفاعل في ﴿يشآء﴾ ضمير عائد على الله تعالى ، ويفهم من كلام الزمخشري : أنه ضمير عائد على من في " لمن " لأن المعنى عنده : إن الله لا يغفر الشرك لمن لا يشاء أن يغفر له ؛ لكونه مات على الشرك ، غير تائب منه ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء أن يغفر له ، بكونه مات تائبا من الشرك ، و ﴿لمن يشآء﴾ متعلق بـ ﴿يغفر﴾ .

قوله : ﴿ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما﴾ أي : اختلق ذنبت غير مغفور .

يقال : افترى فلان الكذب ، إذا اعتمله ، واختلقه ، وأصله : من الفري ، بمعنى القطع .

روى جابر قال : " أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل ، فقال : يا رسول الله ، ما الموجبتان ؟ قال من مات لا يشرك بالله شيئا ، دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئا ، دخل النار " .

٤١٥

". (١)

"حال اشتغالهم بالظم كما يقال : رأيت الأمير على أكله ، أي حال اشتغاله بالأكل ، وهذا يقتضي كونه تعالى غافرا للناس حال اشتغالهم بالظلم ، ومعلوم أن حال اشتغال الإنسان بالظلم لا يكون تائبا ؛ فدل هذا على أنه ـ تعالى ـ قد يغفر الذنوب قبل الاشتغال بالتوبة ، وترك العمل بهذا الدليل في حق الكفر ؛ فوجب أن يبقى معمولا به في حق غير الكفرة ، وهو المطلوب .

ويقال : إنه ـ تعالى ـ لم يقتصر على قوله : ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ بل عطف عليه قوله : ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ ؛ فوجب أن يحمل الأول على أصحاب الكبائر ، ويحتمل الثاني على الكفار .

قال المفسريون : " لذو مغفرة " لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا وعن المذنبيين إذا تابوا .

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع ابن عادل ص/١٤٨٧

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : أرجى آية في القرآن هذه الآية : ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب﴾ إذا أصروا على الكفر .

وروى حمضاد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قال : لما نزلت : ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هنأ أحدا عيش ولولا عقابه ووعيده وعذابه لاتكل كل أحد " .

فإن قيل : لم لا يجوز أن يكون المراد : لذو مغفرة لأهل الصغائر لأجل أن عقوبتهم مكفرة ، ثم نقول : لم لا يجوز أن يكون المراد إن ربك لذو مغفرة إذا تابوا ، وأنه ـ تعالى ـ إنما لا يعجل العقاب إمهالا لهم في الإتيان بالتوبة ، فإن تابوا فهو ذو مغفرة لهم ، ويكون المراد من هذه المغفرة [تأخير العقاب] إلى الآخرة ، بل نقول : يجب حمل اللفظ عليه ؛ لأن القوم طلبوا تعجيل العذاب ، فجيب أن تحمل المغفرة على تأخير العذاب حتى ينطبق الجواب على السؤال .

ثم يقال : لم لا يجوز أن يكون المراد بقوله : ﴿لذو مغفرة﴾ إمهالهم بالتوبة ، ولا يعجل بالعقوبة ، فإن تابوا ، فهو ذو مغفرة ، وإن لم يتوبوا ؛ فهو شديد العقاب ؟ .

فالجواب عن الأول : أن تأخير العذاب لا يمسى مغفرة ، وإلا لوجب أن يقال :

٢٥٥

". (١)

"الذنوب ، بل حصول المصائب (للصالحين) والمتقين أكثر منه للمذنبين ، ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : " خص البلاء بالأنبياء ثم الأمثل فالأمثل " .

الثالث : أن الدنيا دار تكليف ، فلو حصل الجزاء فيها لكانت دار تكليف ودار جزاء معا وهو محال .

وقال آخرون : هذه المصائب قد تكون أجزية على ذنوب متقدمة لهذه الآية ، ولما روى الحسن قال : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر " .

قال علي بن أبي طالب : " ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوعن كثير " (قال) : وسأفسرها لك يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله عز وجل أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة ، وما عفا الله عنه في الدنيا ، فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه .

وتمسكوا أيضا بقوله تعالى بعد هذه الآية : ﴿أو يوبقهن بما كسبوا﴾ " وذلك تصريح بأن ذلك الاهلاك بسبب

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع ابن عادل ص/٣٠٥٠

كسبهم .

وأجاب الأولون بأن حصول هذه المصائب يكون من باب الأمتحان في التكليف ، لا من باب العقوبات ، كما في حق الإنبياء والأولياء .

ويحمل قوله : ﴿بما كسبت أيديكم﴾ على أن الأصلح عند إتيانكم بذلك الكسب إنزال هذه المصائب عليكم .

فصل هذه الآية تقتضي إضافة الكسب إلى اليد ، والكسب لا يكون بل بالقدرة القائمة باليد فوجب أن يكون المراد من لفظ اليد هاهنا القدرة ، وإذا كان هذا المجاز مشهورا مستعملا كان لفظ اليد الوارد في حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها لله تعالى عن الأعضاء .

قوله : ﴿ويعفوا عن كثير﴾ أي قد يترك الكثير بفضله ورحمته قال الواحدي . بعد أن روى حديث علي المتنقدم . : وهذه أرجى آية في كتاب الله ؛ لأن الله تعالى جعل ذنوب

٢٠١

المؤمنين صنفين ، صنف كفر عنهم بالمصائب ، وصنف عفا عنه في الدنيا ، وهو كرم لا يرجع في عفوه فهذه سنة الله مع المؤمنين .

وأما الكافر ، فإنه لا يعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافي (ربه) يوم القيامة .

ثم قال : ﴿ومآ أنتم بمعجزين﴾ أي بفائتين " في الأرض " هربا ، أي لا تعجزونني حيث ما كنتم و لات سبقوني ﴿وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ والمراد به من يعبد الأصنام ، بين أنه لا فائدة فيها ألبتة بل النصير هو الله تعالى ، فلا جرم هو الذي يحسن عبادته .

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ١٩٨

قوله تعالى : ﴿ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام﴾ قرا نافع وأبو عمرو " الجواري " بيا في الوصل .

وأما الوقف فإثباتها على الأصل وحذفها للتخفيف ، وهي السفن ، وأحدثها جارية ، وهي السائرة في البحر .

فإن قيل : الصفة متى لم تكن خاصة بموصوفها امتنع حذف الموصوف ، لا تقول : مررت بماش ؛ لأن المشي عام ، وتقول : مررت بمهندس وكاتب ، والجري ليس من الصفات الخاصة فما وجه ذلك ؟ فالجواب : أن قوله : " في البحر " قرينة دالة على الموصوف ، ويجوز أن تكون هذه صفة غالبة كالأبطح والأبرق ، فوليت العوامل دون موصوفها .

و " في البحر " متعلق " بالجواري " ، إذا لم يجر مجرى الجوامد ، فإن جرى مجراه كان حالا منه ، وكذا قوله : " كالأعلام " وهي الجبال قالت الخنساء : ٤٣٨٣. وإن صخرا لتأتم الهداة به

كأنه علم في رأسه نار

(١) ".

"نصرته» ، انتهى «١» ، ثم ذكر تعالى أنه يزكى من شاء ممن سبقت له السعادة ، وكان عمله الصالح أمارة على سبق السعادة له .

[سورة النور (٢٤) : آية ٢٢]
ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم (٢٢)
وقوله تعالى: ولا يأتل أولوا الفضل منكم . . . الآية: المشهور من الروايات أن هذه الآية نزلت في قصة أبي بكر رضي الله عنه ومسطح بن أثاثة ، وكان من قرابة أبي بكر ، وكان أبو بكر ينفق عليه ، لمسكنته ، فلما وقع أمر الإفك بلغ أبا بكر أنه: وقع مسطح مع من وقع فحلف أبو بكر: لا ينفق عليه ، ولا ينفعه بنافعة أبدا ، فجاء مسطح معتذرا/ ٣٦ ب وقال: إنما كنت أسمع ولا أقول ، فنزلت الآية ، والفضل: الزيادة في الدين ، والسعة هنا: هي المال ، ثم قال تعالى: ألا تحبون أن يغفر الله لكم . . . الآية ، أي: كما تحبون عفو الله لكم عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم ، فيروى أن أبا بكر قال: بلى ، إني أحب أن يغفر الله لي ، ورجع إلى مسطح ما كان يجري عليه من النفقة والإحسان «٢» .
قال ابن العربي في «أحكامه» : وفي هذه الآية دليل على أن الحنث إذا رآه الإنسان خيرا هو أولى من البر ، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: «فرأى غيرها خيرا منها ، فليأت الذي هو خير ، وليكفر عن يمينه» انتهى «٣» . وقال بعض الناس: هذه أرجى آية في كتاب الله عز وجل من

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٨٧) كتاب الأدب: باب من رد على مسلم غيبة ، حديث (٤٨٨٤) ، وأحمد (٣/ ٤٤١) ، والبغوي في «شرح السنة» (٦/ ٤٩٥- ٤٩٦- بتحقيقنا) .
(٢) أخرجه الطبري (٩/ ٢٨٩) برقم (٢٥٨٧٥) ، وذكره البغوي (٣/ ٣٣٤) ، وابن عطية (٤/ ١٧٢ ، ١٧٣) ، وابن كثير (٣/ ٢٧٦) ، والسيوطي (٥/ ٦٣) ، وعزاه لابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان .] [. . . . .
(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٢٧١- ١٢٧٢) كتاب الأيمان ، باب ندب من حلف يمينا ، فرأى غيرها خيرا منها

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع ابن عادل ص/٤٤٦٨

أن يأتي الذي هو خير ، ويكفر عن يمينه ، حديث (١١/ ١٦٥٠) ، والبيهقي (١٠/ ٣٢) كتاب الأيمان ، باب من حلف على يمين فرأى خيرا منها ، فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه .
وأخرجه مسلم (٣/ ١٢٧٢) كتاب الأيمان ، باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها ، حديث (١٣/ ١٦٥٠) . ومن حديث عدي بن حاتم أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ، وأبو داود الطيالسي (١/ ٢٤٧) كتاب «الأيمان والنذور» ، باب من حلف على يمين فرأى خيرا منها ، فليأت الذي هو خير ، وليكفر عن يمينه ، حديث (١٢١٨) ، وأحمد (٤/ ٢٥٦- ٢٥٧- ٢٥٨) ، والدارمي (٢/ ١٨٦) كتاب «الأيمان والنذور» ، باب من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها ، ومسلم (٣/ ١٢٧٢- ١٢٧٣) ، كتاب: الأيمان ، باب: ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها أن يأتي الذي هو خير ، ويكفر عن يمينه ، حديث (١٦ ، ١٨/ ١٦٥١) ، والنسائي (٧/ ١٠- ١١) كتاب «الأيمان والنذور» ، باب الكفارة بعد الحنث ، وابن ماجه (١/ ٦٨١) كتاب «الكفارات» ، باب من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها ، - ." (١)

"فنزلت الآية فيهم ، وقال علي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، وابن عمر: هذه أرجى آية في القرآن «١» ، وروى ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية «٢» قل يا عبادي . . . » وأسرفوا معناه أفرطوا ، والقنط أعظم اليأس ، وقرأ نافع والجمهور «تقنطوا» بفتح النون «٣» ، قال أبو حاتم: فيلزمهم أن يقرؤوا «من بعد ما قنطوا» [الشورى: ٢٨]- بكسرها- ولم يقرأ به أحد ، وقرأ أبو عمرو «تقنطوا» - بالكسر «٤» - .
وقوله: إن الله يغفر الذنوب جميعا عموم بمعنى الخصوص لأن الشرك ليس بداخل في الآية إجماعا ، وهي أيضا في المعاصي مقيدة بالمشيئة ، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ:
«إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي» «٥» وقرأ ابن مسعود «٦» : «إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء»
وأنيبوا معناه: ارجعوا .

[سورة الزمر (٣٩) : الآيات ٥٥ الى ٦٠]
واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون (٥٥) أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين (٥٦) أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين (٥٧) أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين (٥٨) بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين (٥٩)

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٧٧/٤

ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين (٦٠)

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٥) برقم: (٣٠١٨١) عن ابن مسعود وبرقم: (٣١٠٨٤) عن علي ، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٧) ، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٩) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢١) .

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٥) ، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٤٢٣) باب: في معالجة كل ذنب بالتوبة (٧١٣٧) ، والطبري (١١/ ١٦) (٣٠١٨٧) ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٣١) ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وابن مردويه .

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٣٧) .

(٤) وقرأ بها حمزة والكسائي ، ويعقوب ، وخلف .

ينظر: «العنوان» (١٦٥) ، و «إتحاف» (٢/ ٤٣٠) .

(٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٤٩) كتاب «التفسير» ، والترمذي (٥/ ٣٧٠) ، كتاب «التفسير» باب: ومن سورة الزمر (٣٢٣٧) .

قال الحاكم: هذا حديث غريب عال ، ولم أذكر في كتابي هذا عن شهر غير هذا الحديث الواحد . اهـ .

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ثابت عن شهر بن حوشب قال:

وشهر بن حوشب يروي عن أم سلمة الأنصارية وأم سلمة الأنصارية هي أسماء بنت يزيد .

(٦) ينظر: «الشواذ» ص: (١٣٢) ، و «الكشاف» (٤/ ١٣٥) ، وزاد نسبتها إلى ابن عباس .

وينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٣٧) . ." (١)

"الحسن: بلاغ بالخفض نعتا ل نهار «١» .

وقوله سبحانه: فهل يهلك إلا القوم الفاسقون وقرىء شاذا «٢» : فهل يهلك ببناء الفعل للفاعل ، وفي هذه الآية وعيد محض ، وإنذار بين وذلك أن الله عز وجل جعل الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها ، وغفر الصغائر باجتناب الكبائر ، ووعد الغفران على التوبة ، فلن يهلك على الله إلا هالك كما قال صلى الله عليه وسلم ،

قال الثعلبي: يقال: إن قوله تعالى:

فهل يهلك إلا القوم الفاسقون أرجى آية في كتاب الله/ عز وجل للمؤمنين .

---

(١) وقرأ بها عيسى .

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥/٩٧

ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٠٨) ، و «البحر المحيط» (٨/ ٦٨) ، و «الدر المصون» (٦/ ١٤٥) .
(٢) قرأ بها ابن محيصن ، وروي عنه كسر اللام . قال أبو الفتح: وأما «يهلك» بفتح الياء واللام جميعا فشاذة ، ومرغوب عنها ، لأن الماضي هلك ، فعل مفتوحة العين ، ولا يأتي يفعل ، بفتح العين فيهما جميعا إلا الشاذ .

ينظر: «المحتسب» (٢/ ٢٦٨) ، و «مختصر الشواذ» ص: (١٤١) ، و «المحرر الوجيز» (٥/ ١٠٨) ، و «البحر المحيط» (٨/ ٦٨) ، و «الدر المصون» (٦/ ١٤٥) . [. . . . .] ." (١)

" صفحة رقم ١٥٦

حدوده ، قال منكرا عليهم وموبخا لهم تقدما إليهم بالتحذير من بطشه وسطوته وشديد أخذه وعقوبته ، مسببا تصحيح أعمالهم وبنائها على أساس) في الأرض) أي التي فيها آثار الوقائع فإنها هي الأرض في الحقيقة لما لها من زيادة التعريف بالله) فينظروا (عقب سيرهم وبسببه .

ولما كانت وقائعه خلعة للقلوب بما فيها من الأمور الباهرة الناطقة بها ألسنة الأحوال بعد التنبيه بالمقال ، ساق ذلك بسوقه في أسلوب الاستفهام مساقا منبها على أنه من العظمة بحيث يفرغ الزمان للعناية بالسؤال عنه فقال : (كيف كان عاقبة) أي آخر أمر) الذين (ولما كان ميمكنهم معرفة ذلك من جميع المهلكين ، نبه بإثبات الجار على أنهم بعضهم بل بعض المكذبين للرسل ، وهم الذين سمعوا أخبارهم ورأوا ديارهم بعاد وثمود ومدين وسا وقوم لوط فقال تعالى : (من قبلهم (ولما كان كأنه قيل : ما لهم ؟ قال : (دمر الله) أي أوقع الملك الأعظم الهلاك العظيم الداخل بغي إذن ، الهاجم بغتة) عليهم (بما علم أهاليهم وأحوالهم وكل من رضي فعالهم أو مقالهم ، وعدل عن أن يقول : (ولهؤلاء) إلى قوله : (وللكافرين (تعميما وتعليقا للحكم بالوصف وهو العارقة في الكفر ، فكان فيه بشارة بأن بعضهم سينجيه الله تعالى من أسباب الهلاك لكونه ليس عريقا في الكفر ، لأنه لم يطبع عليه) أمثالها) أي أمثال هذه العاقبة .

ولما بين أن يعلي أولياءه ويذل أعداءه ، بين علته فقال : (ذلك) أي الأمر العظيم الذي فعله بالفريقين) بأن الله) أي بسبب أن الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال) مولى الذين آمنوا) أي القريب من المصدقين به المرضين له ، فهو يفعل معهم بما له من اللال والجمال ما يفعل القريب بقريبه الحبيب له ، قال القشيري : ويصح أن يقال : أرجى آية في كتاب الله هذه الآية لأنه لم يقل : الزهاد والعباد وأصحاب الأوراد والاجتهاد . يعني بل ذكر أدنى أسنان أهل الإيمان .

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥/٢٢٧

) وأن الكافرين) أي العريقين في هذا الوصف) لا مولى لهم (بهذا المعنى ، لأنهم بعيدون من الله الذي لا يعبد على الحقيقة إلا هو ، فلا ينفعهم قرب قريب أصلا وإن كان الله مولاهم بغير هذا المعنى بل بمعنى أنه سيدهم ومالكهم ، وفيه إيماء إلى أنه سبحانه وتعالى ولي من لم يكن عريقا في الكفر فيخرجه من الظلمات إلى النور .
ولما تشوف السامع إلى تعرف تمام آثار الولاية ، قال شافيا لعي سؤالهم مؤكدا لأجل كثرة المكذبين : (إن الله) أي الذي له جميع الكمال) يدخل الذين آمنوا) أي أوقعوا التصديق) وعملوا (تصديقا لما ادعوا أنهم أوقعوه) الصالحات (فتمتعوا بما ." (١)

" صفحة رقم ٤٥٦

ليفهم منه أنه لا يزال في الترقي من علي إلى أعلى منه وكامل إلى أكمل منه دائما أبدا لا إلى نهاية) خير (وقيد بقوله : (لك (لأنه ليس كل أحد كذلك) من الأولى) أي الدنيا الفانية التي لا سرور فيها خالص كما أن النهار الذي هو بعد الليل خير منه وأشرف ولا سيما الضحى منه ، وقد أفهم ذلك أن الناس على أربعة أقسام : منهم من له الخير في الدارين وهم أهل الطاعة الأغنياء ، ومنهم من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء ، ومنهم من له صورة خير في الدنيا وشر الآخرة وهم الكفرة الأغنياء ، ومنهم من له صورة شر في الدنيا وخير في الآخرة وهم المؤمنون الفقراء ، قد قال :
الناس في الدنيا على أربع والنفس في فكرتهم حائره فواحد دنياه مقبوضة إن له من بعدها آخره وواحد دنياه مبسوطة ليس له من بعدها آخره وواحد قد حاز حظيهما سعيد في الدنيا وفي الآخره وواحد يسقط من بينهم فذلك لا دنيا ولا آخره
ولما ذكر سبحانه الدنيا والآخرة ، ذكر ما يشملهما مما زاده من فضله ، فقال مصدرا بحرف الابتداء تأكيدا للكلام لأنهم ينكرونه وليست للقسم لأنها إذا دخلت على المضارع لزمته النون المؤكدة ، وضم هذه اللام إلى كلمة التنفيس للدلالة على أن العطاء وإن تأخر وقته لحكمة كائن لا محالة : (ولسوف يعطي) أي بوعد لا خلف فيه وإن تأخر وقته بما أفهمته الأداة) ربك) أي الذي لم يزل يحسن إليك بوعد الدنيا ووعيد الآخرة) فترضى) أي فيتعقب على ذلك ويتسبب عنه رضاك .
وهذا شامل لما منحه بعد كمال النفس من كمال العلم وظهور الأمر وإعلاء الدين وفتح البلاد ودينونة العباد ونقص ممالك الجبابرة ، وإنهاب كنوز الأكاسرة والقياصرة ، وإحلال الغنائم حتى كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ، وشامل لما ادخره له سبحانه وتعالى في الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود ، والشفاعة العظمة إلى غير ذلك مما لا يدخل تحت الحدود ، وقد أفهمت العبارة أن الناس أربعة أقسام : معطى راض ، وممنوع غير راض ، ومعطى غير راض ، وممنوع راض ، وعن علي رضي الله عنه أناه أرجى آية في القرآن لأنه (صلى

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – العلمية برهان الدين البقاعي ١٥٦/٧

الله عليه وسلم) لا يرضى واحدا من أمته في النار .

الضحى : (٦ – ١١) ألم يجدك يتيما . . . . .

) ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضآلا فهدى ووجدك عآئلا فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السآئل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث (( )

ولما وعده بأنه لا يزال في كل لحظة يرقيه في مراقي العلا والشرف ، ذكره بما رقاه به قبل ذلك من حين توفي أبوه وهو حمل وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين ، فتم ." (١)

"ليس عريقا في الكفر ، لأنه لم يطبع عليه ﴿أمثالها *﴾ أي أمثال هذه العاقبة .

ولما بين أن يعلي أولياءه ويذل أعداءه ، بين علته فقال: ﴿ذلك﴾ أي الأمر العظيم الذي فعله بالفريقين ﴿بأن الله﴾ أي بسبب أن الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال ﴿مولى الذين آمنوا﴾ أي القريب من المصدقين به المرضين له ، فهو يفعل معهم بما له من الجلال والجمال ما يفعل القريب بقريبه الحبيب له ، قال القشيري: ويصح أن يقال: أرجى آية في كتاب الله هذه الآية لأنه لم يقل: الزهاد والعباد وأصحاب الأوراد والاجتهاد . يعني بل ذكر أدنى أسنان أهل الإيمان . ﴿وأن الكافرين﴾ أي العريقين في هذا الوصف ﴿لا مولى لهم *﴾ بهذا المعنى ، لأنهم بعيدون من الله الذي لا يعبد على الحقيقة إلا هو ، فلا ينفعهم قرب قريب أصلا وإن كان الله مولاهم بغير هذا المعنى بل بمعنى أنه سيدهم ومالكهم ، وفيه إيماء إلى أنه سبحانه وتعالى ولي من لم يكن عريقا في الكفر فيخرجه من الظلمات إلى النور .

ولما تشوف السامع إلى تعرف تمام آثار الولاية ، قال شافيا ." (٢)

"غير راض ، وممنوع راض ، وعن علي رضي الله عنه أنها أرجى آية في القرآن لأنه صلى الله عليه وسلم لا يرضى واحدا من أمته في النار . ." (٣)

"وأخرج أبو عبيد وابن الضريس ومحمد بن نصر عن ابن مسعود قال: ما خلق الله من سماء ولا أرض ولا جنة ولا نار أعظم من آية في سورة البقرة ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾

وأخرج سعيد بن منصور وابن الضريس والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن مسعود قال: ما من سماء ولا أرض ولا سهل ولا جبل أعظم من آية الكرسي

وأخرج أبو عبيد في فضائله والدارمي والطبراني وأبو نعيم في دلائل النبوة والبيهقي عن ابن مسعود قال: خرج رجل من الإنس فلقيه رجل من الجن فقال: هل لك أن تصارعني فإن صرعتني علمتك آية إذا قرأتها حين تدخل

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور – العلمية برهان الدين البقاعي ٤٥٦/٨

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٢١٣/١٨

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٠٩/٢٢

بيتك لم يدخله شيطان فصارعه فصرعه الإنسي

فقال: تقرأ آية الكرسي فإنه لا يقرؤها أحد إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان له خبج كخبج الحمار

فقيل لابن مسعود: أهو عمر قال: من عسى أن يكون إلا عمر

الخبج: الضراط

وأخرج المحاملي في فوائده عن ابن مسعود قال: قال رجل: يا رسول الله علمني شيئا ينفعني الله به

قال اقرأ آية الكرسي فإنه يحفظك وذريتك ويحفظ دارك حتى الدويرات حول دارك

وأخرج ابن مردويه والشيرازي في الألقاب والهروي في فضائله عن ابن عمر

أن عمر بن الخطاب خرج ذات يوم إلى الناس فقال: أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن وأعدلها وأخوفها وأرجاها فسكت القوم

فقال ابن مسعود: على الخبير سقطت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أعظم آية في القرآن ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ وأعدل آية في القرآن ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ النحل الآية ٩٠ إلى آخرها وأخوف آية في القرآن ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ الزلزلة الآيتان ٧ ــ ٨ وأرجى آية في القرآن ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ الزمر الآية ٥٣

وأخرج ابن مردوية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا قرأ آخر سورة ." (١)

"أو مضمنة معناه وأما من أسقطها فقد استغنى بما في الباء من معنى السببية ، فإن قيل: الكسب لا يكون باليد بل بالقدرة القائمة بها ؟ أجيب: بأن المراد من لفظ اليد هنا القدرة وإذا كان هذا المجاز مشهورا مستعملا كان لفظ اليد في حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها لله ﷻ عن الأعضاء ، واختلفوا فيما يحصل في الدنيا من الآلام والأسقام والقحط والغرق والمصائب هل هي عقوبات على ذنوب سلفت أولا ، فمنهم من أنكر ذلك لوجوه أولها قوله تعالى: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ (غافر: ١٧)

بين تعالى أن ذلك إنما يحصل يوم القيامة وقال تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ (الفاتحة: ٤)

أي: يوم الجزاء وأجمعوا أن المراد منه يوم القيامة ثانيها: مصائب الدنيا يشترك فيها الزنديق والصديق فيمتنع أن تكون عقوبة على الذنوب بل حصول المصائب للصالحين والمتقين أكثر منه للمذنبين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم «خص البلاء بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل» . ثالثها: أن الدنيا دار تكليف فلو حصل الجزاء

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور الجَلَال السُّيُوطي ٢/٧

فيها لكانت دار تكليف ودار جزاء معا وهو محال ، وقال آخرون: هذه المصائب قد تكون أجزية على ذنوب متقدمة لهذه الآية ، ولما روى الحسن قال: لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم «والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله أكثر» . وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: «ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة الآية ، قال صلى الله عليه وسلم وسأفسرها لك يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله سبحانه وتعالى اكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فإنه أحلم من أن يعود بعد عفوه» وتمسكوا أيضا بقوله تعالى: بعد هذه الآية ﴿أو يوبقهن بما كسبوا﴾ وذلك تصريح بأن ذلك الإهلاك بسبب كسبهم .

قيل لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم ؟ قال: إنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم وقرأ هذه الآية . وأجاب الأولون بأن حصول هذه المصائب يكون من باب الامتحان في التكليف لا من باب العقوبة كما في حق الأنبياء والأولياء بل ذلك لزيادة درجات وفضائل وخصوصيات لا يصلون إليها إلا بها لأن أعمالهم لم تبلغها فهي خير من الله تعالى لهم ، ويحمل قوله تعالى: ﴿فبما كسبت أيديكم﴾ على أن الأصلح عند إتيانكم بذلك الكسب إنزال هذه المصائب عليكم ﴿ويعفو عن كثير﴾ أي: من الذنوب بفضله ورحمته فلا يعاقب عليها ولولا عفوه وتجاوزه ما ترك على ظهرها من دابة قال الواحدي بعد أن روى حديث علي: وهذه أرجى آية في كتاب الله تعالى لأن الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين ؛ صنف: كفر عنهم بالمصائب ، وصنف: عفا عنهم في الدنيا وهو كريم لا يرجع في عفوه ، فهذه سنة الله تعالى مع المؤمنين وأما الكافر: فإنه لا تعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة .

﴿وما أنتم بمعجزين﴾ أي: فائتين ما قضى عليكم من المصائب ﴿في الأرض وما لكم من دون الله﴾ ولا في شيء أراده سبحانه منكم كائنا ما كان ﴿من ولي﴾ أي: يكون متوليا لشيء من أموركم بالاستقلال ﴿ولا نصير﴾ يدفع عنكم شيئا يريده سبحانه بكم .

﴿ومن آياته﴾ أي: الدالة على تمام قدرته واختياره ووحدانيته ﴿الجواري﴾ أي: ." (١)

"عباس رضي الله عنهما: عرفها لهم: طيبها مشتق من العرف وهو الريح الطيبة يقال طعام معرف أي: مطيب . ﴿يأيها الذين آمنوا﴾ أي: أقروا بذلك ﴿إن تنصروا الله﴾ أي: دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ينصركم﴾ أي: على عدوكم فإنه الناصر لا غيره ، من عدد أو عدد . ويثبت أقدامكم أي في القيام بحقوق الإسلام والمجاهده مع الكفار ولما بين تعالى ما لأهل الإيمان بين ما لأهل الكفران بقوله تعالى:

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٥٤٣/٣

﴿والذين كفروا﴾ وهو مبتدأ أي: ستروا ما دل عليه العقل ، وقادت إليه الفطرة الأولى ، وخبره تعسوا يدل عليه قوله تعالى: ﴿فتعسا لهم﴾ أي: هلاكا لهم وخيبة من الله تعالى ، وقال ابن عباس: أي بعدا لهم وقيل التعس الجر على الوجه ، والنكس: الجر على الرأس وقوله تعالى: ﴿وأضل أعمالهم﴾ عطف على تعسوا أي: أبطلها وإن كانت ظاهرة الإتقان ؛ لأجل تضييع الأساس وهو الإيمان . وقوله تعالى:

﴿ذلك﴾ يجوز أن يكون مبتدأ والخبر الجار بعده ، أو خبر مبتدأ مضمر . أي: الأمر ذلك ﴿بأنهم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿كرهوا ما أنزل الله﴾ أي: الملك الأعظم الذي لا نعمة إلا منه من القرآن وما أنزل الله تعالى فيه من التكاليف والأحكام لأنهم قد ألفوا الإهمال وإطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك ، وتعاظمهم والذي أنزله من القرآن وغيره هو روح الوجود الذي لا بقاء بدونه فلما كرهوا الروح الأعظم بطلت أرواحهم فتبعتها أشباحهم وهو معنى قوله تعالى مسببا بيانا لمعنى إضلال أعمالهم ﴿فأحبط﴾ أي: أبطل إبطالا لاصلاح معه ﴿أعمالهم﴾ بسبب: أنهم أفسدوها بنياتهم فصارت وإن كانت صورها صالحة ليس لها أرواح لكونها واقعة على غير ما أمر به الله الذي لا أمر إلا له ، ولا يقبل من العمل إلا ما حده ورسمه ثم خوف الكفار بقوله تعالى:

﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ أي: التي فيها آثار الوقائع ﴿فينظروا كيف كان عاقبة﴾ أي: آخر أمر ﴿الذين من قبلهم دمر الله﴾ أي: أوقع الملك الأعظم الهلاك ﴿عليهم﴾ بما عم أهاليهم وأموالهم ، وكل من رضي أفعالهم أو مقالهم . وعدل عن أن يقول ﴿ولهؤلاء﴾ إلى قوله تعالى ﴿وللكافرين﴾ تعميما وتعليقا للحكم بالوصف وهو العراقة في الكفر ﴿أمثالها﴾ أي: أمثال عاقبة من قبلهم .

﴿ذلك﴾ أي: الأمر العظيم وهو نصر المؤمنين وقهر الكافرين ، ﴿بأن الله﴾ أي: بسبب أن الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال ﴿مولى﴾ أي: ولي وناصر ﴿الذين آمنوا﴾ فهو يفعل معهم بما له من الجلال والجمال ما يفعل القريب بقريبه الحبيب له قال القشيري: ويصح أن يقال: أرجى آية في القرآن هذه الآية ؛ لأن الله تعالى لم يقل إنه هادي العباد وأصحاب الأوراد والاجتهاد بل علق ذلك بالإيمان ﴿وأن الكافرين﴾ أي: العريقين في هذا الوصف [1].

﴿لا مولى لهم﴾ فيدفع العذاب عنهم وهذا لا يخالف قوله تعالى ﴿وردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ (سورة يونس ، آية: ٣٠)

فإن المولى فيه بمعنى المالك ثم ذكر سبحانه وتعالى ما للفريقين بقوله تعالى:

﴿إن الله﴾ أي الذي له جميع الصفات ﴿يدخل الذين آمنوا﴾ أي: أوقعوا التصديق ﴿وعملوا﴾ تصديقا لما ادعوا أنهم أوقعوه ﴿الصالحات﴾ أي: الطاعات ﴿جنات﴾ أي: بساتين عظيمة الشأن موصوفة بأنها ﴿تجري من

تحتها﴾ أي: من تحت قصورها ﴿الأنهار﴾ فهي دائمة النمو والبهجة والنضارة والثمرة ﴿والذين كفروا يتمتعون﴾ أي: في الدنيا بالملاذ ، كما تتمتع الأنعام ." (١)

"وان هربتم من أقطار الأرض كل مهرب يعنى إذا أراد الله ابتلاءكم وعقوبتكم فلا تفوتونه حيثما كنتم ولا تسبقونه ولا تقدرون ان تمنعوه من تعذيبكم وبالفارسية ونيستيد عاجز كنندكان خدايرا از إنفاذ امر يا از عذاب كردن مستحق قال اهل اللغة أعجزته اى صيرته عاجزا وأعجزته فيه سبقته قال فى تفسير المناسبات لما كان من يعاقب بمادون الموت ربما ظن انه عاجز قال وما أنتم اى أجمعون العرب وغيرهم بمعجزين فى الأرض لو أريد محقكم بالكلية ولا فى شىء اراده منكم كائنا ما كان وما لكم اى عند الاجتماع فكيف عند الانفراد من دون الله المحيط بكل شىء عظمة وكبرا وعزة من ولي يكون متوليا لشىء من أموركم بالاستقلال يحميكم من المصائب ولا نصير يدفعها عنكم وهذه الآية الكريمة داعية لكل أحد الى المبادرة عند وقوع المعصية الى محاسبة النفس ليعرف من اين أتى فيبادر الى التوبة عنه لينقذ نفسه من الهلكة وفائدة ذلك وان كان الكل بخلقه وإرادته اظهار الخضوع والتذلل

واستشعار الحاجة والافتقار الى الله الواحد القهار ولولا ورود الشريعة لم يوجد سبيل الى هذه الكمالات البديعة ومثل هذه التنبيهات تستخرج من العبد ما أودع فى طبيعته وركز فى غريزته كغرس وزرع سيق اليه ماء وشمس لاستخراج ما فى طبيعته من المعلومات الالهية والحكم العلية قال الامام الواحدي رحمه الله هذه الآية أرجى آية فى كتاب الله لان الله جعل ذنب المؤمن صنفين صنفا كفر عنهم بالمصائب وصنفاعفا عنه فى الدنيا وهو كريم ولا يرجع فى الآخرة فى عفوه فهذه سنة الله مع المؤمنين واما الكافر فلا يعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة قال بعضهم إذا كسب العبد شيأ من الجرائم فهو من اسباب القهر ويكون محجوبا به فاذا كان أهلا لله تعالى يعاقبه الله فى الدنيا ببعض المصائب ويخرجه من ذلك الحجاب والا فيمهله فى ضلالته والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما أصاب غيرهم من الأنبياء وكمل الأولياء والأطفال والمجانين فلأسباب اخر لا بما كسبت أيديهم لانهم معصومون محفوظون منها التعريض للاجر العظيم بالصبر عليه قال بعضهم شوهد منه عليه السلام كرب عند الموت ليحصل لمن شاهده من اهله ومن غيرهم من المسلمين الثواب لما يلحقهم عليه من المشقة كما قيل بمثل ذلك فى حكمة ما يشاهد من حال الأطفال من الكرب الشديد وفى نوادر الأصول للحكيم الترمذي قدس سره

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٤/٢٥

البلاء على ثلاثة اضرب منها تعجيل عقوبة للعبد كمثل ما نزل بيوسف عليه السلام من لبثه فى السجن بالهم الذي هم به ومن لبثه بعد مضى المدة فى السجن بقوله إذ كرنى عند ربك فانسيه الشيطان ذكر ربه ولبث فى السجن بضع سنين ومنها امتحانه ليبرز ما فى ضميره فيظهر لخلقه درجته اين هو من ربه كمثل ما نزل بأيوب عليه السلام قال تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب ومنها كرامته ليزداد عنده قربة وكرامة كمثل ما نزل بيحيي بن زكريا عليهما السلام ولم يعمل خطيئة قط ولم يهم بها فذبح ذبحا واهدى رأسه الى بغى من بغايا بنى إسرائيل وقد سأل النبي عليه السلام العافية من كل ذلك حيث قال واسأل الله العافية من كل بلية والعافية ان يكون فى كل وجه من هذه الوجوه إذا حل به شيء من ذلك ان لا يكله الى نفسه ولا يخذله اى يكلاءه ويرعاه فى كل من هذه الوجوه هذا ." (١)

"الكفرة الى يوم الدين أفلم يسيروا كفار العرب في الأرض اى أقعدوا فى أماكنهم ولم يسيروا فيها الى جانب الشام واليمن والعراق فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الأمم المكذبة كعاد وثمود وأهل سبأ فان آثار ديارهم تنبيء عن اخبارهم دمر الله عليهم استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم يقال دمره أهلكه ودمر عليه أهلك عليه ما يختص به قال الطيبي كأن فى دمر عليهم تضمين معنى أطبق فعدى بعلى فاذا أطبق عليهم دمارا لم يخلص مما يختص بهم أحد وفى حواشى سعدى المفتى دمر الله عليهم اى أوقع التدمير عليهم وللكافرين اى ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم أمثالها اى أمثال عواقبهم او عقوباتهم لكن لا على ان لهؤلاء أمثال ما لاولئك وأضعافه بل مثله وانما جميع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الأمم المعذبة وفى الآية اشارة الى ان النفوس السائرة لتلحق نعيم صفاتها الذميمة كرهوا ما انزل الله من موجبات مخالفات النفس والهوى وموافقات الشرع ومتابعة الأنبياء فأحبط أعمالهم لشوبها بالشرك والرياء والتصنع والهوى او لم يسلكوا فى ارض البشرية فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من القلوب والأرواح لما تابعوا الهوى وتلوثوا بحب الدنيا أهلكهم الله فى اودية الرياء وبوادي البدعة والضلال وللكافرين من النفوس اللئام فى طلب المرام أمثالها من الضلال والهلاك ذلك اشارة الى ثبوت أمثال عقوبة الأمم السابقة لهؤلاء وقال بعضهم ذلك المذكور من كون المؤمنين منصورين مظفرين ومن كون الكافرين مقهورين مدمرين بأن الله اى بسبب انه تعالى مولى الذين آمنوا اى ناصر لهم على أعدائهم فى الظاهر والباطن بسبب ايمانهم وأن الكافرين اى بسبب انهم لا مولى لهم اى لا ناصر لهم فيدفع عنهم العذاب الحال بسبب كفرهم فالمراد ولاية النصرة لا ولاية العبودية فان الخلق كلهم عباده تعالى كما قال ثم ردوا الى الله مولاهم الحق اى مالكهم الحق وخالقهم او المعنى لا مولى لهم فى اعتقادهم حيث يعبدون الأصنام وان كان مولاهم الحق تعالى فى نفس الأمر ويقال أرجى آية فى القرآن هذه الآية لان الله تعالى قال مولى الذين آمنوا ولم يقل مولى الزهاد والعباد

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٣٢٣/٨

واصحاب الأوراد والاجتهاد والمؤمن وان كان عاصيا فهو من جملة الذين آمنوا ذكره القشيري قدس سره واعلم ان الجند جندان جند الدعاء وجند الوغى فكما ان جند الوغى منصورون بسبب أقويائهم فى باب الديانة والتقوى ولا يكونون محرومين من الطاف الله تعالى كذلك جند الدعاء مستجابون بسبب ضعفائهم فى باب الدنيا وظاهر الحال ولا يكونون مطرودين عن باب الله كما قال عليه السلام انكم تنصرون بضعفائكم (قال الشيخ السعدي) دعاء ضعيفان اميدوار ز بازوى مردى به آيد بكار ثم اعلم ان الله تعالى هو الموجود الحقيقي وماسواه معدوم بالنسبة الى وجوده الواجب فالكفار لا يعبدون الا المعدوم كالاصنام والطاغوت فلذا لا ينصرون والمؤمنون يعبدون الموجود الحقيقي وهو الله تعالى فلذا ينصرهم فى الشدائد وايضا ان الكفار يستندون الى الحصون والسلاح والمؤمنون يتوكلون على القادر القوى الفتاح فالله معينهم على كل ." (١)

"الخلق قدر او منزلة وقابلية فقال فاعلم انه لا اله الا الله تنبيها له ولمن يتبعه من أمته على قدر ما يمكن معرفته من جناب قدسه ويمكن الظفر به وهو مرتبة الالوهية وما وراءها من حضرة الغيب المطلق وغيب الهوية خارج عن طوق الكون إذ ليس وراءها اسم ولا رسم ولا نعت ولا وصف ولا حكم وليس فى قوة الكون المقيد أن يعطى غير ما يقتضيه تقييده فكيف يمكن له ان يدرك حضرة الغيب المطلق وغيب الهوية ولما كان حصول التوحيد الذي هو كمال النفس موجبا للاجابة قال تعالى معلما انه يجب على الإنسان بعد تكميل نفسه السعى فى تكميل غيره ليحصل التعاون على ما خلق العباد له من العبادة واستغفر اى اطلب الغفران من الله لذنبك وهو كل مقام عال ارتفع عليه السلام عنه الى أعلى وما صدر عنه عليه السلام من ترك الاولى وعبر عنه بالذنب نظرا الى منصبه الجليل كيف لاو حسنات الأبرار سيئات المقربين وإرشادا له عليه السلام الى التواضع وهضم النفس واستقصاء العمل وللمؤمنين والمؤمنات اى لذنوب أمتك بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعى غفرانهم لانهم أحق الناس بذلك منك لان ما عملوا من خير كان لك مثل اجره إذ لمكمل الغير مثل اجر ذلك الغير وفى إعادة صلة الاستغفار على اختلاف متعلقيه جنسا وفى حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم فى الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار وهو سؤال المغفرة وطلب الستر اما من إصابة الذنب فيكون حاصله العصمة والحفظ واما من إصابة عقوبة الذنب فيكون حاصله العفو والمحو قال بعضهم للنبى عليه السلام احوال ثلاثة الاول مع الله فلذا قيل وحده والثاني مع نفسه ولذا امر بالاستغفار لذنبه والثالث مع المؤمنين ولذا امر بالاستغفار لهم وهذه أرجى آية فى القرآن فانه لا شك انه عليه السلام ائتمر بهذا الأمر وانه لا شك ان الله تعالى اجابه فيه فانه لو لم يرد اجابته فيه لما امره بذلك

هركرا چون تو پيشوا باشد . . . نااميد از خدا چرا باشد

چون نشان شفاعت كبرى . . . يافت بر نام ناميت طغرا

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٥٠٢/٨

امتان با كناهكاريها . . . بتو دارند اميدواريها

والله يعلم متقلبكم اى مكانكم الذي تتقلبون عليه فى معاشكم ومتاجركم فى الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها وبالفارسية وخداى ميداند جاى رفتن وكرديدن شما در دنيا كه چون ميكرديد از حال بحال ومثواكم فى العقبى فانها موطن اقامتكم وبالفارسية وآرامكاه شما در عقبى بهشت است يا دوزخ فلا يأمركم الا بما هو خير لكم فى الدنيا والآخرة فبادروا الى الامتثال بما أمركم به فانه المهم لكم فى المقامين قال فى بحر العلوم الخطاب فى قوله فاعلم واستغفر للنبى عليه السلام وهو الظاهر او لكل من يتأنى منه العلم والاستغفار من أهل الايمان وينصره الخطاب بلفظ الجمع فى قوله والله يعلم متقلبكم ومثواكم انتهى (وفى كشف الاسرار) يعنى يا محمد آنچه بنظر واستدلال دانسته از توحيد ما بخير نيز بدان ويقين باش كه الله تعالى يكانه ويكتاست در ذات وصفات ودر حقايق سلمى آورده كه چون عالمى را كويند اعلم مراد بان ذكر باشد يعنى ياد كن آنچه دانسته وقال ابو الحسين النوري قدس سره والعلم الذي دعى اليه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم هو علم الحروف وعلم الحروف فى لام ألف وعلم لام ألف فى الألف وعلم الألف ." (١)

"﴿ذالك﴾ إشارة إلى ثبوت أمثال عقوبة الأمم السابقة لهؤلاء .

وقال بعضهم : ذلك المذكور من كون المؤمنين منصورين مظفرين ومن كون الكافرين مقهورين مدمرين .

﴿بأن الله﴾ ؛ أي : بسبب أنه تعالى : ﴿مولى الذين ءامنوا﴾ ؛ أي : ناصر لهم على أعدائهم في الظاهر والباطن بسبب إيمانهم ﴿وأن الكافرين﴾ ؛ أي : بسبب أنهم ﴿لا مولى لهم﴾ ؛ أي : لا ناصر لهم ، فيدفع عنهم العذاب الحال بسبب كفرهم ، فالمراد ولاية النصرة لا ولاية العبودية ، فإن الخلق كلهم عباده تعالى ، كما قال : ﴿ثم ردوا إلى الله مولىاهم الحق﴾ ( ) ؛ أي : مالكهم الحق وخالقهم ، أو المعنى لا مولى لهم في اعتقادهم حيث يعبدون الأصنام ، وإن كان مولاهم الحق تعالى في نفس الأمر ، ويقال : أرجى آية في القرآن هذه الآية ؛ لأن الله تعالى ، قال : مولى الذين آمنوا ، ولم يقل مولى الزهاد والعباد وأصحاب الأوراد والاجتهاد ، والمؤمن ، وإن كان عاصيا ، فهو من جملة الذين آمنوا .

ذكره القشيري قدس سره .

واعلم أن الجند جندان جند الدعاء وجند الوغى ، فكما أن جند الوغى منصورون بسبب أقويائهم في باب الديانة والتقوى ، ولا يكونون محرومين من ألطاف الله تعالى ، كذلك جند الدعاء مستجابون بسبب ضعفائهم في باب الدنيا ، وظاهر الحال ، ولا يكونون مطرودين عن باب الله ، كما قال عليه السلام : "إنكم تنصرون

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٥١١/٨

بضعفائكم" .

قال الشيخ سعدي : (دعاء ضعيفان أميدوار .

زبازوى مردى به آيد بكار) .

ثم اعلم أن الله تعالى هو الموجود الحقيقي ، وما سواه معدوم بالنسبة إلى وجوده الواجب ، فالكفار لا يعبدون إلا المعدوم كالأصنام والطاغوت ، فلذا لا ينصرون ، والمؤمنون يعبدون الموجود الحقيقي ، وهو الله تعالى ، فلذا ينصرهم في الشدائد ، وأيضا إن الكفار يستندون إلى الحصون والسلاح والمؤمنون يتوكلون على القادر القوي الفتاح ، فالله معينهم على كل

٥٠٢

حال .

روي : أن النبي عليه السلام كان بعد غزوة تحت شجرة وحيدا ، فحمل عليه مشرك بسيف ، وقال : من يخلصك مني ، فقال النبي عليه السلام : "الله" ، فسقط المشرك والسيف ، فأخذه النبي عليه السلام ، فقال : "من يخلصك مني" ؟ فقال : لا أحد ، ثم أسلم" .

وروي : أن زيد بن ثابت رضي الله عنه خرج مع رجل من مكة إلى الطائف ، ولم يعلم أنه منافق ، فدخلا خربة وناما ، فأوثق المنافق يد زيد وأراد قتله ، فقال زيد : يا رحمن أعني ، فسمع المنافق قائلا ، يقول : ويحك لا تقتله ، فخرج المنافق ، ولم ير أحدا ، ثم وثم ، ففي الثالثة قتله فارس ، ثم حل وثاقه .

وقال : أنا جبريل كنت في السماء السابعة حين دعوت الله فقال الله تعالى : أدرك عبدي فالله ولي الذين آمنوا قال الله تعالى في التوراة في حق هذه الأمة لا يحضرون قتالا إلا وجبريل معهم ، وهو يدل على أن جبريل يحضر كل قتال صدر من الصحابة للكفار ، بل ظاهره كل قتال صدر من جميع الأمة ، يعني إذا كانوا على الحق والعدل ، ثم إن المجلس الذي تحضره الملائكة ، وكذا المعركة يقشعر فيه الجلد ، وتذرف فيه العينان ، ويحصل التوجه إلى الحضرة العليا ، فيكون ذلك سببا لاستجابة الدعاء ، وحصول المقصود من النصرة وغيرها .

نسأل الله المعين أن يجعلنا من المنصورين آمين .

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤٩٦

﴿وقال الذين كفروا للذين ءامنوا لو كان خيرا ما سبقونآ إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هاذآ إفك قديم * ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمةا وهاذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين * إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ .

﴿إن الله يدخل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار﴾ بيان لحكم ولايته تعالى للمؤمنين وثمرتها الأخروية .

﴿والذين كفروا يتمتعون﴾ ؛ أي : ينتفعون في الدنيا بمتاعها أياما قلائل ويعيشون ﴿ويأكلون﴾ حريصين غافلين

عن عواقبهم ﴿كما تأكل الانعام﴾ في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح والأنعام . جمع نعم بفتحتين ، وهي الإبل والبقر والضأن والمعز .

﴿والنار مثوى لهم﴾ ؛ أي : منزل ثواء وإقامة ، والجملة إما حال مقدرة من واو يأكلون أو استئناف ، فإن قلت : كيف التقابل بينه وبين قوله : إن الله يدخل ، إلخ .

قلت : الآية والله أعلم من قبيل الاحتباك ذكر الأعمال الصالحة ، ودخول الجنة أولا دليلا على حذف الفاسدة ودخول النار ثانيا ، والتمتع والمثوى ثانيا ، دليلا على حذف التمتع والمأوى أولا .

." (١)

"الخلق قدرا أو منزلة ، وقابلية ، فقال : فاعلم أنه لا إله إلا الله تنبيها له ، ولمن يتبعه من أمته على قدر ما يمكن معرفته من جناب قدسه ، ويمكن الظفر به ، وهو مرتبة الألوهية وما وراءها من حضرة الغيب المطلق وغيب الهوية خارج عن طوق الكون إذ ليس وراءها اسم ولا رسم ولا نعت ولا وصف ولا حكم ، وليس في قوة الكون المقيد أن يعطي غير ما يقتضيه تقييده ، فكيف يمكن له أن يدرك حضرة الغيب المطلق ، وغيب الهوية ، ولما كان حصول التوحيد الذي هو كمال النفس موجبا للإجابة .

قال تعالى معلما أنه يجب على الإنسان بعد تكميل نفسه السعي في تكميل غيره ، ليحصل التعاون على ما خلق العباد له من العبادة .

﴿واستغفر﴾ ؛ أي : اطلب الغفران من الله ﴿لذنابك﴾ ، وهو كل مقام عالل ارتفع عليه السلام عنه إلى أعلى وما صدر عنه عليه السلام من ترك الأولى ، وعبر عنه بالذنب نظرا إلى منصبه الجليل ، كيف لا وحسنات الأبرار سيئات المقربين ، وإرشادا له عليه السلام إلى التواضع وهضم النفس واستقصاء العمل ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ ؛ أي : لذنوب أمتك بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعي غفرانهم ؛ لأنهم أحق الناس بذلك منك ؛ لأن ما عملوا من خير كان لك مثل أجره إذ لمكمل الغير مثل أجر ذلك الغير ، وفي إعادة صلة الاستغفار على اختلاف متعلقيه جنسا .

وفي حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه إشعار بعراقتهم في الذنب وفرط افتقارهم إلى الاستغفار ، وهو سؤال المغفرة وطلب الستر ، إما من إصابة الذنب ، فيكون حاصله العصمة والحفظ ، وإما من إصابة عقوبة الذنب ، فيكون حاصله العفو والمحو .

قال بعضهم للنبي عليه السلام أحوال ثلاثة :

الأول : مع الله ، فلذا قيل وحده .

والثاني : مع نفسه ولذا أمر بالاستغفار لذنبه .

---

(١) روح البيان ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٣٩١/٨

والثالث : مع المؤمنين ولذا أمر بالاستغفار لهم ، وهذه أرجى آية في القرآن ، فإنه لا شك أنه عليه السلام ائتمر بهذا الأمر وأنه لا شك أن الله تعالى أجابه فيه ، فإنه لو لم يرد إجابته فيه لما أمره بذلك :

هركرا جون توبيشوا باشد

نا اميد ازخدا جراباشد

جون نشان شفاعت كبرى

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤٩٦

يافت برنامناميت طغرا

امتان با كناهكا ريها

بتودارند اميد واريها

﴿والله يعلم متقلبكم﴾ ؛ أي : مكانكم الذي تتقلبون عليه في معاشكم ومتاجركم في الدنيا ، فإنها مراحل لا بد من قطعها .

وبالفارسية : (وخداى ميداند جاى رفتن وكرديدن شمادر دنيا كه جون ميكرديد از حال بحال) .

﴿ومثواكم﴾ في العقبى ، فإنها موطن إقامتكم .

وبالفارسية : (وآرامكاه شمادر عقبى بهشت است يا دوزخ) .

فلا يأمركم إلا بما هو خير لكم في الدنيا والآخرة ، فبادروا إلى الامتثال بما أمركم به ، فإنه المهم لكم في المقامين .

قال في "بحر العلوم" : الخطاب في قوله : فاعلم واستغفر للنبي عليه السلام ، وهو الظاهر ، أو لكل من يتأتى منه العلم والاستغفار من أهل الإيمان وينصره الخطاب بلفظ الجمع في قوله : ﴿والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ .

انتهى .

وفي "كشف الأسرار" : يعني : (يا محمد آنجه بنظر واستدلال دانسته از توحيد ما بخير نيز بدان ويقين باش كه الله تعالى يكانه ويكتاست درذات وصفات ودر حقايق سلمى أورده كه جون عالمى را كويند اعلم مرادبان ذكر باشد يعني يادكن آنجه دانسته) .

وقال أبو الحسين النوري قدس سره : والعلم الذي دعي إليه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم هو علم الحروف وعلم الحروف في لام ألف وعلم لام ألف في الألف وعلم الألف

٥١١

في النقطة وعلم النقطة في المعرفة الأصلية ، وعلم المعرفة الأصلية ، في علم الأول وعلم الأول في المشيئة ، وعلم المشيئة في غيب الهوية ، وهو الذي دعاه إليه ، فقال : فاعلم ، فالهاء راجع إلى غيب الهوية .

انتهى .

(اكر كسى كويد ابراهيم خليل را عليه السلام كفتند اسلم جواب دادكه اسلمت مصطفى حبيب را كفتند فاعلم نكفت علمت جواب آنست كه خليل رونده بود درراه كه انى ذاهب إلى ربى در وادى تفرقت مانده لا جرم جوابش خود بايست داد وحبيب ربوده حق بوددر نقطه جمع نواخته اسرى بعبده حق اورا بخود باز نكذاشت از بهر او جواب دادكه آمن الرسول) .

والإيمان هو العلم وإخبار الحق تعالى عنه أنه آمن وعلم أتم من إخباره بنفسه علمت قوله ، واستغفر لذنبك ؛ أي : إذا علمت أنك علمت فاستغفر لذنبك هذا ، فإن الحق على جلال قدره لا يعلمه غيره :

تراكه داندكه تراتو دانى تو

تراندانكس تراتو دانى كس

(١) ".

"وعن علي .كرم الله وجهه . : هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن ؛ لأن الكريم إذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا ، وإذا عفا لا يعود . هـ . وقد تقدم حديثا . قال في الحاشية الفاسية : قلت : وإنما يعفو في الدنيا عما يشاء ، ويؤخر عقوبة من شاء إلى الآخرة ، فلا يلزم إبطال وعيد الآخرة . ثم الآية إما خاصة بالحدود ، أو بالمجرم المذنب ، وأما من لا ذنب له فما يصيبه من البلاء اجتباء ، وتخصيص ، لا تمحيص . هـ .

قلت : لكل مقام ذنب ، حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فالتمحيص جار في كل مقام ، وراجع ما تقدم عند قوله : ﴿لقد تاب الله على النبي . . .﴾ [التوبة : ١١٧] وسيأتي عند قوله : ﴿واستغفر لذنبك . . .﴾ [محمد : ١٩] ما يبين هذا . والله أعلم .

﴿

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٧٩

وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾ أي : ما أنتم بفائتين ما قضي عليكم من المصائب ، وإن هجرتم في أقطارها كل مهرب ، ﴿وما لكم من دون الله من ولي﴾ متول يحميكم منها ﴿ولا نصير﴾ يدفعها عنكم ، أو يدفع عذابه إن حل . الإشارة : إذا كان العبد عند الله في عين العناية أدبه في الدنيا ، ويبقى في حال قربه ، وإذا كان عنده في عين الإهمال ؛ أمهل عقوبته إلى دار البقاء ، وربما استدرجه بالنعم في

٣٨٠

حال إساءته ، والعياذ بالله من مكره . وإذا علم العبد أن ما يصيبه في هذه الدار من الأكدار كلها تخليص وتمحيص ؛ لم يستوحش منها ، بل يفرح بها ؛ إذ هي علامة العناية ، وإذا كانت على أيدي الناس ، لم

---

(١) روح البيان ط إحياء التراث إسماعيل حقي ٣٩٨/٨

يقابلهم بالانتصار ، بل يعفو ويصفح ؛ لعلمه أن ذلك زيارة وترقية . وقوله تعالى : ﴿ويعفو عن كثير﴾ هذا . والله أعلم . في حق العامة ، وأما الخاصة ؛ فيشدد عليهم المحاسبة والتأديب ؛ ليرفع مقامهم ، ويكرم مثواهم .

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٧٩

(١) ".

"وقوله تعالى : ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا . . .﴾ الخ ، قال القشيري : المولى : المحب ، فهو محب الذين آمنوا ، والكافرين لا يحبهم ، ويصح أن يقال : أرجى آية في القرآن هذه الآية ، لم يقل مولى الزهاد والعباد وأصحاب الأوراد والاجتهاد : بل قال : ﴿مولى الذين آمنوا﴾ والمؤمن وإن كان عاصيا فهو من جملتهم . هـ . والمحبة تتفاوت بقدر زيادة الإيمان والإيقان حتى يصير محبوبا مقربا .

قوله تعالى : ﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾ وكذلك الغافل ، فالأنعام تأكل بلا تمييز ، من أي موضع وجدت ، كذلك الجاهل ، لا تمييز له من الحلال أو من الحرام ، والأنعام ليس لها وقت لأكلها ، بل تأكل في كل وقت ، وكذلك الغافل والكافر . فقد ورد " أن الكفار يأكل في سبعة أمعاء ، والمؤمن يجتزئ بما تيسر " ، كما في الخبر : " ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن " والأنعام تأكل على الغفلة ، فمن كان في أكله ناسيا لربه ، فأكله كأكل الأنعام . انظر القشيري .

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١١١

قلت : ﴿كأين﴾ : كلمة مركبة من الكاف و " أي " ، بمعنى كم الخبرية ، ومحلها : الرفع بالابتداء ، وقوله : ﴿هي أشد﴾ : نعت لقرية ، و ﴿أهلكناهم﴾ : خبر ، وحذف المضاف ، أي : أهل قرية ، بدليل " أهكناهم " .

يقول الحق جل جلاله : ﴿وكأين من قرية﴾ أي : كثير من أهل قرية ﴿هي أشد قوة من قريتك﴾ مكة ، ﴿التي أخرجتك﴾ أي : تسببوا في خروجك ، أي : وكم من قوم هم

١١٣

أشد قوة من قومك الذين أخرجوك ، ﴿أهلكناهم﴾ بأنواع العذاب ، ﴿فلا ناصر لهم﴾ فلم يكن لهم من ينصرهم ويدفع العذاب عنهم ، فأنتم يا معشر قريش أهون منهم ، وأولى بنزول ما حجل بهم .

(٢) ".

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ط العلمية ابن عجيبة ٦/٥٦٨

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ط العلمية ابن عجيبة ٧/١٥٧

"يقول الحق جل جلاله: وما أصابكم من مصيبة غم ، أو ألم ، أو مكروه فبما «١» كسبت أيديكم أي: بجناية كسبتموها ، عقوبة لكم . ومن قرأ بالفاء ف «ما» شرطية . ومن قرأ بغيرها فموصلة . وتعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ ، ومعناه عندهم: أن أرواح المتقدمين حين تموت أشباحها تنتقل إلى أشباح أخر ، فإن كانت صالحة انتقلت إلى جسم صالح وإن كانت خبيثة انتقلت إلى جسم خبيث ، وهو باطل وكفر . ووجه التعلق: أنه لو لم يكن للأطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا . ويجاب: بأن تألم الأطفال إما زيارة في درجات آبائهم إن عاشوا ، أو في درجاتهم إن ماتوا لأنهم يلحقون بآبائهم في الدرجة ، ولا عمل لهم إلا هذا التألم . والله أعلم .

والآية مخصوصة بالمكلفين بدليل السياق ، وهو قوله: ويعفوا عن كثير أي: من الذنوب فلا يعاقب عليها ، أو: عن كثير من الناس ، فلا يعاجلهم بالعقوبة . وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: «والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة ، وما عفا عنه فالله أحلم من أن يعود فيه بعد عفوه» «٢» وقال ابن عطاء: من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه ، وأن ما عفا عنه مولاه أكثر ، كان قليل النظر في إحسان ربه إليه . وقال محمد بن حامد: العبد ملازم للجنايات في كل أوان ، وجناياته في طاعته أكثر من جناياته في معاصيه لأن جناية المعصية من وجه ، وجناية الطاعة من وجوه ، والله يطهر العبد من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ، ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة .

وعن علي- كرم الله وجهه-: هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن لأن الكريم إذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا ، وإذا عفا لا يعود . هـ . وقد تقدم حديثا . قال في الحاشية الفاسية: قلت: وإنما يعفو في الدنيا عما يشاء ، ويؤخر عقوبة من شاء إلى الآخرة ، فلا يلزم إبطال وعيد الآخرة . ثم الآية إما خاصة بالحدود ، أو بالمجرم المذنب ، وأما من لا ذنب له فما يصيبه من البلاء اجتباء وتخصيص ، لا تمحيص . هـ .

قلت: لكل مقام ذنب ، حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فالتمحيص جار في كل مقام ، وراجع ما تقدم عند قوله: لقد تاب الله على النبي . . . «٣» وسيأتي عند قوله: واستغفر لذنبك . . «٤» ما يبين هذا . والله أعلم

---

(١) قرأ نافع ، وابن عامر ، وأبو جعفر (بما) بغير فاء ، على جعل (ما) في ما أصابكم موصولة ، مبتدأ ، و (بما كسبت) خبر ، وعلى جعلها شرطية ، تكون الفاء محذوفة ، نحو قوله تعالى: وإن أطعتموهم إنكم . . . - الآية ١٢١ من سورة الأنعام . وقرأ الباقون (فبما كسبت) . ف (ما) شرطية ، أي: فهي بما كسبت ، أو موصولة ، والفاء تدخل في حيز الموصول إذا أجرى مجرى الشرط . انظر:
الحجة للفارسي ، (٦/ ١٢٩) والإتحاف (٢/ ٤٥٠) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٨٥) والحاكم (٤/ ٣٨٨) وزاد السيوطي عزوه في الدر المنثور (٥/ ٧٠٥) لابن راهويه ، وابن منيع ، وعبد بن حميد ، والحكيم الترمذي ، وأبي يعلى ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم

، وابن مردويه ، عن سيدنا علي– كرم الله وجهه– .

(٣) من الآية ١١٧ من سورة التوبة .

(٤) من الآية ١٩ من سورة سيدنا محمد . ." (١)

"الإشارة: تفكر الاعتبار يكون في أربعة ، الأول: في سرعة ذهاب الدنيا وانقراضها ، كأضغاث أحلام ، وكيف غرت من انتشب بها ، وأخذته في شبكتها ، حتى قدم على الله بلا زاد ، وكيف دمر الله على أهل الطغيان ، واستأصل شأفتهم ، فينتج ذلك التشمير والتأهب ليوم الجزاء . الثاني: في دوام دار البقاء ، ودوام نعيمها ، فينتهز الفرصة في العمل الصالح . الثالث: في النعم التي أنعم الله بها على عباده ، الدنيوية والأخروية ، الحسية والمعنوية ، قال تعالى: وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها «١» فينتج ذلك الشكر ، لتدوم عليه . الرابع: في نصب هذه العوالم ، على ما هي عليه من الإبداع والإتقان ، فيثمر ذلك معرفة الصانع ، وباهر قدرته وحكمته .

وقوله تعالى: ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا . . . الخ ، قال القشيري: المولى: المحب ، فهو محب الذين آمنوا ، والكافرين لا يحبهم ، ويصح أن يقال: أرجى آية في القرآن هذه الآية ، لم يقل مولى الزهاد والعباد وأصحاب الأوراد والاجتهاد بل قال: مولى الذين آمنوا ، والمؤمن وإن كان عاصيا فهو من جملتهم . هـ– والمحبة تتفاوت بقدر زيادة الإيمان والإيقان حتى يصير محبوبا مقربا .

قوله تعالى: والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ، وكذلك الغافل ، فالأنعام تأكل بلا تمييز ، من أي موضع وجدت ، كذلك الجاهل ، لا تمييز له من الحلال أو من الحرام ، والأنعام ليس لها وقت لأكلها ، بل تأكل في كل وقت ، وكذلك الغافل والكافر . فقد ورد «أن الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، والمؤمن يجتزئ بما تيسر» «٢» ، كما في الخبر: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن» «٣» . والأنعام تأكل على الغفلة ، فمن كان في أكله ناسيا لربه ، فأكله كأكل الأنعام . انظر القشيري .

ولما أمرهم بالنظر فلم يفعلوا ، هددهم بالهلاك ، فقال:

[سورة محمد (٤٧) : الآيات ١٣ الى ١٤]

وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم (١٣) أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم (١٤)

---

(١) من الآية ٣٤ من سورة إبراهيم .

(٢) ورد بلفظ «إن المؤمن يأكل فى معى واحد ، وإن الكافر يأكل في سبعة أمعاء» ، الحديث أخرجه البخاري فى (الأطعمة ، باب المؤمن يأكل فى معى واحد ، ح ٥٣٩٣) ومسلم فى (الأشربة باب المؤمن يأكل فى معى

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٢٢٠

واحد رقم ٢٠٦١ ، ح ١٨٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنه .
(٣) بعض حديث أخرجه الترمذي فى (الزهد ، باب ما جاء فى كراهية كثرة الأكل ، ح ٢٣٨٠) وقال: «حديث صحيح» وابن ماجه فى (الأطعمة ، باب الاقتصاد فى الأكل وكراهة الشبع ، ح ٣٣٤٩) والنسائى فى الكبرى (آداب الأكل ، باب ذكر القدر الذي يستحب للإنسان من الأكل ح ٦٧٦٨) والحاكم (٤/ ١٢١) «وصححه الذهبي» من حديث مقدام بن معدى كرب . ." (١)

"لهم من الله وامتحان لما عندهم من الشكر أو الكفر قد قالها الذين من قبلهم أي: قال هذه الكلمة التي قالوها وهي قولهم: إنما أوتيته على علم الذين من قبلهم كقارون وغيره ، فإن قارون قال: إنما أوتيته على علم عندي «١» فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون يجوز أن تكون ما هذه نافية ، أي: لم يغن عنهم ما كسبوا من متاع الدنيا شيئا ، وأن تكون استفهامية ، أي: أي شيء أغنى عنهم ذلك فأصابهم سيئات ما كسبوا أي: جزاء سيئات كسبهم ، أو أصابهم سيئات هي جزاء كسبهم ، وسمي الجزاء سيئات لوقوعها في مقابلة سيئاتهم ، فيكون ذلك من باب المشاكلة كقوله: وجزاء سيئة سيئة مثلها «٢» ، ثم أوعد سبحانه الكفار في عصره فقال: والذين ظلموا من هؤلاء الموجودين من الكفار سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما أصاب من قبلهم ، وقد أصابهم في الدنيا ما أصابهم من القحط والقتل والأسر والقهر وما هم بمعجزين أي: بفائتين على الله بل مرجعهم إليه يصنع بهم ما شاء من العقوبة أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء أي: يوسع الرزق لمن يشاء أن يوسعه له ويقدر أي: يقبضه لمن يشاء أن يقبضه ويضيقه عليه .
قال مقاتل: وعظهم الله ليعتبروا في توحيده ، وذلك حين مطروا بعد سبع سنين ، فقال: أو لم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء ويقتر على من يشاء إن في ذلك لآيات أي: في ذلك المذكور لدلالات عظيمة وعلامات جليلة لقوم يؤمنون وخص المؤمنين لأنهم المنتفعون بالآيات المتفكرون فيها . ثم لما ذكر سبحانه ما ذكره من الوعيد عقبه بذكر سعة رحمته وعظيم مغفرته وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يبشرهم بذلك فقال: قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله المراد بالإسراف: الإفراط في المعاصي ، والاستكثار منها ، ومعنى لا تقنطوا: لا تيأسوا من رحمة الله: من مغفرته . ثم لما نهاهم عن القنوط أخرهم بما يدفع ذلك ويرفعه ويجعل الرجاء مكان القنوط فقال: إن الله يغفر الذنوب جميعا .
واعلم أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله سبحانه لاشتمالها على أعظم بشارة ، فإنه أولا أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم ، ومزيد تبشيرهم ، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي ، والاستكثار من الذنوب ، ثم عقب

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٦١/٥

ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب ، فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولى ، وبفحوى الخطاب ، ثم جاء بما لا يبقي بعده شك ولا يتخالج القلب عند سماعه ظن ، فقال: إن الله يغفر الذنوب فالألف واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أفراده ، فهو في قوة: إن الله يغفر كل ذنب كائنا ما كان ، إلا ما أخرجه النص القرآني وهو الشرك إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء «٣» ثم لم يكتف بما أخبر عباده من مغفرة كل ذنب ، بل أكد ذلك بقوله: جميعا فيا لها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم الصادقين في رجائه . الخالعين لثياب القنوط الرافضين لسوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب ، ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده المتوجهين إليه في طلب العفو الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم وما أحسن ما علل سبحانه به هذا الكلام قائلا إنه هو الغفور الرحيم . أي: كثير المغفرة والرحمة عظيمهما بليغهما واسعهما ، فمن

---

(١) . القصص: ٧٨ .

(٢) . الشورى: ٤٠ .

(٣) . النساء: ٤٨ . ." (١)

"مذهب أهل السنة ، فإن كان يقول بقول المعتزلة وهو أن القدرة تتعلق بما لم يشأ الله مشى كلامه ، ولكنه مذهب رديء لا يجوز اعتقاده وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم أي: وما أصابكم من المصائب كائنة ما كانت فبسبب ما كسبت أيديكم من المعاصي . قرأ نافع ، وابن عامر «بما كسبت» بغير فاء ، وقرأ الباقون بالفاء ، وما في أصابكم هي الشرطية ، ولهذا دخلت الفاء في جوابها على قراءة الجمهور ، ولا يجوز حذفها عند سيبويه والجمهور ، وجوز الأخفش الحذف كما في قوله: وإن أطعتموهم إنكم لمشركون «١» وقول الشاعر:

من يفعل الحسنات الله يشكرها . . . والشر بالشر عند الله مثلان

وقيل: هي الموصولة ، فيكون الحذف والإثبات جائزين ، والأول أولى . قال الزجاج: إثبات الفاء أجود لأن الفاء مجازاة جواب الشرط ، ومن حذف الفاء فعلى أن: ما ، في معنى: الذي ، والمعنى: الذي أصابكم وقع بما كسبت أيديكم . قال الحسن: المصيبة هنا الحدود على المعاصي ، والأولى الحمل على العموم كما يفيده وقوع النكرة في سياق النفي ، ودخول من الاستغراقية عليها ويعفوا عن كثير من المعاصي التي يفعلها العباد فلا يعاقب عليها ، فمعنى الآية: أنه يكفر عن العبد بما يصيبه من المصائب ، ويعفو عن كثير من الذنوب .

وقد ثبتت الأدلة الصحيحة أن جميع ما يصاب به الإنسان في الدنيا يؤجر عليه ، أو يكفر عنه من ذنوبه .

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٥٣٨/٤

وقيل:

هذه الآية مختصة بالكافرين على معنى: أن ما يصابون به بسبب ذنوبهم من غير أن يكون ذلك مكفرا عنهم لذنب ولا محصلا لثواب ، ويترك عقوبتهم عن كثير من ذنوبهم فلا يعاجلهم في الدنيا بل يمهلهم إلى الدار الآخرة . والأولى حمل الآية على العموم ، والعفو يصدق على تأخير العقوبة كما يصدق على محو الذنب ورفع الخطاب به . قال الواحدي: وهذه أرجى آية في كتاب الله لأنه جعل ذنوب المؤمنين صنفين: صنف كفره عنهم بالمصائب ، وصنف عفا عنه في الدنيا ، وهو كريم لا يرجع في عفوه ، فهذه سنة الله مع المؤمنين . وأما الكافر فإنه لا يعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وما أنتم بمعجزين في الأرض أي: بفائتين عليه هربا في الأرض ولا في السماء لو كانوا فيها بل ما قضاه عليهم من المصائب واقع عليهم نازل بهم وما لكم من دون الله من ولي يواليكم فيمنع عنكم ما قضاه الله ولا نصير ينصركم من عذاب الله في الدنيا ولا في الآخرة . ثم ذكر سبحانه آية أخرى من آياته العظيمة الدالة على توحيده وصدق ما وعد به فقال:

ومن آياته الجوار قرأ نافع ، وأبو عمرو «الجواري» بإثبات الياء في الوصل ، وأما في الوقف فإثباتها على الأصل وحذفها للتخفيف ، وهي السفن واحدتها جارية ، أي: سائرة في البحر كالأعلام أي:

الجبال جمع علم وهو الجبل ، ومنه قول الخنساء:

وإن صخرا لتأتم الهداة به . . . كأنه علم في رأسه نار

قال الخليل: كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم . وقال مجاهد: الأعلام القصور واحدها علم

---

(١) . الأنعام: ١٢١ . ." (١)

" لافاضة وجوداتها عليها بمقتضى الحكمة فيمكن أن يقال : إن المفاتح بمعنى الخزائن إشارة إلى تلك الماهيات الأزلية التي هي كالمرايا لما غاب عنا من الصور وتلك حاضرة عنده تعالى أزلا ولا يعلمها علما حضوريا غير محتاج إلى صورة ظلية إلا هو جل وعلا وهذا ظاهر لمن أخذت العناية بيده ويعلم ما في البر أي بر النفوس

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٤/٦١٧

من ألوان الشهوات ومراتبها والبحر أي بحر القلوب من لآلِيء الحكم ومرجان العرفان وما تسقط من ورقة من أوراق أشجار اللطف والقهر في مهيع النفس وخصم القلب إلا يعلمها في سائر أحوالها ولا حبة من بذر الجلال والجمال في ظلمات الأرض وهو عالم الطبائع والاشباح ولا رطب من الالهامات التي ترد على القلب بلطف من غير انزعاج ولا يلبس من الوساوس والخطرات التي تفزع منها النفس حين ترد عليها إلا في كتاب مبين وهو علمه سبحانه الجامع وبعضهم لم يؤول شيئا من المذكورات وفسر الكتاب بسماء الدنيا لتعين هذه الجزئيات فيها ويمكن أن يقال إن الكتاب إشارة إلى ماهيات الأشياء وهي المسمات بالاعيان الثابتة ومعنى كونها فيها ما أشرنا اليه أن تلك الأعيان كالمرايا لهذه الموجودات الخارجية وهو الذي يتوفاكم بالليل أي ينيمكم وقيل : يتوفاكم بطيران أرواحكم في الملكوت وسيرها في رياض حضرات اللاهوت

وقيل : يمكن أن يكون المعنى وهو الذي يضيق عليكم إلى حيث يكاد تزهق أرواحكم في ليل القهر وتجلي الجلال ويعلم ما جرحتم أي كسبتم بالنهار من الأعمال مطلقا وقيل من الأعمال الشاقة على النفس المؤلمة لها كالطاعات

وقيل : يحتمل أن يكون المعنى ويعلم ما كسبتموه بنهار التجلي الجمالي من الانس أو شوارد العرفان ثم يبعثكم فيه أي فيما جرحتم من صور أعمالكم ومكاسبكم الحسنة والقبيحة وقيل الحسنة وقيل فيما كسبتموه في نهار التجلي وأول الأقوال هنا وفيما تقدم أولى ليقضي أجل مسمى أي معين عنده ثم إلى ربكم ترجعون في عين الجمع المطلق فينبئكم بما كنتم تعملون باظهار صور أعمالكم عليكم وجزائكم بها وهو القاهر فوق عباده لأنه الوجود المطلق حتى عن قيد الاطلاق وله الظهور حسبما تقتضيه الحكمة ولا تقيده المظاهر والله من ورائهم محيط

ويرسل عليكم حفظة وهي للقوى التي ينطبع فيها الخير والشر ويصير أو ملكه ويظهر عند انسلاخ الروح ويتمثل بصورة مناسبة أو القوى السماوية التي تنتقش فيها الصور الجزئية ولا تغادر صغيرة ولا كبيرة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا قيل : هم نفس أولئك الحفظة وقد أودع الله تعالى فيهم القدرة على التوفي ثم ردوا إلى الله في عين الجمع المطلق مولاهم أي مالكهم الذي يلي سائر أحوالهم إذ لا وجود لها إلا به الحق وكل ما سواه باطل وذكر بعض أهل الاشارة أن هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى بناء على أن الله تعالى أخبر برجوع العبد اليه سبحانه وخروجه من سجن الدنيا وأيدي الكاتبين واصفا نفسه له بأنه مولاه الحق المشعر بأن غيره سبحانه لا يعد مولى حقا ولاشك أنه لا أعز للعبد من أن يكون مرده إلى مولاه ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين إذ ظهور الأعمال بالصور المناسبة آن مفارقة الروح للجسد

قل من ينجيكم من ظلمات البر وهي الغواشي النفسانية والبحر وهي حجب صفات القلب تدعونه إلى كشفها تضرعا في نفوسكم وخفية في اسراركم لئن أنجيتنا من هذه الغواشي والحجب لنكونن من الشاكرين بنعمة الانجاء بالاستقامة والتمكين قل الله ينجيكم منها بانوار تجليات صفاته ومن كل كرب سوى ذلك بأن ." (١)

" في العفو ومحال عندهم أن يكون العفو هنا مقيدا بالتوبة فإنه يلزم تبعيضها أيضا وهي عندهم لا تتبعض كما نقل الأمام عن أبي هاشم وهو رأس الأعتزال والذي تولى كبره منهم فلا محل لها إلا الحق الذي لا مرية فيه وهو رد العفو إلى مشيئة الله تعالى غير موقوف على التوبة وأجيب عنهم بأن لهم أن يقولوا : المراد ويعفو عن كثير فلا يعاقب عليه في الدنيا بل يؤخر عقوبته في الآخرة لمن لم يتب وأنت تعلم ما دل خبر علي كرم الله تعالى وجهه

وما أنتم بمعجزين في الأرض أي بجاعلين الله سبحانه وتعالى عاجزا أن يصيبكم بالمصائب بما كسبت أيديكم وإن هربتم في أقطار الأرض كل مهرب وقيل : المراد إنكم لا تعجزون من في الأرض من جنوده تعالى فكيف من في السماء وما لكم من دون الله من ولي من متول بالرحمة يرحمكم إذا أصابتكم المصائب وقيل يحميكم عنها ولا تصير

٣١

- يدفعها عنكم والجملة كالتقرير لقوله تعالى : ويعفو عن كثير أي إن الله تعالى يعفو عن كثير من المصائب إذ لا قدرة لكم أن تعجزوه سبحانه فتفو ما قضى عليكم منه اولا لكم أيضا متول بالرحمة غيره عز و جل ليرحمكم إذا أصابتكم ولاناصر سواه لينصركم منها ولهذا جاء عن علي كرم الله تعالى وجهه أن هذه أرجى آية في القرآن للمؤمنين ويقوي أمر الرجاء على ما قيل : أن معنى ما أنتم الخ ما أنتم بمعجزين الله تعالى في دفع مصائبكم أي أنه سبحانه قادر على ذلك ومن آياته الجوار أي السفن الجواري أي الجارية فهي صفة لموصوف محذوف لقرينة قوله تعالى : في البحر وبذلك حسن الحذف وإلافهي صفةغير مختصة والقياس فيها أن لا يحذف الموصوف وتقوم مقامه وجوز أبو حيان أن يقال : إنها صفة غالبة كالأبطح وهي يجوز فيها أن تلي العوامل بغير ذكر الموصوف و في الحر متعلق بالجواري وقوله تعالى : كالأعلام

٣٢

- في موضع الحال

وجوز أن يكون الأول أيضا كذلك والأعلام جمع علم وهو الجبل وأصله الأثر الذي يعلم به الشيء كعلم الطريق وعلم الجيش وسمي الجبل علما لذلك ولا اختصاص له بالجبل اذ ليعليه النار للأهتداء أذا أريد ذلك قيد كما في قول الخنساء : وإن صخر التأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار وفيه مبالغة لطيفة وحكى أن النبيصص

---

(١) روح المعاني الألوسي، محمود شكري ١٩٢/٧

قال لما سمعه : قاتلها الله تعالى ما رضيت بتشبيه بالجبل حتى جعلت على رأسه نارا وقرأ نافع وأبو عمرو و الجواري بياء في الوصل دون الوقف

وقرأابن كثير به افيهما والباقون بالحذف فيهما والأثبات على الأصل والحذف للتخفيف وعلى كل فالأعراب تقديري وسمع بعض العرب الأعراب على الراء إن يشأ يسكن الريح التي تجري بها ويعدم سبب تموجها وهو تكاثف الهواء الذي كان في المحل الذي جرت إليه وتراكم بعضه على بعض وسبب ذلك التكاثف إما انخفاض درجة حرارة الهواء فيقل تمدده ويتكلف ويتكاثف ويترك أكثر المحل الذي كان مشغولا به خليا وإما تجمع فجائي يحصل في الأبخرة المنتشرة في الهواء فيخلو محلها وهذا على ما قيل أقوى الأسباب فإذا وجد الهواء أمامه فراغا بسبب ذلك جرى بقوة ليشغله فتحدث الر وتستمر حتى تملأ المحل وما ذكر في سبب التموج هو الذي ذكره فلاسفة العصر وأماالمتقدمون فذكروا أشياء أخر ولعل هناك أسبابا غير ذلك كله لا يعلمها إلا الله عز و جل والقول بالأسباب تحريكا وإسكانا لا ينافي إسناد الحوادث إلى الفاعل المختار جل جلاله وعم نواله ." (١)

"(وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) أي وهناك فريق آخر ممن حولكم من الأعوان ومن أهل المدينة ليسوا منافقين ولا من السابقين الأولين ، بل من المذنبين الذين خلطوا الصالح من العمل بالسيء منه ، والسيء بالصالح ، فلم يكونوا من الصالحين الخلص ولا من الفاسقين ، فهم قد آمنوا وعملوا الصالحات واقترفوا بعض السيئات كالذين تخلفوا عن الخروج إلى غزوة تبوك من غير عذر صحيح ولم يستأذنوا كاستئذان المرتابين ولم يعتذروا بالكذب كالمنافقين ، ثم كانوا حين قعودهم ناصحين لله ورسوله شاعرين بذنوبهم خائفين من ربهم .

وقد بين سبحانه حالهم بقوله:

(عسى الله أن يتوب عليهم) أي إنهم محل الرجاء لقبول الله توبتهم بتوفيقهم للتوبة الصحيحة التي هى سبب المغفرة والرحمة- وإنما يكون ذلك بالعلم بقبح الذنب وسوء عاقبته ، وتوبيخ الضمير حين تصور سخط الله والخوف من عقابه- ثم الإقلاع عنه بباعث هذا الألم ، والعزم على عدم العود إلى قترافه ، والعزم على العمل بضده ليمحو أثره من نفسه .

ثم علل هذا بقوله:

(إن الله غفور رحيم) أي إنه تعالى يقبل توبتهم ، لأنه كثير المغفرة للتائبين ، وواسع الرحمة للمحسنين .

---

(١) روح المعاني الألوسي، محمود شكري ٤٢/٢٥

وفى معنى الآية قوله: «وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى» وقوله: «إن رحمت الله قريب من المحسنين» .

قال جماعة من العلماء: إن هذه الآية أرجى آية فى القرآن فى توقع رحمة الله للمذنبين الذين يجترحون السيئات ثم يتوبون إلى ربهم ويقلعون عن ذنوبهم .

روى البخاري عن سمرة بن جندب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أتانى الليلة أي فى المنام ملكان فابتعثانى فانتهيا بي إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء ، وشطر كأقبح ما أنت راء ، قالا لهم اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر ، فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء ." (١)

"إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا [٤ \ ١٤٩] وقد بين تعالى في هذا الآية أن العفو مع القدرة من صفاته تعالى ، وكفى بذلك حثا عليه ، وكقوله تعالى: فاصفح الصفح الجميل [١٥ \ ٨٥] وكقوله: ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور [٤٢ \ ٤٣] إلى غير ذلك من الآيات .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ألا تحبون أن يغفر الله لكم دليل على أن العفو والصفح على المسيء المسلم من موجبات غفران الذنوب ، والجزاء من جنس العمل ، ولذا لما نزلت قال أبو بكر: بلى والله نحب أن يغفر لنا ربنا ، ورجع للإنفاق في مسطح ، ومفعول «أن يغفر الله» محذوف للعلم به: أي يغفر لكم ذنوبكم .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: أولي القربى أي: أصحاب القرابة ، ولفظة أولى اسم جمع لا واحد له من لفظه يعرب إعراب الجمع المذكر السالم .

فائدة

في هذه الآية الكريمة دليل على أن كبائر الذنوب لا تحبط العمل الصالح ؛ لأن هجرة مسطح بن أثاثة من عمله الصالح ، وقذفه لعائشة من الكبائر ولم يبطل هجرته ؛ لأن الله قال فيه بعد قذفه لها والمهاجرين في سبيل الله فدل ذلك على أن هجرته في سبيل الله ، لم يحبطها قذفه لعائشة – رضي الله عنها – .

قال القرطبي: في هذه الآية دليل على أن القذف وإن كان كبيرا لا يحبط الأعمال ؛ لأن الله تعالى وصف مسطحا بعد قوله بالهجرة والإيمان ، وكذلك سائر الكبائر ، ولا يحبط الأعمال غير الشرك بالله ، قال تعالى: لئن أشركت ليحبطن عملك [٣٩ \ ٦٥] اهـ .

وما ذكر من أن في الآية وصف مسطح بالإيمان لم يظهر من الآية ، وإن كان معلوما .

وقال القرطبي أيضا: قال عبد الله بن المبارك: هذه أرجى آية في كتاب الله ، ثم قال بعد هذا: قال بعض العلماء ، هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ . وقيل: أرجى آية في كتاب

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٤/١١

الله – عز وجل – قوله تعالى: وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا [٣٣ \ ٤٧] وقد قال تعالى في آية أخرى والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ." (١)

"" صفحة رقم ٥٧ "

للشعب أرسلناك شاهدا (ونورا للأمم) (مبشرا) لنفتح عيون العمي (ونفتح به أعينا عميا) لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن (وآذانا صما) الجالسين في الظلمة (وقلوبا غلفا) . أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر (بأن يقولوا لا إله إلا الله) .

)

عطف على جملة) إنا أرسلناك ((الأحزاب : ٤٥) عطف الإنشاء على الخبر لا محالة وهي أوضح دليل على صحة عطف الإنشاء على الخبر إذ لا يتأتى فيها تأويل مما تأوله المانعون لعطف الإنشاء على الخبر وهم الجمهور والزمخشري والتفتزاني مما سنذكره إن شاء الله عند قوله تعالى : (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله إلى قوله : وبشر المؤمنين في سورة الصف (١١ ١٣) ، فالجملة المعطوف عليها إخبار عن النبي بأنه أرسله متلبسا بتلك الصفات الخمس . وهذا أمر له بالعمل بصفة المبشر ، فلاختلاف مضمون الجملتين عطفت هذه على الأولى .

والفضل : العطاء الذي يزيده المعطي زيادة على العطية . فالفضل كناية عن العطية أيضا لأنه لا يكون فضلا إلا إذا كان زائدا على العطية . والمراد أن لهم ثواب أعمالهم الموعود بها وزيادة من عند ربهم ، قال تعالى : للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ((يونس : ٢٦) .

ووصف)كبيرا (مستعار للفائق في نوعه . قال ابن عطية : قال لي أبي رضي الله عنه : هذه أرجى آية عندي في كتاب الله لأن الله قد أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلا كبيرا . وقد بين الله تعالى الفضل الكبير ما هو في قوله : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ((الشورى : ٢٢) فالآية التي في هذه السورة خبر ، والآية التي في حم عسق تفسير لها ا هـ . ." (٢)

"﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة﴾ ذلك بأنهم سألوا رسول الله أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ أي مضت عقوبات أمثالهم من المكذبين ؛ أفلا يتعظون بها ؟ ﴿وإن ربك لذو

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين الشنقيطي ٤٨٨/٥

(٢) التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية ابن عاشور ٥٧/٢٢

مغفرة للناس﴾ متى تابوا من ذنوبهم ، ورجعوا إلى ربهم ﴿على ظلمهم﴾ أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب: قيل: إنها أرجى آية في كتاب الله تعالى ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ لمن ظلم نفسه بالذنب ، ولم يقلع عنه ، أو يتب منه . أو شديد العقاب للكافرين ." (١)

"الإعراب:

(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) كلام مستأنف مسوق لبيان أن الإنابة مطلوبة لأن الفسحة عظيمة للمسرف . ويا عبادي منادى مضاف إلى ياء المتكلم المفتوحة وقرىء يا عباد بكسرها وقد تقدم حكم المنادى المضاف لياء المتكلم والذين نعت لعبادي وجملة أسرفوا صلة وعلى أنفسهم متعلقان بأسرفوا ولا ناهية وتقنطوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل ومن رحمة الله متعلقان بتقنطوا . وقنط من باب تعب وسلم فيجوز كسر نونه وفتحها في المضارع وقد قرىء بهما وفي المختار: «القنوط:

اليأس وبابه جلس ودخل وطرب وسلم فهو قنط وقنوط وقانط» وقد قرىء بالضم شذوذا .

(إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) إن واسمها وجملة يغفر خبرها والجملة تعليل للنهي عن القنوط ولذلك قيل: هذه أرجى آية في القرآن وسيأتي بيان ما فيها من أفانين البلاغة ، والذنوب مفعول به وجميعا حال وذلك بعد التوبة من الشرك وإن واسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ والغفور الرحيم خبران لإن أو لهو والجملة خبر إن . (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) وأنيبوا الواو عاطفة وأنيبوا فعل أمر وفاعله وإلى ربكم متعلقان بأنيبوا وأسلموا عطف أيضا وله متعلقان بأسلموا ومن قبل متعلقان بمحذوف حال وأن وما في حيزها مصدر مؤول مضاف الى الظرف ويأتيكم فعل مضارع منصوب بأن والكاف مفعول به مقدم والعذاب فاعل مؤخر وثم حرف عطف للترتيب مع ." (٢)

"عزوا إلى ابن عباس أنها نزلت في حق وحشي الحبشي قاتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم في وقعة أحد حيث استعظم ذنبه فأنزل الله آية الفرقان [٧٠] التي فيها هذه الجملة: إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشي: هذا شرط شديد . فأنزل الله آية سورة النساء [٤٨] التي فيها هذه الجملة:

إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال: أراني بعد في شبهة فأنزل الله آية الزمر [٥٣] التي نحن في صددها فقال: هذا نعم ، ثم جاء فأسلم .

فسأل المسلمون: هل هذه له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: بل للمسلمين عامة «١» . ومنها ما ذكر عزوا إلى ابن عمر أن الآيات نزلت في نفر من المسلمين منهم عياش بن أبي ربيعة

---

(١) أوضح التفاسير محمد عبد اللطيف الخطيب ص/٢٩٧

(٢) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٤٣٣/٨

والوليد بن الوليد كانوا أسلموا ثم عذبوا وفتنوا فافتتنوا فكان المهاجرون يقولون: لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا أسلموا ثم تركوا دينهم من العذاب . فأنزل الله الآيات فكتبها عمر بن الخطاب وأرسلها إليهم فأسلموا وهاجروا «٢» . ومنها ما ذكر عزوا إلى ابن عباس أيضا أن ناسا من أهل الشرك كانوا قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل: والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون إلخ الفرقان: [٦٨] ونزل: قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا الزمر: [٥٣] ورواية ابن عباس الأخيرة قد رواها البخاري أيضا «٣» .

وقال المفسرون فيما قالوه بصدد الآية: إنها موجهة للمؤمنين وفي حقهم عامة وإنها أرجى آية في القرآن وأبعثها أملا وسكينة لقلوب المذنبين منهم «٤» . بل

---

(١) انظر تفسير الآيات في الطبري والبغوي وابن كثير والخازن وانظر التاج ج ٤ فصل التفسير ص ١٩٩ .

(٢) انظر تفسير الآيات في الطبري والبغوي وابن كثير والخازن وانظر التاج ج ٤ فصل التفسير ص ١٩٩ .

(٣) انظر تفسير الآيات في الطبري والبغوي وابن كثير والخازن وانظر التاج ج ٤ فصل التفسير ص ١٩٩ .

(٤) انظر كتب التفسير السابقة الذكر أيضا . ." (١)

"وثانيا: إنها مروية عن ابن عباس مع أن رواية كون الآية نزلت بمناسبة مراجعة أناس من المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم التي رواها البخاري قد رواها ابن عباس أيضا .

وثالثا: إن الآية منسجمة انسجاما تاما مع الآيات التالية لها إلى آخر الآية [٥٩] وإن القول إنها أو إنها والآية [٥٤] فقط مدنيتان غير مستقيم . وتبعا لذلك نشك في رواية مدنية الآية أو الآيتين ونشك بالتالي في رواية كونهما نزلتا في شأن وحشي أو في شأن النفر الذين ارتدوا ولم يهاجروا مع المهاجرين . وكل ما يمكن احتماله أن تكون الآية ذكرت لهم أو لهم ولو حشي على سبيل الترغيب والتشجيع والتأميل . والرواية الثانية التي رواها البخاري هي الأكثر احتمالا ولا يضعف هذا الاحتمال جمع الرواية هذه الآية مع آية الفرقان التي نزلت قبلها بمدة طويلة . فمن الممكن أن يفرض أن مراجعات أناس من المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم في مكة قد تكررت فنزلت أولا آيات الفرقان ثم آيات الزمر التي نحن في صددها فجمع ابن عباس رضي الله عنه المناسبات المتكررة مع بعضها في روايته . وروح الآيات ومضمونها تدعم هذه الرواية أو بعبارة ثانية تدعم كون الآيات موجهة في الدرجة الأولى إلى المشركين والكفار . وقد حكت ما سوف يبدونه من ندم وحسرة لإضاعتهم الفرصة . وفي الآية الأخيرة دليل حاسم . وكل هذا يسوغ القول بجزم أن الآيات سلسلة واحدة متماسكة لا يصح فصل بعضها

---

(١) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٣٣٨/٤

عن بعض وهي في مجموعها في صدد حث الكفار على الإنابة إلى الله والاستجابة إلى دعوة الإسلام والترغيب في ذلك وهم في سعة من الوقت والتحذير من إضاعة الفرصة بالإهمال والتباطؤ .

وروح الآيات ومضمونها مجتمعة تسوغ استغراب ما قاله بعض المفسرين أو رووه عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن الآية الأولى أرجى آية في القرآن أو أن الإطلاق فيها يجعل تقييد غفران الذنوب بالتوبة هو خلاف الظاهر . فإذا كانت الآية تقول: إن الله يغفر الذنوب جميعا فإن الآية التي تلتها ردفت ذلك بالحث على سرعة الإنابة إلى الله واتباع أحسن ما أنزل وبالتحذير من التباطؤ والإهمال وما ." (١)

"نرى إلا هذه النجوم والمجرات والكواكب ، وقد رجحنا من قبل أن هذه مخلوقة قبل الأرض والسموات السبع ، وللموضوع تتمة ستأتي في مناسباتها .

٢ - في كتابنا عن الله عز وجل: إن في ظاهرة الحكمة ، أو في ظاهرة الإرادة ، أو في ظاهرة العناية ، فصلنا بما يخدم قوله تعالى: وسخر الشمس والقمر وبما يرينا كيف أن مثل هذا التسخير المدهش لصالح الحياة على الأرض دليل على الخالق عز وجل بما لا يقبل شكا ولا نقضا . فليراجع

٣ - قد يفهم كثير من الخاطئين قوله تعالى وهو الذي مد الأرض فهما خاطئا ، فيظن أن المراد بالمد هنا التسطيح الذي يقابل الكروية ، والكروية ثابتة في القرآن في أكثر من آية- كما نرى في هذا التفسير- فاقتضى التنبيه . وقد رأينا كيف فسر ابن كثير المد في الآية ، وفي كتابنا عن الله عز وجل نقلنا ما يدل على أن الأرض لو كانت أصغر مما هي عليه لما أمكن في قوانين هذا الكون أن تنشأ عليها الحياة ، فالله عز وجل يشير إلى هذه النعمة التي هي مظهر علمه وحكمته وقدرته في هذا المقام ؛ ليدلل بآثار صفاته على صفاته وأسمائه التي تدل على ذاته جل جلاله

٤ - في عصرنا هذا أدرك الإنسان- أكثر من أي عصر مضى- معنى قوله تعالى:

وجعل فيها رواسي إذ كتب الجغرافيا والجيولوجيا مليئة بالنص على أنه لولا الجبال لكانت القشرة الأرضية معرضة بشكل هائل للتشققات والزلازل والاضطرابات بما يستحيل معه نشوء الحياة وهو موضوع سيمر معنا في محله بشكل أكثر تفصيلا

٥ - بمناسبة قوله تعالى ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين قال صاحب الظلال: (والمشهد الأول يتضمن حقيقة لم تعرف للبشر من طريقة علمهم وبحثهم إلا قريبا ، هي أن كل الأحياء- وأولها النبات- تتألف من ذكر وأنثى ، حتى النباتات التي كان مظنونا أن ليس لها من جنسها ذكور ، تبين أنها تحمل في ذاتها الزوج الآخر ، فتضم أعضاء التذكير وأعضاء التأنيث مجتمعة في زهرة ، أو متفرقة في العود وهي حقيقة تتضامن مع المشهد في إثارة الفكر إلى تدبر أسرار الخلق بعد تملي ظواهره .)

---

(١) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٤/٣٤٠

٦ – عند قوله تعالى وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قال النسفي (وهي أرجى آية في كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة ، فإن التوبة تزيلها وترفعها) اهـ ولنلاحظ أنه اجتمع في الآية اقتران ذكره المغفرة بشدة العقاب لتربية الرجاء والخوف في القلب ، فهما جناحا القلب في سيره إلى الله . روى ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب قال: لما نزلت هذه الآية وإن ربك لذو مغفرة ." (١)

"بأن يقول لفرعون " قولا لينا " فمن دونه أحرى بأن يقتدي بذلك في خطابه ، وأمره بالمعروف في كلامه ، وقد قال تعالى: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ .

وقوله تعالى: ﴿قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾ يتضمن وعدا من الله لكل من جند نفسه لهداية الخلق ، والأخذ بيدهم إلى طريق الحق ، أن يمده بمدده ، ويجعل السكينة مهيمنة على روحه وجسده ، فيواجه الناس دون خوف ولا وجل ، ويمضي قدما إلى إنجاز ما يسر له من العمل .

وقوله تعالى ضمن ما لقنه موسى كي يخاطب به فرعون: ﴿قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى * إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى﴾ يحتوي علي خير مثال يحتذى في مخاطبة الطغاة الظالمين ، والعصاة الضالين . فاختيار كلمة (الرب) وكلمة (السلام) لهما أكثر من مغزى في هذا المقام ، ولذلك استعمل خاتم النبيئين والمرسلين صيغة ﴿السلام على من اتبع الهدى﴾ في رسائله التي دعا بها أقطاب العالم في عصره إلى الإسلام ، والتصريح في نفس الآية (بأن العذاب على من كذب وتولى) يتضمن تحذيرا غير مباشر ، وهو في نفس الوقت لا يدمغ المخاطب بكونه ممن كذب وتولى فيثور ويغضب ، بل على العكس من ذلك يدفعه إلى أن يستوعب الخطاب الموجه إليه بقابلية وتفتح ، قال ابن عباس: " هذه الآية ﴿أن العذاب على من كذب وتولى﴾ هي أرجى آية للموحدين ، لأنهم لم يكذبوا ولم يتولوا " . ." (٢)

"السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون﴾ .

ويختم هذا الربع الأول من الحزب السابع والأربعين بأرجى آية وردت في كتاب الله ، إذ إنها تفتح باب التوبة والإنابة في وجه العصاة اليائسين ، والمذنبين القانطين ، بعدما أغواهم الشيطان ، وأسرفوا في العصيان ، وذلك قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ ، قال ابن عباس: " من أيأس عباد الله من التوبة بعد هذا ، فقد جحد كتاب الله عز وجل " وقال ابن كثير في تفسيره: " هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة ، من الكفرة وغيرهم ، إلى التوبة والإنابة ،

---

(١) الأساس في التفسير سعيد حوَّى ٥/٢٧٢٩

(٢) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري ٤/٦٧

وإخبار بأن الله تعالى يغفر الذنوب جميعا ، لمن تاب منها ورجع عنها ، وإن كانت مهما كانت ، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر ، ولا يصح حملها على غير التوبة ، لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه ، ولا يقنطن عبد من رحمة الله ، وإن عظمت ذنوبه وكثرت ، فإن باب الرحمة والتوبة واسع ، قال تعالى: ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ ، وقال عز وجل (٤ :١١٠): ﴿ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما﴾ . ." (١)

"ج ١٢ ، ص : ٢٣٨

والمراد بالإسراف هنا : الإسراف في اقتراف المعاصي والسيئات ، والخطاب للمؤمنين المذنبين . وعدى الفعل « أسرفوا » بعلى ، لتضمنه معنى الجناية ، أى جنوا على أنفسهم .

والقنوط : اليأس ، وفعله من بابى ضرب وتعب . يقال : فلان قانط من الحصول على هذا الشيء ، أى يائس من ذلك ولا أمل له في تحقيق ما يريده .

والمعنى : قل – أيها الرسول الكريم – لعبادي المؤمنين الذين جنوا على أنفسهم بارتكابهم للمعاصي ، قل لهم : لا تيأسوا من رحمة الله – تعالى – ومن مغفرته لكم .

وجملة « إن الله يغفر الذنوب جميعا » تعليلية . أى : لا تيأسوا من رحمة الله – تعالى – لأنه هو الذي تفضل بمحو الذنوب جميعها . لمن يشاء من عباده المؤمنين العصاة .

إنه – سبحانه – هو الغفور الرحيم أى : هو الواسع المغفرة والرحمة لمن يشاء من عباده المؤمنين ، فهم إن تابوا من ذنوبهم قبل – سبحانه – توبتهم كما وعد تفضلا منه وكرما ، وإن ماتوا دون أن يتوبوا ، فهم تحت رحمته ومشيئته ، إن شاء غفر لهم ، وإن شاء عذبهم ، ثم أدخلهم الجنة بفضله وكرمه .

أما غير المؤمنين ، فإنهم إن تابوا من كفرهم ودخلوا في الإسلام ، غفر – سبحانه – ما كان منهم قبل الإسلام لأن الإسلام يجب ما قبله .

وإن ماتوا على كفرهم فلن يغفر الله – تعالى – لهم ، لقوله : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

قال الإمام الشوكانى : واعلم أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله ، لاشتمالها على أعظم بشارة ، فإنه أولا : أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم ، ومزيد تبشيرهم . ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي . . ثم عقب على ذلك بالنهى عن القنوط من الرحمة . . ثم جاء بما لا يبقى بعده شك ولا يتخالج القلب عند سماعه ظن

(١) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري ٣٦٠/٥

فقال : إن الله يغفر الذنوب . .

فالألف واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أفراده ، فهو في قوة إن الله يغفر كل ذنب كائنا ما كان ، إلا ما أخرجه النص القرآني وهو الشرك .

ثم لم يكتف بما أخبر به عباده من مغفرة كل ذنب ، بل أكد ذلك بقوله جميعا فيا لها من بشارة ترتاح لها النفوس . . وما أحسن تعليل هذا الكلام بقوله : إنه هو الغفور الرحيم . . « ١ » .

وقال الجمل في حاشيته ما ملخصه : وفي هذه الآية من أنواع المعاني والبيان أشياء حسنة ،

---

(١) راجع تفسير فتح القدير للشوكاني ج ٤ ص ٤٧٠ . ." (١)

"ج ١٢ ، ص : ٢٣٩

منها إقباله عليهم ، ونداؤهم ، ومنها : إضافتهم إليه إضافة تشريف ، ومنها : الالتفات من التكلم إلى الغيبة ، في قوله : من رحمة الله ، ومنها : إضافة الرحمة لأجل أسمائه الحسنى ، ومنها : إعادة الظاهر بلفظه في قوله : إن الله يغفر ومنها : إبراز الجملة من قوله : إنه هو الغفور الرحيم مؤكدة بإن ، والفصل ، وبإعادة الصفتين اللتين تضمنتهما الجملة السابقة .

وقال عبد الله بن مسعود وغيره : هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى « ١ » .

وبعد أن فتح - سبحانه - لعباده باب رحمته فتحا واسعا كريما . . أتبع ذلك بحضهم على التوبة والإنابة إليه ، حتى يزيدهم من فضله وإحسانه فقال : وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون .

أى قل لهم - أيها الرسول الكريم - لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ، وارجعوا إليه بالتوبة والإنابة ، وأخلصوا له العبادة ، من قبل أن ينزل بكم العذاب الذي لا تستطيعون دفعه ثم لا تجدون من ينجيكم منه .

فأنت ترى أن الآية الأولى بعد أن فتحت للعصاة باب رحمة الله على مصراعيه ، جاءت الآية الثانية فحثتهم على التوبة الصادقة النصوح ، حتى تكون رحمة الله - تعالى - بهم أكمل وأتم وأوسع ، فإن التوبة النصوح سبب في تحويل السيئات إلى حسنات .

كما قال - تعالى - : إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما « ٢ » .

ثم أمرهم باتباع أوامر القرآن الكريم ونواهيه فقال : واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم .

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم محمد سيد طنطاوي ٢٣٨/١٢

أى : واتبعوا هذا القرآن الكريم ، الذي هو أحسن ما أنزله – سبحانه – إليكم ، بسبب ما اشتمل عليه من هدايات سامية ، ومن تشريعات حكيمة . ومن آداب قويمة .

فإن اتباع ما اشتمل عليه هذا القرآن من توجيهات . يؤدى إلى السعادة في الدنيا والآخرة .

وقوله : من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون متعلق بالأمر بالاتباع ، وإرشاد إلى وجوب الامتثال بدون تأخير أو تسويف . ______________

(١) حاشية الجمل على الجلالين ج ٣ ص ٦٠٥ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٧٠ . ." (١)

"والمراد بالإسراف هنا: الإسراف في اقتراف المعاصي والسيئات ، والخطاب للمؤمنين المذنبين . وعدى الفعل «أسرفوا» بعلى ، لتضمنه معنى الجناية ، أى جنوا على أنفسهم .

والقنوط: اليأس ، وفعله من بابى ضرب وتعب . يقال: فلان قانط من الحصول على هذا الشيء ، أى يائس من ذلك ولا أمل له في تحقيق ما يريده .

والمعنى: قل– أيها الرسول الكريم– لعبادي المؤمنين الذين جنوا على أنفسهم بارتكابهم للمعاصي ، قل لهم: لا تيأسوا من رحمة الله– تعالى– ومن مغفرته لكم .

وجملة «إن الله يغفر الذنوب جميعا» تعليلية . أى: لا تيأسوا من رحمة الله– تعالى– لأنه هو الذي تفضل بمحو الذنوب جميعها . لمن يشاء من عباده المؤمنين العصاة .

إنه– سبحانه– هو الغفور الرحيم أى: هو الواسع المغفرة والرحمة لمن يشاء من عباده المؤمنين ، فهم إن تابوا من ذنوبهم قبل– سبحانه– توبتهم كما وعد تفضلا منه وكرما ، وإن ماتوا دون أن يتوبوا ، فهم تحت رحمته ومشيئته ، إن شاء غفر لهم ، وإن شاء عذبهم ، ثم أدخلهم الجنة بفضله وكرمه .

أما غير المؤمنين ، فإنهم إن تابوا من كفرهم ودخلوا في الإسلام ، غفر– سبحانه– ما كان منهم قبل الإسلام لأن الإسلام يجب ما قبله .

وإن ماتوا على كفرهم فلن يغفر الله– تعالى– لهم ، لقوله: إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

قال الإمام الشوكانى: واعلم أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله ، لاشتمالها على أعظم بشارة ، فإنه أولا: أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم ، ومزيد تبشيرهم . ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي . . ثم عقب على ذلك بالنهى عن القنوط من الرحمة . . ثم جاء بما لا يبقى بعده شك ولا يتخالج القلب عند سماعه ظن فقال: إن الله يغفر الذنوب . .

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم محمد سيد طنطاوي ٢٣٩/١٢

فالألف واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أفراده ، فهو في قوة إن الله يغفر كل ذنب كائنا ما كان ، إلا ما أخرجه النص القرآني وهو الشرك .
ثم لم يكتف بما أخبر به عباده من مغفرة كل ذنب ، بل أكد ذلك بقوله جميعا فيا لها من بشارة ترتاح لها النفوس . . وما أحسن تعليل هذا الكلام بقوله: إنه هو الغفور الرحيم . . «١» .
وقال الجمل في حاشيته ما ملخصه: وفي هذه الآية من أنواع المعاني والبيان أشياء حسنة ،

---

(١) راجع تفسير فتح القدير للشوكاني ج ٤ ص ٤٧٠ . ." (١)

"منها إقباله عليهم ، ونداؤهم ، ومنها: إضافتهم إليه إضافة تشريف ، ومنها: الالتفات من التكلم إلى الغيبة ، في قوله: من رحمة الله ، ومنها: إضافة الرحمة لأجل أسمائه الحسنى ، ومنها: إعادة الظاهر بلفظه في قوله: إن الله يغفر ومنها: إبراز الجملة من قوله: إنه هو الغفور الرحيم مؤكدة بإن ، والفصل ، وبإعادة الصفتين اللتين تضمنتهما الجملة السابقة .
وقال عبد الله بن مسعود وغيره: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى «١» .
وبعد أن فتح- سبحانه- لعباده باب رحمته فتحا واسعا كريما . . أتبع ذلك بحضهم على التوبة والإنابة إليه ، حتى يزيدهم من فضله وإحسانه فقال: وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون .
أى قل لهم- أيها الرسول الكريم- لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ، وارجعوا إليه بالتوبة والإنابة ، وأخلصوا له العبادة ، من قبل أن ينزل بكم العذاب الذي لا تستطيعون دفعه ثم لا تجدون من ينجيكم منه .
فأنت ترى أن الآية الأولى بعد أن فتحت للعصاة باب رحمة الله على مصراعيه ، جاءت الآية الثانية فحثتهم على التوبة الصادقة النصوح ، حتى تكون رحمة الله- تعالى- بهم أكمل وأتم وأوسع ، فإن التوبة النصوح سبب في تحويل السيئات إلى حسنات .
كما قال- تعالى-: إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما «٢» .
ثم أمرهم باتباع أوامر القرآن الكريم ونواهيه فقال: واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم .
أى: واتبعوا هذا القرآن الكريم ، الذي هو أحسن ما أنزله- سبحانه- إليكم ، بسبب ما اشتمل عليه من هدايات سامية ، ومن تشريعات حكيمة . ومن آداب قويمة .
فإن اتباع ما اشتمل عليه هذا القرآن من توجيهات . يؤدى إلى السعادة في الدنيا والآخرة .
وقوله: من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون متعلق بالأمر بالاتباع ، وإرشاد إلى وجوب الامتثال

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ١٢/٢٣٨

بدون تأخير أو تسويف .

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ج ٣ ص ٦٠٥ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٧٠ . ." (١)

"على بعيري ثم لحقت بالمدينة .

وروي عن ابن عمر : أن هذه الآيات نزلن في عياش بن أبي ربيعة ، والوليد ابن الوليد ونفر من المسلمين كانوا أسلموا ، ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا ، فكنا نقول : لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا ، قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عذبوا به ! فنزلت هذه الآيات .

وقال ابن عمر : هذه أرجى آية في القرآن . فرد عليه ابن عباس وقال : بل أرجى ." (٢)

"وقال ابن عباس : تعجل للمؤمنين عقوبتهم بذنوبهم في الدنيا ولا يؤاخذون بها في الآخرة .

وقال الحسن : معنى الآية في الحدود ، أن الله تعالى جعل الحدود على ما يعمل الإنسان من المعاصي . وهذا يعطي أن " ما " بمعنى " الذي " .

قال إبراهيم بن عرفة : الكثير الذي يعفو (الله D عنه) لا يحصى . وهذه من أرجى آية في القرآن .

وقال علي Bه في هذه الآية : إذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فماذا يبقى من ذنوبي بين كفارته وعفوه .

وروي عن علي رضي الله أنه قال : ألا أخبركم بأرجى آية في كتاب الله ؟ قالوا : بلى ، ." (٣)

"" صفحة رقم ٢٤٦ "

سمعت أبا القاسم الحسنن بن محمد بن حبيب يقول : سمعت أبي يقول سمعت على بن محمد الوراق يقول : سمعت يحي بن معاذ الرازي يقول وقرأ هذه الآية : هذا رفقك بمن يقول : أنا الإله ، فكيف رفقك بمن يقول : أنت الإله ؟

قال أبو القاسم الحسين فبنيت عليه ألفاظا اقتديت به فيها فقلت : هذا رفقك بمن ينافيك فكيف رفقك بمن يصافيك ؟ هذا رفقك بمن يعاديك فكيف رفقك بمن يواليك ؟ هذا رفقك بمن يسبك فكيف رفقك بمن يحبك ؟ هذا رفقك بمن يقول لك ندا فكيف رفقك بمن يقول فردا ؟ هذا رفقك بمن ضل فكيف رفقك بمن ذل هذا رفقك بمن اقترف فكيف رفقك بمن اعترف ؟ هذا رفقك بمن أصر فكيف رفقك بمن أقر ؟ هذا رفقك بمن

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٢٣٩/١٢

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية ٦٣٥٧/١٠

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية ٦٥٩٧/١٠

استكبر فكيف رفقك بمن استغفر ؟

طه : (٤٥) قالا ربنا إننا . . . . . .

) قالا (يعني موسى وهارون) ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا (. قال ابن عباس : يعجل بالقتل والعقوبة ، وقال الضحاك : تجاوز الحد ، وقيل : يغلبنا) أو أن يطغى (يتكبر ويستعصي علينا .

طه : (٤٦) قال لا تخافا . . . . . .

) قال لا تخافا إنني معكما (بالدفع عنكما) أسمع (قولكما وقوله) وأرى (فعله وفعلكما

طه : (٤٧) فأتياه فقولا إنا . . . . . .

) فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم (أي ولا تتعبهم في العمل ، وكانت بنو إسرائيل عند آل فرعون في عذاب شديد يقتل ابناءهم ويستخدم نساءهم ويكلفهم من العمل واللبن والطين وبناء المدائن ما لا يقدرون عليه .

قال موسى) قد جئناك بآية من ربك (قال فرعون : وما هي ؟ قال : فأدخل يده في جيب قميصه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس ، غلبت نور الشمس ، فعجب منها ولم يره العصا إلا بعد ذلك يوم الزينة .

) والسلام على من اتبع الهدى (يعني من أسلم

طه : (٤٨) إنا قد أوحي . . . . . .

) إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب (أنبياء الله) وتولى (أعرض عن الإيمان ، ورأيت في بعض التفاسير أن هذه أرجى آية للموحدين في القرآن .

طه : (٤٩) قال فمن ربكما . . . . . .

) قال فمن ربكما يا موسى (يعني يا موسى وهارون فذكر موسى دون هارون لرؤوس الآي .

طه : (٥٠) قال ربنا الذي . . . . . .

) قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه (قال الحسين وقتادة : أعطى كل شئ صلاحه وهداه لما يصلحه ." (١)

---

(١) الكشف والبيان – الثعلبي . دار إحياء التراث العربي ٦/٢٤٦

"" " صفحة رقم ٢٥٥ " "

حال اشتغالهم بالظلم كما يقال : رأيت الأمير على أكله ، أي حال اشتغاله بالأكل ، وهذا يقتضي كونه تعالى غافرا للناس حال اشتغالهم بالظلم ، ومعلوم أن حال اشتغال الإنسان بالظلم لا يكون تائبا ؛ فدل هذا على أنه تعالى قد يغفر الذنوب قبل الاشتغال بالتوبة ، وترك العمل بهذا الدليل في حق الكفر ؛ فوجب أن يبقى معمولا به في حق غير الكفرة ، وهو المطلوب .

ويقال : إنه تعالى لم يقتصر على قوله : (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم (بل عطف عليه قوله : (وإن ربك لشديد العقاب (؛ فوجب أن يحمل الأول على أصحاب الكبائر ، ويحتمل الثاني على الكفار .

قال المفسريون : " لذو مغفرة " لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا وعن المذنبيين إذا تابوا .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : أرجى آية في القرآن هذه الآية : (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب (إذا أصروا على الكفر .

وروى حمضاد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قال : لما نزلت : (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب (قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هنأ أحدا عيش ولولا عقابه ووعيده وعذابه لاتكل كل أحد " . فإن قيل : لم لا يجوز أن يكون المراد : لذو مغفرة لأهل الصغائر لأجل أن عقوبتهم مكفرة ، ثم نقول : لم لا يجوز أن يكون المراد إن ربك لذو مغفرة إذا تابوا ، وأنه تعالى إنما لا يعجل العقاب إمهالا لهم في الإتيان بالتوبة ، فإن تابوا فهو ذو مغفرة لهم ، ويكون المراد من هذه المغفرة [تأخير العقاب] إلى الآخرة ، بل نقول : يجب حمل اللفظ عليه ؛ لأن القوم طلبوا تعجيل العذاب ، فجيب أن تحمل المغفرة على تأخير العذاب حتى ينطبق الجواب على السؤال .

ثم يقال : لم لا يجوز أن يكون المراد بقوله : (لذو مغفرة (إمهالهم بالتوبة ، ولا يعجل بالعقوبة ، فإن تابوا ، فهو ذو مغفرة ، وإن لم يتوبوا ؛ فهو شديد العقاب ؟ . فالجواب عن الأول : أن تأخير العذاب لا يمسى مغفرة ، وإلا لوجب أن يقال : ." (١)

"" " صفحة رقم ٢٠١ " "

الذنوب ، بل حصول المصائب (للصالحين) والمتقين أكثر منه للمذنبين ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : " خص البلاء بالأنبياء ثم الأمثل فالأمثل " . الثالث : أن الدنيا دار تكليف ، فلو حصل الجزاء فيها لكانت دار تكليف ودار جزاء معا وهو محال . وقال آخرون : هذه المصائب قد تكون أجزية على ذنوب متقدمة لهذه الآية ، ولما روى الحسن قال : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " والذي نفسي بيده

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٢٥٥/١١

ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر " .

قال علي بن أبي طالب : " ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوعن كثير " (قال) : وسأفسرها لك يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله عز وجل أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة ، وما عفا الله عنه في الدنيا ، فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه . وتمسكوا أيضا بقوله تعالى بعد هذه الآية : (أو يوبقهن بما كسبوا (" وذلك تصريح بأن ذلك الاهلاك بسبب كسبهم . وأجاب الأولون بأن حصول هذه المصائب يكون من باب الأمتحان في التكليف ، لا من باب العقوبات ، كما في حق الإنبياء والأولياء . ويحمل قوله : (بما كسبت أيديكم (على أن الأصلح عند إتيانكم بذلك الكسب إنزال هذه المصائب عليكم .

فصل

هذه الآية تقتضي إضافة الكسب إلى اليد ، والكسب لا يكون بل بالقدرة القائمة باليد فوجب أن يكون المراد من لفظ اليد هاهنا القدرة ، وإذا كان هذا المجاز مشهورا مستعملا كان لفظ اليد الوارد في حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها لله تعالى عن الأعضاء .

قوله : (ويعفوا عن كثير (أي قد يترك الكثير بفضله ورحمته قال الواحدي بعد أن روى حديث علي المتنقدم : وهذه أرجى آية في كتاب الله ؛ لأن الله تعالى جعل ذنوب ." (١)

"المحرر الوجيز ، ج ٤ ، ص : ٥٣٧

الرجاء في ناحيته ، والعاصي في المشيئة ، لكن يغلب الخوف في ناحيته .

واختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية ، فقال عطاء بن يسار : نزلت في وحشي قاتل حمزة .

وقال قتادة والسدي وابن أبي إسحاق : نزلت في قوم بمكة آمنوا ولم يهاجروا وفتنهم قريش فافتتنوا ، ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم فنزلت الآية فيهم ، منهم الوليد بن الوليد ، وهشام بن العاصي ، وهذا قول عمر بن الخطاب وأنه كتبها بيده إلى هشام بن العاصي الحديث . وقالت فرقة : نزلت في قوم كفار من أهل الجاهلية ، قالوا :

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٢٠١/١٧

وما ينفعنا الإسلام ونحن قد زنينا وقتلنا الناس وأتينا كل كبيرة فنزلت الآية فيهم . وقال علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عمر : هذه أرجى آية في القرآن . وروى ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : ما أحب أن لي الدنيا بما فيها بهذه الآية ، يا عبادي و: أسرفوا معناه : أفرطوا وتعدوا الطور . والقنط : أعظم اليأس .

وقرأ نافع وجمهور الناس : «تقنطوا» بفتح النون . قال أبو حاتم : يلزمهم أن يقرؤوا : من بعد ما قنطوا [الشورى : ٢٨] بالكسر ، ولم يقرأ به أحد . وقرأ الأشهب العقيلي بضم النون . وقرأ أبو عمرو وابن وثاب بكسرها ، وهي لغات .

وقوله : إن الله يغفر الذنوب جميعا عموم بمعنى الخصوص ، لأن الشرك ليس بداخل في الآية إجماعا ، وهي أيضا في المعاصي مقيدة بالمشيئة . وجميعا نصب هلى الحال . وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ : «إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي» . وقرأ ابن مسعود : «إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء» . وأنيبوا معناه : ارجعوا وميلوا بنفوسكم ، والإنابة : الرجوع بالنفس إلى الشيء .

وقوله : من قبل أن يأتيكم العذاب توعد بعذاب الدنيا والآخرة .

وقوله تعالى : واتبعوا أحسن معناه : أن القرآن العزيز تضمن عقائد نيرة وأوامر ونواهي منجية وعدات على الطاعات والبر وحدودا على المعاصي ووعيدا على بعضها ، فالأحسن أن يسلك الإنسان طريق التفهم والتحصيل ، وطريق الطاعة والانتهاء والعفو في الأمور ونحو ذلك ، فهو أحسن من أن يسلك طريق الغفلة والمعصية فيجد أو يقع تحت الوعيد ، فهذا المعنى هو المقصود ب أحسن ، وليس المعنى أن بعض القرآن أحسن من بعض من حيث هو قرآن ، وإنما هو أحسن كله بالإضافة إلى أفعال الإنسان وما يلقى من عواقبها . قال السدي : الأحسن هو ما أمر الله تعالى به في كتابه . و: بغتة معناه : فجأة وعلى غير موعد . و: تشعرون مشتق من الشعار .

قوله عز وجل :

[سورة الزمر (٣٩) : الآيات ٥٦ الى ٦٠]

أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين (٥٦) أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين (٥٧) أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين (٥٨) بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين (٥٩) ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين (٦٠) ." (١)

---

(١) المحرر الوجيز . نسخة محققة ٥٣٧/٤

"المحرر الوجيز ، ج ٥ ، ص : ١٠٨

فإنه كان يقف على قوله : ولا تستعجل ويقول : «بلا غ» ابتداء وخبره متقدم في قوله : لهم وقدح الناس في هذا القول بكثيرة الحائل . وقرأ الحسن بن أبي الحسن ، وعيسى : «بلاغا» ، وهي قراءة تحتمل المعنيين اللذين في قراءة الرفع ، وليس يدخلها قول أبي مجلز ونصبها بفعل مضمر . وقرأ أبو مجلز وأبو سراج الهذلي : «بلغ» ، على الأمر . وقرأ الحسن بن أبي الحسن : «بلا غ» بالخفض نعتا ل نهار .

وقرأ جمهور الناس :

«فهل يهلك» على بناء الفعل للمفعول . وقرأ بعضهم فيما حكى هارون : «فهل يهلك» ببناء الفعل للفاعل وكسر اللام ، وحكاها أبو عمرو عن الحسن وابن محيصن : «يهلك» بفتح الياء واللام . قال أبو الفتح : وهي مرغوب عنها . وروى زيد بن ثابت عن النبي عليه السلام : «فهل يهلك» بضم الياء وكسر اللام «إلا القوم الفاسقين» بالنصب .

وفي هذه الألفاظ وعيد محض وإنذار بين ، وذلك أن الله تعالى جعل الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها ، وأمر بالطاعة ووعد عليها بالجنة ، ونهى عن الكفر وأوعد عليه بالنار ، فلن يهلك على الله إلا هالك كما قال صلى الله عليه وسلم . قال الثعلبي : يقال إن قوله : فهل يهلك إلا القوم الفاسقون أرجى آية في كتاب الله تعالى للمؤمنين . ." (١)

" وأمثلة هذا كثيرة وتأنس أبو علي في هذا المعنى بقول الشاعر

(تذكر من أنى ومن أين شربه ٪ يؤامر نفسيه كذي الهجمة الآبل) (١) قوله عز وجل (٢) >

العامل في ^ إذ ^ فعل مضمر تقديره واذكر

واختلف الناس لم صدرت هذه المقالة عن إبراهيم عليه السلام فقال الجمهور إن إبراهيم عليه السلام لم يكن شاكا في إحياء الله الموتى قط وإنما طلب المعاينة

وترجم الطبري في تفسيره فقال وقال آخرون سأل ذلك ربه لأنه شك في قدرة الله على إحياء الموتى وأدخل تحت الترجمة عن ابن عباس أنه قال ما في القرآن آية أرجى عندي منها وذكر عن عطاء بن أبي رباح أنه قال دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال ^ رب أرني كيف تحيي الموتى ^ وذكر حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (نحن أحق بالشك من إبراهيم)

---

(١) المحرر الوجيز . نسخة محققة ١٠٨/٥

(٢)> البقرة : (٢٦٠) وإذ قال إبراهيم . . . . .

الحديث

ثم رجح الطبري هذا القول الذي يجري مع ظاهر الحديث

وقال إن إبراهيم لما رأى الجيفة تأكل منها الحيتان ودواب البر ألقى الشيطان في نفسه فقال متى يجمع الله هذه من بطون هؤلاء وأما من قال بأن إبراهيم لم يكن شاكا فاختلفوا في سبب سؤاله فقال قتادة إن إبراهيم رأى دابة قد توزعتها السباع فعجب وسأل هذا السؤال

وقال الضحاك نحوه قال وقد علم عليه السلام أن الله قادر على أحياء الموتى وقال ابن زيد رأى الدابة تتقسمها السباع والحيتان لأنها كانت على حاشية البحر وقال ابن إسحاق بل سببها أنه لما فارق النمرود وقال له أنا أحيي وأميت فكر في تلك الحقيقة والمجاز فسأل هذا السؤال

وقال السدي وسعيد بن جبير بل سبب هذا السؤال أنه لما بشر بأن الله اتخذه خليلا أراد أن يدل بهذا السؤال ليجرب صحة الخلة فإن الخليل يدل بما لا يدل به غيره وقال سعيد بن جبير ^ ولكن ليطمئن قلبي ^ يريد بالخلة

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه وما ترجم به الطبري عندي مردود وما أدخل تحت الترجمة متأول فأما قول ابن عباس هي أرجى آية فمن حيث فيها الإدلال على الله تعالى وسؤال الإحياء في الدنيا وليست مظنة ذلك ويجوز أن يقول هي أرجى آية لقوله ^ أو لم تؤمن ^ أي إن الإيمان كاف لا يحتاج بعده إلى تنقير وبحث وأما قول عطاء بن أبي رباح دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فمعناه من حب المعاينة وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (ليس الخبر كالمعاينة) وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من إبراهيم فمعناه أنه لو كان شك لكنا نحن أحق به ونحن لا نشك فإبراهيم عليه السلام أحرى أن لا يشك فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم

والذي روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ذلك محض

١- الطويل

". (١)

قوله عز وجل

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٥٢/١

" نعمته في الصلاة عليهم وصلاة الله تعالى على العبد هي رحمته له وبركته لديه ونشره عليه الثناء الجميل وصلاة الملائكة هي دعاؤهم للمؤمنين وروت فرقة أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله كيف صلاة الله على عباده قال سبوح قدوس رحمتي سبقت غضبي

قال الفقيه الإمام القاضي واختلف في تأويل هذا القول فقيل إن هذا كله من كلام الله وهي صلاته على عباده وقيل سبوح قدوس هو من كلام محمد تقدمت بين يدي نقطة باللفظ الذي هو صلاة الله وهو رحمتي سبقت غضبي وقدم عليه السلام هذا من حيث فهم من السائل أنه توهم في صلاة الله تعالى على عباده وجها لا يليق بالله عز وجل فقدم التنزيه لله والتعظيم بين يدي أخباره وقوله ^ ليخرجكم ^ أي صلاته وصلاة ملائكته لكي يهديكم وينقذكم من الكفر إلى الإيمان ثم أخبر تعالى برحمته بالمؤمنين تأنيسا لهم (١) > وقوله ^ يوم يلقونه ^ قيل يوم القيامة المؤمن تحييه الملائكة ب السلام ومعناه السلامة من كل مكروه وقال قتادة يوم دخولهم الجنة يحيي بعضهم بعضا بالسلام أي سلمنا وسلمت من كل مخوف وقيل تحييهم الملائكة يومئذ والأجر الكريم جنة الخلد في جواره ﷻ (٢)

قوله عز وجل من سورة الأحزاب آية ٤٥ - ٤٩(٣)

(٤) > هذه الآية فيها تأنيس للنبي عليه السلام وللمؤمنين وتكريم لجميعهم و ^ شاهدا ^ معناه على أمتك بالتبليغ إليهم وعلى سائر الأمم في تبليغ أنبيائهم ونحو ذلك و ^ مبشرا ^ معناه للمؤمنين برحمة الله تعالى وبالجنة ^ ونذيرا ^ معناه للعصاة والمكذبين من النار وعذاب الخلد (٥) > قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ومعاذا فبعثهما إلى اليمن وقال اذهبا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا فإنه قد أنزل علي وقرأ الآية والدعاء إلى الله تعالى هو تبليغ التوحيد والأخذ به ومكافحة الكفرة و ^ بإذنه ^ معناه هنا بأمره إياك وتقديره ذلك في وقته وأوانه ^ وسراجا منيرا ^ استعارة للنور الذي يتضمنه شرعه فكأن

---

(١)< الأحزاب : (٤٤) تحيتهم يوم يلقونه . . . . .

(٢)

(٣)

(٤)< الأحزاب : (٤٥) يا أيها النبي . . . . .

(٥)< الأحزاب : (٤٦) وداعيا إلى الله . . . . .

المهديين به والمؤمنين يخرجون به من ظلمة الكفر (١) < وقوله ^ وبشر ^ الواو عاطفة جملة على جملة والمعنى منقطع من الذي قبله أمره الله تعالى بأن يبشر المؤمنين بالفضل الكبير من الله

قال القاضي أبو محمد قال لنا أبي رضي الله عنه هذه من أرجى آية عندي في كتاب الله تعالى لأن الله تعالى أمر نبيه أن يبشر المؤمنين ^ بأن لهم ^ عنده ^ فضلا كبيرا ^ وقد بين تعالى الفضل الكبير ما هو في قوله تعالى ^ والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو

---

(٢) ".

" الرجاء في ناحيته والعصي في المشيئة لكن يغلب الخوف في ناحيته

واختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية فقال عطاء بن يسار نزلت في وحشي قاتل حمزة وقال قتادة والسدي وابن أبي إسحاق نزلت في قوم بمكة آمنوا ولم يهاجروا وفتنهم قريش فافتتنوا ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم فنزلت الآية فيهم منهم الوليد بن الوليد وهشام بن العاصي وهذا قول عمر بن الخطاب وأنه كتبها بيده إلى هشام بن العاصي الحديث وقالت فرقة نزلت في قوم كفار من أهل الجاهلية قالوا وما ينفعنا الإسلام ونحن قد زنينا وقتلنا الناس وأتينا كل كبيرة فنزلت الآية فيهم وقال علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عمر هذه أرجى آية في القرآن وروى ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أحب أن لي الدنيا بما فيها بهذه الآية ^ يا عبادي ^ و ^ وأسرفوا ^ معناه أفرطوا وتعدوا الطور والقنط أعظم اليأس

وقرأ نافع وجمهور الناس تقنطوا بفتح النون قال أبو حاتم يلزمهم أن يقرؤوا ^ من بعد ما قنطوا ^ [الشورى : ٢٨] بالكسر ولم يقرأ به أحد وقرأ الأشهب العقيلي بضم النون وقرأ أبو عمرو وابن وثاب بكسرها وهي لغات

وقوله ^ إن الله يغفر الذنوب جميعا ^ عموم بمعنى الخصوص لأن الشرك ليس بداخل في الآية إجماعا وهي أيضا في المعاصي مقيدة بالمشيئة و ^ جميعا ^ نصب على الحال وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي وقرأ ابن مسعود إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء (٣) < ^ وأنيبوا ^ معناه ارجعوا وميلوا بنفوسكم والإنابة الرجوع بالنفس إلى الشيء وقوله ^ من قبل أن يأتيكم العذاب ^ توعد بعذاب الدنيا والآخرة

---

(١) > الأحزاب : (٤٧) وبشر المؤمنين بأن . . . . .

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٨٩/٤

(٣) > الزمر : (٥٤) وأنيبوا إلى ربكم . . . . . .

(١) > وقوله تعالى ^ واتبعوا أحسن ^ معناه أن القرآن العزيز تضمن عقائد نيرة وأوامر ونواهي منجية وعدات على الطاعات والبر وحدودا على المعاصي ووعيدا على بعضها فالأحسن أن يسلك الإنسان طريق التفهم والتحصيل وطريق الطاعة والانتهاء والعفو في الأمور ونحو ذلك فهو أحسن من أن يسلك طريق الغفلة والمعصية فيجد أو يقع تحت الوعيد فهذا المعنى هو المقصود ب ^ أحسن ^ وليس المعنى أن بعض القرآن أحسن من بعض من حيث هو قرآن وإنما هو أحسن كله بالإضافة إلى أفعال الإنسان وما يلقى من عواقبها قال السدي الأحسن هو ما أمر الله تعالى به في كتابه و ^ بغتة ^ معناه فجأة وعلى غير موعد و ^ تشعرون ^ مشتق من الشعار (٢)

قوله عز وجل من سورة الزمر آية ٥٦ - ٦٠ (٣)

." (٤)

" فإنه كان يقف على قوله ^ ولا تستعجل ^ ويقول (بلاغ) ابتداء وخبره متقدم في قوله ^ لهم ^ وقدح الناس في هذا القول بكثرة الحائل

وقرأ الحسن بن أبي الحسن وعيسى (بلاغا) وهي قراءة تحتمل المعنيين اللذين في قراءة الرفع وليس يدخلها قول أبي مجلز ونصبها بفعل مضمر

وقرا أبو مجلز وأبو سراج الهذلي (بلغ) على الأمر

وقرا الحسن بن أبي الحسن (بلاغ) بالخفض نعتا ل ^ نهار ^

وقرا جمهور الناس

(فهل يهلك) على بناء الفعل للمفعول

وقرأ بعضهم فيما حكى هارون (فهل يهلك) ببناء الفعل للفاعل وكسر اللام وحكاها أبو عمرو عن الحسن وابن محيصن (يهلك) بفتح الياء واللام قال أبو الفتح وهي مرغوب عنها

---

(١)> الزمر : (٥٥) واتبعوا أحسن ما . . . . .

(٢)

(٣)

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥٣٧/٤

وروى زيد بن ثابت عن النبي عليه السلام (فهل يهلك) بضم الياء وكسر اللام (الا القوم الفاسقين) بالنصب

وفي هذه الألفاظ وعيد محض وإنذار بين وذلك ان الله تعالى جعل الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها وامر بالطاعة ووعد عليها بالجنة ونهى عن الكفر وأوعد عليه بالنار فلن يهلك على الله الا هالك كما قال صلى الله عليه وسلم

قال الثعلبي يقال إن قوله ^ فهل يهلك الا القوم الفاسقون ^ أرجى آية في كتاب الله تعالى للمؤمنين

(١) ".

" وبعدها فوعده الله تعالى على هذا التأويل بالنصر والظهور

(٢) > وقوله تعالى ^ ووجدك ضالا ^ أي وجده إنعامه بالنبوة والرسالة على غير الطريقة التي هو عليها في نبوته وهذا قول الحسن والضحاك وفرقة والضلال يختلف فمنه القريب ومنه البعيد فالبعيد ضلال الكفار الذين يعبدون الأصنام ويحتجون لذلك ويعتبطون به وكان هذا الضلال الذي ذكره الله تعالى لنبيه عليه السلام أقرب ضلال وهو الكون واقفا لا يميز المهيع لا انه تمسك بطريق أحد بل كان يرتاد وينظر وقال السدي أقام على امر قومه أربعين سنة وقيل معنى ^ وجدك ضالا ^ اي تنسب الى الضلال وقال الكلبي ووجدك في قوم ضلال فكانك واحد منهم

قال القاضي ابو محمد ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعبد صنما قط ولكنه اكل ذبائحهم حسب حديث زيد بن عمرو في أسفل بارح وجرى على يسير من امرهم وهو مع ذلك ينظر خطأ ما هم فيه ودفع من عرفات وخالفهم في أشياء كثيرة وقال ابن عباس هو ضلاله وهو صغير في شعاب مكة ثم رده الله تعالى الى جده عبد المطلب وقيل هو ضلاله من حليمة مرضعته وقال الترمذي وعبد العزيز بن يحيي ^ ضالا ^ معناه خامل الذكر لا يعرفك الناس فهداهم اليك ربك والصواب انه ضلال من توقف لا يدري كما قال عز وجل ^ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ^ الشورى ٥٢ قال ثعلب قال أهل السنة هو تزويجه بنته في الجاهلية ونحوه والعائل الفقير وقرا اليماني (عيلا) بشد الياء المكسورة ومنه قول الشاعر أحيحة

(وما يدري الفقير متى غناه ٪ وما يدري الغني متى يعيل) (١)

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/١٠٨

(٢)< الضحى : (٧) ووجدك ضالا فهدى

(١) < وأعال كثر عياله وعال افتقر ومنه قول الله تعالى ^ وإن خفتم عيلة ^ التوبة ٢٨ وقوله تعالى ^ فأغنى ^ قال مقاتل معناه رضاك بما أعطاك من الرزق وقيل فقيرا اليه فأغناك به والجمهور على انه فقر المال وغناه والمعنى في النبي صلى الله عليه وسلم أنه أغني بالقناعة والصبر وحببا اليه فقر الحال وغناه وقيل اغني بالكفاف لتصرفه في مال خديجة ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قط كثير المال ورفعه الله عن ذلك وقال (ليسى الغنى عن كثرة العرض ولكنه غنى النفس)

وكما عدد الله عليه هذه النعم الثلاث وصاه بثلاث وصايا في كل نعمة وصية مناسبة لها فبإزاء قوله ^ ألم يجدك يتيما فآوى ^ قوله

---

١ – الوافر

"العامل في ﴿ إذ ﴾ فعل مضمر تقديره واذكر . واختلف الناس لم صدرت هذه المقالة عن إبراهيم عليه السلام ؟ فقال الجمهور : إن إبراهيم عليه السلام لم يكن شاكا في إحياء الله الموتى قط ، وإنما طلب المعاينة . وترجم الطبري في تفسيره فقال : وقال آخرون سأل ذلك ربه لأنه شك في قدرة الله على إحياء الموتى وأدخل تحت الترجمة عن ابن عباس أنه قال : ما في القرآن آية أرجى عندي منها ، وذكر عن عطاء بن أبي رباح أنه قال : دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال : ﴿ رب أرني كيف تحيي الموتى ﴾ ؟ وذكر حديث أبي هريرة أن رسول الله A قال : « نحن أحق بالشك من إبراهيم » الحديث . ثم رجح الطبري هذا القول الذي يجري مع ظاهر الحديث . وقال : إن إبراهيم لما رأى الجيفة تأكل منها الحيتان ودواب البر ألقى الشيطان في نفسه فقال : متى يجمع الله هذه من بطون هؤلاء ؟ وأما من قال : بأن إبراهيم لم يكن شاكا ، فاختلفوا في سبب سؤاله . فقال قتادة : إن إبراهيم رأى دابة قد توزعتها السباع فعجب وسأل هذا السؤال . وقال الضحاك : نحوه ، قال : وقد علم عليه السلام أن لله قادر على إحياء الموتى ، وقال ابن زيد : رأى الدابة تتقسمها السباع والحيتان لأنها كانت على حاشية البحر ، وقال ابن إسحاق ، بل سببها أنه لما فارق النمرود وقال له : أنا أحيي وأميت ، فكر في تلك الحقيقة والمجاز ، فسأل هذا السؤال . وقال السدي وسعيد بن جبير : بل سبب هذا السؤال أنه بشر بأن الله اتخذه خليلا أراد أن يدل بهذا السؤال ليجرب صحة الخلة ، فإن الخليل يدل بما لا يدل به غيره ، وقال سعيد بن جبير : ﴿ ولكن ليطمئن قلبي ﴾ يريد بالخلة .
قال القاضي أبو محمد عبد الحق Bه : وما ترجم به الطبري عندي مردود ، وما أدخل تحت الترجمة متأول ، فأما قول ابن عباس : هي أرجى آية فمن حيث فيها الإدلال على الله تعالى وسؤال الإحياء في الدنيا ، وليست

---

(١)< الضحى : (٨ – ١٠) ووجدك عائلا فأغنى

مظنة ذلك ، ويجوز أن يقول : هي أرجى آية لقوله : ﴿ أو لم تؤمن ﴾ ؟ أي إن الإيمان كاف لا يحتاج بعده إلى تنقير وبحث ، وأما قول عطاء بن أبي رباح : دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فمعناه من حب المعاينة ، وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت ، به ، ولهذا قال النبي عليه السلام : « ليس الخبر كالمعاينة » ، وأما قول النبي عليه السلام نحن أحق بالشك من إبراهيم فمعناه : أنه لو كان شك لكنا نحن أحق به ونحن لا نشك ، فإبراهيم عليه السلام أحرى أن لا يشك ، فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم . . " (١)

"المشهور من الروايات أن هذه الآية نزلت في قصة أبي بكر بن أبي قحافة الصديق ومسطح بن أثاثة ، وذلك أنه كان ابن خالته وكان من المهاجرين البدريين المساكين وهو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف ، وقيل اسمه عوف ومسطح لقب ، وكان أبو بكر ينفق عليه لمسكنته ، فلما وقع أمر الإفك وقال فيه مسطح ما قال حلف أبو بكر ألا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة أبدا ، فجاءه مسطح فاعتذر وقال إنما كنت أغشى مجلس حسان فأسمع ولا أقول ، فقال له أبو بكر لقد ضحكت وشاركت فيما قيل ومر على يمينه ، فنزلت الآية ، وقال الضحاك وابن عباس إن جماعة من المؤمنين قطعوا منافعهم عن كل من قال في الإفك وقالوا والله لا نصل من تكلم في شأن عائشة فنزلت الآية في جميعهم والأول أصح ، غير أن الآية تتناول الأمة إلى يوم القيامة بأن لا يغتاظ « ذو فضل وسعة » فيحلف أن لا ينفع من هذه صفته غابر الدهر ، ورأى الفقهاء من حلف ألا يفعل سنة من السنن أو مندوبا وأبد ذلك أنها جرحة في شهادته ذكر الباجي في المنتقى ، ومنه قول النبي A « أيكم المتألي على الله لا يفعل المعروف » ، و ﴿ يأتل ﴾ معناه يحلف وزنها يفتعل من الألية وهي اليمين ، وقالت فرقة معناه يقصر من قولك ألوت في كذا إذا قصرت فيه ، ومن قوله تعالى : ﴿ لا يألونكم خبالا ﴾ ، وقرأ أبو جعفر بن القعقاع وزيد بن أسلم « ولا يتأل » وهذا وزنه يتفعل من الألية بلا خلاف وهي في المصحف ياء تاء لام ، فلذلك ساغ هذا الخلاف لأبي جعفر وزيد فروياه ، وذكر الطبري أن خط المصحف مع قراءة الجمهور فظاهر قوله إن ثم ألفا قبل التاء ، و « الفصل والسعة » هنا هي المال ، وقوله تعالى : ﴿ ألا تحبون ﴾ الآية تمثيل وحجة أي كما تحبون عفو الله لكم عن ذنوبكم فذلك أغفر لمن دونكم وينظر إلى هذا المعنى قول النبي عليه السلام « من لا يرحم لا يرحم » فروي أن أبا بكر Bه لما نزلت هذه الآية قال إني لأحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح النفقة والإحسان الذي كان يجري عليه ، قالت عائشة وكفر عن يمينه ، وقرأ ابن مسعود وسفيان بن حسين « ولتعفوا ولتصفحوا » بالتاء من فوق فيهما ، ورويت عن النبي A ، وقال بعض الناس هذه أرجى آية في كتاب الله D من حيث لطف الله فيها بالقذفة العصاة بهذا اللفظ ، قال القاضي أبو محمد وإنما تعطي الآية تفضلا من الله في الدنيا وإنما الرجاء في الآخرة ، أما أن الرجاء في هذه الآية بقياس

---

(١) المحرر الوجيز – ابن عطية ٣٢٠/١

أي إذا أمر « أولي السعة » بالعفو فطرد هذا التفضل بسعة رحمته لا رب سواه ، وإنما آيات الرجاء قوله تعالى : ". (١)

"هذه الآية عامة في جميع الناس إلى يوم القيامة في كافر ومؤمن ، أي إن توبة الكافر تمحو ذنوبه ، وتوبة العاصي تمحو ذنبه . واختلف هل يكون في المشيئة أو هو مغفور له ولا بد ؟ فقالت فرقة من أهل السنة : هو مغفور له ولا بد ، وهذا مقتضى ظواهر القرآن ، وقالت فرقة : التائب في المشيئة ، لكن يغلب الرجاء في ناحيته ، والعاصي في المشيئة ، لكن يغلب الخوف في ناحيته .

واختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية ، فقال عطاء بن يسار : نزلت في وحشي قاتل حمزة . وقال قتادة والسدي وابن أبي إسحاق : نزلت في قوم بمكة آمنوا ولم يهاجروا وفتنهم قريش فافتتنوا ، ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم فنزلت الآية فيهم ، منهم الوليد بن الوليد ، وهشام بن العاصي ، وهذا قول عمر بن الخطاب وأنه كتبها بيده إلى هشام بن العاصي الحديث . وقالت فرقة : نزلت في قوم كفار من أهل الجاهلية ، قالوا : وما ينفعنا الإسلام ونحن قد زنينا وقتلنا الناس وأتينا كل كبيرة فنزلت الآية فيهم . وقال علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عمر : هذه أرجى آية في القرآن . وروى ثوبان عن النبي A : أنه قال : « ما أحب أن لي الدنيا بما فيها بهذه الآية » ، ﴿ يا عبادي ﴾ و : ﴿ أسرفوا ﴾ معناه : أفرطوا وتعدوا الطور . والقنط . أعظم اليأس .

وقرأ نافع وجمهور الناس : « تقنطوا » بفتح النون . قال أبو حاتم : يلزمهم أن يقرؤوا : ﴿ من بعد ما قنطوا ﴾ [الشورى : ٢٨] بالكسر ، ولم يقرأ به أحد . وقرأ الأشهب العقيلي بضم النون . وقرأ أبوعمرو وابن وثاب بكسرها ، وهي لغات .

وقوله : ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ عموم بمعنى الخصوص ، لأن الشرك ليس بداخل في الآية إجماعا ، وهي أيضا في المعاصي مقيدة بالمشيئة . و ﴿ جميعا ﴾ نصب هلى الحال . وروي أن رسول الله A قرأ : « إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي » . وقرأ ابن مسعود : « إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء » . ﴿ وأنيبوا ﴾ معناه : ارجعوا وميلوا بنفوسكم ، والإنابة : الرجوع بالنفس إلى الشيء .

وقوله : ﴿ من قبل أن يأتيكم العذاب ﴾ توعد بعذاب الدنيا والآخرة .

وقوله تعالى : ﴿ واتبعوا أحسن ﴾ معناه : أن القرآن العزيز تضمن عقائد نيرة وأوامر ونواهي منجية وعدات على الطاعات والبر وحدودا على المعاصي ووعيدا على بعضها ، فالأحسن أن يسلك الإنسان طريق

---

(١) المحرر الوجيز – ابن عطية ٦٣/٥

التفهم والتحصيل ، وطريق الطاعة والانتهاء والعفو في الأمور ونحو ذلك ، فهو أحسن من أن يسلك طريق الغفلة والمعصية فيجد أو يقع تحت الوعيد ، فهذا المعنى هو المقصود ب ﴿ أحسن ﴾ ، وليس المعنى أن بعض القرآن أحسن من بعض من حيث هو قرآن ، وإنما هو أحسن كله بالإضافة إلى أفعال الإنسان وما يلقى من عواقبها . قال السدي : الأحسن هو ما أمر الله تعالى به في كتابه . و : ﴿ بغتة ﴾ معناه : فجأة وعلى غير موعد . و : ﴿ تشعرون ﴾ مشتق من الشعار . ." (١)

"والثاني : أن يكون ابتداء والخبر محذوف . والثالث : ما قاله أبو مجلز فإنه كان يقف على قوله : ﴿ ولا تستعجل ﴾ ويقول : « بلاغ » ابتداء وخبره متقدم في قوله : ﴿ لهم ﴾ وقدح الناس في هذا القول بكثرة الحائل . وقرأ الحسن بن أبي الحسن ، وعيسى : « بلاغا » ، وهي قراءة تحتمل المعنيين اللذين في قراءة الرفع ، وليس يدخلها قول أبي مجلز ونصبها بفعل مضمر . وقرأ أبو مجلز وأبو سراج الهذلي : « بلغ » ، على الأمر . وقرأ الحسن بن أبي الحسن : « بلاغ » بالخفض نعتا ل ﴿ نهار ﴾ .

وقرأ جمهور الناس :

« فهل يهلك » على بناء الفعل للمفعول . وقرأ بعضهم فيما حكى هارون : « فهل يهلك » ببناء الفعل للفاعل وكسر اللام ، وحكاها أبو عمرو عن الحسن وابن محيصن : « يهلك » بفتح الياء واللام . قال أبو الفتح : وهي مرغوب عنها . وروى زيد بن ثابت عن النبي عليه السلام : « فهل يهلك » بضم الياء وكسر اللام « إلا القوم الفاسقين » بالنصب .

وفي هذه الألفاظ وعيد محض وإنذار بين ، وذلك أن الله تعالى جعل الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها ، وأمر بالطاعة ووعد عليها بالجنة ، ونهى عن الكفر وأوعد عليه بالنار ، فلن يهلك على الله إلا هالك كما قال A . قال الثعلبي : يقال إن قوله : ﴿ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾ أرجى آية في كتاب الله تعالى للمؤمنين . ". (٢)

"وقوله تعالى : ﴿ يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا . . . ﴾ الآية ، هذه الآية فيها تأنيس للنبي A وللمؤمنين ، وتكريم لجميعهم .

وقوله : ﴿ وداعيا إلى الله بإذنه ﴾ أي : بأمره ﴿ وسراجا منيرا ﴾ استعارة للنور الذي تضمنه شرعه .

وقوله تعالى : ﴿ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ﴾ .

---

(١) المحرر الوجيز – ابن عطية ٥/٤٨٤

(٢) المحرر الوجيز – ابن عطية ٦/١٢٧

قال * ع * : قال لنا أبي رحمه الله : هذه الآية من أرجى آية عندي في كتاب الله D .
قال أبو بكر الخطيب أخبرنا أبو نعيم الحافظ ثم ذكر سنده إلى ابن عباس قال : قال النبي A " أنزلت علي آية ﴿ ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ﴾ قال : شاهدا : على أمتك ، ومبشرا : بالجنة ، ونذيرا : من النار ، وداعيا : إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، بإذنه : بأمره ، وسراجا منيرا : بالقرآن " انتهى ، من «تاريخ بغداد» له ، من ترجمة «محمد بن نصر» .
وقوله تعالى : ﴿ ودع أذاهم ﴾ يحتمل أن يريد أن يأمره تعالى بترك أن يؤذيهم هو ويعاقبهم ، فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول ، ويحتمل أن يريد : أعرض عن أقوالهم وما يؤذونك به ، فالمصدر على هذا التأويل مضاف إلى الفاعل ؛ وهذا تأويل مجاهد ، وباقي الآية بين . ." (١)

"وقوله تعالى : ﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . . . ﴾ الآية ، هذه الآية عامة في جميع الناس إلى يوم القيامة ، فتوبة الكافر تمحو ذنبه ، وتوبة العاصي تمحو ذنبه ؛ على ما تقدم تفصيله ، واختلف في سبب نزول هذه الآية ، فقال عطاء بن يسار : نزلت في وحشي قاتل حمزة ، وقال ابن إسحاق وغيره : نزلت في قوم بمكة آمنوا ، ولم يهاجروا وفتنتهم قريش ، فافتتنوا ، ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم ، [فنزلت] الآية فيهم ، منهم الوليد بن الوليد وهشام بن العاصي ؛ وهذا قول عمر بن الخطاب ، وأنه كتبها بيده إلى هشام بن العاصي ، الحديث ، وقالت فرقة : نزلت في قوم كفار من أهل الجاهلية ، قالوا : وما ينفعنا الإسلام ، ونحن قد زنينا وقتلنا النفس ، وأتينا كل كبيرة ، فنزلت الآية فيهم ، وقال علي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، وابن عمر : هذه أرجى آية في القرآن ، وروى ثوبان عن النبي A قال : " ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ﴿ قل ياعبادى . . . " و ﴿ أسرفوا ﴾ معناه أفرطوا ، والقنط أعظم اليأس ، وقرأ نافع والجمهور «تقنطوا» بفتح النون ، قال أبو حاتم : فيلزمهم أن يقرؤوا ﴿ من بعد ما قنطوا ﴾ [الشورى : ٢٨] بكسرها ولم يقرأ به أحد ، وقرأ أبو عمرو «تقنطوا» بالكسر .
وقوله : ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ عموم بمعنى الخصوص ؛ لأن الشرك ليس بداخل في الآية إجماعا ، وهي أيضا في المعاصي مقيدة بالمشيئة ، وروي أن النبي A قرأ : " إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي " وقرأ ابن مسعود : «إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء» ﴿ وأنيبوا ﴾ معناه : ارجعوا . ." (٢)

"وقوله تعالى : ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار ﴾ المعنى : واذكر يوم ، وهذا وعيد لكفار قريش وغيرهم ، وهذا عرض مباشرة .
وقوله : ﴿ أليس هذا بالحق ﴾ أي : يقال لهم : أليس هذا بالحق ؟ ﴿ قالوا بلى وربنا ﴾ فصدقوا بذلك حيث

---

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن – الثعالبي ٣/٢٢٣
(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن – الثعالبي ٣/٣٣١

لا ينفعهم التصديق ، فروي عن الحسن ؛ أنه قال : إنهم ليعذبون في النار ، وهم راضون بذلك لأنفسهم يعترفون أنه العدل .

واختلف في تعيين أولى العزم من الرسل ، ولا محالة أن لكل نبي ورسول عزما وصبرا .

وقوله : ﴿ ولا تستعجل لهم ﴾ معناه : ولا تستعجل لهم عذابا ؛ فإنهم إليه صائرون ، ولا تستطل تعميرهم في هذه النعمة ؛ فإنهم يوم يرون العذاب كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة لاحتقارهم ذلك ؛ لأن المنقضي من الزمان يصير عدما .

* ت * : وإذا علمت أيها الأخ أن الدنيا أضغاث أحلام ، كان من الحزم اشتغالك الآن بتحصيل الزاد للمعاد ، وحفظ الحواس ، ومراعاة الأنفاس ، ومراقبة مولاك ، فآتخذه صاحبا ، وذر الناس جانبا ؛ قال أبو حامد الغزالي رحمه الله : اعلم أن صاحبك الذي لا تفارقه في حضرك وسفرك ، ونومك ويقظتك ، بل في حياتك ، وموتك هو ربك ، ومولاك ، وسيدك ، وخالقك ، ومهما ذكرته فهو جليسك ؛ إذ قال تعالى : " أنا جليس من ذكرني " ، ومهما انكسر قلبك حزنا على تقصيرك في حق دينك ، فهو صاحبك وملازمك ؛ إذ قال : «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» فلو عرفته يا أخي حق معرفته لاتخذته صاحبا ، وتركت الناس جانبا ، فإن لم تقدر على ذلك في جميع أوقاتك ، فإياك أن تخلي ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه بمولاك ، وتلذذ بمناجاته ، وعند ذلك فعليك بآداب الصحبة مع الله تعالى ، وآدابها : إطراق الطرف ، وجمع الهم ، ودوام الصمت ، وسكون الجوارح ، ومبادرة الأمر ، واجتناب النهي ، وقلة الاعتراض على القدر ، ودوام الذكر باللسان ، وملازمة الفكر ، وإيثار الحق ، واليأس من الخلق ، والخضوع تحت الهيبة ، والانكسار تحت الحياء ، والسكون عن حيل الكسب ثقة بالضمان ، والتوكل على فضل الله معرفة بحسن اختياره ؛ وهذا كله ينبغي أن يكون شعارك ، في جميع ليلك ونهارك ، فإنه آداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك ، والخلق كلهم يفارقونك في بعض أوقاتك ، ، انتهى من «بداية الهداية» .

وقوله : ﴿ بلاغ ﴾ يحتمل معاني :

أحدها : أن يكون خبر مبتدإ محذوف ، أي : هذا إنذار وتبليغ .

ويحتمل أن يريد : كأن لم يلبثوا إلا ساعة كانت بلاغهم ، وهذا كما تقول : متاع قليل ، وقيل غير هذا ، وقرأ أبو مجلز وغيره : ﴿ بلغ ﴾ على الأمر ، وقرأ الحسن بن أبي الحسن : ﴿ بلاغ ﴾ بالخفض نعتا ل ﴿ نهار ﴾ .

وقوله سبحانه : ﴿ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾ وقرىء شاذا : ﴿ فهل يهلك ﴾ ببناء الفعل للفاعل ، وفي هذه الآية وعيد محض ، وإنذار بين ؛ وذلك أن الله D جعل الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها ، وغفر الصغائر باجتناب الكبائر ، ووعد الغفران على التوبة ، فلن يهلك على الله إلا هالك ؛ كما قال A قال الثعلبي

: يقال : إن قوله تعالى : ﴿ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾ أرجى آية في كتاب الله عز وجل للمؤمنين . ." (١)

"و : أرني ، سؤال رغبة ، وهو معمول : لقال ، والرؤية هنا بصرية ، دخلت على رأى همزة النقل ، فتعدت لاثنين : أحدهما ياء المتكلم ، والآخر الجملة الاستفهامية . أ هـ ﴿البحر المحيط حـ ٢ صـ ٣٠٨﴾

فصل

قال القرطبي :

اختلف الناس في هذا السؤال هل صدر من إبراهيم عن شك أم لا ؟ فقال الجمهور : لم يكن إبراهيم عليه السلام شاكا في إحياء الله الموتى قط وإنما طلب المعانية ، وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به ؛ ولهذا قال عليه السلام : " ليس الخبر كالمعانية " رواه ابن عباس لم يروه غيره ؛ قاله أبو عمر .

قال الأخفش : لم يرد رؤية القلب وإنما أراد رؤية العين .

وقال الحسن وقتادة وسعيد ابن جبير والربيع : سأل ليزداد يقينا إلى يقينه .

قال ابن عطية : وترجم الطبري في تفسيره فقال : وقال آخرون سأل ذلك ربه ؛ لأنه شك في قدرة الله تعالى .

وأدخل تحت الترجمة عن ابن عباس قال : ما في القرآن آية أرجى عندي منها .

وذكر عن عطاء بن أبي رباح أنه قال : دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال : رب أرني كيف تحيي الموتى .

وذكر حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " نحن أحق بالشك من إبراهيم " الحديث ، ثم رجح الطبري هذا القول .

قلت : حديث أبي هريرة خرجه البخاري ومسلم عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي " قال ابن عطية : وما ترجم به الطبري عندي مردود ، وما أدخل تحت الترجمة متأول ؛ فأما قول ابن عباس : " هي أرجى آية" فمن حيث فيها الإدلال على الله تعالى وسؤال الإحياء في الدنيا وليست مظنة ذلك .

ويجوز أن يقول : هي أرجى آية لقوله " أولم تؤمن" أي إن الإيمان كاف لا يحتاج معه إلى تنقير وبحث . ". (٢)

---

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن – الثعالبي ٣/٤٤٢

(٢) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ١٠١/١٣

"﴿ ويرسل عليكم حفظة ﴾ وهي القوى التي ينطبع فيها الخير والشر ويصير هيئة أو ملكة ويظهر عند انسلاخ الروح ويتمثل بصور مناسبة أو القوى السماوية التي تنتقش فيها الصور الجزئية ولا تغادر صغيرة ولا كبيرة ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا ﴾ قيل : هم نفس أولئك الحفظة وقد أودع الله تعالى فيهم القدرة على التوفي ﴿ ثم ردوا إلى الله ﴾ في عين الجمع المطلق ﴿ مولاهم ﴾ أي مالكهم الذي يلي سائر أحوالهم إذ لا وجود لها إلا به ﴿ الحق ﴾ وكل ما سواه باطل .

وذكر بعض أهل الإشارة أن هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى بناء على أن الله تعالى أخبر برجوع العبد إليه سبحانه وخروجه من سجن الدنيا وأيدي الكاتبين واصفا نفسه له بأنه مولاه الحق المشعر بأن غيره سبحانه لا يعد مولى حقا ، ولا شك أنه لا أعز للعبد من أن يكون مرده إلى مولاه ﴿ ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ﴾ [الأنعام : ٦٢] إذ ظهور الأعمال بالصور المناسبة آن مفارقة الروح للجسد .

﴿ ﴾ إذ ظهور الأعمال بالصور المناسبة آن مفارقة الروح للجسد . " (١)

"التوبة : بالعلم الصحيح بقبح الذنب وسوء عاقبته وألم الوجدان من تصور سخط الله والخوف من عقابه ، والإقلاع عن الذنب أو الذنوب ؛ بباعث هذا الألم الذي هو ثمرة ذلك العلم ، والعزم على عدم العود إلى اقترافها ، ثم العمل بضدها ؛ ليمحى من النفس أثرها ، والروايات صريحة بأن اعتراف من ذكر بذنوبهم قد استتبع كل هذا .

(إن الله غفور رحيم) تعليل لرجاء قبول توبتهم ، إذ معناه أنه كثير المغفرة للتائبين واسع الرحمة للمحسنين ، كما قال : (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) (٢٠ : ٨٢) وكما قال : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) (٧ : ٥٦) وكما قص علينا من خبر استغفار الملائكة للمؤمنين قولهم : (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) إلى قوله : (وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) (٤٠ : ٧ – ٩) .

قال بعض العلماء : إن هذه الآية أرجى آية في القرآن ، وقال آخرون أرجى الآيات قوله تعالى : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من

". (٢)

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ١٣٧/٢٣٧

(٢) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٢٦٦/٣٤٧

"﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

فقال الإمام علي : حسنة ، وليست إياها .

وصمت القوم وأحجموا ، فقال الإمام علي كرم الله وجهه : ما بالكم يا معشر المسلمين ؟ وكأنه يسألهم : لماذا سكتم ؟ . . فقالوا : لا شيء .

وهكذا جعل الإمام علي التشويق أساسا يبني عليه ما سوف يقول لهم : واشرأبت أعناقهم ، وأرهفوا السمع ، فقال لهم الإمام علي : سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " أرجى آية في كتاب الله هي قول الحق سبحانه :

﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ﴾ [هود : ١١٤] .

يا علي إن أحدكم ليقوم من وضوئه فتتساقط عن جوارحه ذنوبه ، فإذا أقبل على الله بوجهه وقلبه لا ينفتل أي : لا يلتفت إلا وقد غفر الله له كل ذنوبه كيوم ولدته أمه ؛ فإذا أحدث شيئا بين الصلاتين فله ذلك ، ثم عد الصلوات الخمس واحدة واحدة ، فقال بين الصبح والظهر ، وبين الظهر والعصر ، وبين العصر والمغرب ، وبين المغرب والعشاء ، وبين العشاء والفجر ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : " يا علي إنما الصلوات الخمس لأمتي كنهر جار بباب أحدكم ، أو لو كان على جسد واحد منكم درن ثم اغتسل في البحر ، أيبقى على جسده شيء من الدرن ؟ قال : فذلكم والله الصلوات لأمتي " .

ولذلك لو نظرنا إلى الأعمال لوجدنا كل عمل له مجاله في عمره إلا مجال الصلاة ، فمجالها كل عمر الإنسان .

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك : ﴿ واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾

وجاءت كلمة " اصبر " لتخدم كل عمليات الاستقامة .

وكذلك يقول الحق سبحانه :

﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ [طه : ١٣٢] .

(١) ".

"السدي هذه أرجى آية في القرآن لذكر المغفرة مع الظلم بدون التوبة راجع الآية ٨٥ من سورة الإسراء ج ١ تجد ما يتعلق في هذا البحث "وإن ربك لشديد العقاب ٦" لمن يموت على كفره "ويقول الذين كفروا" هلا "لو لا أنزل عليه" على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي يدعونا إلى دينه "آية من ربه" يقنعنا بها كآية

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٢٠٩/٣٨٦

صالح أو موسى وغيرهما يريدون شيئا محسوسا فقال تعالى لرسوله لا ترد عليهم "إنما أنت منذر" لهم سوء عاقبة الكفر ومبشر بحسن نتيجة الإيمان "ولكل قوم هاد" يهديهم بما أرسل إليه من ربه إلى دينه القويم بالطرق التي أمره بها ربه لا بما يريدون ويتحكمون ، لأن الله تعالى لم تجر عادته أن ينزل الآيات على حسب اقتراح الكفرة ، وإنما ينزلها بإرادته ومشيئته على من يريد من عباده ، أما ناقة صالح عليه السلام فكانت بمراد الله وتقديره في أزله أنهم يطلبونها من نبيهم فيعطونها ، وما عموم إلا وخص منه البعض مثل رفع العذاب عن قوم يون

ناقصه حسن أم دميم طويل أو تصير ذكر أو أنثى يعيش أو لا يعيش عالم أو جاهل غني أو فقير ويعلم مدة حمله وعيشه في الدنيا ورزقه وأجله وكل ما يقع منه وما يؤول إليه أمره في الدنيا والآخرة ، وهذا العلم مما استأثر به نفسه

تسقطه من الحمل يعلمه متى يكون "وما تزداد" عن الواحد ومن نقص الأرحام والحيض زمن الحمل فإنه ينقص غذاء الجنين فيخرج ضعيفا ، قال أبو حنيفة رحمه الله لا تحيض المرأة حال حملها لأن الله تعالى أجرى عادته بانسداد فم الرحم بالحمل وما تراه الحامل من الدم فهو استحاضة ودم الاستحاضة يكون من مرض وشبهه فيسبب ضعفا بالحامل فينشأ عنه ضعف الجنين ، وقد تسقطه ، وقد يخرج ناقص الخلقة ويولد لأقل من تسعة أشهر ، ." (١)

"وروي عن الأعمش أنه قرأ "المثلات" بضم الميم وإسكان الثاء ؛ وهذا جمع مثلة ، ويجوز "المثلات" تبدل من الضمة فتحة لثقلها ، وقيل : يؤتى بالفتحة عوضا من الهاء .

وروي عن الأعمش أنه قرأ "المثلات" بفتح الميم وإسكان الثاء ؛ فهذا جمع مثلة ، ثم حذف الضمة لثقلها ؛ ذكره جميعه النحاس رحمه الله .

وعلى قراءة الجماعة واحدة مثلة ، نحو صدقة (وصدقة) ؛ وتميم تضم الثاء والميم جميعا ، واحدها على لغتهم مثلة ، بضم الميم وجزم الثاء ؛ مثل : غرفة وغرفات ؛ والفعل منه مثلت به أمثل مثلا ، بفتح الميم وسكون الثاء .

﴿ وإن ربك لذو مغفرة ﴾ أي لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا ، وعن المذنبين إذا تابوا .

وقال ابن عباس : أرجى آية في كتاب الله تعالى ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ﴾ إذا أصروا على الكفر .

وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : لما نزلت : "وإن ربك لذو مغفرة للناس على

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٨٨/٤٠٦

ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هنأ أحدا عيش ولولا عقابه ووعيده وعذابه لاتكل كل أحد " . أ هـ ﴿تفسير القرطبي حـ ٩ صـ ﴾ ." (١)

"ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة ﴾ بالنقمة قبل العافية وذلك أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بإنذاره ﴿ وقد خلت من قبلهم المثلات ﴾ أي عقوبات أمثالهم من المكذبين فمالهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا والمثلة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة .
﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ [الشورى : ٤٠] ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال أي ظالمين لأنفسهم قال السدي يعني المؤمنين وهي أرجى آية في كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فإن التوبة تزيلها وترفعها ﴿ وإن ربك لشديد العقاب ﴾ على الكافرين أو هما جميعا في المؤمنين لكنه معلق بالمشيئة فيهما أي يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴿ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه اية من ربه ﴾ لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية وإحياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ إنما أنت منذر ﴾ إنما أنت رجل أرسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأي آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها ﴿ ولكل قوم هاد ﴾ من الأنبياء يهديهم إلى الدين ويدعوهم إلى الله بآية خص بها لا بما يريدون ويتحكمون .

". (٢)

"فنسأله تعالى أن ينور قلوبنا ويسدد أفهامنا ويثبت أقدامنا ويقنعنا بما كتب لنا ويرضينا بما قسمه لنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم روى البخاري ومسلم عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود من حديث صحيح : إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها .
فتأمل هذا حق التأمل وانظر كيف يقسم حضرة الرسول في حديثه هذا الذي صدره بقوله فو الله الذي لا إله إلا هو ، ثم ساقه .
فتمسك به وتلقه بالقبول وسل الله الثبات والرسوخ في الإيمان .
مطلب أرجى آية في القرآن للمغفرة ، وبحث الروح :

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٢٦٦/٤٠٧
(٢) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٢٠٥/٤١٠

واعلم أن رؤساء الاصحاب رضي الله عنهم تذاكروا فيما بينهم عن أي آية في القرآن أرجى للغفران ، فروي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : لم أر في القرآن أرجي من هذه الآية ، أي التي نحن بصددها إذ لا يشاكل بالعبد إلا العصيان ، ولا يشاكل بالرب إلا الغفران .

وقال عمر رضي الله عنه : لم أر أرجى من الآية التي فيها قوله جل قوله (غافر الذنب وقابل التوب) الآية الثانية من سورة المؤمن في ج ٢ ، إذ قدم الغفران قبل قبول التوبة .

وقال عثمان رضي الله عنه : لم أر أرجى من قوله تعالى (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم) الآية ٥٠ من سورة الحجر في ج ٢ ، لما فيها من إعلان المغفرة للجميع وطلب إعلانها .

وقال علي كرم الله وجهه : لم أر أرجى من آية (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا)

الآية ٥٤ من سورة الزمر ج ٢ . ." (١)

"وقال الزمخشري : ﴿ قد جئناك بآية من ربك ﴾ جارية من الجملة الأولى وهي ﴿ إنا رسولا ربك ﴾ مجرى البيان والتفسير ، لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا ببينتها التي هي المجيء بالآية ، وإنما وحد بآية ولم يثن ومعه آيتان لأن المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قال : قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك ﴿ قد جئتكم ببينة من ربكم ﴾ ﴿ فأت بآية إن كنت من الصادقين ﴾ ﴿ أو لو جئتك بشيء مبين ﴾ انتهى .

وقيل : الآية اليد .

وقيل : العصا ، والمعنى بآية تشهد لنا بأنا رسولا ربك .

والظاهر أن قوله ﴿ والسلام على من اتبع الهدى ﴾ فصل للكلام ، فالسلام بمعنى التحية رغبا به عنه وجريا على العادة في التسليم عند الفراغ من القول ، فسلما على متبعي الهدى وفي هذا توبيخ له .

وفي هذا المعنى استعمل الناس هذه الآية في مخاطباتهم ومحاوراتهم .

وقيل : هو مدرج متصل بقوله ﴿ إنا قد أوحي إلينا ﴾ فيكون إذ ذاك خبرا بسلامة المهتدين من العذاب .

وقيل ﴿ على ﴾ بمعنى اللام أي والسلامة لمن ﴿ اتبع الهدى ﴾ .

وقال الزمخشري : وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين ، وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين انتهى .

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٣٦٦/٤٤٧

وهو تفسير غريب .

وقد يقال : السلام هنا السلامة من العذاب بدليل قوله ﴿ إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ﴾ وبنى ﴿ أوحي ﴾ لما لم يسم فاعله ، ولم يذكر الموحى لأن فرعون كانت له بادرة فربما صدر منه في حق الموحى ما لا يليق به ، والمعنى على من كذب الأنبياء وتولى عن الإيمان .

وقال ابن عباس هذه أرجى آية في القرآن لأن المؤمن ما كذب وتولى فلا يناله شيء من العذاب .

وفي الكلام حذف تقديره فأتيا فرعون وقالا له ما أمرهما الله أن يبلغاه . أ هـ ﴿البحر المحيط حـ ٦ صـ ﴾ ." (١)

"﴿ قالا ﴾ يعني موسى وهارون ﴿ ربنآ إننا نخاف أن يفرط علينآ ﴾ . قال ابن عباس : يعجل بالقتل والعقوبة ، وقال الضحاك : تجاوز الحد ، وقيل : يغلبنا ﴿ أو أن يطغى ﴾ يتكبر ويستعصي علينا .

﴿ قال لا تخافآ إنني معكمآ ﴾ بالدفع عنكما ﴿ أسمع ﴾ قولكما وقوله ﴿ وأرى ﴾ فعله وفعلكما ﴿ فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم ﴾ أي ولا تتعبهم في العمل ، وكانت بنو إسرائيل عند آل فرعون في عذاب شديد يقتل ابناءهم ويستخدم نساءهم ويكلفهم من العمل واللبن والطين وبناء المدائن ما لا يقدرون عليه .

قال موسى ﴿ قد جئناك بآية من ربك ﴾ قال فرعون : وما هي ؟ قال : فأدخل يده في جيب قميصه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس ، غلبت نور الشمس ، فعجب منها ولم يره العصا إلا بعد ذلك يوم الزينة .

﴿ والسلام على من اتبع الهدى ﴾ يعني من أسلم ﴿ إنا قد أوحي إلينآ أن العذاب على من كذب ﴾ أنبياء الله ﴿ وتولى ﴾ أعرض عن الإيمان ، ورأيت في بعض التفاسير أن هذه أرجى آية للموحدين في القرآن .

﴿ قال فمن ربكما ياموسى ﴾ يعني يا موسى وهارون فذكر موسى دون هارون لرؤوس الآي .

﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ﴾ قال الحسين وقتادة : أعطى كل شئ صلاحه وهداه لما يصلحه .

وقال مجاهد : لم يجعل الإنسان في خلق البهائم ، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان ، ولكن خلق كل شي فقدره تقديرا .

وقال عطية : أعطى كل شئ خلقه يعني صورته .

وقال الضحاك : أعطى كل شيء خلقه ، يعني اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للبصر والأذن للسمع .

". (٢)

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ١٦٠/٤٩٦

(٢) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ١٧٦/٤٩٧

"قال القاضي أبو محمد : قال لنا أبي رضي الله عنه : هذه من أرجى آية عندي في كتاب الله تعالى لأن الله تعالى أمر نبيه أن يبشر المؤمنين ﴿ بأن لهم ﴾ عنده ﴿ فضلاً كبيرا ﴾ ، وقد بين تعالى الفضل الكبير ما هو في قوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ﴾ [الشورى : ٢٢] ، فالآية التي في هذه السورة خبر والتي في ﴿ حم عسق ﴾ [الشورى : ١] تفسير لها ، وقوله تعالى ، ﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ نهي له عن السماع منهم في أشياء كانوا يطلبونها مما لا يجب وفي أشياء كانوا يدخلونها مدخل النصائح وهي غش إلى نحو هذا المعنى ، وقوله تعالى : ﴿ ودع آذاهم ﴾ يحتمل معنيين : أحدهما أن يأمره بترك أن يؤذيهم هو ويعاقبهم فكأن المعنى واصفح عن زللهم ولا تؤذهم فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول ، ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين وناسخه آية السيف ، والمعنى الثاني أن يكون قوله ﴿ ودع آذاهم ﴾ بمعنى أعرض عن أقوالهم وما يؤذونك به ، فالمصدر على هذا التأويل مضاف إلى الفاعل ، وهذا تأويل مجاهد . ثم أمره تعالى بالتوكل عليه ، وأنسه بقوله ﴿ وكفى بالله وكيلا ﴾ ، ففي قوة الكلام وعد بنصر وتقدم القول في ﴿ كفى بالله ﴾ ، والوكيل الحافظ القائم على الأمر . أ هـ ﴿المحرر الوجيز حـ ٤ صـ ﴾ ." (١)

"أمره تعالى أن يبشر المؤمنين بالفضل الكبير من الله تعالى .

وعلى قول الزجاج : ذا سراج منير ، أو وتاليا سراجا منيرا ، يكون معطوفا على الكاف لا في "أرسلناك" .

قال ابن عطية : قال لنا أبي رضي الله عنه : هذه من أرجى آية عندي في كتاب الله تعالى ؛ لأن الله عز وجل قد أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلا كبيرا ؛ وقد بين تعالى الفضل الكبير في قوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشآءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ﴾ [الشورى : ٢٢] .

فالآية التي في هذه السورة خبر ، والتي في "حام .

عاساقا" تفسير لها .

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٢٧/٦٢٥

﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ أي لا تطعهم فيما يشيرون عليك من المداهنة في الدين ولا تمالئهم .
"الكافرين" : أبي سفيان وعكرمة وأبي الأعور السلمي ؛ قالوا : يا محمد ، لا تذكر آلهتنا بسوء نتبعك .
"والمنافقين" : عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد وطعمة بن أبيرق ، حثوا النبي صلى الله عليه وسلم على إجابتهم بتعلة المصلحة .

﴿ ودع أذاهم ﴾ أي دع أن تؤذيهم مجازاة على إذايتهم إياك .
فأمره ﷺ بترك معاقبتهم ، والصفح عن زللهم ؛ فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول .
ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين ، وناسخه آية السيف .
وفيه معنى ثان : أي أعرض عن أقوالهم وما يؤذونك ، ولا تشتغل به ؛ فالمصدر على هذا التأويل مضاف إلى الفاعل .

وهذا تأويل مجاهد ، والآية منسوخة بآية السيف .
﴿ وتوكل على الله ﴾ أمره بالتوكل عليه وآنسه بقوله : ﴿ وكفى بالله وكيلا ﴾ وفي قوة الكلام وعد بنصر .
والوكيل : الحافظ القائم على الأمر . أ هـ ﴿تفسير القرطبى حـ ١٤ صـ ﴾ ." (١)

"والمراد أن لهم ثواب أعمالهم الموعود بها وزيادة من عند ربهم ، قال تعالى : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ [يونس : ٢٦] .
ووصف ﴿كبيرا ﴾ مستعار للفائق في نوعه .
قال ابن عطية : قال لي أبي رضي الله عنه : هذه أرجى آية عندي في كتاب الله لأن الله قد أمر نبيئه أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلا كبيرا .

وقد بين الله تعالى الفضل الكبير ما هو في قوله : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ﴾ [الشورى : ٢٢] فالآية التي في هذه السورة خبر ، والآية التي في حم عسق تفسير لها ا هـ .

ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨)
جاء في مقابلة قوله : ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ [الأحزاب : ٤٧] بقوله : ﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ تحذيرا له من موافقتهم فيما يسألون منه وتأييدا لفعله معهم حين استأذنه المنافقون في الرجوع عن الأحزاب فلم يأذن لهم ، فنهي عن الإصغاء إلى ما يرغبونه فيترك ما أحل له من التزوج ، أو فيعطي الكافرين من الأحزاب ثمر النخل صلحا أو نحو ذلك ، والنهي مستعمل في معنى الدوام على الانتهاء .
وعلم من مقابلة أمر التبشير للمؤمنين بالنهي عن طاعة الكافرين والمنافقين أن الكافرين والمنافقين هم متعلق

---
(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٣١/٦٢٥

الإنذار من قوله : ﴿ ونذيرا ﴾ [الأحزاب : ٤٥] لأن وصف "بشيرا" قد أخذ متعلقه فقد صار هذا ناظرا إلى قوله : ﴿ ونذيرا ﴾ [الأحزاب : ٤٥] .

وقوله : ﴿ ودع أذاهم ﴾ يجوز أن يكون فعل ﴿ دع ﴾ مرادا به أن لا يعاقبهم فيكون ﴿ دع ﴾ مستعملا في حقيقته وتكون إضافة أذاهم من إضافة المصدر إلى مفعوله ، أي دع أذاك إياهم .

". (١)

"قوله تعالى ﴿ بمفازتهم ﴾ يقرأ بالتوحيد والجمع وقد ذكر في نظائره من العلل ما يغني عن إعادته

قوله تعالى ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا ﴾ يقرأبحذف الياء وإثباتها فالحجة لمن حذف أنه استعمل الحذف في النداء لكثرة دوره في الكلام والحجة لمن أثبت أنه اتى به على الأصل وقيل هذه أرجى آية في كتاب الله لمن يئس من التوبة وقيل بل قوله ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ وقيل بل قول إبراهيم ﴿ ولكن ليطمئن قلبي ﴾

فقيل بتحقيق الإجابة وقيل بل بالعيان لأن المخبر ليس كالمعاين

قوله تعالى ﴿ تأمروني أعبد ﴾ يقرأ بإدغام النون وتشديدها وبالتخفيف وإظهارها وبتحريك الياء وإسكانها وقد تقدم من الأحتجاج في ذلك ما فيه كفاية

قوله تعالى ﴿ فتحت أبوابها ﴾ ﴿ وفتحت أبوابها ﴾ يقرآن بالتشديد والتخفيف فالحجة لمن شدد أنه أراد تكرير الفعل لأن كل باب منها فتح ودليله إجماعهم على التشديد في قوله ﴿ وغلقت الأبواب ﴾ ومفتحة لهم الأبواب والحجة لمن خفف أنه دل بذلك على فتحها مرة واحدة فكان التخفيف أولى لأن الفعل لم يتردد ولم يكثر فإن قيل فما وجه دخول الواو في إحداهما دون الآخر فقل فيه غير وجه قال قوم هي زائدة فدخولها وخروجها واحد كما يزاد غيرها من الحروف

وقال آخرون العرب تعد من واحد إلى سبعة وتسميه عشرا ثم يأتون بهذه الواو فيسمونها واو العشر ليدلوا على انقضاء عدد وذلك في مثل قوله تعالى ﴿ التائبون العابدون ﴾ فلما سمي سبعة أتى بعد ذلك بالواو ومثله قوله ﴿ ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ ومثله قوله تعالى في صفة الجنة ﴿ وفتحت أبوابها ﴾ لأن للجنة ثمانية أبواب وللنار سبعة

وقال أبو العباس المبرد إذا وجدت حرفا في كتاب الله عز وجل له معنى حسن لم أجعله ملغى ولكن التقدير حتى إذا جاءوها وصلوا وفتحت لهم أبوابها ومثله ﴿ فلما أسلما وتله للجبين ﴾ معناه والله أعلم أذعن لأمر الله . أ هـ ﴿الحجة فى القراءات السبعة صـ ٣٠٨ ـ ٣١٢﴾ . " (٢)

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٧٩/٦٢٥

(٢) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ١٦٩/٦٦٤

"وقد عرف الله عز وجل من شاء أن يغفر له ، وهو التائب أو من عمل صغيرة ولم تكن له كبيرة ، ودل على أنه يريد التائب ما بعده ﴿ وأنيبوا إلى ربكم ﴾ فالتائب مغفور له ذنوبه جميعا ، يدل على ذلك ﴿ وإني لغفار لمن تاب ﴾ [طه : ٨٢] فهذا لا إشكال فيه .

وقال علي بن أبي طالب : ما في القرآن آية أوسع من هذه الآية ﴿ قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ وقد مضى هذا في "سبحان" .

وقال عبد الله بن عمر : وهذه أرجى آية في القرآن فرد عليهم ابن عباس وقال أرجى آية في القرآن قوله تعالى : ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ [الرعد : ٦] وقد مضى في "الرعد" .

وقرىء "ولا تقنطوا" بكسر النون وفتحها .

وقد مضى في "الحجر" بيانه .

قوله تعالى : ﴿ وأنيبوا إلى ربكم ﴾ أي ارجعوا إليه بالطاعة .

لما بين أن من تاب من الشرك يغفر له أمر بالتوبة والرجوع إليه ، والإنابة الرجوع إلى الله بالإخلاص .

﴿ وأسلموا له ﴾ أي اخضعوا له وأطيعوا ﴿ من قبل أن يأتيكم العذاب ﴾ في الدنيا ﴿ ثم لا تنصرون ﴾ أي لا تمنعون من عذابه .

وروي من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من السعادة أن يطيل الله عمر المرء في الطاعة ويرزقه الإنابة ، وإن من الشقاوة أن يعمل المرء ويعجب بعمله "

قوله تعالى : ﴿ واتبعوا أحسن مآ أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ﴾ ﴿ أحسن ما أنزل ﴾ هو القرآن وكله حسن ، والمعنى ما قال الحسن : التزموا طاعته ، واجتنبوا معصيته .

وقال السدي : الأحسن ما أمر الله به في كتابه .

وقال ابن زيد : يعني المحكمات ، وكلوا علم المتشابه إلى عالمه .

". (١)

"والظاهر أن قائلي ذلك جماعة من الأمم الكافرة الماضية ، كقارون في قوله : ﴿ قال إنما أوتيته على علم عندي ﴾ وقيل : الذين من قبلهم هم قارون وقومه ، إذ رضوا بمقالته ، فنسب القول إليهم جميعا .

وقرىء : قد قاله ، أي قال القول أو الكلام .

﴿ فما أغنى عنهم ﴾ : يجوز أن تكون ما نافية ، وهو الظاهر .

وأن تكون استفهامية ، فيها معنى النفي .

﴿ ما كانوا يكسبون ﴾ : أي من الأموال .

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٢١/٦٦٩

﴿ والذين ظلموا من هؤلاء ﴾ : إشارة إلى مشركي قريش ، ﴿ سيصيبهم سيئات ما كسبوا ﴾ : جاء بسين الاستقبال التي هي أقل تنفيسا في الزمان من سوف ، وهو خبر غيب ، أبرزه الوجود في يوم بدر وغيره .

قتل رؤساءهم ، وحبس عنه الرزق ، فلم يمطروا سبع سنين ؛ ثم بسط لهم ، فمطروا سبع سنين ، فقيل لهم : ألم تعلموا أنه لا قابض ولا باسط إلا الله تعالى ؟ .

﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا ﴾ : نزلت في وحشي قاتل حمزة ، قاله عطاء ؛ أو في قوم آمنوا عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ، ففتنتهم قريش ، فافتتنوا وظنوا أن لا توبة لهم ، فكتب عمر لهم بهذه الآية ، قاله عمر والسدي وقتادة وابن إسحاق .

وقيل : في قوم كفار من أهل الجاهلية قالوا : وما ينفعنا الإسلام وقد زنينا وقتلنا النف وأتينا كل كبيرة ؟ ومناسبتها لما قبلها : أنه تعالى لما شدد على الكفار وذكر ما أعد لهم من العذاب ، وأنهم لو كان لأحدهم ما في الأرض ومثله معه لافتدى به من عذاب الله ، ذكر ما في إحسانه من غفران الذنوب إذا آمن العبد ورجع إلى الله .

وكثيرا تأتي آيات الرحمة مع آيات النقمة ليرجو العبد ويخاف .

وهذه الآية عام في كل كافر يتوب ، ومؤمن عاص يتوب ، تمحو الذنب توبته .

وقال عبد الله ، وعلي ، وابن عامر : هذه أرجى آية في كتاب الله .

وتقدم الخلاف في قراءة ﴿ لا تقنطوا ﴾ في الحجر .

﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ : عام يراد به ما سوى الشرك ، فهو مقيد أيضا بالمؤمن العاصي غير التائب بالمشيئة .

(١) ".

"وقال ابن عطية فى الآيات السابقة :

﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾

هذه الآية عامة في جميع الناس إلى يوم القيامة في كافر ومؤمن ، أي إن توبة الكافر تمحو ذنوبه ، وتوبة العاصي تمحو ذنبه . واختلف هل يكون في المشيئة أو هو مغفور له ولا بد ؟ فقالت فرقة من أهل السنة : هو مغفور له ولا بد ، وهذا مقتضى ظواهر القرآن ، وقالت فرقة : التائب في المشيئة ، لكن يغلب الرجاء في ناحيته ، والعاصي في المشيئة ، لكن يغلب الخوف في ناحيته .

واختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية ، فقال عطاء بن يسار : نزلت في وحشي قاتل حمزة . وقال قتادة والسدي وابن أبي إسحاق : نزلت في قوم بمكة آمنوا ولم يهاجروا وفتنهم قريش فافتتنوا ، ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم فنزلت الآية فيهم ، منهم الوليد بن الوليد ، وهشام بن العاصي ، وهذا قول عمر بن الخطاب وأنه

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٢٥/٦٦٩

كتبها بيده إلى هشام بن العاصي الحديث . وقالت فرقة : نزلت في قوم كفار من أهل الجاهلية ، قالوا : وما ينفعنا الإسلام ونحن قد زنينا وقتلنا الناس وأتينا كل كبيرة فنزلت الآية فيهم . وقال علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عمر : هذه أرجى آية في القرآن . وروى ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : " ما أحب أن لي الدنيا بما فيها بهذه الآية " ، ﴿ يا عبادي ﴾ و : ﴿ أسرفوا ﴾ معناه : أفرطوا وتعدوا الطور . والقنط . أعظم اليأس .

وقرأ نافع وجمهور الناس : " تقنطوا " بفتح النون . قال أبو حاتم : يلزمهم أن يقرؤوا : ﴿ من بعد ما قنطوا ﴾ [الشورى : ٢٨] بالكسر ، ولم يقرأ به أحد . وقرأ الأشهب العقيلي بضم النون . وقرأ أبوعمرو وابن وثاب بكسرها ، وهي لغات .

". (١)

"واعلم أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله سبحانه لاشتمالها على أعظم بشارة ، فإنه أولا أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم ، ومزيد تبشيرهم ، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي ، والاستكثار من الذنوب ، ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب ، فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولى ، وبفحوى الخطاب ، ثم جاء بما لا يبقي بعده شك ، ولا يتخالج القلب عند سماعه ظن ، فقال : ﴿ إن الله يغفر الذنوب ﴾ ، فالألف ، واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أفراده ، فهو في قوة إن الله يغفر كل ذنب كائنا ما كان ، إلا ما أخرجه النص القرآني ، وهو : الشرك ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء : ٤٨ ، ١١٦] ، ثم لم يكتف بما أخبر عباده به من مغفرة كل ذنب ، بل أكد ذلك بقوله : ﴿ جميعا ﴾ فيا لها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم الصادقين في رجائه ، الخالعين لثياب القنوط الرافضين لسوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب ، ولا يبخل بمغفرته ، ورحمته على عباده المتوجهين إليه في طلب العفو الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم ، وما أحسن ما علل سبحانه به هذا الكلام قائلا : إنه هو الغفور الرحيم ، أي : كثير المغفرة ، والرحمة عظيمهما بليغهما واسعهما ، فمن أبى هذا التفضل العظيم ، والعطاء الجسيم ، وظن أن تقنيط عباد الله ، وتأييسهم من رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به ، فقد ركب أعظم الشطط ، وغلط أقبح الغلط ، فإن التبشير ، وعدم التقنيط الذي جاءت به مواعيد الله في كتابه العزيز ، والمسلك الذي سلكه رسوله صلى الله عليه وسلم كما صح عنه من قوله : " يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا " وإذا تقرر لك هذا ، فاعلم أن

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٥٧/٦٦٩

الجمع بين هذه الآية ، وبين قوله :

." (١)

"فصل

قال السمرقندى فى الآيات السابقة :

﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾

يعني : أسرفوا بالذنوب على أنفسهم .

قرأ نافع ، وابن كثير ، وعاصم ، وابن عامر ، ﴿ قل ياعبادى ﴾ بفتح الياء ، والباقون بالإرسال .

وهما لغتان ، ومعناهما واحد ، ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ أي : لا تيأسوا من مغفرة الله ، ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ الكبائر ، وغير الكبائر إذا تبتم ، ﴿ إنه هو الغفور ﴾ لمن تاب ، ﴿ الرحيم ﴾ بعد التوبة لهم .

وروى عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة .

قال : أصاب قوم في الشرك ذنوبا عظاما ، فكانوا يخافون أن لا يغفر الله لهم ، فدعاهم الله تعالى بهذه الآية :

﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا ﴾ .

وقال مجاهد : ﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾ بقتل الأنفس في الجاهلية .

وقال في رواية الكلبي : نزلت الآية في شأن وحشي .

يعني : أسرفوا على أنفسهم بالقتل ، والشرك ، والزنى .

لا تيأسوا ﴿ من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ لمن تاب .

وقال ابن مسعود : أرجى آية في كتاب الله هذه الآية .

وهكذا قال عبد الله بن عمرو بن العاص .

وروي عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : فيها عظة .

قوله تعالى : ﴿ وأنيبوا إلى ربكم ﴾ يعني : ارجعوا له ، وأقبلوا إلى طاعة ربكم ﴿ وأسلموا له ﴾ يعني : أخلصوا ، وأقروا بالتوحيد ، ﴿ من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ﴾ أي : لا تمنعون مما نزل بكم ، ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ﴾ قال الكلبي : هذا القرآن أحسن ما أنزل إليهم يعني : اتبعوا ما أمرتم به .

ويقال : أحلوا ، وحرموا حرامه ، ﴿ من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة ﴾ أي : فجأة ، ﴿ وأنتم لا تشعرون ﴾

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ١١٨/٦٦٩

بنزوله ، ﴿ أن تقول نفس ﴾ يعني : لكي لا تقول نفس .
(١) ".

"وقال ابن جزى :

﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾

قال علي بن أبي طالب وابن مسعود : هذه أرجى آية في القرآن ، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية واختلف في سببها فقيل : في وحشي قاتل حمزة ، لما أراد أن يسلم وخاف أن لا يغفر له ما وقع فيه من قتل حمزة ، وقيل : نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا ، ففتنوا فافتتنوا ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم ، وهذا قول عمر بن الخطاب : وقد كتب بها إلى هشام بن العاصي ، لما جرى له ذلك وقيل : نزلت في قوم من أهل الجاهلية ، قالوا : ما ينفعنا الإسلام لأننا قد زينا ، وقتلنا النفوس فنزلت الآية فيهم ، ومعناها مع ذلك على العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيل نذكره ، وذلك أن الذين أسرفوا على أنفسهم ، إن أراد بهم الكفار فقد اجتمعت الأمة على أنهم إذا أسلموا غفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : " الإسلام يجب ما قبله " ، وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم ، بل يخلدهم في النار ، وإن أراد به العصاة من المسلمين فإن العاصي إذا تاب غفر له ذنوبه ، وإن لم يتب فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، فالمغفرة المذكورة في هذه الآية ، يحتمل أن يريد بها المغفرة للكفار إذا أسلموا أونن للعصاة إذا تابوا ، أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضل الله عليهم بالمغفرة ، والظاهر أنها نزلت في الكفار ، وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا أسلموا ، والدليل على أنها في الكفار ما ذكر بعدها إلى قوله : ﴿ قد جآءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ﴾ [الزمر : ٥٩] .
(٢) ".

"٣ – الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله تعالى " من رحمة الله " لتخصيص الرحمة بالاسم الكريم .

٤ – التعبير بالغفور فإنه صيغة مبالغة .

٥ – إبراز الجملة من قوله تعالى " إنه هو الغفور الرحيم " مؤكدة بإن ، وبضمير الفصل ، وبالصفتين المودعتين للمبالغة .

الفوائد

– رحمة الله واسعة :

قال المفسرون : هذه أرجى آية في كتاب الله عز وجل .

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٨٢/٦٧١

(٢) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ١٥٣/٦٧١

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى وحشي يدعوه إلى الإسلام ، فأرسل إليه كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاما ، يضاعف له العذاب ، وأنا قد فعلت ذلك كله ، فأنزل الله تعالى إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشي : هذا شرط شديد ، لعلي لا أقدر عليه ، فهل غير ذلك ؟

فأنزل الله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشي : أراني بعد في شبهة ، فلا أدري أ يغفر لي أم لا ؟ فأنزل الله هذه الآية قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشي : نعم هذا ، فجاء فأسلم .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : نزلت هذه الآيات في عياش بن أبي ." (١)

"(إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) إن واسمها وجملة يغفر خبرها والجملة تعليل للنهي عن القنوط ولذلك قيل : هذه أرجى آية في القرآن وسيأتي بيان ما فيها من أفانين البلاغة ، والذنوب مفعول به وجميعا حال وذلك بعد التوبة من الشرك وإن واسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ والغفور الرحيم خبران لإن أو لهو والجملة خبر إن . (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) وأنيبوا الواو عاطفة وأنيبوا فعل أمر وفاعله وإلى ربكم متعلقان بأنيبوا وأسلموا عطف أيضا وله متعلقان بأسلموا ومن قبل متعلقان بمحذوف حال وأن وما في حيزها مصدر مؤول مضاف إلى الظرف ويأتيكم فعل مضارع منصوب بأن والكاف مفعول به مقدم والعذاب فاعل مؤخر وثم حرف عطف للترتيب مع

التراخي وتؤمرون فعل مضارع مرفوع لأنه لم يعطف على يأتيكم وسيأتي السر في ذلك في باب البلاغة .

(واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) واتبعوا عطف على وأنيبوا وأحسن مفعول به لاتبعوا وما اسم موصول مضاف لأحسن وجملة أنزل إليكم صلة ومن ربكم متعلقان بأنزل أيضا . (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) من قبل متعلقان بمحذوف حال وأن وما في حيزها في محل جر بالإضافة وبغتة حال والواو حالية وأنتم مبتدأ وجملة لا تشعرون خبر والجملة نصب على الحال .

(." (٢)

"روى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي ثميلة قال : قال علي رضي الله عنه ألا أخبركم

بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أصابكم) الآية هذه وسأفسرها لكم يا علي ، ما أصابكم من مصيبة أو مرض وعقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم ، والله أكرم من أن يثني عليكم عقوبته في الآخرة ، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه .

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٣٣٣/٦٧١

(٢) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٣٩٥/٦٧١

وفي هذا الحديث بشارة عظيمة للمؤمنين المصابين ، اللهم إنا نسألك العفو والعافية وأن ترزقنا الصبر إذا ابتلينا ، وتعظم لنا الأجر عليه .

وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئة .

وقال ابن عباس : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو لله عنه أكثر .

قال ابن عطاء من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه مولاه أكثر ، كان قليل النظر في إحسان ربه إليه .

مطلب أرجى آية في القرآن والقول بالتناسخ والتقمص وفي معجزات القرآن وبيان الفواحش والكبائر :

وقال علي كرم الله وجهه : هذه أرجى آية في القرآن لأن الكريم إذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا وإذا عفا لا يعود .

راجع الآية ٨٤ من سورة الإسراء والآية ٥ من سورة الضحى في ج ١ والآية ١٦٠ من سورة الأنعام والآية ٥٣ من سورة الزمر المارتين . ." (١)

"ثم قال تعالى : ﴿ويعفوا عن كثير﴾ ومعناه أنه تعالى قد يترك الكثير من هذه التشديدات بفضله ورحمته ، وعن الحسن قال : دخلنا على عمران بن حصين في الوجع الشديد ، فقيل له : إنا لنغتم لك من بعض ما نرى ، فقال لا تفعلوا فوالله إن أحبه إلى الله أحبه إلي ، وقرأ ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ فهذا بما كسبت يداي ، وسيأتيني عفو ربي ، وقد روى أبو سخلة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال : " ما عفى الله عنه فهو أعز وأكرم من أن يعود إليه في الآخرة ، وما عاقب عليه في الدنيا فالله أكرم من أن يعيد العذاب عليه في الآخرة " رواه الواحدي في "البسيط" ، وقال إذا كان كذلك فهذه أرجى آية في كتاب الله لأن الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين : صنف كفره عنهم بالمصائب في الدنيا ، وصنف عفا عنه في الدنيا ، وهو كريم لا يرجع في عفوه ، وهذه سنة الله مع المؤمنين ، وأما الكافر فلأنه لا يعجل عليه عقوبة ذنبه حتى يوافي ربه يوم القيامة .

ثم قال تعالى : ﴿وما أنتم بمعجزين فى الأرض﴾ يقول ما أنتم معشر المشركين بمعجزين في الأرض ، أي لا تعجزونني حيثما كنتم ، فلا تسبقونني بسبب هربكم في الأرض ﴿وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٨٣/٦٨٤

والمراد بهم من يعبد الأصنام ، بين أنه لا فائدة فيها ألبتة ، والنصير هو الله تعالى ، فلا جرم هو الذي تحسن عبادته . أ هـ ﴿مفاتيح الغيب حـ ٢٧ صـ ١٤٦ . ١٤٩﴾ ." (١)

"وقال الفراء أراد ما بث في الأرض دون السماء ؛ كقوله : ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ [الرحمن : ٢٢] وإنما يخرج من الملح دون العذب .

وقال أبو علي : تقديره وما بث في أحدهما ؛ فحذف المضاف .

وقوله : ﴿ يخرج منهما ﴾ أي من أحدهما .

﴿ وهو على جمعهم ﴾ أي يوم القيامة .

﴿ إذا يشآء قدير ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ ومآ أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ قرأ نافع وابن عامر "بما كسبت" بغير فاء .

الباقون "فبما" بالفاء ، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم للزيادة في الحرف والأجر .

قال المهدوي : إن قدرت أن "ما" الموصولة جاز حذف الفاء وإثباتها ، والإثبات أحسن .

وإن قدرتها التي للشرط لم يجز الحذف عند سيبويه ، وأجازه الأخفش واحتج بقوله تعالى : ﴿ وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ [الأنعام : ١٢١] .

والمصيبة هنا الحدود على المعاصي ؛ قاله الحسن .

وقال الضحاك : ما تعلم رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب ؛ قال الله تعالى : ﴿ ومآ أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ ثم قال : وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن ؛ ذكره ابن المبارك عن عبد العزيز بن أبي رواد .

قال أبو عبيد : إنما هذا على الترك ، فأما الذي هو دائب في تلاوته حريص على حفظه إلا أن النسيان يغلبه فليس من ذلك في شيء .

ومما يحقق ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينسى الشيء من القرآن حتى يذكره ؛ من ذلك حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم : سمع قراءة رجل في المسجد فقال : " ما له رحمه الله ! لقد أذكرني آيات كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا " وقيل : "ما" بمعنى الذي ، والمعنى الذي أصابكم فيما مضى بما كسبت أيديكم .

وقال علي رضي الله عنه : هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل .

". (٢)

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ١٩/٦٨٧

(٢) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٢٣/٦٨٧

"وترتب ما أصاب من المصائب على كسب الأيدي موجود مع الفاء ودونها هنا ، والمصيبة : الرزايا والمصائب في الدنيا ، وهي مجازاة على ذنوب المرء وتمحيص لخطاياه ، وأنه تعالى يعفو عن كثير ، ولا يجازي عليه بمصيبة .

وفي الحديث : " لا يصيب ابن آدم خدش عود أو عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو عنه أكثر " وسئل عمران بن حصين عن مرضه فقال ؛ إن أحبه إلي أحبه إلى الله ، وهذا مما كسبت يداي .

ورؤي على كف شريح قرحة ، فقيل : بم هذا ؟ فقال : بما كسبت يداي .

وقال الزمخشري : الآية مخصوصة بالمجرمين ، ولا يمتنع أن يستوفي الله عقاب المجرم ويعفو عن بعض .

فأما من لا جرم له ، كالأنبياء والأطفال والمجانين ، فهو كما إذا أصابهم شيء من ألم أو غيره ، فللعوض الموفي والمصلحة وعن علي : هذه أرجى آية للمؤمنين .

وقال الحسن : ﴿ من مصيبة ﴾ : أي حد من حدود الله ، وتلك مصائب تنزل بشخص الإنسان ونفسه ، فإنما هي بكسب أيديكم .

﴿ ويعفوا ﴾ الله ﴿ عن كثير ﴾ ، فيستره على العباد حتى لا يحد عليه .

﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ : أنتم في قبضة القدرة .

وقيل : ليست المصائب من الأسقام والقحط والغرق وغير ذلك بعقوبات على الذنوب لقوله : ﴿ اليوم تجزي كل نفس بما كسبت ﴾ ولاشتراك الصالح والطالح فيهما ، بل أكثر ما يبتلي به الصالحون المتقون .

وفي الحديث : " خص بالبلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل " ولأن الدنيا دار التكليف ، فلو حصل الجزاء فيها لكانت دار الجزاء ، وليس الأمر كذلك .

وهذا القول يؤخره نصوص القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ﴾ الآية . أ هـ ﴿البحر المحيط حـ ٧ صـ ﴾ ." (١)

"﴿ وما أنتم بمعجزين فى الأرض ﴾ أي جاعلين الله سبحانه وتعالى عاجزا عن أن يصيبكم بالمصائب بما كسبت أيديكم وإن هربتم في أقطار الأرض كل مهرب ، وقيل : المراد أنكم لا تعجزون من في الأرض من جنوده تعالى فكيف من في السماء ﴿ وما لكم من دون الله من ولى ﴾ من متول بالرحمة يرحمكم إذا أصابتكم المصائب وقيل يحميكم عنها ﴿ ولا نصير ﴾ يدفعها عنكم ، والجملة كالتقرير لقوله تعالى : ﴿ ويعفوا عن كثير ﴾ [الشورى : ٣٠] أي أن الله تعالى يعفو عن كثير من المصائب إذ لا قدرة لكم أن تعجزوه سبحانه فتفوتوا ما قصى عليكم منها ولا لكم أيضا من متول بالرحمة غيره عز وجل ليرحمكم إذا أصابتكم ولا ناصر سواه لينصركم منها ولهذا جاء عن علي كرم الله تعالى وجهه أن هذه أرجى آية في القرآن للمؤمنين ، ويقوى أمر الرجاء على

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٣٤/٦٨٧

ما قيل : أن معنى ﴿ ما أنتم ﴾ الخ ما أنتم بمعجزين الله تعالى في دفع مصائبكم أي أنه سبحانه قادر على ذلك . أ هـ ﴿روح المعانى حـ ٢٥ صـ ﴾ ." (١)

"من يفعل الحسنات الله يشكرها . . . والشر بالشر عند الله مثلان

وقيل : هي الموصولة ، فيكون الحذف ، والإثبات جائزين ، والأول أولى .

قال الزجاج : إثبات الفاء أجود ؛ لأن الفاء مجازاة جواب الشرط ، ومن حذف الفاء فعلى أن ما في معنى : الذي ، والمعنى : الذي أصابكم وقع بما كسبت أيديكم .

قال الحسن : المصيبة هنا الحدود على المعاصي ، والأولى الحمل على العموم كما يفيده وقوع النكرة في سياق النفي ، ودخول من الاستغراقية عليها ﴿ ويعفوا عن كثير ﴾ من المعاصي التي يفعلها العباد ، فلا يعاقب عليها ، فمعنى الآية : أنه يكفر عن العبد بما يصيبه من المصائب ، ويعفو عن كثير من الذنوب .

وقد ثبتت الأدلة الصحيحة أن جميع ما يصاب به الإنسان في الدنيا يؤجر عليه ، أو يكفر عنه من ذنوبه .

وقيل : هذه الآية مختصة بالكافرين على معنى : أن ما يصابون به بسبب ذنوبهم من غير أن يكون ذلك مكفرا عنهم لذنب ، ولا محصلا لثواب ، ويترك عقوبتهم عن كثير من ذنوبهم ، فلا يعاجلهم في الدنيا بل يمهلهم إلى الدار الآخرة .

والأولى حمل الآية على العموم ، والعفو يصدق على تأخير العقوبة كما يصدق على محو الذنب ، ورفع الخطاب به .

قال الواحدي : وهذه أرجى آية في كتاب الله ؛ لأنه جعل ذنوب المؤمنين صنفين : صنف كفره عنهم بالمصائب ، وصنف عفا عنه في الدنيا ، وهو كريم لا يرجع في عفوه ، فهذه سنة الله مع المؤمنين .

وأما الكافر ، فإنه لا يعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة ﴿ وما أنتم بمعجزين فى الأرض ﴾ أي : بفائتين عليه هربا في الأرض ، ولا في السماء لو كانوا فيها بل ما قضاه عليهم من المصائب واقع عليهم نازل بهم ﴿ وما لكم من دون الله من ولي ﴾ يواليكم ، فيمنع عنكم ما قضاه الله ﴿ ولا نصير ﴾ ينصركم من عذاب الله في الدنيا ، ولا في الآخرة .

". (٢)

"ويقال : ﴿ وما بث فيهما من دابة ﴾ يعني : في الأرض خاصة كما قال : ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ [الرحمن : ٢٢] يعني : من أحدهما ثم قال ﴿ وما أصابكم من مصيبة ﴾ يعني : ما تصابون من مصيبة في أنفسكم ، وأموالكم ﴿ فبما كسبت أيديكم ﴾ يعني : يصيبكم بأعمالكم ، ومعاصيكم ﴿ ويعفوا عن كثير ﴾

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٦٨٧/٤٤

(٢) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٦٨٧/١٩١

يعني : ما عفى الله عنه ، فهو أكثر .

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : " ألا أخبركم بأرجى آية في كتاب الله ، أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا بلى .

فقرأ عليهم : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير ﴾ قال : فالمصائب في الدنيا بكسب الأيدي ، وما عفى الله تعالى عنه في الدنيا ، ولم يعاقب ، فهو أجود وأمجد ، وأكرم من أن يعذب فيه يوم القيامة .

وعن الضحاك قال : ما تعلم رجل القرآن ، ثم نسيه ، إلا بذنب .

ثم قرأ : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن .

قرأ نافع وابن عامر "بما كسبت أيديكم" بحذف الفاء .

ويكون ما بمعنى الذي ، ومعناه الذي أصابكم وقع بما كسبت أيديكم .

وقرأ الباقون : ﴿ فبما كسبت ﴾ بالفاء ، وتكون الفاء جواب الشرط ، ومعناه : ما يصيبكم من مصيبة ، فبما كسبت أيديكم ، ثم قال :

﴿ وما أنتم بمعجزين فى الأرض ﴾ يعني : بفائتين من عذاب الله ، حتى يجزيكم به ﴿ وما لكم من دون الله ﴾ يعني : من عذاب الله ﴿ من ولى ﴾ يعني : من حافظ ﴿ ولا نصير ﴾ يعني : مانع يمنعكم من عذاب الله تعالى .

قوله تعالى : ﴿ ومن ءاياته الجوار ﴾ قرأ ابن كثير (الجواري) بالياء في الوقف ، والوصل .

وقرأ نافع ، وأبو عمر بالياء في الوصل ، وبغير الياء في الوقف ، والباقون بغير ياء في الوقف ، والوصل ." (١)

"عن بعض . فأما من لا جرم له كالأنبياء والأطفال والمجانين ، فهؤلاء إذا أصابهم شيء من ألم أو غيره فللعوض الموفى والمصلحة . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : «ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب ، ولما يعفو الله عنه أكثر» «١» وعن بعضهم : من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه ، وأن ما عفا عنه مولاه أكثر : كان قليل النظر في إحسان ربه إليه . وعن آخر : العبد ملازم للجنايات في كل أوان ، وجناياته في طاعاته أكثر من جناياته في معاصيه ، لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه ، والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ، ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة : وعن على رضى الله عنه وقد رفعه : من «عفى عنه في الدنيا عفى عنه في الآخرة «٢» ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الآخرة» وعنه رضى الله عنه : هذه أرجى آية للمؤمنين في

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٦٨٨/١٠٨

القرآن بمعجزين بفائتين ما قضى عليكم من المصائب من ولي من متول بالرحمة .

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٣٢ إلى ٣٤]

ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام (٣٢) إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (٣٣) أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير (٣٤)

الجوار : السفن . وقرئ : الجوار كالأعلام كالجبال . قالت الخنساء :

كأنه علم في رأسه نار «٣»

---

(١) . أخرجه عبد الرزاق وابن أبى حاتم من طريق إسماعيل بن سليم عن الحسن والطبري والبيهقي في أواخر الشعب . عن قتادة كلاهما مرسل . ووصله عبد الرزاق من رواية الصلت بن بهرام عن أبى وائل عن البراء رضى الله عنه

(٢) . أخرجه ابن ماجة من رواية أبى جحيفة عن على رفعه . بلفظ : من أصاب ذنبا في الدنيا فعوقب به ، فالله أعدل من أن يثنى على عبد عقوبته . ومن أذنب ذنبا فستر الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود في شيء عفا عنه» ورواه أحمد والبزار والحاكم والدارقطني والبيهقي في الشعب في السابع والأربعين . وقال إسحاق في مسنده :

أخبرنا عيسى بن يونس عن إسماعيل بن عبد الملك بن أبى الصفراء عن يونس بن حبان عن على نحوه وفيه انقطاع

(٣) وإن صخرا لمولانا وسيدنا وإن صخرا إذا يشتو لنحار

أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

للخنساء ترثى أخاها . ويشتو : أى يدخل في الشتاء ، وهو حكاية حال ماضية . ونحار : كثير نحر الإبل للضيفان كناية عن كثرة كرمه . والأغر : الأبيض . والأبلج : الطلق الوجه المعروف . والهداة : جمع هاد : من يتقدم غيره ليدله . والعلم : الجبل : وفي رأسه نار : صفة علم جاءت لترشيح التشبيه وتقريره ، والمبالغة في توضيح المشبه وتشهيره ، وعادة دليل الركب : الاهتداء إلى الطريق بالجبال الشامخة ، فإذا كان فوقها نار : علم أن أهلها كرام .

ويروى :

وإن صخرا لتأتم الهداة به ." (١)

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ١٤٠/٦٨٨

"وقال محمد بن حامد : العبد ملازم للجنايات في كل أوان وجناياته في طاعته أكثر من جناياته في معاصيه لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ، ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة ، وعن علي رضي الله تعالى عنه : هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن لأن الكريم إذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا وإذا عفا لا يعود ﴿ ومآ أنتم بمعجزين فى الأرض ﴾ أي بفائتين ما قضى عليكم من المصائب ﴿ وما لكم من دون الله من ولى ﴾ متول بالرحمة ﴿ ولا نصير ﴾ ناصر يدفع عنكم العذاب إذا حل بكم .

﴿ ومن ءاياته الجوار ﴾ جمع جارية وهي السفينة ﴿ الجواري ﴾ في الحالين : مكي وسهل ويعقوب ، وافقهم مدني وأبو عمر في الوصل ﴿ فى البحر كالاعلام ﴾ كالجبال .

﴿ إن يشأ يسكن الريح ﴾ ﴿ الرياح ﴾ مدني ﴿ فيظللن رواكد ﴾ ثوابت لا تجري ﴿ على ظهره ﴾ على ظهر البحر ﴿ إن فى ذلك لآيات لكل صبار ﴾ على بلائه ﴿ شكور ﴾ لنعمائه أي لكل مؤمن مخلص فالإيمان نصفان : نصف شكر ونصف صبر .

أو صبار على طاعته شكور لنعمته ﴿ أو يوبقهن ﴾ يهلكهن فهو عطف على ﴿ يسكن ﴾ والمعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها ﴿ بما كسبوا ﴾ من الذنوب ﴿ ويعف عن كثير ﴾ منها فلا يجازي عليها .

(١) ".

"وقوله ﴿ بقدر ﴾ أي على قدر المصلحة ووفق حال الشخص كقوله ﴿ وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ [الحجر : ٢١] وحي بين أن حكمته اقتضت عدم توسيع الرزق على كل الخلق أراد أن يبين أنه لا يترك ما يحتاجون إليه وإن بلغ أمرهم إلى حد اليأس والقنوط فقال ﴿ وهو الذي ينزل الغيث ﴾ الآية . ونشر الرحمة عموم المطر الأرض أو هي عامة في كل رحمة سوى المطر ﴿ وهو الولي ﴾ الذي يتولى أمور عباده ﴿ الحميد ﴾ على كل ما يفعله . ولا ريب أن هذه من جملة دلائل القدرة فلذلك عطف عليها قوله ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض ﴾ ومحل قوله ﴿ وما بث ﴾ إما مجرور عطفا على السموات أو مرفوع عطفا على خلق . وإنما قال ﴿ فيهما من دابة ﴾ مع أن الدواب في الأرض وحدها لأن الشيء قد ينسب إلى جميع المذكور وإن كان متلبسا ببعضه كما يقال : " بنو فلان فعلوا كذا " ولعله قد فعله واحد منهم فقط . ويجوز أن يكون للملائكة مع الطيران مشى فيتصفوا بالدبيب كالإنسان ، أو يكون في السموات أنواع أخر من الخلائق يدبون كما يدب الحيوان في الأرض . ﴿ وهو على جمعهم ﴾ أي إحيائهم بعد الموت ﴿ إذا يشاء قدير ﴾ وإذا يدخل على الماضي ومعنى الاستقبال في ﴿ يشاء ﴾ يعود إلى تعلق المشيئة لا إلى نفس المشيئة القديمة . ثم بين حال المكلفين وأن

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ١٧٥/٦٨٨

ما يصيبهم من ألم ومكروه وبلاء فهو عقوبة للمعاصي التي اكتسبوها ، وأن الله يعفو عن كثير من الذنوب أو الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة رحمة أو استدراجا . قال الحسن : أراد إقامة الحدود على المعاصي وأنه لم يجعل لبعض الذنوب حدا . وقيل : إن هذه في يوم القيامة فإن الدنيا دار تكليف لا دار جزاء . ولقائل أن يقول : كون الجزاء الأوفى على الإثم مخصوصا بالقيامة لا ينافي وصول بعض الجزاء إلى المكلف في الدنيا ، ولهذا قال علي رضي الله عنه : هذه أرجى آية للمؤمنين في كتاب الله . وذلك أنه تعالى قسم ذنوب المؤمنين صنفين : صنف يكفره عنهم بالمصائب ، وصنف يعفو وهو كريم لا يرجع في ." (١)

"قيل لأبي سليمان الداراني : ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم ؟ قال : إنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم وقرأ هذه الآية . وأجاب الأولون بأن حصول هذه المصائب يكون من باب الامتحان في التكليف لا من باب العقوبة كما في حق الأنبياء والأولياء بل ذلك لزيادة درجات وفضائل وخصوصيات لا يصلون إليها إلا بها لأن أعمالهم لم تبلغها فهي خير من الله تعالى لهم ، ويحمل قوله تعالى : ﴿فبما كسبت أيديكم﴾ على أن الأصلح عند إتيانكم بذلك الكسب إنزال هذه المصائب عليكم ﴿ويعفو عن كثير﴾ أي : من الذنوب بفضله ورحمته فلا يعاقب عليها ولولا عفوه وتجاوزه ما ترك على ظهرها من دابة قال الواحدي بعد أن روى حديث علي : وهذه أرجى آية في كتاب الله تعالى لأن الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين ؛ صنف : كفر عنهم بالمصائب ، وصنف : عفا عنهم في الدنيا وهو كريم لا يرجع في عفوه ، فهذه سنة الله تعالى مع المؤمنين وأما الكافر : فإنه لا تعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة .

﴿وما أنتم بمعجزين﴾ أي : فائتين ما قضى عليكم من المصائب ﴿في الأرض وما لكم من دون الله﴾ ولا في شيء أراده سبحانه منكم كائنا ما كان ﴿من ولي﴾ أي : يكون متوليا لشيء من أموركم بالاستقلال ﴿ولا نصير﴾ يدفع عنكم شيئا يريده سبحانه بكم .

﴿ومن آياته﴾ أي : الدالة على تمام قدرته واختياره ووحدانيته ﴿الجواري﴾ أي : السفن الجارية ﴿في البحر كالأعلام﴾ أي : كالجبال قالت الخنساء في مرثية أخيها صخر:

*وإن صخرا لتأتم الهداة به **كأنه علم في رأسه نار*

أي : جبل في رأسه نار شبهت به أخاها . روي أن النبي صلى الله عليه وسلم "استنشد قصيدتها هذه فلما وصل الراوي هذا البيت قال : قاتلها الله تعالى ما رضيت بتشبيهه بالجبل حتى جعلت في رأسه نارا" . وقال مجاهد : الأعلام القصور وأحدها علم ، وقال الخليل بن أحمد : كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم .

". (٢)

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ١٩٤/٦٨٨

(٢) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٢٠٩/٦٨٨

"وقرأ أبي بن كعب " ساعة من النهار " . وقرأ جمهور القراء والناس : " بلاغ " وذلك يحتمل معاني ، أحدها : أن يكون خبر ابتداء ، المعنى : هذا بلاغ ، وتكون الإشارة بهذا إلى القرآن والشرع ، أي هذا إنذار وتبليغ ، وإما إلى المدة التي تكون كساعة كأنه قال : ﴿ لم يلبثوا إلا ساعة ﴾ كانت بلاغهم ، وهذا كما تقول : متاع قليل ونحوه من المعنى .

والثاني : أن يكون ابتداء والخبر محذوف . والثالث : ما قاله أبو مجلز فإنه كان يقف على قوله : ﴿ ولا تستعجل ﴾ ويقول : " بلاغ " ابتداء وخبره متقدم في قوله : ﴿ لهم ﴾ وقدح الناس في هذا القول بكثرة الحائل . وقرأ الحسن بن أبي الحسن ، وعيسى : " بلاغا " ، وهي قراءة تحتمل المعنيين اللذين في قراءة الرفع ، وليس يدخلها قول أبي مجلز ونصبها بفعل مضمر . وقرأ أبو مجلز وأبو سراج الهذلي : " بلغ " ، على الأمر . وقرأ الحسن بن أبي الحسن : " بلاغ " بالخفض نعتا ل ﴿ نهار ﴾ .

وقرأ جمهور الناس :

" فهل يهلك " على بناء الفعل للمفعول . وقرأ بعضهم فيما حكى هارون : " فهل يهلك " ببناء الفعل للفاعل وكسر اللام ، وحكاها أبو عمرو عن الحسن وابن محيصن : " يهلك " بفتح الياء واللام . قال أبو الفتح : وهي مرغوب عنها . وروى زيد بن ثابت عن النبي عليه السلام : " فهل يهلك " بضم الياء وكسر اللام " إلا القوم الفاسقين " بالنصب .

وفي هذه الألفاظ وعيد محض وإنذار بين ، وذلك أن الله تعالى جعل الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها ، وأمر بالطاعة ووعد عليها بالجنة ، ونهى عن الكفر وأوعد عليه بالنار ، فلن يهلك على الله إلا هالك كما قال صلى الله عليه وسلم . قال الثعلبي : يقال إن قوله : ﴿ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾ أرجى آية في كتاب الله تعالى للمؤمنين . أ هـ ﴿المحرر الوجيز حـ ٥ صـ ﴾ ." (١)

"وقوله سبحانه : ﴿ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾ وقرىء شاذا : ﴿ فهل يهلك ﴾ ببناء الفعل للفاعل ، وفي هذه الآية وعيد محض ، وإنذار بين ؛ وذلك أن الله عز وجل جعل الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها ، وغفر الصغائر باجتناب الكبائر ، ووعد الغفران على التوبة ، فلن يهلك على الله إلا هالك ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم قال الثعلبي : يقال : إن قوله تعالى : ﴿ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾ أرجى آية في كتاب الله عز وجل للمؤمنين . أ هـ ﴿الجواهر الحسان حـ ٤ صـ ﴾ ." (٢)

"ولما كانت وقائعه خلعة للقلوب بما فيها من الأمور الباهرة الناطقة بها ألسنة الأحوال بعد التنبيه بالمقال ، ساق ذلك بسوقه في أسلوب الاستفهام مساقا منبها على أنه من العظمة بحيث يفرغ الزمان للعناية بالسؤال

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٢٠/٧٠٥

(٢) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٣٣/٧٠٥

عنه فقال : ﴿كيف كان عاقبة﴾ أي آخر أمر ﴿الذين﴾ ولما كان يمكنهم معرفة ذلك من جميع المهلكين ، نبه بإثبات الجار على أنهم بعضهم بل بعض المكذبين للرسل ، وهم الذين سمعوا أخبارهم ورأوا ديارهم بعاد وثمود ومدين وسا وقوم لوط فقال تعالى : ﴿من قبلهم﴾ ولما كان كأنه قيل : ما لهم ؟ قال : ﴿دمر الله﴾ أي أوقع الملك الأعظم الهلاك العظيم الداخل بغير إذن ، الهاجم بغتة ﴿عليهم﴾ بما علم أهاليهم وأحوالهم وكل من رضي فعالهم أو مقالهم ، وعدل عن أن يقول : " ولهؤلاء " إلى قوله : ﴿وللكافرين﴾ تعميما وتعليقا للحكم بالوصف وهو العراقة في الكفر ، فكان فيه بشارة بأن بعضهم سينجيه الله تعالى من أسباب الهلاك لكونه ليس عريقا في الكفر ، لأنه لم يطبع عليه ﴿أمثالها﴾ أي أمثال هذه العاقبة .

ولما بين أن يعلي أولياءه ويذل أعداءه ، بين علته فقال : ﴿ذلك﴾ أي الأمر العظيم الذي فعله بالفريقين ﴿بأن الله﴾ أي بسبب أن الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال ﴿مولى الذين آمنوا﴾ أي القريب من المصدقين به المرضين له ، فهو يفعل معهم بما له من الجلال والجمال ما يفعل القريب بقريبه الحبيب له ، قال القشيري : ويصح أن يقال : أرجى آية في كتاب الله هذه الآية لأنه لم يقل : الزهاد والعباد وأصحاب الأوراد والاجتهاد . يعني بل ذكر أدنى أسنان أهل الإيمان .

﴿وأن الكافرين﴾ أي العريقين في هذا الوصف ﴿لا مولى لهم﴾ بهذا المعنى ، لأنهم بعيدون من الله الذي لا يعبد على الحقيقة إلا هو ، فلا ينفعهم قرب قريب أصلا وإن كان الله مولاهم بغير هذا المعنى بل بمعنى أنه سيدهم ومالكهم ، وفيه إيماء إلى أنه سبحانه وتعالى ولي من لم يكن عريقا في الكفر فيخرجه من الظلمات إلى النور .

أ هـ ﴿نظم الدرر حـ ٧ ص ١٥٤ . ١٥٦﴾ ." (١)

"﴿ذلك﴾ يجوز أن يكون مبتدأ والخبر الجار بعده ، أو خبر مبتدأ مضمر . أي : الأمر ذلك ﴿بأنهم﴾ أي : بسبب أنهم ﴿كرهوا ما أنزل الله﴾ أي : الملك الأعظم الذي لا نعمة إلا منه من القرآن وما أنزل الله تعالى فيه من التكاليف والأحكام لأنهم قد ألفوا الإهمال وإطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك ، وتعاظمهم والذي أنزله من القرآن وغيره هو روح الوجود الذي لا بقاء بدونه فلما كرهوا الروح الأعظم بطلت أرواحهم فتبعتها أشباحهم وهو معنى قوله تعالى مسببا بيانا لمعنى إضلال أعمالهم ﴿فأحبط﴾ أي : أبطل إبطالا لاصلاح معه ﴿أعمالهم﴾ بسبب : أنهم أفسدوها بنياتهم فصارت وإن كانت صورها صالحة ليس لها أرواح لكونها واقعة على غير ما أمر به الله الذي لا أمر إلا له ، ولا يقبل من العمل إلا ما حده ورسمه ثم خوف الكفار بقوله تعالى : ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ أي : التي فيها آثار الوقائع ﴿فينظروا كيف كان عاقبة﴾ أي : آخر أمر ﴿الذين من قبلهم دمر الله﴾ أي : أوقع الملك الأعظم الهلاك ﴿عليهم﴾ بما عم أهاليهم وأموالهم ، وكل من رضي أفعالهم أو مقالهم . وعدل عن أن يقول ﴿ولهؤلاء﴾ إلى قوله تعالى ﴿وللكافرين﴾ تعميما وتعليقا للحكم

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ١٦١/٧٠٧

بالوصف وهو العراقة في الكفر ﴿أمثالها﴾ أي : أمثال عاقبة من قبلهم .

﴿ذلك﴾ أي : الأمر العظيم وهو نصر المؤمنين وقهر الكافرين ، ﴿بأن الله﴾ أي : بسبب أن الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال ﴿مولى﴾ أي : ولي وناصر ﴿الذين آمنوا﴾ فهو يفعل معهم بما له من الجلال والجمال ما يفعل القريب بقريبه الحبيب له قال القشيري : ويصح أن يقال : أرجى آية في القرآن هذه الآية ؛ لأن الله تعالى لم يقل إنه هادي العباد وأصحاب الأوراد والاجتهاد بل علق ذلك بالإيمان ﴿وأن الكافرين﴾ أي : العريقين في هذا الوصف .1

﴿لا مولى لهم﴾ فيدفع العذاب عنهم وهذا لا يخالف قوله تعالى ﴿وردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ (سورة يونس ، آية :)

(١) ".

"قوله جل ذكره : ﴿ يا أيها الذين ءامنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ .

نصرة الله من العبد نصرة دينه بإيضاح الدليل وتبيينه .

ونصرة الله للعبد بإعلاء كلمته ، وقمع أعداء الدين ببركات سعيه وهمته .

﴿ ويثبت أقدامكم ﴾ بإدامة التوفيق لئلا ينهزم من صولة أعداء الدين .

قوله جل ذكره : ﴿ والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا مآ أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾ .

تعسا لهم : لعنا وطردا ، وقمعا وبعدا !

﴿ أضل أعمالهم ﴾ : هتك أستارهم ، وأظهر للمؤمنين أسرارهم ، وأخمد نارهم .

قوله جل ذكره : ﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ .

وكيف أهلكهم وأبادهم وأقماهم ؟

قوله جل ذكره : ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين ءامنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾ .

المولى هنا بمعنى الناصر ؛ فالله ناصر للذين آمنوا ، وأم الكافرون فلا ناصر لهم .

أو المولى من المولاة وهي ضد المعاداة ، فيكون بمعنى المحب ؛ فهو مولى الذين آمنوا أي محبهم ، وأما الكافرون فلا يحبهم الله .

ويقول تعالى في آية أخرى : ﴿ والذن كفروا أوليآؤهم الطاغوت ﴾ [البقرة : ٢٥٧] .

ويصح أن يقال إن هذه أرجى آية في القرآن ؛ ذلك بأنه سبحانه يقول : ﴿ بأن الله مولى الذين ءامنوا ﴾ ولم يقل : مولى الزهاد والعباد وأصحاب الأوراد والاجتاد ؛ فالمؤمن – وإن كان عاصيا – من جملة الذين آمنوا ،

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٣١٠/٧٠٨

(لا سيما و " آمنوا " فعل ، والفعل لا عموم له) .

(١) ".

"ثم قال ابن عبد البر على أني أقول السكوت في هذه المسألة أفضل من الكلام فيها وأسلم ثم أسند إلى إسحاق بن منصور قلت لأحمد بن حنبل قوله صلى الله عليه وسلم : " قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن " ما وجهه فلم يقم لي فيها على أمر وقال لي إسحاق بن راهويه معناه أن الله لما فضل كلامه على سائر الكلام جعل لبعضه أيضا فضلا

في الثواب لمن قرأه تحريضا على تعلمه لا أن من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾

ثلاث مرات كان كمن قرأ القرآن جميعه هذا لا يستقيم ولو قرأها مائتي مرة

قال أبو عمرو وهذان إمامان بالسنة ما قاما ولا قعدا في هذه المسألة

قلت : وأحسن ما قيل فيه أن القرآن قسمان : خبر وإنشاء والخبر قسمان خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق فهذه ثلاثة وسورة الإخلاص أخلصت الخبر عن الخالق فهي بهذا الاعتبار ثلث القرآن

فائدة : في أي آية في القرآن أرجى

اختلف في أرجى آية في القرآن على بضعة عشر قولا :

الأول : آية الدين ومأخذه أن الله تعالى أرشد عباده إلى مصالحهم الدنيوية حتى انتهت العناية بمصالحهم إلى أن أمرهم بكتابة الدين الكبير والحقير فبمقتضى ذلك يرجى عفو الله تعالى عنهم لظهور أمر العناية العظيمة بهم حتى في مصلحتهم الحقيرة

الثاني : ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة﴾

إلى قوله : ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾

وهذا رواه مسلم في الصحيح أثر حديث الإفك عن الإمام الجليل عبد الله بن المبارك

الثالث : قال الشبلي : في قوله تعالى : ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾

فالله تعالى لما أذن الكافرين بدخول الباكل إذا أتوا بالتوحيد والشهادة أتراه يخرج الداخل فيها والمقيم عليها

الرابع : قوله تعالى : ﴿وهل نجازي إلا الكفور﴾

الخامس : قوله : ﴿إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى﴾

(٢) ".

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٢٩٧/٧١٠

(٢) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ١٤٥/٨

"ولما ذكر سبحانه الدنيا والآخرة ، ذكر ما يشملهما مما زاده من فضله ، فقال مصدرا بحرف الابتداء تأكيدا للكلام لأنهم ينكرونه وليست للقسم لأنها إذا دخلت على المضارع لزمته النون المؤكدة ، وضم هذه اللام إلى كلمة التنفيس للدلالة على أن العطاء وإن تأخر وقته لحكمة كائن لا محالة : ﴿ولسوف يعطيك﴾ أي بوعد لا خلف فيه وإن تأخر وقته بما أفهمته الأداة ﴿ربك﴾ أي الذي لم يزل يحسن إليك بوعد الدنيا ووعد الآخرة ﴿فترضى﴾ أي فيتعقب على ذلك ويتسبب عنه رضاك .

وهذا شامل لما منحه بعد كمال النفس من كمال العلم وظهور الأمر وإعلاء الدين وفتح البلاد ودينونة العباد ونقص ممالك الجبابرة ، وإنهاب كنوز الأكاسرة والقياصرة ، وإحلال الغنائم حتى كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ، وشامل لما ادخره له سبحانه وتعالى في الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود ، والشفاعة العظمى إلى غير ذلك مما لا يدخل تحت الحدود ، وقد أفهمت العبارة أن الناس أربعة أقسام : معطى راض ، وممنوع غير راض ، ومعطى غير راض ، وممنوع راض ، وعن علي - رضى الله عنه - أنها أرجى آية في القرآن لأنه - صلى الله عليه وسلم - لا يرضى واحدا من أمته في النار . أ هـ ﴿نظم الدرر حـ ٨ صـ ٤٥٢ - ٤٥٦﴾ ." (١)

"قال البقاعي : إن الناس على أربعة أقسام : منهم من له الخير في الدارين وهم أهل الطاعة الأغنياء ، ومنهم : من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء ، ومنهم من له صورة خير في الدنيا وشر في الآخرة وهم الكفرة الأغنياء ، ومنهم من له صورة شر في الدنيا وخير في الآخرة وهم المؤمنون الفقراء . وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أهل البيت أختار الله لنا الآخرة على الدنيا" .

﴿ولسوف يعطيك﴾ ، أي : بوعد لا خلف فيه وإن تأخر وقته بما أفهمته الأداة ﴿ربك﴾ ، أي : المحسن

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٥٦/٨١٩

إليك بسائر النعم في الآخرة من الخيرات عطاء جزيلا ﴿فترضى﴾ ، أي : به فقال صلى الله عليه وسلم "إذا لا أرضى وواحد من أمتي في النار" . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص : أن النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال : "اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله تعالى : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك" . وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال : "لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئا" وعن عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أتاني آت من عند ربي يخبرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة ، فهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئا" . وعن شريح قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقول : إنكم معشر أهل العراق تقولون أرجى آية في القرآن ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ (الزمر :)

(١) ".

"فقال : تقرأ آية الكرسي ، فإنه لا يقرأها أحد إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان له خبج كخبج الحمار . فقيل لابن مسعود : أهو عمر ؟ قال : من عسى أن يكون إلا عمر . الخبج الضراط .

وأخرج المحاملي في فوائده عن ابن مسعود قال : « قال رجل : يا رسول الله علمني شيئا ينفعني الله به . قال » اقرأ آية الكرسي فإنه يحفظك وذريتك ويحفظ دارك ، حتى الدويرات حول دارك « » .

وأخرج ابن مردويه والشيرازي في الألقاب والهروي في فضائله عن ابن عمر . أن عمر بن الخطاب خرج ذات يوم إلى الناس فقال : أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن ، وأعدلها ، وأخوفها ، وأرجاها ؟ فسكت القوم . فقال ابن مسعود : على الخبير سقطت « سمعت رسول الله A يقول : أعظم آية في القرآن ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ وأعدل آية في القرآن ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ [النحل : ٩٠] إلى آخرها ، وأخوف آية في القرآن ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ [الزلزلة : ٧-٨] وأرجى آية في القرآن ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ [الزمر : ٥٣] » .

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال « كان رسول الله A إذا قرأ آخر سورة البقرة ، أو آية الكرسي ضحك ، وقال : إنهما من كنز الرحمن تحت العرش ، وإذا قرأ ﴿ من يعمل سوءا يجز به ﴾ [النساء : ١٢٣] استرجع واستكان » .

وأخرج ابن الضريس ومحمد بن نصر والهروي في فضائله عن ابن عباس قال : ما خلق الله ؛ من سماء ولا أرض

---

(١) الحاوى فى تفسير القرآن الكريم كاملا ٢٩٤/٨١٩

ولا سهل ولا جبل أعظم من سورة البقرة ، وأعظم آية فيها آية الكرسي .

وأخرج ابن أبي شيبة وأبو يعلى وابن المنذر وابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف . أنه كان إذا دخل منزله قرأ في زواياه آية الكرسي .

وأخرج ابن الأنباري في المصاحف والبيهقي في الشعب عن علي بن أبي طالب قال : سيد آي القرآن ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ .

وأخرج البيهقي عن علي سمعت رسول الله A . يقول : « من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ، ومن قرأها حين يأخذ مضجعه أمنه الله على داره ودار جاره ، وأهل دويرات حوله » .

وأخرج أبو عبيد وابن أبي شيبة والدارمي ومحمد بن نصر وابن الضريس عن علي قال : ما أرى رجلا ولد في الإسلام أو أدرك عقله الإسلام يبيت أبدا حتى يقرأ هذه الآية ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ ولو تعلمون ما هي ، إنما أعطيها نبيكم من كنز تحت العرش ، ولم يعطها أحد قبل نبيكم ، وما بت ليلة قط حتى اقرأها ثلاث مرات ، اقرأوها في الركعتين بعد العشاء الآخرة ، وفي وتري ، وحين آخذ مضجعي من فراشي . ." (١)

"وأخرج أبو عبيد وابن الضريس ومحمد بن نصر عن ابن مسعود قال : ما خلق الله من سماء ولا أرض ولا جنة ولا نار أعظم من آية في سورة البقرة ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾

وأخرج سعيد بن منصور وابن الضريس والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن مسعود قال : ما من سماء ولا أرض ولا سهل ولا جبل أعظم من آية الكرسي

وأخرج أبو عبيد في فضائله والدارمي والطبراني وأبو نعيم في دلائل النبوة والبيهقي عن ابن مسعود قال : خرج رجل من الأنس فلقيه رجل من الجن فقال : هل لك أن تصارعني فإن صرعتني علمتك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان فصارعه فصرعه الأنسي

فقال : تقرأ آية الكرسي فإنه لا يقرؤها أحد إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان له خبج كخبج الحمار

فقيل لابن مسعود : أهو عمر قال : من عسى أن يكون إلا عمر

الخبج : الضراط

وأخرج المحاملي في فوائده عن ابن مسعود قال : قال رجل : يا رسول الله علمني شيئا ينفعني الله به

---

(١) الدر المنثور ٢/١٥٣

قال اقرأ آية الكرسي فإنه يحفظك وذريتك ويحفظ دارك حتى الدويرات حول دارك

وأخرج ابن مردويه والشيرازي في الألقاب والهروي في فضائله عن ابن عمر

أن عمر بن الخطاب خرج ذات يوم إلى الناس فقال : أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن وأعدلها وأخوفها وأرجاها فسكت القوم

فقال ابن مسعود : على الخبير سقطت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أعظم آية في القرآن ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ وأعدل آية في القرآن ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ النحل الآية ٩٠ إلى آخرها وأخوف آية في القرآن ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ الزلزلة الآيتان ٧ ــ ٨ وأرجى آية في القرآن ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ الزمر الآية ٥٣

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا قرأ آخر سورة

" (١).

"

قوله عز وجل : ﴿ ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ﴾ ؛ أي ثم ردهم الملائكة إلى الموضع الذي لا يملك أحد الحكم فيه إلا الله تعالى : وقوله : ﴿ مولاهم الحق ﴾ أي مولاهم من كل جهة ، فإنه يملك خلقهم وإنشاءهم وتربيتهم وإماتتهم وإحياءهم وضرهم ونفعهم ، وهو الذي دبر في الابتداء أمرهم حيث أنشأهم . ومعنى قوله تعالى : ﴿ مولاهم الحق ﴾ أي الذي عبادته حق ، ويعطي الثواب الحق ، ويتولى العقاب بالحق ، وقيل : إن هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى ؛ لأنه لا مرد للعبد أحسن من مرده إلى مولاه .

قوله تعالى : ﴿ ألا له الحكم ﴾ ؛ كلمة بينة ؛ أي اعلموا أن بينة القضاء بين العباد يوم القيامة يحكم فيهم ما شاء وكيف شاء . وقوله تعالى : ﴿ وهو أسرع الحاسبين ﴾ ؛ إذا حاسب فحسابه يسير سريع ؛ لأنه لا يحاسب بحقد ولا يتكلم بآلة ، ولا يحجزه الكلام مع بعضهم عن الكلام مع غيرهم ، بل يحاسب الجميع في دفعة واحدة . ومعنى المحاسبة : تعريف كل واحد ما يستحقه من ثواب أو عقاب ؛ حتى روي في الخبر : أنه يكون حسابه في مقدار حلب شاة .

" (٢).

---

(١) الدر المنثور ٢/٧

(٢) القرآن العظيم– للإمام الطبراني ٠/٠

"فقال : تقرأ آية الكرسي ، فإنه لا يقرأها أحد إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان له خبج كخبج الحمار . فقيل لابن مسعود : أهو عمر ؟ قال : من عسى أن يكون إلا عمر . الخبج الضراط .

وأخرج المحاملي في فوائده عن ابن مسعود قال : « قال رجل : يا رسول الله علمني شيئا ينفعني الله به . قال » اقرأ آية الكرسي فإنه يحفظك وذريتك ويحفظ دارك ، حتى الدويرات حول دارك « » .

وأخرج ابن مردويه والشيرازي في الألقاب والهروي في فضائله عن ابن عمر . أن عمر بن الخطاب خرج ذات يوم إلى الناس فقال : أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن ، وأعدلها ، وأخوفها ، وأرجاها ؟ فسكت القوم . فقال ابن مسعود : على الخبير سقطت « سمعت رسول الله A يقول : أعظم آية في القرآن ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ وأعدل آية في القرآن ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ [النحل : ٩٠] إلى آخرها ، وأخوف آية في القرآن ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ [الزلزلة : ٧-٨] وأرجى آية في القرآن ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ [الزمر : ٥٣] » .

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال « كان رسول الله A إذا قرأ آخر سورة البقرة ، أو آية الكرسي ضحك ، وقال : إنهما من كنز الرحمن تحت العرش ، وإذا قرأ ﴿ من يعمل سوءا يجز به ﴾ [النساء : ١٢٣] استرجع واستكان » .

وأخرج ابن الضريس ومحمد بن نصر والهروي في فضائله عن ابن عباس قال : ما خلق الله ؛ من سماء ولا أرض ولا سهل ولا جبل أعظم من سورة البقرة ، وأعظم آية فيها آية الكرسي .

وأخرج ابن أبي شيبة وأبو يعلى وابن المنذر وابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف . أنه كان إذا دخل منزله قرأ في زواياه آية الكرسي .

وأخرج ابن الأنباري في المصاحف والبيهقي في الشعب عن علي بن أبي طالب قال : سيد آي القرآن ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ .

وأخرج البيهقي عن علي سمعت رسول الله A . يقول : « من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ، ومن قرأها حين يأخذ مضجعه أمنه الله على داره ودار جاره ، وأهل دويرات حوله » .

وأخرج أبو عبيد وابن أبي شيبة والدارمي ومحمد بن نصر وابن الضريس عن علي قال : ما أرى رجلا ولد في الإسلام أو أدرك عقله الإسلام يبيت أبدا حتى يقرأ هذه الآية ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ ولو تعلمون ما هي ، إنما أعطيها نبيكم من كنز تحت العرش ، ولم يعطها أحد قبل نبيكم ، وما بت ليلة قط حتى اقرأها

ثلاث مرات ، اقرأوها في الركعتين بعد العشاء الآخرة ، وفي وتري ، وحين آخذ مضجعي من فراشي . ." (١)

"وفي هذا المعنى استعمل الناس هذه الآية في مخاطباتهم ومحاوراتهم .

وقيل : هو مدرج متصل بقوله ﴿ إنا قد أوحي إلينا ﴾ فيكون إذ ذاك خبرا بسلامة المهتدين من العذاب .

وقيل ﴿ على ﴾ بمعنى اللام أي والسلامة لمن ﴿ اتبع الهدى ﴾ .

وقال الزمخشري : وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين ، وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين انتهى .

وهو تفسير غريب .

وقد يقال : السلام هنا السلامة من العذاب بدليل قوله ﴿ إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ﴾ وبنى ﴿ أوحي ﴾ لما لم يسم فاعله ، ولم يذكر الموحى لأن فرعون كانت له بادرة فربما صدر منه في حق الموحى ما لا يليق به ، والمعنى على من كذب الأنبياء وتولى عن الإيمان .

وقال ابن عباس هذه أرجى آية في القرآن لأن المؤمن ما كذب وتولى فلا يناله شيء من العذاب .

وفي الكلام حذف تقديره فأتيا فرعون وقالا له ما أمرهما الله أن يبلغاه قال ﴿ فمن ربكما يا موسى ﴾ خاطبهما معا وأفرد بالنداء موسى .

قال ابن عطية : إذ كان صاحب عظم الرسالة وكريم الآيات .

وقال الزمخشري لأنه الأصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه ، ويحتمل أن يحمله خبثه وذعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان موسى ، ويدل عليه قوله ﴿ أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ﴾ انتهى .

واستبد موسى عليه السلام بجواب فرعون من حيث خصه بالسؤال والنداء معا ثم أعلمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا حيث خصه بالسؤال والنداء معا ثم أعلمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا بوجه مجاز .

قال الزمخشري : ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالبا للحق انتهى .

والمعنى أعطى كل ما خلق خلقته وصورته على ما يناسبه من الإتقان لم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم ،

---

(١) الدر المنثور في التأويل بالمأثور – السيوطي ١٥٣/٢

ولا خلق البهائم في خلق الإنسان ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا .

وقال الشاعر :

وله في كل شيء خلقة . . .

وكذلك الله ما شاء فعل

وهذا قول مجاهد وعطية ومقاتل وقال الضحاك ﴿ خلقه ﴾ من المنفعة المنوطة به المطابقة له ﴿ ثم هدى ﴾ أي يسر كل شيء لمنافعه ومرافقه ، فأعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار ، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع ، وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه .

قال القشيري : والخلق المخلوق لأن البطش والمشي والرؤية والنطق معان مخلوقة أودعها الله للأعضاء ، وعلى هذا مفعول ﴿ أعطى ﴾ الأول ﴿ كل شيء ﴾ والثاني ﴿ خلقه ﴾ وكذا في قول ابن عباس وابن جبير والسدي وهو أن المعنى ﴿ أعطى كل شيء ﴾ مخلوقه من جنسه أي كل حيوان ذكر نظيره أنثى في الصورة .

." (١)

"وإذا كان أبو علي الفارسي لا يجيز الاعتراض بجملتين ، فكيف يجيزه بهذه الجمل الكثيرة ؟ والذي يظهر في الربط أنه لما قال : ﴿ ولو أن للذين ظلموا ﴾ الآية ، كان ذلك إشعارا بما ينال الظالمين من شدة العذاب ، وأنه يظهر لهم يوم القيامة من العذاب ما لم يكن في حسابهم ، أتبع ذلك بما يدل على ظلمه وبغيه ، إذ كان إذا مسه دعا ربه ، فإذا أحسن إليه ، لم ينسب ذلك إليه .

ثم إنه بعد وصف تلك النعمة أنها ابتلاء وفتنة ، كما بدا له في الآخرة من عمله الذي كان يظنه صالحا ما لم يكن في حسابه من سوء العذاب المترتب على ذلك العمل ، ترتب الفتنة على تلك النعمة .

﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ : أي إن ذلك استدراج وامتحان ﴿ قد قالها الذين من قبلهم ﴾ : أي قال مثل مقالتهم ﴿ أوتيته على علم ﴾ .

والظاهر أن قائلي ذلك جماعة من الأمم الكافرة الماضية ، كقارون في قوله : ﴿ قال إنما أوتيته على علم عندي ﴾ وقيل : الذين من قبلهم هم قارون وقومه ، إذ رضوا بمقالته ، فنسب القول إليهم جميعا .

وقرىء : قد قاله ، أي قال القول أو الكلام .

﴿ فما أغنى عنهم ﴾ : يجوز أن تكون ما نافية ، وهو الظاهر .

وأن تكون استفهامية ، فيها معنى النفي .

﴿ ما كانوا يكسبون ﴾ : أي من الأموال .

﴿ والذين ظلموا من هؤلاء ﴾ : إشارة إلى مشركي قريش ، ﴿ سيصيبهم سيئات ما كسبوا ﴾ : جاء بسين

---

(١) تفسير البحر المحيط ٨/٨٣

الاستقبال التي هي أقل تنفيسا في الزمان من سوف ، وهو خبر غيب ، أبرزه الوجود في يوم بدر وغيره .
قتل رؤساءهم ، وحبس عنه الرزق ، فلم يمطروا سبع سنين ؛ ثم بسط لهم ، فمطروا سبع سنين ، فقيل لهم : ألم تعلموا أنه لا قابض ولا باسط إلا الله تعالى ؟ .
﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا ﴾ : نزلت في وحشي قاتل حمزة ، قاله عطاء ؛ أو في قوم آمنوا عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ، ففتنتهم قريش ، فافتتنوا وظنوا أن لا توبة لهم ، فكتب عمر لهم بهذه الآية ، قاله عمر والسدي وقتادة وابن إسحاق .
وقيل : في قوم كفار من أهل الجاهلية قالوا : وما ينفعنا الإسلام وقد زنينا وقتلنا النف وأتينا كل كبيرة ؟ ومناسبتها لما قبلها : أنه تعالى لما شدد على الكفار وذكر ما أعد لهم من العذاب ، وأنهم لو كان لأحدهم ما في الأرض ومثله معه لافتدى به من عذاب الله ، ذكر ما في إحسانه من غفران الذنوب إذا آمن العبد ورجع إلى الله .
وكثيرا تأتي آيات الرحمة مع آيات النقمة ليرجو العبد ويخاف .
وهذه الآية عام في كل كافر يتوب ، ومؤمن عاص يتوب ، تمحو الذنب توبته .
وقال عبد الله ، وعلي ، وابن عامر : هذه أرجى آية في كتاب الله .
وتقدم الخلاف في قراءة ﴿ لا تقنطوا ﴾ في الحجر .
﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ : عام يراد به ما سوى الشرك ، فهو مقيد أيضا بالمؤمن العاصي غير التائب بالمشيئة .
". (١)

"واحتمل ما أن تكون شرطية ، وهو الأظهر ، وأن تكون موصولة ، والفاء تدخل في خبر الموصول إذا أجري مجرى الشرط بشرائط ذكرت في النحو ، وهي موجودة .
وقرأ نافع ، وابن عامر ، وأبو جعفر في رواية ، وشيبة : بما بغير فاء ، فما موصولة ، ولا يجوز أن تكون شرطية ؛ وحذفت الفاء لأن ذلك مما يخصه سيبويه بالشعر ، وأجازت ذلك الأخفش وبعض نحاة بغداد وذلك على إرادة الفاء .
وترتب ما أصاب من المصائب على كسب الأيدي موجود مع الفاء ودونها هنا ، والمصيبة : الرزايا والمصائب في الدنيا ، وهي مجازاة على ذنوب المرء وتمحيص لخطاياه ، وأنه تعالى يعفو عن كثير ، ولا يجازي عليه بمصيبة .
وفي الحديث : « لا يصيب ابن آدم خدش عود أو عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو عنه أكثر »
وسئل عمران بن حصين عن مرضه فقال ؛ إن أحبه إلي أحبه إلى الله ، وهذا مما كسبت يداي .

---

(١) تفسير البحر المحيط ٣٨١/٩

ورؤي على كف شريح قرحة ، فقيل : بم هذا ؟ فقال : بما كسبت يداي .
وقال الزمخشري : الآية مخصوصة بالمجرمين ، ولا يمتنع أن يستوفي الله عقاب المجرم ويعفو عن بعض .
فأما من لا جرم له ، كالأنبياء والأطفال والمجانين ، فهو كما إذا أصابهم شيء من ألم أو غيره ، فللعوض الموفي والمصلحة وعن علي : هذه أرجى آية للمؤمنين .
وقال الحسن : ﴿ من مصيبة ﴾ : أي حد من حدود الله ، وتلك مصائب تنزل بشخص الإنسان ونفسه ، فإنما هي بكسب أيديكم .
﴿ ويعفوا ﴾ الله ﴿ عن كثير ﴾ ، فيستره على العباد حتى لا يحد عليه .
﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ : أنتم في قبضة القدرة .
وقيل : ليست المصائب من الأسقام والقحط والغرق وغير ذلك بعقوبات على الذنوب لقوله : ﴿ اليوم تجزي كل نفس بما كسبت ﴾ ولاشتراك الصالح والطالح فيهما ، بل أكثر ما يبتلي به الصالحون المتقون .
وفي الحديث : « خص بالبلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل » ولأن الدنيا دار التكليف ، فلو حصل الجزاء فيها لكانت دار الجزاء ، وليس الأمر كذلك .
وهذا القول يؤخره نصوص القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ﴾ الآية .

(١) ".

"#(ج٣- ص١٧١)# قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان فصارعه فصرعه الأنسي # فقال : تقرأ آية الكرسي فإنه لا يقرؤها أحد إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان له خبج كخبج الحمار # فقيل لابن مسعود : أهو عمر قال : من عسى أن يكون إلا عمر # الخبج : الضراط # وأخرج المحاملي في فوائده عن ابن مسعود قال : قال رجل : يا رسول الله علمني شيئا ينفعني الله به # قال اقرأ آية الكرسي فإنه يحفظك وذريتك ويحفظ دارك حتى الدويرات حول دارك # وأخرج ابن مردويه والشيرازي في الألقاب والهروي في فضائله عن ابن عمر # أن عمر بن الخطاب خرج ذات يوم إلى الناس فقال : أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن وأعدلها وأخوفها وأرجاها فسكت القوم # فقال ابن مسعود : على الخبير سقطت سمعت رسول الله صلى الله عليه

---

(١) تفسير البحر المحيط ٩/٤٨٠

وسلم يقول : أعظم آية في القرآن ! (١) ! وأعدل آية في القرآن ! (٢) ! النحل الآية ٩٠ إلى آخرها وأخوف آية في القرآن ! (٣) ! الزلزلة الآيتان ٧ _ ٨ وأرجى آية في القرآن ! (٤) ! الزمر الآية ٥٣ ." (٥)

"قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ الآية: ٢٦٠

[٣١١] أخرج الطبري وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والحاكم من طريق عبد العزيز الماجشون١ عن محمد بن المنكدر٢ عن ابن عباس قال "أرجى آية في القرآن هذه الآية ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ الآية ، قال ابن عباس: هذا لما يعرض في الصدور ويسوس به الشيطان ، فرضي الله من إبراهيم عليه السلام بأن قال: "بلى" ٣ .

[٣١٢] ومن طريق معمر عن قتادة عن ابن عباس نحوه٤ .

[٣١٣] ومن طريق علي بن زيد ٥ عن سعيد بن المسيب عن ابن

-

١ هو عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة ، الماجشون ، المدني ، نزيل بغداد ، مولى آل الهدير ، روى عن محمد بن المنكدر وغيره ، ثقة فقيه ، مصنف ، مات سنة أربع وستين ومائة . أخرج له الجماعة . انظر ترجمته في: التهذيب ٣٠٦/٦ ، والتقريب ٥١٠/١ .

٢ هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير ، التيمي ، المدني ، روى عن ابن عباس وغيره ، وعنه عبد العزيز الماجشون وغيره ، ثقة فاضل ، مات سنة ثلاثين ومائة أو بعدها . أخرج له الجماعة . انظر ترجمته في: التهذيب ٤١٧/٩-٤١٩ ، والتقريب ٢١٠/٢ .

٣ فتح الباري ٤١١/٦ .

أخرجه ابن أبي حاتم رقم٢٦٩٤ ، والحاكم ٦٠/١ كلاهما من طريق عبد العزيز ابن أبي سلمة الماجشون ، عن محمد بن المنكدر ، به . وصححه الحاكم على شرط الشيخين ، وتعقبه الذهبي فقال: "فيه انقطاع" . قال المحقق محمود محمد شاكر – بعد أن نقل تصحيح الحاكم وتعقيب الذهبي – "وكأن علة انقطاعه أن عبد العزيز بن أبي سلمة لم يدرك محمد بن المنكدر ، فإنه مات سنة ١٣٠ هـ . تفسير الطبري ٤٩٠/٥ الحاشية .

قلت: وقد سبق في ترجمة الماجشون وابن المنكدر أن الأول يروي عن الثاني .

٤ فتح الباري ٤١١/٦ .

---

(١) الله لا إله إلا هو الحي القيوم

(٢) إن الله يأمر بالعدل والإحسان

(٣) فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره

(٤) قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله

(٥) الدر المنثور– هجر ١٧٢/٣

أخرجه عبد الرزاق ١٠٦/١ عن معمر ، به . ولفظه " قال: ما في القرآن آية أرجى في نفسي منها - أي قوله تعالى: ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ -" .

٥ وقع عند الطبري "زيد بن علي"كما يأتي في التخريج ، وهو تصحيف بالقلب ، وإنما هو علي بن زيد بن جدعان . وهو يروي عن سعيد بن المسيب ، وعنه شعبة . انظر: تهذيب الكمال ٦٩/١١ و ٤٨٣/١٢ . ." (١)

" وأخرج أبو عبيد وابن الضريس ومحمد بن نصر عن ابن مسعود قال : ما خلق الله من سماء ولا أرض ولا جنة ولا نار أعظم من آية في سورة البقرة الله لا إله إلا هو الحي القيوم

وأخرج سعيد بن منصور وابن الضريس والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن مسعود قال : ما من سماء ولا أرض ولا سهل ولا جبل أعظم من آية الكرسي

وأخرج أبو عبيد في فضائله والدارمي والطبراني وأبو نعيم في دلائل النبوة والبيهقي عن ابن مسعود قال : خرج رجل من الأنس فلقيه رجل من الجن فقال : هل لك أن تصارعني ؟ فإن صرعتني علمتك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان فصارعه فصرعه الأنسي

فقال : تقرأ آية الكرسي فإنه لا يقرؤها أحد إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان له خبج كخبج الحمار

فقيل لابن مسعود : أهو عمر ؟ قال : من عسى أن يكون إلا عمر

الخبج : الضراط

وأخرج المحاملي في فوائده عن ابن مسعود قال : قال رجل : يا رسول الله علمني شيئا ينفعني الله به

قال " اقرأ آية الكرسي فإنه يحفظك وذريتك ويحفظ دارك حتى الدويرات حول دارك "

وأخرج ابن مردويه والشيرازي في الألقاب والهروي في فضائله عن ابن عمر

أن عمر بن الخطاب خرج ذات يوم إلى الناس فقال : أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن وأعدلها وأخوفها وأرجاها ؟ فسكت القوم

فقال ابن مسعود : على الخبير سقطت " سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : أعظم آية في القرآن الله لا إله إلا هو الحي القيوم وأعدل آية في القرآن ان الله يأمر بالعدل والإحسان النحل الآية ٩٠ إلى آخرها وأخوف آية في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الزلزلة الآيتان٧ - ٨ وأرجى آية في القرآن قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الزمر الآية ٥٣ "

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال "كان رسول الله صلى الله عليه و سلم

إذا قرأ آخر سورة ." (٢)

---

(١) الروايات التفسيرية في فتح الباري ٢٦٣/١

(٢) الدر المنثور - دار الفكر ٧/٢

" قوله : ٢٦٠ - ﴿ وإذ ﴾ ظرف منصوب بفعل محذوف : أي اذكر وقت قول إبراهيم وإنما كان الأمر بالذكر موجها إلى الوقت دون ما وقع فيه مع كونه المقصود لقصد المبالغة لأن طلب وقت الشيء يستلزم طلبه بالأولى وهكذا يقال في سائر المواضع الواردة في الكتاب العزيز يمثل هذا الظرف وقوله : ﴿ رب ﴾ آثره على غيره لما فيه من الاستعطاف الموجب لقبول ما يرد بعده من الدعاء وقوله : ﴿ أرني ﴾ قال الأخفش : لم يرد رؤية القلب وإنما أراد رؤية العين وكذا قال غيره ولا يصح أن يراد الرؤية القلبية هنا لأن مقصود إبراهيم أن يشاهد الإحياء لتحصل له الطمأنينة والهمزة الداخلة على الفعل لقصد تعديته إلى المفعول الثاني وهو الجملة : أعني قوله : ﴿كيف تحيي الموتى ﴾ وكيف في محل نصب على التشبيه بالظرف أو بالحال والعامل فيها الفعل الذي بعدها وقوله : ﴿ أولم تؤمن ﴾ عطف على مقدر أي ألم تعلم ولم تؤمن بأني قادر على الإحياء حتى تسألني إراءته : ﴿ قال بلى ﴾ علمت وآمنت بأنك قادر على ذلك ولكن سألت ليطمئن قلبي باجتماع دليل العيان إلى دلائل الإيمان وقد ذهب الجمهور إلى أن إبراهيم لم يكن شاكا في إحياء الموتى قط وإنما طلب المعاينة لما جبلت عليه النفوس البشرية من رؤية ما أخبرت عنه ولهذا قال النبي صلى الله عليه و سلم : [ليس الخبر كالمعاينة] وحكى ابن جرير عن طائفة من أهل العلم أنه سأل ذلك لأنه شك في قدرة الله واستدلوا بما صح عنه صلى الله عليه و سلم في الصحيحين وغيرهما من قوله : [نحن أحق بالشك من إبراهيم] وبما روي عن ابن عباس أنه قال : [ما في القرآن عندي آية أرجى منها] وأخرجه عنه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه ورجح هذا ابن جرير بعد حكايته له قال ابن عطية : وهو عندي مردود يعني قول هذه الطائفة ثم قال : وأما قول النبي صلى الله عليه و سلم : [نحن أحق بالشك من إبراهيم] فمعناه : أنه لو كان شاكا لكنا نحن أحق به ونحن لا نشك فإبراهيم أحرى أن لا يشك فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم وأما قول ابن عباس : هي أرجى آية فمن حيث أن فيها الإدلال على الله وسؤال الإحياء في الدنيا وليست مظنة ذلك ويجوز أن نقول هي أرجى آية لقوله : ﴿ أولم تؤمن ﴾ أي أن الإيمان كاف لا يحتاج معه إلى تنقير وبحث قال : فالشك يبعد على من ثبت قدمه في الإيمان فقط فكيف بمرتبة النبوة والخلة ؟ والأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعا وإذا تأملت سؤاله عليه السلام وسائر الألفاظ للآية لم تعط شكا وذلك أن الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن حالة شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسؤول نحو قولك : كيف علم زيد ؟ وكيف نسج الثوب ؟ ونحو هذا ومتى قلت : كيف ثوبك ؟ وكيف زيد ؟ فإنما السؤال عن حال من أحواله وقد تكون كيف خبرا عن شيء شأنه أن يستفهم عنه بكيف نحو قولك : كيف شئت فكن ونحو قول البخاري : كيف كان بدء الوحي ؟ وهي في هذه الآية استفهام عن هيئة الإحياء والإحياء متقرر ولكن لما وجدنا بعض المنكرين لوجود شيء قد يعبرون عن إنكاره بالاستفهام عن حالة لذلك الشيء يعلم أنها لا تصح فيلزم من ذلك أن الشيء في نفسه لا يصح مثال ذلك أن يقول مدع : أنا أرفع هذا الجبل فيقول المكذب له : أرني كيف ترفعه فهذه طريقة مجاز في العبارة ومعناها تسليم جدل فيقول المكذب له : أرني كيف ترفعه فهذه طريقة مجاز في العبارة

ومعناها تسليم جدل كأنه يقول : افرض أنك ترفعه فلما كان في عبارة الخليل هذا الاشتراك المجازي خلص الله له ذلك وحمله على أن بين له الحقيقة فقال له : ﴿ أولم تؤمن قال بلى ﴾ فكمل الأمر وتخلص من كل شيء ثم علل عليه السلام سؤاله بالطمأنينة قال القرطبي : هذا ما ذكره ابن عطية وهو بالغ ولا يجوز على الأنبياء صلوات الله عليهم مثل هذا الشك فإنه كفر والأنبياء متفقون على الإيمان بالبعث وقد أخبر الله سبحانه أن أنبياءه وأولياءه ليس للشيطان عليهم سبيل : فقال : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ وقال اللعين : ﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ وإذا لم يكن له عليهم سلطنه فكيف يشككم وإنما سأل أن يشاهد كيفية جمع أجزاء الموتى بعد تفريقها واتصال الأعصاب والجلود بعد تمزيقها فأراد أن يرقى من علم اليقين إلى عين اليقين فقوله : ﴿ أرني كيف ﴾ طلف مشاهدة الكيفية قال الماوردي : وليست الألف في قوله : ﴿ أولم تؤمن ﴾ ألف الاستفهام وإنما هي ألف إيجاب وتقرير كما قال جرير :

(ألستم خير من ركب المطايا . . . وأندى العالمين بطون راح)

والواو واو الحال وتؤمن : معناه إيمانا مطلقا دخل فيه فضل إحياء الموتى والطمأنينة : اعتدال وسكون وقال ابن جرير : معنى ﴿ ليطمئن قلبي ﴾ ليوقن قوله : ﴿ فخذ أربعة من الطير ﴾ الفاء جواب شرط محذوف : أي إن أردت ذلك فخذ والطير : اسم جمع لطائر كركب لراكب أو جمع أو مصدر وخص الطير بذلك قيل : لأنه أقرب أنواع الحيوان إلى الإنسان وقيل : إن الطير همته الطيران في السماء والخليل كنت همته العلو وقيل غير ذلك من الأسباب الموجبة لتخصيص الطير وكل هذه لا تسمن ولا تغني من جوع وليست إلا خواطر أفهام وبوادر أذهان لا ينبغي أن تجعل وجوها لكلام الله وعللا لما يرد في كلامه وهكذا قيل : ما وجه تخصيص هذا العدد فإن الطمأنينة تحصل بإحياء واحد ؟ فقيل إن الخليل إنما سأل واحدا على عدد العبودية فأعطى أربعا على قدر الربوبية وقيل إن الطيور الأربعة إشارة إلى الأركان الأربعة التي منها تتركب أركان الحيوان ونحو ذلك من الهذيان قوله : ﴿ فصرهن إليك ﴾ قرئ بضم الصاد وكسرها : أي اضممهن إليك وأملهن واجمعهن يقال : رجل أصور : إذا كان مائل العنق ويقال صار الشيء يصوره : أماله قال الشاعر :

(الله يعلم أنا في تلفتنا . . . يوم الفراق إلى جيراننا صور)

وقيل معناه قطعتهن يقال : صار الشيء يصوره : أي قطعته ومنه قول توبة بن الحمير :

(فأدنت لي الأسباب حتى بلغتها . . . بنهضي وقد كان اجتماعي يصورها)

أي يقطعها وعلى هذا يكون قوله : ﴿ إليك ﴾ متعلقا بقوله : ﴿ خذ ﴾ وقوله : ﴿ ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ﴾ فيه الأمر بالتجزئة لأن جعل كل جزء على جبل تستلزم تقدم التجزئة قال الزجاج : المعنى ثم اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءا والجزء النصيب وقوله : ﴿ يأتينك ﴾ في محل جزم على أنه جواب الأمر ولكنه بني لأجل نون الجمع المؤنث وقوله : ﴿ سعيا ﴾ المراد به الإسراع في الطيران أو المشي

وقد أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن ابن عباس قال : إن إبراهيم مر برجل ميت زعموا أنه حبشي على ساحل البحر فرأى دواب البحر تخرج فتأكل منه وسباع الأرض تأتيه فتأكل منه والطير يقع عليه فيأكل منه فقال إبراهيم عند ذلك : رب هذه دواب البحر تأكل من هذا وسباع الأرض والطير ثم تميت هذه فتبلى ثم تحييها فأرني كيف تحيي الموتى ﴿ قال أولم تؤمن ﴾ يا إبراهيم أني أحيي الموتى ؟ ﴿ قال بلى ﴾ يا رب ﴿ ولكن ليطمئن قلبي ﴾ يقول : لأرى من آياتك وأعلم أنك قد أجبتني فقال الله : خذ أربعا من الطير واصنع ما صنع والطير الذي أخذ : وز ورأل وديك وطاوس أخذ نصفين مختلفين : ثم أتى أربعة أجبل فجعل على كل جبل نصفين مختلفين وهو قوله : ﴿ ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ﴾ ثم تنحى ورؤوسها تحت قدميه فدعا باسم الله الأعظم فرجع كل نصف إلى نصفه وكل ريش إلى طائره ثم أقبلت تطير بغير رؤوس إلى قدميه تريد رؤوسها بأعناقها فرفع قدميه فوضع كل طائر منها عنقه في رأسه فعادت كما كانت وقد أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة نحوه وأخرج أيضا عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن نحوه وأخرج ابن جرير عن ابن جريج أنها كانت جيفة حمار وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن ابن عباس في قوله : ﴿ ولكن ليطمئن قلبي ﴾ يقول : أعلم أنك تجيبني إذا دعوتك وتعطيني إذا سألتك وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿ فخذ أربعة من الطير ﴾ قال : الغرنوق والطاوس والديك والحمامة وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم ال عن مجاهد قال : الأربعة من الطير : الديك والطاوس والغراب والحمام وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي عن ابن عباس ﴿ فصرهن ﴾ قال : قطعهن وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عنه قال هي بالنبطية : شققهن وأخرجا عنه أنه قال : ﴿ فصرهن ﴾ أوثقهن وأخرج ابن أبي حاتم عنه قال : وضعهن على سبعة أجبل وأخذ الرؤوس بيده فجعل ينظر إلى القطرة تلقى القطرة والريشة تلقى الريشة حتى صرن أحياء ليس لهن رؤوس فجئن إلى رؤوسهن فدخلن فيها ." (١)

" وأمر رسوله صلى الله عليه و سلم أن يبشرهم بذلك فقال : ٥٣ - ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ المراد بالإسراف الإفراط في المعاصي والاستكثار منها ومعنى لا تقنطوا : لا تيأسوا من رحمة الله من مغفرته ثم لما نهاهم عن القنوط أخبرهم بما يدفع ذلك ويرفعه ويجعل الرجاء مكان القنوط فقال : ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾

واعلم أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله سبحانه لاشتمالها على أعظم بشارة فإنه أولا أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي والاستكثار من الذنوب ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولى وبفحوى الخطاب ثم جاء بما لا يبقى بعده شك ولا يتخالج القلب عند سماعه ظن فقال : ﴿ إن

---

(١) فتح القدير - الشوكاني ١/٤٢٥

الله يغفر الذنوب ﴾ فالألف واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أفراده فهو في قوة إن الله يغفر كل ذنب كائنا ما كان إلا ما أخرجه النص القرآني وهو الشرك ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ ثم لم يكتف بما أخبر عباده به من مغفرة كل ذنب بل أكد ذلك بقوله : ﴿ جميعا ﴾ فيا لها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم الصادقين في رجائه الخالعين لثياب القنوط الرافضين لسوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده المتوجهين إليه في طلب العفو الملتدئين به في مغفرة ذنوبهم وما أحسن ما علل سبحانه به هذا الكلام قائلا إنه هو الغفور الرحيم أي كثير المغفرة والرحمة عظيمهما بليغهما واسعهما فمن أبى هذا التفضل العظيم والعطاء الجسيم وظن أن تقنيط عباد الله وتأييسهم من رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به فقد ركب أعظم الشطط وغلط أقبح الغلط فإن التبشير وعدم التقنيط الذي جاءت به مواعيد الله في كتابه العزيز والمسلك الذي سلكه رسوله صلى الله عليه و سلم كما صح عنه من قوله [يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا]

وإذا تقرر لك هذا فاعلم أن الجمع بين هذه الآية وبين قوله : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ وهو أن كل ذنب كائنا ما كان ما عدا الشرك بالله مغفور لمن شاء الله أن يغفر له على أنه يمكن أن يقال إن إخباره لنا بأنه يغفر الذنوب جميعا يدل على أنه يشاء غفرانها جميعا وذلك يستلزم أنه يشاء المغفرة لكل المذنبين من المسلمين فلم يبق بين الآيتين تعارض من هذه الحيثية وأما ما يزعمه جماعة من المفسرين من تقييد هذه الآية بالتوبة وأنها لا تغفر إلا ذنوب التائبين وزعموا أنهم قالوا ذلك للجمع بين الآيات فهو جمع بين الضب والنون وبين الملاح والحادي وعلى نفسها براقش تجني ولو كانت هذه البشارة العظيمة مقيدة بالتوبة لم يكن لها كثير موقع فإن التوبة من المشرك يغفر الله له بها ما فعله من الشرك بإجماع المسلمين وقد قال ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ فلو كانت التوبة قيدا في المغفرة لم يكن للتنصيص على الشرك فائدة وقد قال سبحانه : ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ قال الواحدي : المفسرون كلهم قالوا : إن هذه الآية في قوم خافوا إن أسلموا أن لا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام كالشرك وقتل النفس ومعاداة النبي صلى الله عليه و سلم

قلت : هب أنها في هؤلاء القوم فكان ماذا ؟ فإن الاعتبار بما اشتملت عليه من العموم لا بخصوص السبب كما هو متفق عليه بين أهل العلم ولو كانت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مقيدة بأسبابها غير متجاوزة لها لارتفعت أكثر التكاليف عن الأمة إن لم ترتفع كلها واللازم باطل بالإجماع فالملزوم مثله

وفي السنة المطهرة من الأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما في هذا الباب ما إن عرفه المطلع عليه حق معرفته وقدره حق قدره علم صحة ما ذكرناه وعرف حقية ما حررناه قرأ الجمهور ﴿ يا عبادي ﴾ بإثبات

الياء وصلا ووقفا وروى أبو بكر عن عاصم أنه يقف بغير ياء وقرأ الجمهور ﴿ تقنطوا ﴾ بفتح النون وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسرها ." (١)

" ٣٠ – ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ أي ما أصابكم من المصائب كائنة ما كانت فبسبب ما كسبت أيديكم من المعاصي قرأ نافع وابن عامر ﴿ بما كسبت ﴾ بغير فاء وقرأ الباقون بالفاء وما في وما أصابكم هي الشرطية ولهذا دخلت الفاء في جوابها على قراءة الجمهور ولا يجوز حذفها عند سيبويه والجمهور وجوز الأخفش الحذف كما في قوله : ﴿ وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ وقول الشاعر :

(من يفعل الحسنات الله يشكرها . . . والشر بالشر عند الله مثلان)

وقيل هي الموصولة فيكون الحذف والإثبات جائزين والأول أولى قال الزجاج : إثبات الفاء أجود لأن الفاء مجازاة جواب الشرط ومن حذف الفاء فعلى أن ما في معنى الذي والمعنى : الذي أصابكم وقع بما كسبت أيديكم قال الحسن : المصيبة هنا الحدود على المعاصي والأولى الحمل على العموم كما يفيده وقوع النكرة في سياق النفي ودخول من الاستغراقية عليها ﴿ ويعفو عن كثير ﴾ من المعاصي التي يفعلها العباد فلا يعاقب عليها فمعنى الآية : أنه يكفر عن العبد بما يصيبه من المصائب ويعفو عن كثير من الذنوب وقد ثبتت الأدلة الصحيحة أن جميع ما يصاب به الإنسان في الدنيا يؤجر عليه أو يكفر عنه من ذنوبه وقيل هذه الآية مختصة ما يصاب به الإنسان في الدنيا يؤجر عليه أو يكفر عنه من ذنوبه وقيل هذه الآية مختصة بالكافرين على معنى : أن ما يصابون به بسبب ذنوبهم من غير أن يكون ذلك مكفرا عنهم لذنب ولا محصلا لصواب وبترك عقوبتهم عن كثير من ذنوبهم فلا يعاجلهم في الدنيا بل يمهلهم إلى الدار الآخرة والأولى حمل الآية على العموم والعفو يصدق على تأخير العقوبة كما يصدق على محو الذنب ورفع الخطاب به قال الواحدي : وهذه أرجى آية في كتاب الله لأنه جعل ذنوب المؤمنين صنفين : صنف كفره عنهم بالمصائب وصنف عفا عنه في الدنيا وهو كريم لا يرجع في عفوه فهذه سنة الله مع المؤمنين وأما الكافر فإن لا يعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة ." (٢)

" ١١ – ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ أمره سبحانه بالتحدث بنعم الله عليه وإظهارها للناس وإشهارها بينهم والظاهر النعمة على العموم من غير تخصيص بفرد من أفرادها أو نوع من أنواعها وقال مجاهد والكلبي : المراد بالنعمة هنا القرآن قال الكلبي : وكان القرآن أعظم ما أنعم الله به عليه فأمره أن يقرأه قال الفراء : وكن يقرأه ويحدث به وقال مجاهد أيضا : المراد بالنعمة النبوة التي أعطاه الله واختار هذا الزجاج فقال : أي بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي آتاك الله وهي أجل النعم وقال مقاتل : يعني اشكر ما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة من الهدى بعد الضلالة وجبر اليتم والإغناء بعد العيلة فاشكر هذه النعم والتحدث بنعمة الله شكر

---

(١) فتح القدير – الشوكاني ٤/٦٦٧

(٢) فتح القدير – الشوكاني ٤/٧٦٦

والجار والمجرور متعلق بحدث والفاء غير مانعة من تعلقه به وهذه النواهي لرسول الله صلى الله عليه و سلم هي نواه له ولأمته لأنهم أسوته فكل فرد من أفراد هذه الأمة منهي بكل فرد من أفراد هذه النواهي

"قوله جل ذكره : ﴿ يأيها الذين ءامنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ .

نصرة الله من العبد نصرة دينه بإيضاح الدليل وتبيينه .

ونصرة الله للعبد بإعلاء كلمته ، وقمع أعداء الدين ببركات سعيه وهمته .

﴿ ويثبت أقدامكم ﴾ بإدامة التوفيق لئلا ينهزم من صولة أعداء الدين .

قوله جل ذكره : ﴿ والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا مآ أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾ .

تعسا لهم : لعنا وطردا ، وقمعا وبعدا !

﴿ أضل أعمالهم ﴾ : هتك أستارهم ، وأظهر للمؤمنين أسرارهم ، وأخمد نارهم .

قوله جل ذكره : ﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ .

وكيف أهلكهم وأبادهم وأقماهم ؟

قوله جل ذكره : ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين ءامنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾ .

المولى هنا بمعنى الناصر ؛ فالله ناصر للذين آمنوا ، وأم الكافرون فلا ناصر لهم .

أو المولى من المولاة وهي ضد المعاداة ، فيكون بمعنى المحب ؛ فهو مولى الذين آمنوا أي محبهم ، وأما الكافرون فلا يحبهم الله .

ويقول تعالى في آية أخرى : ﴿ والذن كفروا أوليآؤهم الطاغوت ﴾ [البقرة : ٢٥٧] .

ويصح أن يقال إن هذه أرجى آية في القرآن ؛ ذلك بأنه سبحانه يقول : ﴿ بأن الله مولى الذين ءامنوا ﴾ ولم يقل : مولى الزهاد والعباد وأصحاب الأوراد والاجتاد ؛ فالمؤمن – وإن كان عاصيا – من جملة الذين آمنوا ، (لا سيما و « آمنوا » فعل ، والفعل لا عموم له) . ." (١)

" إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ﴾ (٢) > وبني ﴿ أوحى ﴾ لما لم يسم فاعله ، ولم يذكر الموحى لأن فرعون كانت له بادرة فربما صدر منه في حق الموحى ما لا يليق به ، والمعنى على من كذب الأنبياء وتولى عن الإيمان . وقال ابن عباس هذه أرجى آية في القرآن لأن المؤمن ما كذب وتولى فلا يناله شيء من العذاب

---

(١) تفسير القشيري ٢٦٦/٧

(٢)< طه : (٤٨) إنا قد أوحي . . . . .

. وفي الكلام حذف تقديره فأتيا فرعون وقالا له ما أمرهما الله أن يبلغاه قال (١) > ﴿ فمن ربكما ياموسى * موسى ﴾ خاطبهما معا وأفرد بالنداء موسى . قال ابن عطية : إذ كان صاحب عظم الرسالة وكريم الآيات . وقال الزمخشري لأنه الأصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه ، ويحتمل أن يحمله خبثه وذعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان موسى ، ويدل عليه قوله ﴿ أم أنا خير من هاذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين ﴾ انتهى .

واستبد موسى عليه السلام بجواب فرعون من حيث خصه بالسؤال والنداء معا ثم أعلمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا حيث خصه بالسؤال والنداء معا (٢) > ثم أعلمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا بوجه مجاز . قال الزمخشري : ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالبا للحق انتهى . والمعنى أعطى كل ما خلق خلقته وصورته على ما يناسبه من الإتقان لم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم ، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا . وقال الشاعر : ٪ (وله في كل شيء خلقة ٪

وكذلك الله ما شاء فعل

٪)

وهذا قول مجاهد وعطية ومقاتل وقال الضحاك ﴿ * خلقة ﴾ من المنفعة المنوطة به المطابقة له ﴿ خلقه ثم هدى ﴾ أي يسر كل شيء لمنافعه ومرافقه ، فأعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار ، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع ، وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه . قال القشيري : والخلق المخلوق لأن البطش والمشي والرؤية والنطق معان مخلوقة أودعها الله للأعضاء ، وعلى هذا مفعول ﴿ أعطى ﴾ الأول ﴿ كل شيء ﴾ والثاني ﴿ خلقه ﴾ وكذا في قول ابن عباس وابن جبير والسدي وهو أن المعنى ﴿ أعطى كل شيء ﴾ مخلوقه من جنسه أي كل حيوان ذكر نظيره أنثى في الصورة . فلم يزاوج منهما غير جنسه ثم هداه إلى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه . وعن ابن عباس أنه هداه إلى إلفه والاجتماع به والمناكحة . وقال الحسن وقتادة ﴿ أعطى كل شيء ﴾ صلاحه وهداه لما يصلحه .

وقيل ﴿ كل شيء ﴾ هو المفعول الثاني لأعطى و ﴿ خلقه ﴾ المفعول الأول أي ﴿ أعطى ﴾ خليقته ﴿ كل شيء ﴾ يحتاجون إليه ويرتفقون به . وقرأ عبد الله وأناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) وأبو نهيك وابن أبي إسحاق والأعمش والحسن ونصير عن الكسائي وابن نوح عن قتيبة وسلام خلقه بفتح اللام فعلا ماضيا في موضع الصفة لكل شيء أو لشيء ، ومفعول ﴿ أعطى ﴾ الثاني حذف اقتصارا أي ﴿ كل

---

(١)> طه : (٤٩) قال فمن ربكما . . . . .

(٢)> طه : (٥٠) قال ربنا الذي . . . . .

شيء خلقه ﴾ لم يخله من عطائه وإنعامه ﴿ ثم هدى ﴾ أي عرف كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل إليه . وقيل : حذف اختصارا لدلالة المعنى عليه ، أي ﴿ أعطى كل شيء خلقه ﴾ ما يحتاج إليه وقدره ابن عطية كماله أو مصلحته .

(١) > ﴿ قال فما بال القرون الاولى ﴾ لما أجابه موسى بجواب مسكت ، ولم يقدر فرعون على معارضته فيه انتقل إلى سؤال آخر وهو ما حال من هلك من القرون ، وذلك على سبيل الروغان عن الاعتراف بما قال موسى وما أجابه به ، والحيدة والمغالطة . قيل : سأله عن أخبارها وأحاديثها ليختبر أهما نبيان أو هما من جملة القصاص الذين دارسوا قصص الأمم السالفة ، ولم يكن عنده عليه السلام علم بالتوراة إنما أنزلت عليه بعد هلاك فرعون فقال ﴿ علمها عند ربى ﴾ . وقيل : مراده من السؤال عنها لم عبدت الأصنام ولم تعبد الله إن كان الحق ما وصفت ؟ وقيل : مراده ما لها لا تبعث ولا تحاسب ولا تجازى (٢) > فقال ﴿ علمها عند ربى ﴾ فأجابه بأن هذا سؤال عن

". (٣)

" ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره . ومناسبة السببية أنك تقول : زيد مؤمن ، فإذا مسه الضر التجأ إلى الله . فالسبب هنا ظاهر ، وزيد كافر ، فإذا مسه الضر التجأ إليه ، يقيم كفره مقام الإيمان في جعله سببا للالتجاء ، يحكي عكس ما فيه الكافر . يقصد بذلك الإنكار والتعجب من فعله المتناقض ، حيث كفر بالله ثم التجأ إليه في الشدائد .

وأما الآية الأولى فلم تقع مسببة ، بل ناسبت ما قبلها ، فعطفت عليه بالواو ، وإذا كانت فإذا متصلة بقوله : ﴿ وإذا ذكر الله وحده ﴾ ، كما قلنا ، فما بينهما من الآي اعتراض يؤكد به ما بين المتصلين . فدعاء الرسول ربه بأمر منه وقوله : ﴿ أنت تحكم ﴾ ، وتعقيبه الوعيد ، تأكيد لاشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله في الشدائد دون آلهتهم . وقوله : ﴿ ولو أن للذين ظلموا ﴾ يتناول لهم ، أو لكل ظالم ، إن جعل مطلقا أو إياهم خاصة إن عنوا به . انتهى ، وهو ملتقط أكثره من كلام الزمخشري ، وهو متكلف في ربط هذه الآية بقوله : ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت ﴾ مع بعدما بينهما من الفواصل . وإذا كان أبو علي الفارسي لا يجيز الاعتراض بجملتين ، فكيف يجيزه بهذه الجمل الكثيرة ؟ والذي يظهر في الربط أنه لما قال : ﴿ ولو أن للذين ظلموا ﴾ الآية ، كان ذلك إشعارا بما ينال الظالمين من شدة العذاب ، وأنه يظهر لهم يوم القيامة من العذاب

---

(١)< طه : (٥١) قال فما بال . . . . .

(٢)< طه : (٥٢) قال علمها عند . . . . .

(٣) تفسير البحر المحيط ٦/٢٣٢

ما لم يكن في حسابهم ، أتبع ذلك بما يدل على ظلمه وبغيه ، إذ كان إذا مسه دعا ربه ، فإذا أحسن إليه ، لم ينسب ذلك إليه . ثم إنه بعد وصف تلك النعمة أنها ابتلاء وفتنة ، كما بدا له في الآخرة من عمله الذي كان يظنه صالحا ما لم يكن في حسابه من سوء العذاب المترتب على ذلك العمل ، ترتب الفتنة على تلك النعمة . ﴿ ولاكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ : أي إن ذلك استدراج وامتحان ﴿ قد قالها الذين من قبلهم ﴾ : أي قال مثل مقالتهم ﴿ أوتيته على علم ﴾ . والظاهر أن قائلي ذلك جماعة من الأمم الكافرة الماضية ، كقارون في قوله : ﴿ قال إنما أوتيته على علم عندى ﴾ . وقيل : الذين من قبلهم هم قارون وقومه ، إذ رضوا بمقالته ، فنسب القول إليهم جميعا . وقرىء : قد قاله ، أي قال القول أو الكلام . ﴿ فما أغنى عنهم ﴾ : يجوز أن تكون ما نافية ، وهو الظاهر . وأن تكون استفهامية ، فيها معنى النفي . ﴿ ما كانوا يكسبون ﴾ : أي من الأموال . ﴿ والذين ظلموا من هؤلاء ﴾ : إشارة إلى مشركي قريش ، ﴿ سيصيبهم سيئات ما كسبوا ﴾ : جاء بسين الاستقبال التي هي أقل تنفيسا في الزمان من سوف ، وهو خبر غيب ، أبرزه الوجود في يوم بدر وغيره . قتل رؤساءهم ، وحبس عنه الرزق ، فلم يمطروا سبع سنين ؛ ثم بسط لهم ، فمطروا سبع سنين ، فقيل لهم : ألم تعلموا أنه لا قابض ولا باسط إلا الله تعالى ؟ .

﴿ قل يأأهل * عبادى * الذين أسرفوا ﴾ : نزلت في وحشي قاتل حمزة ، قاله عطاء ؛ أو في قوم آمنوا عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ، ففتنتهم قريش ، فافتتنوا وظنوا أن لا توبة لهم ، فكتب عمر لهم بهذه الآية ، قاله عمر والسدي وقتادة وابن إسحاق . وقيل : في قوم كفار من أهل الجاهلية قالوا : وما ينفعنا الإسلام وقد زنينا وقتلنا النف وأتينا كل كبيرة ؟ ومناسبتها لما قبلها : أنه تعالى لما شدد على الكفار وذكر ما أعد لهم من العذاب ، وأنهم لو كان لأحدهم ما في الأرض ومثله معه لافتدى به من عذاب الله ، ذكر ما في إحسانه من غفران الذنوب إذا آمن العبد ورجع إلى الله . وكثيرا تأتي آيات الرحمة مع آيات النقمة ليرجو العبد ويخاف . وهذه الآية عام في كل كافر يتوب ، ومؤمن عاص يتوب ، تمحو الذنب توبته . وقال عبد الله ، وعلي ، وابن عامر : هذه أرجى آية في كتاب الله . وتقدم الخلاف في قراءة ﴿ لا تقنطوا ﴾ في الحجر .

﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ : عام يراد به ما سوى الشرك ، فهو مقيد أيضا بالمؤمن العاصي غير التائب بالمشيئة . وفي قوله : ﴿ فى عبادى ﴾ ، بإضافتهم إليه وندائهم ، إقبال وتشريف . و ﴿ أسرفوا على أنفسهم ﴾ : أي بالمعاصي ، والمعنى : إن ضرر تلك الذنوب إنما هو عائد عليهم ، والنهي عن القنوط يقتضي الأمر بالرجاء ، وإضافة الرحمة إلى الله التفات من ضمير المتكلم إلى الاسم الغائب ، لأن في إضافتها إليه سعة للرحمة إذا أضيفت إلى الله الذي هو أعظم الأسماء ، لأنه العلم المحتوي على معاني جميع الأسماء . ثم أعاد الاسم الأعظم ، وأكد الجملة بأن مبالغة في

(١) ".

" الغيث من المنافع والخصب ، والظاهر أن رحمته نشرها أعم مما في الغيث . وقال السدي : رحمته : الغيث ، وعدد النعمة بعينها بلفظين . وقيل : الرحمة هنا ظهور الشمس ، لأن إذا دام المطر سئم ، فتجيء الشمس بعده عظمية الموقع ، ذكره المهدوي . ﴿ وهو الولى ﴾ : الذي يتولى عباده ، ﴿ الحميد ﴾ : المحمود على ما أسدى من نعمائه وما بث . الظاهر أنه مجرور عطفا على السموات والأرض . ويجوز أن يكون مرفوعا ، عطفا على خلق ، على حذف مضاف ، أي وخلق ما بث . وفيهما يجوز أن يكون مما نسب فيه دابة إلى المجموع المذكور ، وإن كان ملتبسا ببعضه . كما يقال : بنو فلان صنعوا كذا ، وإنما صنعه واحد منهم ، ومنه يخرج منهما ، وإنما يخرج من الملح ، أو يكون من الملائكة . بعض يشمي مع الطيران ، فيوصف بالدبيب كما يوصف به الأناسي ، أو يكون قد خلق السموات حيوانا يمشي مع مشي الإناس على الأرض ، أو يريد الحيوان الذي يكون في السحاب . وقد يقع أحيانا ، كالضفادع والسحاب داخل في اسم السماء .

وقال مجاهد : ﴿ وما بث فيهما من دابة ﴾ : هم الناس والملائكة . وقال أبو علي : هو على حذف مضاف ، أي وما بث في أحدهما . وقرأ الجمهور : فيهما بالفاء ، وكذا هي في معظم المصاحف . واحتمل ما أن تكون شرطية ، وهو الأظهر ، وأن تكون موصولة ، والفاء تدخل في خبر الموصول إذا أجري مجرى الشرط بشرائط ذكرت في النحو ، وهي موجودة . وقرأ نافع ، وابن عامر ، وأبو جعفر في رواية ، وشيبة : بما بغير فاء ، فما موصولة ، ولا يجوز أن تكون شرطية ؛ وحذفت الفاء لأن ذلك مما يخصه سيبويه بالشعر ، وأجازت ذلك الأخفش وبعض نحاة بغداد وذلك على إرادة الفاء . وترتب ما أصاب من المصائب على كسب الأيدي موجود مع الفاء ودونها هنا ، والمصيبة : الرزايا والمصائب في الدنيا ، وهي مجازاة على ذنوب المرء وتمحيص لخطاياه ، وأنه تعالى يعفو عن كثير ، ولا يجازي عليه بمصيبة . وفي الحديث : (لا يصيب ابن آدم خدش عود أو عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو عنه أكثر) . وسئل عمران بن حصين عن مرضه فقال ؛ إن أحبه إلي أحبه إلى الله ، وهذا مما كسبت يداي . ورؤي على كف شريح قرحة ، فقيل : بم هذا ؟ فقال : بما كسبت يداي .

وقال الزمخشري : الآية مخصوصة بالمجرمين ، ولا يمتنع أن يستوفي الله عقاب المجرم ويعفو عن بعض . فأما من لا جرم له ، كالأنبياء والأطفال والمجانين ، فهو كما إذا أصابهم شيء من ألم أو غيره ، فللعوض الموفي والمصلحة وعن علي : هذه أرجى آية للمؤمنين . وقال الحسن : ﴿ من مصيبة ﴾ : أي حد من حدود الله ، وتلك مصائب تنزل بشخص الإنسان ونفسه ، فإنما هي بكسب أيدى كم . ﴿ * ويعفو ﴾ الله ﴿ ويعفوا عن كثير ﴾ ، فيستره على العباد حتى لا يحد عليه . ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ : أنتم في قبضة القدرة . وقيل :

---

(١) تفسير البحر المحيط ٤١٦/٧

ليست المصائب من الأسقام والقحط والغرق وغير ذلك بعقوبات على الذنوب لقوله : ﴿ اليوم * تجزى * كل نفس بما كسبت ﴾ ، ولاشتراك الصالح والطالح فيهما ، بل أكثر ما يبتلي به الصالحون المتقون . وفي الحديث : (خص بالبلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل) . ولأن الدنيا دار التكليف ، فلو حصل الجزاء فيها لكانت دار الجزاء ، وليس الأمر كذلك . وهذا القول يؤخره نصوص القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ﴾ الآية .

﴿ ومن ءاياته الجوار فى البحر كالاعلام * إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على * رواكد على ظهره إن فى ذلك لايات لكل صبار شكور * أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير * ويعلم الذين يجادلون فىءاياتنا ما لهم من * محيص * فما أوتيتم من شىء فمتاع الحيواة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين ءامنوا وعلى ربهم يتوكلون * والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون * والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلواة

". (١)

"﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾ يعني : أسرفوا بالذنوب على أنفسهم . قرأ نافع ، وابن كثير ، وعاصم ، وابن عامر ، ﴿ قل ياعبادى ﴾ بفتح الياء ، والباقون بالإرسال . وهما لغتان ، ومعناهما واحد ، ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ أي : لا تيأسوا من مغفرة الله ، ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ الكبائر ، وغير الكبائر إذا تبتم ، ﴿ إنه هو الغفور ﴾ لمن تاب ، ﴿ الرحيم ﴾ بعد التوبة لهم . وروى عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة . قال : أصاب قوم في الشرك ذنوبا عظاما ، فكانوا يخافون أن لا يغفر الله لهم ، فدعاهم الله تعالى بهذه الآية : ﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا ﴾ . وقال مجاهد : ﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾ بقتل الأنفس في الجاهلية . وقال في رواية الكلبي : نزلت الآية في شأن وحشي . يعني : أسرفوا على أنفسهم بالقتل ، والشرك ، والزنى . لا تيأسوا ﴿ من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ لمن تاب . وقال ابن مسعود : أرجى آية في كتاب الله هذه الآية . وهكذا قال عبد الله بن عمرو بن العاص . وروي عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : فيها عظة . ." (٢)

"قوله D : ﴿ ومن ءاياته ﴾ يعني : من علامات وحدانيته ﴿ خلق السموات والارض ﴾ يعني : خلقين عظيمين ، لا يقدر عليهما بنو آدم ، ولا غيرهم ﴿ وما بث فيهما من دابة ﴾ يعني : ما خلق في السموات والأرض من خلق أو بشر فيهما ﴿ وهو على جمعهم ﴾ يعني : على إحيائهم للبعث ﴿ إذا يشاء قدير ﴾ يعني

(١) تفسير البحر المحيط ٤٩٦/٧

(٢) بحر العلوم – السمرقندي ٤٢/٤

: قادر على ذلك . ويقال : ﴿ وما بث فيهما من دابة ﴾ يعني : في الأرض خاصة كما قال : ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ [الرحمن : ٢٢] يعني : من أحدهما ثم قال ﴿ وما أصابكم من مصيبة ﴾ يعني : ما تصابون من مصيبة في أنفسكم ، وأموالكم ﴿ فبما كسبت أيديكم ﴾ يعني : يصيبكم بأعمالكم ، ومعاصيكم ﴿ ويعفوا عن كثير ﴾ يعني : ما عفى الله عنه ، فهو أكثر .

وروي عن علي بن أبي طالب B أنه قال : « ألا أخبركم بأرجى آية في كتاب الله ، أنزلت على النبي A ؟ قالوا بلى . فقرأ عليهم : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير ﴾ قال : فالمصائب في الدنيا بكسب الأيدي ، وما عفى الله تعالى عنه في الدنيا ، ولم يعاقب ، فهو أجود وأمجد ، وأكرم من أن يعذب فيه يوم القيامة .

وعن الضحاك قال : ما تعلم رجل القرآن ، ثم نسيه ، إلا بذنب . ثم قرأ : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن . قرأ نافع وابن عامر «بما كسبت أيديكم» بحذف الفاء . ويكون ما بمعنى الذي ، ومعناه الذي أصابكم وقع بما كسبت أيديكم . وقرأ الباقون : ﴿ فبما كسبت ﴾ بالفاء ، وتكون الفاء جواب الشرط ، ومعناه : ما يصيبكم من مصيبة ، فبما كسبت أيديكم ، ثم قال : ." (١)

"وأما أجمع آية فيه فهي الآية ٩٠ من سورة النحل ، وأرجى آية فيه الآية ٥٤ من سورة الزمر في ج ٢

.

واعلم أن هذه الآية توجب على العباد الإخلاص في العمل لله تعالى وحده وعدم الاعتماد على غيره لأن الشفاعة وإن كانت مرجوة من الرسول ومن يؤهله الله لها فلا تكون إلا بإذنه كما علمت ولا بد أن تكون مصحوبة بالأعمال الصالحة لأن الذين يخلطون بأعمالهم الصالحة عملا سيئا يرجى لهم ، راجع الآية ١٠٦ من سورة التوبة الآتية ، مع لعلم بأن الله تعالى لا قيد عليه في شفاعة ولا غيرها قد يغفر لمن يشاء مع كثرة ذنوبه ، (٥/٢٢٥)

بيان المعاني ، ج ٥ ، ص : ٢٢٦

و يعذب من يشاء مع كثرة حسناته لا يسأل عما يفعل .

قال تعالى «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي» والحق من الباطل والهدى من الضلال والإيمان من الكفر ، فيقال لمن أصاب ووفق رشد وفاز ، ولمن خاب وخسر ضل وغوى ، قال الشاعر :

ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لم يعدم على الغي لائما ." (٢)

---

(١) بحر العلوم – السمرقندي ٩٦/٤

(٢) بيان المعاني ٦١/١

"٤٢ بسط الرزق وضيقه والتوبة وشروطها والحديث الجامع ونسبة الخير والشر ٤٦ أرجى آية في القرآن .
التناسخ والتقمص معجزات القرآن .
الفواحش إلخ ٥٧ التوالد والتولد وأقسام لوحي ومن كلم الله ورأى من الرسل ٦٠ سورة الزخرف ٦٢ نعمة المطر نعمة الدواب والأنعام وما يقال عند السفر والرجوع منه ٦٩ هوان الدنيا عند الله وتناكر القرينين يوم القيامة ، الخلافة لقريش ، وما نزل في بيت المقدس .
٧٧ إهلاك فرعون ، ونزول عيسى ، وما نزل في عبد الله بن الزبعري ٧٣ في نزول عيسى أيضا ، والصحبة وما فيها ووصف الجنة وهل فيها توالد أم لا ٩٢ سورة الدخان ٩٣ ليلة القدر وليلة براءة وفضل الأزمنة والأمكنة ٩٨ آية الدخان .
وبكاء السماء والأرض .
وقصة موسى وتبع وألقاب الملوك ١٠٦ ادعاء أبو جهل في الدنيا ومأواه في الآخرة نعيم الجنة ومعنى الموتة الأولى (٥٣٧/٤)

بيان المعاني ، ج ٤ ، ص : ٥٣٨
١٠٩ سورة الجاثية ١١٥ مطلب مذهب القدرية .
ذم الهوى .
الدهر وما قيل فيه ١٢٢ سورة الأحقاف ١٢٣ دعاء الفكرة .
تبرؤ الرسول من علم الغيب ١٣٠ خصائص أبي بكر .
رد عائشة على مروان معرفة الراهب ، وفيمن نزلت هذه الآية ١٣٢ في قوله تعالى (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا) وكيفية إهلاك قوم عاد ١٣٧ تكليف الجن .
دخولهم في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .
وأولو العزم من هم ١٤١ سورة الذاريات ١٤٣ قيام الليل وتقسيم الأعمال والصدقات وآيات الله في سمائه وأرضه ١٤٦ أنواع الرزق .
حكاية الأصمعي . ." (١)
"روى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي ثميلة قال : قال علي رضي الله عنه ألا أخبركم (٤٥/٤)

بيان المعاني ، ج ٤ ، ص : ٤٦

---

(١) بيان المعاني ١١٢/١

بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أصابكم) الآية هذه وسأفسرها لكم يا علي ، ما أصابكم من مصيبة أو مرض وعقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم ، والله أكرم من أن يثني عليكم عقوبته في الآخرة ، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه .

وفي هذا الحديث بشارة عظيمة للمؤمنين المصابين ، اللهم إنا نسألك العفو والعافية وأن ترزقنا الصبر إذا ابتلينا ، وتعظم لنا الأجر عليه .

وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئة .

وقال ابن عباس : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو لله عنه أكثر .

قال ابن عطاء من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه مولاه أكثر ، كان قليل النظر في إحسان ربه إليه .

مطلب أرجى آية في القرآن والقول بالتناسخ والتقمص وفي معجزات القرآن وبيان الفواحش والكبائر :

وقال علي كرم الله وجهه : هذه أرجى آية في القرآن لأن الكريم إذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا وإذا عفا لا يعود .

راجع الآية ٨٤ من سورة الإسراء والآية ٥ من سورة الضحى في ج ١ والآية ١٦٠ من سورة الأنعام والآية ٥٣ من سورة الزمر المارتين . ." (١)

"فنسأله تعالى أن ينور قلوبنا ويسدد أفهامنا ويثبت أقدامنا ويقنعنا بما كتب لنا ويرضينا بما قسمه لنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم روى البخاري ومسلم عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود من حديث صحيح : إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها .

فتأمل هذا حق التأمل وانظر كيف يقسم حضرة الرسول في حديثه هذا الذي صدره بقوله فو الله الذي لا إله إلا هو ، ثم ساقه .

فتمسك به وتلقه بالقبول وسل الله الثبات والرسوخ في الإيمان .

---

(١) بيان المعاني ١/١٥٥

مطلب أرجى آية في القرآن للمغفرة ، وبحث الروح :

و اعلم أن رؤساء الاصحاب رضي الله عنهم تذاكروا فيما بينهم عن أي آية في القرآن أرجى للغفران ، فروي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : لم أر في القرآن أرجي من هذه الآية ، أي التي نحن بصددها إذ لا يشاكل بالعبد إلا العصيان ، ولا يشاكل بالرب إلا الغفران .

وقال عمر رضي الله عنه : لم أر أرجى من الآية التي فيها قوله جل قوله (غافر الذنب وقابل التوب) الآية الثانية من سورة المؤمن في ج ٢ ، إذ قدم الغفران قبل قبول التوبة .

وقال عثمان رضي الله عنه : لم أر أرجى من قوله تعالى (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم) الآية ٥٠ من سورة الحجر في ج ٢ ، لما فيها من إعلان المغفرة للجميع وطلب إعلانها .

وقال علي كرم الله وجهه : لم أر أرجى من آية (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
(٥٥٩/٢)

بيان المعاني ، ج ٢ ، ص : ٥٦٠

من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا)

الآية ٥٤ من سورة الزمر ج ٢ . ." (١)

---

(١) بيان المعاني ١/٣٢٠

الروح ٥٦٨ حفظ القرآن ورفعد في الوقت المقدر من الله ٥٧٥ الحشر على الوجوه وبقاء عجب الذنب ٥٨٣ آيات القرآن عامة مطلقة ونزولها بأشخاص لا يقيدها

(٥٩٤/٢)

بيان المعاني ، ج ٣ ، ص : ٣

[الجزء الثالث]

[خطبة الكتاب]

بسم الله الرحمن الرحيم نحمدك يا من وفقتنا لهذا الخير الجسيم ، ونشكرك أن سخرتنا للقيام بهذا السفر الكريم ، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه وأتباعه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . ." (١)

"بيان المعاني ، ج ٢ ، ص : ٥٥٩

نفسه مع قطع النظر عن سائر الاعتيادات لا يقاضى عليه إلا هي ، لئلا يلزم انقلاب العلم جهلا وهو من أعظم المستحيلات والإنابة والتعذيب تابعان لذلك ، فسبحان الحكيم المالك ، فتثبت أيها الرجل وكن رجلا حازما فقد زلت أقدام أعلام كثيرين كالاعلام في هذا المقام الذي لا ينجو منه إلا التائبون الجازمون بما هو كائن عند الله من أعمال وأفعال وأقوال وأحوال ، وإن ما هو مدون عنده أزلا للعبد لا بد وأن يدركه لا محالة ، راغبا كان أو راهبا ، راضيا أو ساخطا .

فنسأله تعالى أن ينور قلوبنا ويسدد أفهامنا ويثبت أقدامنا ويقنعنا بما كتب لنا ويرضينا بما قسمه لنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم روى البخاري ومسلم عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود من حديث صحيح : إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها .

فتأمل هذا حق التأمل وانظر كيف يقسم حضرة الرسول في حديثه هذا الذي صدره بقوله فو الله الذي لا إله إلا هو ، ثم ساقه .

فتمسك به وتلقه بالقبول وسل الله الثبات والرسوخ في الإيمان .

مطلب أرجى آية في القرآن للمغفرة ، وبحث الروح :

و اعلم أن رؤساء الاصحاب رضي الله عنهم تذاكروا فيما بينهم عن أي آية في القرآن أرجى للغفران ، فروي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : لم أر في القرآن أرجي من هذه الآية ، أي التي نحن بصددها إذ لا

---

(١) بيان المعاني ٣٧١/١

يشاكل بالعبد إلا العصيان ، ولا يشاكل بالرب إلا الغفران .
وقال عمر رضي الله عنه : لم أر أرجى من الآية التي فيها قوله جل قوله (غافر الذنب وقابل التوب) الآية الثانية من سورة المؤمن في ج ٢ ، إذ قدم الغفران قبل قبول التوبة .
وقال عثمان رضي الله عنه : لم أر أرجى من قوله تعالى (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم) الآية ٥٠ من سورة الحجر في ج ٢ ، لما فيها من إعلان المغفرة للجميع وطلب إعلانها .
وقال علي كرم الله وجهه : لم أر أرجى من آية (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا ." (١)

"بيان المعاني ، ج ٤ ، ص : ٤٦
بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أصابكم) الآية هذه وسأفسرها لكم يا علي ، ما أصابكم من مصيبة أو مرض وعقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم ، والله أكرم من أن يثني عليكم عقوبته في الآخرة ، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه .
وفي هذا الحديث بشارة عظيمة للمؤمنين المصابين ، اللهم إنا نسألك العفو والعافية وأن ترزقنا الصبر إذا ابتلينا ، وتعظم لنا الأجر عليه .
وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئة .
وقال ابن عباس : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو لله عنه أكثر .
قال ابن عطاء من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه مولاه أكثر ، كان قليل النظر في إحسان ربه إليه .
مطلب أرجى آية في القرآن والقول بالتناسخ والتقمص وفي معجزات القرآن وبيان الفواحش والكبائر :
وقال علي كرم الله وجهه : هذه أرجى آية في القرآن لأن الكريم إذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا وإذا عفا لا يعود .
راجع الآية ٨٤ من سورة الإسراء والآية ٥ من سورة الضحى في ج ١ والآية ١٦٠ من سورة الأنعام والآية ٥٣ من سورة الزمر المارتين .
هذا ، وقد تعلق في هذه الآية من يقول بالتناسخ بحجة أنه لو لم يكن للأطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة

(١) بيان المعاني ٢/٥٥٩

لما تألموا ، مع أن السياق والسياق من هذه الآية يدلان على أنها مخصوصة بالمكلفين أصحاب الذنوب فإن من لا ذنب له كالأنبياء قد تصيبهم مصائب ، لما جاء في الخبر : أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، كما مر آنفا ، ويكون ذلك لرفع درجاتهم أو لحكم أخرى خفيت علينا ، فالأطفال والمجانين غير داخلين في الخطاب لأنهم غير مكلفين ، وبفرض دخولهم أخرجهم التخصيص بأصحاب الذنوب فيما يصيبهم من المصائب ، فهي لحكم خفية ، قيل مصائب الطفل رفع درجته ودرجة أبويه أو من يشفق عليه بحسن الصبر ، لا لأن لهم حالة سابقة كما زعموا ، ثم إن المصائب قد تكون عقوبة على الذنب ." (١)

"بيان المعاني ، ج ٤ ، ص : ٥٣٧

فهرست القسم الثاني من الجزء الثاني

---

(١) بيان المعاني ٤/٤٦

(٢) بيان المعاني ٤/٥٣٧

"بيان المعاني ، ج ٥ ، ص : ٢٢٥

عن أبي ذر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال : يا أبا ذر ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة وان فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة .

وفي رواية الدار قطني والخطيب عن ابن عباس قال :

سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى (وسع كرسيه السماوات والأرض) الآية قال كرسيه موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره «ولا يؤده حفظهما» لا يثقل عليه ولا يشق ولا يجهده حفظ السموات والأرض وما فيهما وبينهما «وهو العلي» الرفيع الذي لا يدانيه أحد ولا يقرب من رفعته شيء «العظيم» (٢٥٥) الذي دل لهيبته كل عظيم وخضع لعظمته كل كبير ، وقد أتت جمل هذه الآية بلا عطف لأنها على سبيل البيان كما ترى ، وقد جاء في فضلها أحاديث كثيرة نذكر منها ما رواه مسلم عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قلت (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) إلخ ، فضرب في صدري وقال ليهنك العلم يا أبا المنذر .

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لكل شيء سنام وإن سنام القرآن البقرة وفيها آية هي سيدة القرآن آية الكرسي .

وأخرج أبو داود عن وائلة بن الأصقع أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فسأله إنسان أي آية في القرآن أعظم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) إلخ .

وذلك لجمعها بين أصول الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحياة والعلم والقيومية والملك والقدرة والإرادة ، لأن الله تعالى أعظم مذكور في القرآن فما كان ذكرا له توحيد وتمجيد كان أعظم الأذكار ، فظهر لك من هذا أن هذه أعظم آيات القرآن .

وأما أجمع آية فيه فهي الآية ٩٠ من سورة النحل ، وأرجى آية فيه الآية ٥٤ من سورة الزمر في ج ٢ .

واعلم أن هذه الآية توجب على العباد الإخلاص في العمل لله تعالى وحده وعدم الاعتماد على غيره لأن الشفاعة وإن كانت مرجوة من الرسول ومن يؤهله الله لها فلا تكون إلا بإذنه كما علمت ولا بد أن تكون مصحوبة بالأعمال الصالحة لأن الذين يخلطون بأعمالهم الصالحة عملا سيئا يرجى لهم ، راجع الآية ١٠٦ من سورة التوبة الآتية ، مع لعلم بأن الله تعالى لا قيد عليه في شفاعة ولا غيرها قد يغفر لمن يشاء مع كثرة ذنوبه ، ." (١)

"بيان المعاني ، ج ٦ ، ص : ٣٨

السدي هذه أرجى آية في القرآن لذكر المغفرة مع الظلم بدون التوبة راجع الآية ٨٥ من سورة الإسراء ج ١ تجد ما يتعلق في هذا البحث «وإن ربك لشديد العقاب ٦» لمن يموت على كفره «ويقول الذين كفروا» هلا «لو لا

(١) بيان المعاني ٥/٢٢٥

أنزل عليه» على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي يدعونا إلى دينه «آية من ربه» يقنعنا بها كآية صالح أو موسى وغيرهما يريدون شيئا محسوسا فقال تعالى لرسوله لا ترد عليهم «إنما أنت منذر» لهم سوء عاقبة الكفر ومبشر بحسن نتيجة الإيمان «ولكل قوم هاد» يهديهم بما أرسل إليه من ربه إلى دينه القويم بالطرق التي أمره بها ربه لا بما يريدون ويتحكمون ، لأن الله تعالى لم تجر عادته أن ينزل الآيات على حسب اقتراح الكفرة ، وإنما ينزلها بإرادته ومشيئته على من يريد من عباده ، أما ناقة صالح عليه السلام فكانت بمراد الله وتقديره في أزله أنهم يطلبونها من نبيهم فيعطونها ، وما عموم إلا وخص منه البعض مثل رفع العذاب عن قوم يون

ناقصه حسن أم دميم طويل أو تصير ذكر أو أنثى يعيش أو لا يعيش عالم أو جاهل غني أو فقير ويعلم مدة حمله وعيشه في الدنيا ورزقه وأجله وكل ما يقع منه وما يؤول إليه أمره في الدنيا والآخرة ، وهذا العلم مما استأثر به نفسه

تسقطه من الحمل يعلمه متى يكون «وما تزداد» عن الواحد ومن نقص الأرحام والحيض زمن الحمل فإنه ينقص غذاء الجنين فيخرج ضعيفا ، قال أبو حنيفة رحمه الله لا تحيض المرأة حال حملها لأن الله تعالى أجرى عادته بانسداد فم الرحم بالحمل وما تراه الحامل من الدم فهو استحاضة ودم الاستحاضة يكون من مرض وشبهه فيسبب ضعفا بالحامل فينشأ عنه ضعف الجنين ، وقد تسقطه ، وقد يخرج ناقص الخلقة ويولد لأقل من تسعة أشهر ، ." (١)

"ج ٤ ، ص : ٤٦

بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أصابكم) الآية هذه وسأفسرها لكم يا علي ، ما أصابكم من مصيبة أو مرض وعقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم ، والله أكرم من أن يثني عليكم عقوبته في الآخرة ، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه .

وفي هذا الحديث بشارة عظيمة للمؤمنين المصابين ، اللهم إنا نسألك العفو والعافية وأن ترزقنا الصبر إذا ابتلينا ، وتعظم لنا الأجر عليه .

وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئة .

---

(١) بيان المعاني ٣٨/٦

وقال ابن عباس : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر .

قال ابن عطاء من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه مولاه أكثر ، كان قليل النظر في إحسان ربه إليه .

مطلب أرجى آية في القرآن والقول بالتناسخ والتقمص وفي معجزات القرآن وبيان الفواحش والكبائر :

وقال علي كرم الله وجهه : هذه أرجى آية في القرآن لأن الكريم إذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا وإذا عفا لا يعود .

راجع الآية ٨٤ من سورة الإسراء والآية ٥ من سورة الضحى في ج ١ والآية ١٦٠ من سورة الأنعام والآية ٥٣ من سورة الزمر المارتين .

هذا ، وقد تعلق في هذه الآية من يقول بالتناسخ بحجة أنه لو لم يكن للأطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا ، مع أن السياق والسياق من هذه الآية يدلان على أنها مخصوصة بالمكلفين أصحاب الذنوب فإن من لا ذنب له كالأنبياء قد تصيبهم مصائب ، لما جاء في الخبر : أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، كما مر آنفا ، ويكون ذلك لرفع درجاتهم أو لحكم أخرى خفيت علينا ، فالأطفال والمجانين غير داخلين في الخطاب لأنهم غير مكلفين ، وبفرض دخولهم أخرجهم التخصيص بأصحاب الذنوب فيما يصيبهم من المصائب ، فهي لحكم خفية ، قيل مصائب الطفل رفع درجته ودرجة أبويه أو من يشفق عليه بحسن الصبر ، لا لأن لهم حالة سابقة كما زعموا ، ثم إن المصائب قد تكون عقوبة على الذنب ." (١)

"ج ٤ ، ص : ٥٣٧

فهرست القسم الثاني من الجزء الثاني

---

(١) بيان المعاني . موافقا للمطبوع ٤/٤٦

الفواحش إلخ ٥٧ التوالد والتولد وأقسام لوحي ومن كلم الله ورأى من الرسل ٦٠ سورة الزخرف ٦٢ نعمة المطر نعمة الدواب والأنعام وما يقال عند السفر والرجوع منه ٦٩ هوان الدنيا عند الله وتناكر القرينين يوم القيامة ، الخلافة لقريش ، وما نزل في بيت المقدس .

٧٧ إهلاك فرعون ، ونزول عيسى ، وما نزل في عبد الله بن الزبعري ٧٣ في نزول عيسى أيضا ، والصحبة وما فيها ووصف الجنة وهل فيها توالد أم لا ٩٢ سورة الدخان ٩٣ ليلة القدر وليلة براءة وفضل الأزمنة والأمكنة ٩٨ آية الدخان .

وبكاء السماء والأرض .

وقصة موسى وتبع وألقاب الملوك ١٠٦ ادعاء أبو جهل في الدنيا ومأواه في الآخرة نعيم الجنة ومعنى الموتة الأولى ." (١)

"ج ٥ ، ص : ٢٢٥

عن أبي ذر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال : يا أبا ذر ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة وان فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة .

وفي رواية الدار قطني والخطيب عن ابن عباس قال :

سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى (وسع كرسيه السماوات والأرض) الآية قال كرسيه موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره «ولا يؤده حفظهما» لا يثقل عليه ولا يشق ولا يجهده حفظ السموات والأرض وما فيهما وبينهما «وهو العلي» الرفيع الذي لا يدانيه أحد ولا يقرب من رفعته شيء «العظيم» (٢٥٥) الذي دل لهيبته كل عظيم وخضع لعظمته كل كبير ، وقد أتت جمل هذه الآية بلا عطف لأنها على سبيل البيان كما ترى ، وقد جاء في فضلها أحاديث كثيرة نذكر منها ما رواه مسلم عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قلت (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) إلخ ، فضرب في صدري وقال ليهنك العلم يا أبا المنذر .

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لكل شيء سنام وإن سنام القرآن البقرة وفيها آية هي سيدة القرآن آية الكرسي .

وأخرج أبو داود عن وائلة بن الأصقع أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فسأله إنسان أي آية في القرآن أعظم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) إلخ .

وذلك لجمعها بين أصول الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحياة والعلم والقيومية والملك والقدرة والإرادة ، لأن الله تعالى أعظم مذكور في القرآن فما كان ذكرا له توحيد وتمجيد كان أعظم الأذكار ، فطهر لك من

---

(١) بيان المعاني . موافقا للمطبوع ٥٣٧/٤

هذا أن هذه أعظم آيات القرآن .

وأما أجمع آية فيه فهي الآية ٩٠ من سورة النحل ، وأرجى آية فيه الآية ٥٤ من سورة الزمر في ج ٢ .

واعلم أن هذه الآية توجب على العباد الإخلاص في العمل لله تعالى وحده وعدم الاعتماد على غيره لأن الشفاعة وإن كانت مرجوة من الرسول ومن يؤهله الله لها فلا تكون إلا بإذنه كما علمت ولا بد أن تكون مصحوبة بالأعمال الصالحة لأن الذين يخلطون بأعمالهم الصالحة عملا سيئا يرجى لهم ، راجع الآية ١٠٦ من سورة التوبة الآتية ، مع لعلم بأن الله تعالى لا قيد عليه في شفاعة ولا غيرها قد يغفر لمن يشاء مع كثرة ذنوبه ، ." (١)

"ج ٦ ، ص : ٣٨

السدي هذه أرجى آية في القرآن لذكر المغفرة مع الظلم بدون التوبة راجع الآية ٨٥ من سورة الإسراء ج ١ تجد ما يتعلق في هذا البحث «وإن ربك لشديد العقاب ٦» لمن يموت على كفره «ويقول الذين كفروا» هلا «لو لا أنزل عليه» على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي يدعونا إلى دينه «آية من ربه» يقنعنا بها كآية صالح أو موسى وغيرهما يريدون شيئا محسوسا فقال تعالى لرسوله لا ترد عليهم «إنما أنت منذر» لهم سوء عاقبة الكفر ومبشر بحسن نتيجة الإيمان «ولكل قوم هاد» يهديهم بما أرسل إليه من ربه إلى دينه القويم بالطرق التي أمره بها ربه لا بما يريدون ويتحكمون ، لأن الله تعالى لم تجر عادته أن ينزل الآيات على حسب اقتراح الكفرة ، وإنما ينزلها بإرادته ومشيئته على من يريد من عباده ، أما ناقة صالح عليه السلام فكانت بمراد الله وتقديره في أزله أنهم يطلبونها من نبيهم فيعطونها ، وما عموم إلا وخص منه البعض مثل رفع العذاب عن قوم يون

ناقصه حسن أم دميم طويل أو تصير ذكر أو أنثى يعيش أو لا يعيش عالم أو جاهل غني أو فقير ويعلم مدة حمله وعيشه في الدنيا ورزقه وأجله وكل ما يقع منه وما يؤول إليه أمره في الدنيا والآخرة ، وهذا العلم مما استأثر به نفسه

تسقطه من الحمل يعلمه متى يكون «وما تزداد» عن الواحد ومن نقص الأرحام والحيض زمن الحمل فإنه ينقص غذاء الجنين فيخرج ضعيفا ، قال أبو حنيفة رحمه الله لا تحيض المرأة حال حملها لأن الله تعالى أجرى عادته بانسداد فم الرحم بالحمل وما تراه الحامل من الدم فهو استحاضة ودم الاستحاضة يكون من مرض وشبهه فيسبب ضعفا بالحامل فينشأ عنه ضعف الجنين ، وقد تسقطه ، وقد يخرج ناقص الخلقة ويولد لأقل من تسعة أشهر ، ." (٢)

"و : أرني ، سؤال رغبة ، وهو معمول : لقال ، والرؤية هنا بصرية ، دخلت على رأى همزة النقل ، فتعدت لاثنين : أحدهما ياء المتكلم ، والآخر الجملة الاستفهامية . أ هـ ﴿البحر المحيط حـ ٢ صـ ٣٠٨﴾

---

(١) بيان المعاني . موافقا للمطبوع ٥/٢٢٥

(٢) بيان المعاني . موافقا للمطبوع ٦/٣٨

فصل

قال القرطبي :

اختلف الناس في هذا السؤال هل صدر من إبراهيم عن شك أم لا ؟ فقال الجمهور : لم يكن إبراهيم عليه السلام شاكا في إحياء الله الموتى قط وإنما طلب المعانية ، وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به ؛ ولهذا قال عليه السلام : " ليس الخبر كالمعانية " رواه ابن عباس لم يروه غيره ؛ قاله أبو عمر .

قال الأخفش : لم يرد رؤية القلب وإنما أراد رؤية العين .

وقال الحسن وقتادة وسعيد ابن جبير والربيع : سأل ليزداد يقينا إلى يقينه .

قال ابن عطية : وترجم الطبري في تفسيره فقال : وقال آخرون سأل ذلك ربه ؛ لأنه شك في قدرة الله تعالى .

وأدخل تحت الترجمة عن ابن عباس قال : ما في القرآن آية أرجى عندي منها .

وذكر عن عطاء بن أبي رباح أنه قال : دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال : رب أرني كيف تحيي الموتى .

وذكر حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " نحن أحق بالشك من إبراهيم " الحديث ، ثم رجح الطبري هذا القول .

قلت : حديث أبي هريرة خرجه البخاري ومسلم عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي " قال ابن عطية : وما ترجم به الطبري عندي مردود ، وما أدخل تحت الترجمة متأول ؛ فأما قول ابن عباس : "هي أرجى آية" فمن حيث فيها الإدلال على الله تعالى وسؤال الإحياء في الدنيا وليست مظنة ذلك .

ويجوز أن يقول : هي أرجى آية لقوله "أولم تؤمن" أي إن الإيمان كاف لا يحتاج معه إلى تنقير وبحث .
(١) ".

"قد روى أبو سخلة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قرأ هذه الآية و قال: «ما عفى الله عنه فهو أعز و أكرم من أن يعود إليه في الآخرة ، و ما عاقب عليه في الدنيا فالله أكرم من أن يعيد العذاب عليه في الآخرة» رواه الواحدي في «البسيط» ،

و قال إذا كان كذلك فهذه أرجى آية في كتاب الله لأن الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين: صنف كفره عنهم بالمصائب في الدنيا ، و صنف عفا عنه في الدنيا ، و هو كريم لا يرجع في عفوه ، و هذه سنة الله مع المؤمنين ، و أما الكافر فلأنه لا يجعل عليه عقوبة ذنبه حتى يوافي ربه يوم القيامة .

---

(١) جامع لطائف التفسير ٣٨٣/٨

ثم قال تعالى: و ما أنتم بمعجزين في الأرض يقول ما أنتم معشر المشركين بمعجزين في الأرض ، أي لا تعجزونني حيثما كنتم ، فلا تسبقونني بسبب هربكم في الأرض و ما لكم من دون الله من ولي و لا نصير و المراد بهم من يعبد الأصنام ، بين أنه لا فائدة فيها ألبتة ، و النصير هو الله تعالى ، فلا جرم هو الذي تحسن عبادته .

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٣٢ الى ٣٩]

و من آياته الجوار في البحر كالأعلام (٣٢) إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (٣٣) أو يوبقهن بما كسبوا و يعف عن كثير (٣٤) و يعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص (٣٥) فما أوتيتم من شي ء فمتاع الحياة الدنيا و ما عند الله خير و أبقى للذين آمنوا و على ربهم يتوكلون (٣٦) ." (١)

"وقوله تعالى: ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾١ أي والحال أن العقوبات قد مضت في الأمم من قبلهم كعقوبة الله لعاد وثمود وأصحاب الأيكة والمؤتفكات فما لهم يطالبون بها استبعادا لها واستخفافا بها أين ذهبت عقولهم ؟ وقوله تعالى: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس٢ على ظلمهم﴾ وهو ظاهر مشاهد إذ لو كان يؤاخذ بالظلم لمجرد وقوعه فلم يغفر لأصحابه لما ترك على الأرض من دابة ، وقوله: ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ أي على من عصاه بعد أن أنذره وبين له ما يتقي فلم يتق ما يوجب له العذاب من الشرك والمعاصي .

وقوله تعالى في الآية الثالثة (٧) ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ ! يخبر تعالى رسوله والمؤمنين عن قيل الكافرين بالتوحيد والبعث والنبوة: ﴿لولا﴾ أي هلا أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آية من ربه كعصا موسى وناقة صالح ، حتى نؤمن بنبوته ونصدق برسالته ، فيرد تعالى عليهم بقوله: ﴿إنما أنت منذر﴾ والمنذر المخوف من العذاب وليس لازما أن تنزل معه الآيات ، وعليه فلا تلتفت إلى ما يطالبون به من الآيات ، واستمر على دعوتك فإن لكل قوم٣ هاديا وأنت هادي هذه الأمة ، وداعيها إلى ربها فادع واصبر .

وقوله تعالى في الآية الرابعة (٨) ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾٤ أي من ذكر أو أنثى واحدا أو أثنين أبيض أو أسمر سعيدا أو شقيا ، وقوله: ﴿وما تغيض٥ الأرحام وما تزداد﴾ أي ويعلم ما تغيض الأرحام من دماء الحيض٦ وما تزداد منها إذ غيضها ينقص من مدة الحمل وازديادها يزيد في مدة الحمل فقد تبلغ السنة أو أكثر ، وقوله: ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ أي وكل شيء في حكمه وقضائه وتدبيره بمقدار معين لا يزيد ولا ينقص في ذات ولا صفة

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب ص/١٠٧٣٠

١ المثلات: جمع مثلة ، وهي العقوبة نحو: صدقة وصدقات ، وتضم الميم وتسكن الثاء مثله كغرفة والجمع مثل كقرب وهي العقوبة الشديدة التي تكون مثالا تمثل بها العقوبات .

٢ قال ابن عباس رضي الله عنه هذه أرجى آية في كتاب الله ، قال سعيد بن المسيب ، لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هنأ أحدا عيشه ولولا عقابه ووعيده وعذابه لا تكل كل أحد" .

٣ هادي كل امة رسولها الذي بعث فيها وخلفاء الأنبياء وحواريوهم هداة يهدون من بعدهم والله يهدي من يشاء .

٤ قال القرطبي: من ذكر أو أنثى: صبيح أو قبيح صالح أو طالح . وقوله: ﴿كل أنثى﴾ يفيد عموم كل أنثى في الإنسان والحيوان ، وهو كذلك .

٥ العادة أن انحباس الحيض دال على العلوق أي: الحمل ، وفيضان الدم دال على عدم الحمل ، وتفسير الآية بهذا حسن ، فالله تعالى يعلم ما تغيض الأرحام من الدم ، لانشغال الرحم بالعلقة ثم بالجنين ، وما تزداد من الدم حتى يفيض عنها ، ويخرج ، وهو دم من لا حمل لها . وما في التفسير وجه وهذا الوجه أوضح .

٦ استدل بالآية من قال: الحامل لا تحيض وهو أبو حنيفة . والجمهور على أنها تحيض كما استدل بها كل من قال: الحمل تزيد مدته إلى أربع سنوات ، وهو الجمهور ، وخالف الظاهرية في ذلك . ." (١)

"لعلمه المحيط بكل شيء وجهلنا لكل شيء إلا ما علمناه فأزال به جهلنا وقوله: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم﴾ لهلكتم١ بجهلكم وسوء عملكم . ولكن لما أحاطكم الله به من فضل لم تستوجبوه إلا برأفته بكم ورحمته لكم عفا عنكم ولم يعاقبكم .

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا٢ خطوات الشيطان﴾ أي يا من صدقتم الله ورسوله لا تتبعوا خطوات الشيطان فإنه عدوكم فكيف تمشون وراءه وتتبعونه فيما يزين لكم من قبيح المعاصي وسيء الأقوال والأعمال فإن من يتبع خطوات الشيطان لا يلبث أن يصبح شيطانا يأمر بالفحشاء والمنكر ، ففاصلوا هذا العدو ، واتركوا الجري وراءه فإنه لا يأمر بخير قط فاحذروا وسواسه وقاوموا نزغاته بالاستعاذة بالله السميع العليم فإنه لا ينجكم منه إلا هو سبحانه وتعالى وقوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا﴾ وهذه منة أخرى وهي أنه لولا فضل٣ الله على المؤمنين ورحمته بحفظهم ودفع الشيطان عنهم ما كان ليطهر منهم أحد ، وذلك لضعفهم واستعدادهم الفطري للاستجابة لعدوهم ، فعلى الذين شعروا بكمالهم ؛ لأنهم نجوا مما وقع فيه عصبة الإفك من الإثم أن يستغفروا لإخوانهم وأن يقللوا من لومهم وعتابهم ، فإنه لولا فضله عليهم ورحمته بهم لوقعوا فيما وقع فيه اخوانهم ، فليحمدوا الله الذي نجاهم وليتطامنوا تواضعا لله وشكرا له . وقوله: ﴿ولكن الله

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري – ط العلوم والحكم ١١/٣

يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾ أي فمن شاء الله تزكيته زكاه وعليه فليلجأ إليه وليطلب التزكية منه ، وهو تعالى يزكي من كان أهلا للتزكية ، ومن لا فلا ، لأنه السميع لأقوال عباده والعليم بأعمالهم ونياتهم وأحوالهم وهي حال تقتضي التضرع إليه والتذلل وقوله تعالى: ﴿ولا يأتل أولو الفضل٤ منكم والسعة٥ أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا﴾ هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق لما منع مسطح بن أثاثة

---

١ ﴿لهلكتم﴾ هو جواب لولا المحذوف والسر في حذفه أن تذهب النفس كل مذهب ممكن في تقديره بحسب المقام والسياق .

٢ في الآية إشارة أفصح من عبارة وهي: أن الظنون السيئة وحب الفاحشة وحب إشاعتها بين المؤمنين كل هذا من وساوس الشيطان وتزيينه للناس للفتنة والإفساد .

٣ لولا هنا: حرف امتناع لوجود امتنع عدم التزكية لوجود فضل الله تعالى ورحمته ، والجملة سيقت للامتنان على المؤمنين ليشكروا .

٤ روي في الصحيح أن الله تبارك وتعالى لما أنزل: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم﴾ العشر آيات ، قال أبو بكر ، وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال في عائشة فأنزل الله تعالى ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم﴾ إلى قوله ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي . فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه . وقال: لا أنزعها منه أبدا . قال ابن المبارك . هذه أرجى آية في كتاب الله .

٥ الفضل: الزيادة وهي ضد النقص . والسعة: الغنى والائتلاء: الحلف مأخوذ من الألية التي هي الحلف . ." (١)

"١- بيان أن من الذنوب ما يعفو(١) الله تعالى عنه ولا يؤاخذ به تكرما وإحسانا .

ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام(٣٢) إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور(٣٣) أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير(٣٤) ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص(٣٥)

شرح الكلمات:

ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام: أي ومن علامات ربوبيته للخلق إيجاد السفن كالجبال في البحار وتسخير البحار للسير فيها لمنافع العباد .

إن يشأ يسكن الريح : أي يوقف هبوب الريح فلا نسيم ولا عواصف .

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري – ط العلوم والحكم ٣/٥٥٧

فيظللن رواكد على ظهره: أي تقف السفن وتظل راكد حابسة على ظهر البحر .

إن في ذلك لآيات : أي في هذه المظاهر من خلق السفن والبحار وتسخير البحار وسير السفن وركودها عند سكون الرياح لدلالات واضحة على وجود الله وقدرته وعمله وحكمته .

لكل صبار شكور: أي إن هذه الآيات لا يراها ولا ينتفع بها إلا من كان صبارا عند الشدائد والمحن شكورا عند الآلاء والنعم .

أو يوبقهن بما كسبوا : أي وإن يشأ يجعل الرياح عواصف فيهلك تلك السفن ويغرقها بمن فيها بسبب ذنوب أصحابها ، وهو على ذلك قدير .

ويعفو عن كثير: أي إنه تعالى ليعفو عن كثير من الذنوب والخطايا فلا يؤاخذ بها إذ لو آخذ بكل ذنب ما بقي أحد على وجه الأرض لقلة من لا يذنب فيها .

ويعلم الذين يجادلون في آياتنا : أي ويعلم المكذبون بآيات الله من المشركين عندما تعصف العواصف وتضطرب السفن ويخاف الغرق .

ما لهم من محيص : أي ليس لهم من مهرب إلا إلى الله فيجأرون بدعائه وحده ناسين آلهتهم الباطلة .

١- ولذا قال علي رضي الله عنه أرجى آية في كتاب الله تعالى هي هذه الآية وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه ؟ . ." (١)

"وفي هذا المعنى استعمل الناس هذه الآية في مخاطباتهم ومحاوراتهم .

وقيل : هو مدرج متصل بقوله ﴿ إنا قد أوحي إلينا ﴾ فيكون إذ ذاك خبرا بسلامة المهتدين من العذاب .

وقيل ﴿ على ﴾ بمعنى اللام أي والسلامة لمن ﴿ اتبع الهدى ﴾ .

وقال الزمخشري : وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين ، وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين انتهى .

وهو تفسير غريب .

وقد يقال : السلام هنا السلامة من العذاب بدليل قوله ﴿ إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ﴾ وبنى ﴿ أوحي ﴾ لما لم يسم فاعله ، ولم يذكر الموحى لأن فرعون كانت له بادرة فربما صدر منه في حق الموحى ما لا يليق به ، والمعنى على من كذب الأنبياء وتولى عن الإيمان .

وقال ابن عباس هذه أرجى آية في القرآن لأن المؤمن ما كذب وتولى فلا يناله شيء من العذاب .

وفي الكلام حذف تقديره فأتيا فرعون وقالا له ما أمرهما الله أن يبلغاه قال ﴿ فمن ربكما يا موسى ﴾ خاطبهما

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري – ط العلوم والحكم ٦١٣/٤

معا وأفرد بالنداء موسى .

قال ابن عطية : إذ كان صاحب عظم الرسالة وكريم الآيات .

وقال الزمخشري لأنه الأصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه ، ويحتمل أن يحمله خبثه وذعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان موسى ، ويدل عليه قوله ﴿ أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ﴾ انتهى .

واستبد موسى عليه السلام بجواب فرعون من حيث خصه بالسؤال والنداء معا ثم أعلمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا حيث خصه بالسؤال والنداء معا ثم أعلمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا بوجه مجاز .

قال الزمخشري : ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالبا للحق انتهى .

والمعنى أعطى كل ما خلق خلقته وصورته على ما يناسبه من الإتقان لم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم ، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا .

وقال الشاعر :

وله في كل شيء خلقة . . .

وكذلك الله ما شاء فعل

وهذا قول مجاهد وعطية ومقاتل وقال الضحاك ﴿ خلقه ﴾ من المنفعة المنوطة به المطابقة له ﴿ ثم هدى ﴾ أي يسر كل شيء لمنافعه ومرافقه ، فأعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار ، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع ، وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه .

قال القشيري : والخلق المخلوق لأن البطش والمشي والرؤية والنطق معان مخلوقة أودعها الله للأعضاء ، وعلى هذا مفعول ﴿ أعطى ﴾ الأول ﴿ كل شيء ﴾ والثاني ﴿ خلقه ﴾ وكذا في قول ابن عباس وابن جبير والسدي وهو أن المعنى ﴿ أعطى كل شيء ﴾ مخلوقه من جنسه أي كل حيوان ذكر نظيره أنثى في الصورة . ". (١)

"وإذا كان أبو علي الفارسي لا يجيز الاعتراض بجملتين ، فكيف يجيزه بهذه الجمل الكثيرة ؟ والذي يظهر في الربط أنه لما قال : ﴿ ولو أن للذين ظلموا ﴾ الآية ، كان ذلك إشعارا بما ينال الظالمين من شدة العذاب ، وأنه يظهر لهم يوم القيامة من العذاب ما لم يكن في حسابهم ، أتبع ذلك بما يدل على ظلمه وبغيه ، إذ كان إذا مسه دعا ربه ، فإذا أحسن إليه ، لم ينسب ذلك إليه .

---

(١) البحر المحيط ٩٣/٨

ثم إنه بعد وصف تلك النعمة أنها ابتلاء وفتنة ، كما بدا له في الآخرة من عمله الذي كان يظنه صالحا ما لم يكن في حسابه من سوء العذاب المترتب على ذلك العمل ، ترتب الفتنة على تلك النعمة .

﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ : أي إن ذلك استدراج وامتحان ﴿ قد قالها الذين من قبلهم ﴾ : أي قال مثل مقالتهم ﴿ أوتيته على علم ﴾ .

والظاهر أن قائلي ذلك جماعة من الأمم الكافرة الماضية ، كقارون في قوله : ﴿ قال إنما أوتيته على علم عندي ﴾ وقيل : الذين من قبلهم هم قارون وقومه ، إذ رضوا بمقالته ، فنسب القول إليهم جميعا .

وقرىء : قد قاله ، أي قال القول أو الكلام .

﴿ فما أغنى عنهم ﴾ : يجوز أن تكون ما نافية ، وهو الظاهر .

وأن تكون استفهامية ، فيها معنى النفي .

﴿ ما كانوا يكسبون ﴾ : أي من الأموال .

﴿ والذين ظلموا من هؤلاء ﴾ : إشارة إلى مشركي قريش ، ﴿ سيصيبهم سيئات ما كسبوا ﴾ : جاء بسين الاستقبال التي هي أقل تنفيسا في الزمان من سوف ، وهو خبر غيب ، أبرزه الوجود في يوم بدر وغيره .

قتل رؤساءهم ، وحبس عنه الرزق ، فلم يمطروا سبع سنين ؛ ثم بسط لهم ، فمطروا سبع سنين ، فقيل لهم : ألم تعلموا أنه لا قابض ولا باسط إلا الله تعالى ؟ .

﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا ﴾ : نزلت في وحشي قاتل حمزة ، قاله عطاء ؛ أو في قوم آمنوا عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ، ففتنتهم قريش ، فافتتنوا وظنوا أن لا توبة لهم ، فكتب عمر لهم بهذه الآية ، قاله عمر والسدي وقتادة وابن إسحاق .

وقيل : في قوم كفار من أهل الجاهلية قالوا : وما ينفعنا الإسلام وقد زنينا وقتلنا النف وأتينا كل كبيرة ؟ ومناسبتها لما قبلها : أنه تعالى لما شدد على الكفار وذكر ما أعد لهم من العذاب ، وأنهم لو كان لأحدهم ما في الأرض ومثله معه لافتدى به من عذاب الله ، ذكر ما في إحسانه من غفران الذنوب إذا آمن العبد ورجع إلى الله .

وكثيرا تأتي آيات الرحمة مع آيات النقمة ليرجو العبد ويخاف .

وهذه الآية عام في كل كافر يتوب ، ومؤمن عاص يتوب ، تمحو الذنب توبته .

وقال عبد الله ، وعلي ، وابن عامر : هذه أرجى آية في كتاب الله .

وتقدم الخلاف في قراءة ﴿ لا تقنطوا ﴾ في الحجر .

﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ : عام يراد به ما سوى الشرك ، فهو مقيد أيضا بالمؤمن العاصي غير التائب

بالمشيئة .

(١) ".

"واحتمل ما أن تكون شرطية ، وهو الأظهر ، وأن تكون موصولة ، والفاء تدخل في خبر الموصول إذا أجري مجرى الشرط بشرائط ذكرت في النحو ، وهي موجودة .

وقرأ نافع ، وابن عامر ، وأبو جعفر في رواية ، وشيبة : بما بغير فاء ، فما موصولة ، ولا يجوز أن تكون شرطية ؛ وحذفت الفاء لأن ذلك مما يخصه سيبويه بالشعر ، وأجازت ذلك الأخفش وبعض نحاة بغداد وذلك على إرادة الفاء .

وترتب ما أصاب من المصائب على كسب الأيدي موجود مع الفاء ودونها هنا ، والمصيبة : الرزايا والمصائب في الدنيا ، وهي مجازاة على ذنوب المرء وتمحيص لخطاياه ، وأنه تعالى يعفو عن كثير ، ولا يجازي عليه بمصيبة .

وفي الحديث : « لا يصيب ابن آدم خدش عود أو عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو عنه أكثر »

وسئل عمران بن حصين عن مرضه فقال ؛ إن أحبه إلي أحبه إلى الله ، وهذا مما كسبت يداي .

ورؤي على كف شريح قرحة ، فقيل : بم هذا ؟ فقال : بما كسبت يداي .

وقال الزمخشري : الآية مخصوصة بالمجرمين ، ولا يمتنع أن يستوفي الله عقاب المجرم ويعفو عن بعض .

فأما من لا جرم له ، كالأنبياء والأطفال والمجانين ، فهو كما إذا أصابهم شيء من ألم أو غيره ، فللعوض الموفي والمصلحة وعن علي : هذه أرجى آية للمؤمنين .

وقال الحسن : ﴿ من مصيبة ﴾ : أي حد من حدود الله ، وتلك مصائب تنزل بشخص الإنسان ونفسه ، فإنما هي بكسب أيديكم .

﴿ ويعفوا ﴾ الله ﴿ عن كثير ﴾ ، فيستره على العباد حتى لا يحد عليه .

﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ : أنتم في قبضة القدرة .

وقيل : ليست المصائب من الأسقام والقحط والغرق وغير ذلك بعقوبات على الذنوب لقوله : ﴿ اليوم تجزي كل نفس بما كسبت ﴾ ولاشتراك الصالح والطالح فيهما ، بل أكثر ما يبتلي به الصالحون المتقون .

وفي الحديث : « خص بالبلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل » ولأن الدنيا دار التكليف ، فلو حصل الجزاء فيها لكانت دار الجزاء ، وليس الأمر كذلك .

وهذا القول يؤخره نصوص القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ﴾ الآية

---

(١) البحر المحيط ٣٩١/٩

.

". (١)

"وفي هذا المعنى استعمل الناس هذه الآية في مخاطباتهم ومحاوراتهم . وقيل : هو مدرج متصل بقوله ﴿ إنا قد أوحي إلينا ﴾ فيكون إذ ذاك خبرا بسلامة المهتدين من العذاب . وقيل ﴿ على ﴾ بمعنى اللام أي والسلامة لمن ﴿ اتبع الهدى ﴾ .

وقال الزمخشري : وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين ، وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين انتهى . وهو تفسير غريب .

وقد يقال : السلام هنا السلامة من العذاب بدليل قوله ﴿ إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ﴾ وبنى ﴿ أوحي ﴾ لما لم يسم فاعله ، ولم يذكر الموحى لأن فرعون كانت له بادرة فربما صدر منه في حق الموحى ما لا يليق به ، والمعنى على من كذب الأنبياء وتولى عن الإيمان . وقال ابن عباس هذه أرجى آية في القرآن لأن المؤمن ما كذب وتولى فلا يناله شيء من العذاب . وفي الكلام حذف تقديره فأتيا فرعون وقالا له ما أمرهما الله أن يبلغاه قال ﴿ فمن ربكما يا موسى ﴾ خاطبهما معا وأفرد بالنداء موسى . قال ابن عطية : إذ كان صاحب عظم الرسالة وكريم الآيات . وقال الزمخشري لأنه الأصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه ، ويحتمل أن يحمله خبثه وذعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان موسى ، ويدل عليه قوله ﴿ أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ﴾ انتهى .

واستبد موسى عليه السلام بجواب فرعون من حيث خصه بالسؤال والنداء معا ثم أعلمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا حيث خصه بالسؤال والنداء معا ثم أعلمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا بوجه مجاز . قال الزمخشري : ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالبا للحق انتهى . والمعنى أعطى كل ما خلق خلقته وصورته على ما يناسبه من الإتقان لم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم ، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا . وقال الشاعر :

وله في كل شيء خلقة . . . وكذلك الله ما شاء فعل

وهذا قول مجاهد وعطية ومقاتل وقال الضحاك ﴿ خلقه ﴾ من المنفعة المنوطة به المطابقة له ﴿ ثم هدى ﴾ أي يسر كل شيء لمنافعه ومرافقه ، فأعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار ، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع ، وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه . قال القشيري : والخلق المخلوق لأن البطش والمشي والرؤية والنطق معان مخلوقة أودعها الله للأعضاء ، وعلى هذا مفعول ﴿

---

(١) البحر المحيط ٩/٤٩٠

أعطى ﴾ الأول ﴿كل شيء ﴾ والثاني ﴿ خلقه ﴾ وكذا في قول ابن عباس وابن جبير والسدي وهو أن المعنى ﴿ أعطى كل شيء ﴾ مخلوقه من جنسه أي كل حيوان ذكر نظيره أنثى في الصورة . ." (١)

"وإذا كان أبو علي الفارسي لا يجيز الاعتراض بجملتين ، فكيف يجيزه بهذه الجمل الكثيرة ؟ والذي يظهر في الربط أنه لما قال : ﴿ ولو أن للذين ظلموا ﴾ الآية ، كان ذلك إشعارا بما ينال الظالمين من شدة العذاب ، وأنه يظهر لهم يوم القيامة من العذاب ما لم يكن في حسابهم ، أتبع ذلك بما يدل على ظلمه وبغيه ، إذ كان إذا مسه دعا ربه ، فإذا أحسن إليه ، لم ينسب ذلك إليه . ثم إنه بعد وصف تلك النعمة أنها ابتلاء وفتنة ، كما بدا له في الآخرة من عمله الذي كان يظنه صالحا ما لم يكن في حسابه من سوء العذاب المترتب على ذلك العمل ، ترتب الفتنة على تلك النعمة . ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ : أي إن ذلك استدراج وامتحان ﴿ قد قالها الذين من قبلهم ﴾ : أي قال مثل مقالتهم ﴿ أوتيته على علم ﴾ . والظاهر أن قائلي ذلك جماعة من الأمم الكافرة الماضية ، كقارون في قوله : ﴿ قال إنما أوتيته على علم عندي ﴾ وقيل : الذين من قبلهم هم قارون وقومه ، إذ رضوا بمقالته ، فنسب القول إليهم جميعا . وقرىء : قد قاله ، أي قال القول أو الكلام . ﴿ فما أغنى عنهم ﴾ : يجوز أن تكون ما نافية ، وهو الظاهر . وأن تكون استفهامية ، فيها معنى النفي . ﴿ ما كانوا يكسبون ﴾ : أي من الأموال . ﴿ والذين ظلموا من هؤلاء ﴾ : إشارة إلى مشركي قريش ، ﴿ سيصيبهم سيئات ما كسبوا ﴾ : جاء بسين الاستقبال التي هي أقل تنفيسا في الزمان من سوف ، وهو خبر غيب ، أبرزه الوجود في يوم بدر وغيره . قتل رؤساءهم ، وحبس عنه الرزق ، فلم يمطروا سبع سنين ؛ ثم بسط لهم ، فمطروا سبع سنين ، فقيل لهم : ألم تعلموا أنه لا قابض ولا باسط إلا الله تعالى ؟ .

﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا ﴾ : نزلت في وحشي قاتل حمزة ، قاله عطاء ؛ أو في قوم آمنوا عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ، ففتنتهم قريش ، فافتتنوا وظنوا أن لا توبة لهم ، فكتب عمر لهم بهذه الآية ، قاله عمر والسدي وقتادة وابن إسحاق . وقيل : في قوم كفار من أهل الجاهلية قالوا : وما ينفعنا الإسلام وقد زنينا وقتلنا النفس وأتينا كل كبيرة ؟ ومناسبتها لما قبلها : أنه تعالى لما شدد على الكفار وذكر ما أعد لهم من العذاب ، وأنهم لو كان لأحدهم ما في الأرض ومثله معه لافتدى به من عذاب الله ، ذكر ما في إحسانه من غفران الذنوب إذا آمن العبد ورجع إلى الله . وكثيرا تأتي آيات الرحمة مع آيات النقمة ليرجو العبد ويخاف . وهذه الآية عام في كل كافر يتوب ، ومؤمن عاص يتوب ، تمحو الذنب توبته . وقال عبد الله ، وعلي ، وابن عامر : هذه أرجى آية في كتاب الله . وتقدم الخلاف في قراءة ﴿ لا تقنطوا ﴾ في الحجر .

---

(١) البحر المحيط – أبو حيان ٨٣/٨

﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ : عام يراد به ما سوى الشرك ، فهو مقيد أيضا بالمؤمن العاصي غير التائب بالمشيئة . ." (١)

"واحتمل ما أن تكون شرطية ، وهو الأظهر ، وأن تكون موصولة ، والفاء تدخل في خبر الموصول إذا أجري مجرى الشرط بشرائط ذكرت في النحو ، وهي موجودة . وقرأ نافع ، وابن عامر ، وأبو جعفر في رواية ، وشيبة : بما بغير فاء ، فما موصولة ، ولا يجوز أن تكون شرطية ؛ وحذفت الفاء لأن ذلك مما يخصه سيبويه بالشعر ، وأجازت ذلك الأخفش وبعض نحاة بغداد وذلك على إرادة الفاء . وترتب ما أصاب من المصائب على كسب الأيدي موجود مع الفاء ودونها هنا ، والمصيبة : الرزايا والمصائب في الدنيا ، وهي مجازاة على ذنوب المرء وتمحيص لخطاياه ، وأنه تعالى يعفو عن كثير ، ولا يجازي عليه بمصيبة . وفي الحديث : « لا يصيب ابن آدم خدش عود أو عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو عنه أكثر » وسئل عمران بن حصين عن مرضه فقال ؛ إن أحبه إلي أحبه إلى الله ، وهذا مما كسبت يداي . ورؤي على كف شريح قرحة ، فقيل : بم هذا ؟ فقال : بما كسبت يداي .

وقال الزمخشري : الآية مخصوصة بالمجرمين ، ولا يمتنع أن يستوفي الله عقاب المجرم ويعفو عن بعض . فأما من لا جرم له ، كالأنبياء والأطفال والمجانين ، فهو كما إذا أصابهم شيء من ألم أو غيره ، فللعوض الموفي والمصلحة وعن علي : هذه أرجى آية للمؤمنين . وقال الحسن : ﴿ من مصيبة ﴾ : أي حد من حدود الله ، وتلك مصائب تنزل بشخص الإنسان ونفسه ، فإنما هي بكسب أيديكم . ﴿ ويعفوا ﴾ الله ﴿ عن كثير ﴾ ، فيستره على العباد حتى لا يحد عليه . ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ : أنتم في قبضة القدرة . وقيل : ليست المصائب من الأسقام والقحط والغرق وغير ذلك بعقوبات على الذنوب لقوله : ﴿ اليوم تجزي كل نفس بما كسبت ﴾ ولاشتراك الصالح والطالح فيهما ، بل أكثر ما يبتلي به الصالحون المتقون . وفي الحديث : « خص بالبلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل » ولأن الدنيا دار التكليف ، فلو حصل الجزاء فيها لكانت دار الجزاء ، وليس الأمر كذلك . وهذا القول يؤخره نصوص القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ﴾ الآية . ." (٢)

"البحر المحيط ، ج ٧ ، ص : ٣٣٩

أولو جئتك بشيء مبين «١» انتهى . وقيل : الآية اليد . وقيل : العصا ، والمعنى بآية تشهد لنا بأنا رسولا ربك . والظاهر أن قوله والسلام على من اتبع الهدى فصل للكلام ، فالسلام بمعنى التحية رغبا به عنه وجريا على العادة في التسليم عند الفراغ من القول ، فسلما على متبعي الهدى وفي هذا توبيخ له . وفي هذا المعنى

---

(١) البحر المحيط – أبو حيان ٩/٣٨١

(٢) البحر المحيط – أبو حيان ٩/٤٨٠

استعمل الناس هذه الآية في مخاطباتهم ومحاوراتهم . وقيل : هو مدرج متصل بقوله إنا قد أوحي إلينا فيكون إذ ذاك خبرا بسلامة المهتدين من العذاب . وقيل على بمعنى اللام أي والسلامة ل من اتبع الهدى .

وقال الزمخشري : وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين ، وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين انتهى . وهو تفسير غريب .

وقد يقال : السلام هنا السلامة من العذاب بدليل قوله إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى وبنى أوحي لما لم يسم فاعله ، ولم يذكر الموحى لأن فرعون كانت له بادرة فربما صدر منه في حق الموحى ما لا يليق به ، والمعنى على من كذب الأنبياء وتولى عن الإيمان . وقال ابن عباس هذه أرجى آية في القرآن لأن المؤمن ما كذب وتولى فلا يناله شيء من العذاب . وفي الكلام حذف تقديره فأتيا فرعون وقالا له ما أمرهما الله أن يبلغاه قال فمن ربكما يا موسى خاطبهما معا وأفرد بالنداء موسى . قال ابن عطية : إذ كان صاحب عظم الرسالة وكريم الآيات . وقال الزمخشري لأنه الأصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه ، ويحتمل أن يحمله خبثه وذعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان موسى ، ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين «٢» انتهى .

واستبد موسى عليه السلام بجواب فرعون من حيث خصه بالسؤال والنداء معا ثم أعلمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا حيث خصه بالسؤال والنداء معا ثم أعلمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا بوجه مجاز . قال الزمخشري : ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالبا للحق انتهى . والمعنى أعطى كل ما خلق خلقته

---

(١) سورة الشعراء : ٢٦/ ٣٠ .

(٢) سورة الزخرف : ٤٣/ ٥٢ . ." (١)

"البحر المحيط ، ج ٩ ، ص : ٢١١

صالحا ما لم يكن في حسابه من سوء العذاب المترتب على ذلك العمل ، ترتب الفتنة على تلك النعمة . ولكن أكثرهم لا يعلمون : أي إن ذلك استدراج وامتحان .

قد قالها الذين من قبلهم : أي قال مثل مقالتهم أوتيته على علم . والظاهر أن قائلي ذلك جماعة من الأمم الكافرة الماضية ، كقارون في قوله : قال إنما أوتيته على علم عندي «١» . وقيل : الذين من قبلهم هم قارون وقومه ، إذ رضوا بمقالته ، فنسب القول إليهم جميعا . وقرىء : قد قاله ، أي قال القول أو الكلام . فما أغنى عنهم : يجوز أن تكون ما نافية ، وهو الظاهر . وأن تكون استفهامية ، فيها معنى النفي . ما كانوا يكسبون

---

(١) البحر المحيط . نسخة محققة ٣٣٩/٧

: أي من الأموال . والذين ظلموا من هؤلاء : إشارة إلى مشركي قريش ، سيصيبهم سيئات ما كسبوا : جاء بسين الاستقبال التي هي أقل تنفيسا في الزمان من سوف ، وهو خبر غيب ، أبرزه الوجود في يوم بدر وغيره . قتل رؤساءهم ، وحبس عنهم الرزق ، فلم يمطروا سبع سنين ثم بسط لهم ، فمطروا سبع سنين ، فقيل لهم : ألم تعلموا أنه لا قابض ولا باسط إلا الله تعالى ؟ .

قل يا عبادي الذين أسرفوا : نزلت في وحشي قاتل حمزة ، قاله عطاء أو في قوم آمنوا عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ، ففتنتهم قريش ، فافتتنوا وظنوا أن لا توبة لهم ، فكتب عمر لهم بهذه الآية ، قاله عمر والسدي وقتادة وابن إسحاق . وقيل : في قوم كفار من أهل الجاهلية قالوا : وما ينفعنا الإسلام وقد زنينا وقتلنا النفس وأتينا كل كبيرة ؟

ومناسبتها لما قبلها : أنه تعالى لما شدد على الكفار وذكر ما أعد لهم من العذاب ، وأنهم لو كان لأحدهم ما في الأرض ومثله معه لافتدى به من عذاب الله ، ذكر ما في إحسانه من غفران الذنوب إذا آمن العبد ورجع إلى الله . وكثيرا تأتي آيات الرحمة مع آيات النقمة ليرجو العبد ويخاف . وهذه الآية عامة في كل كافر يتوب ، ومؤمن عاص يتوب ، تمحو الذنب توبته . وقال عبد الله ، وعلي ، وابن عامر : هذه أرجى آية في كتاب الله .

وتقدم الخلاف في قراءة لا تقنطوا في الحجر .

إن الله يغفر الذنوب جميعا : عام يراد به ما سوى الشرك ، فهو مقيد أيضا بالمؤمن العاصي غير التائب بالمشيئة . وفي قوله : يا عبادي ، بإضافتهم إليه وندائهم ، إقبال وتشريف . وأسرفوا على أنفسهم : أي بالمعاصي ، والمعنى : إن ضرر تلك الذنوب إنما

---

(١) سورة القصص : ٢٨/ ٧٨ . ". (١)

"البحر المحيط ، ج ٩ ، ص : ٣٣٩

المجرم ويعفو عن بعض . فأما من لا جرم له ، كالأنبياء والأطفال والمجانين ، فهو كما إذا أصابهم شيء من ألم أو غيره ، فللعوض الموفى والمصلحة وعن علي : هذه أرجى آية للمؤمنين .

وقال الحسن : من مصيبة : أي حد من حدود الله ، وتلك مصائب تنزل بشخص الإنسان ونفسه ، فإنما هي بكسب أيديكم . ويعفوا الله عن كثير ، فيستره على العباد حتى لا يحد عليه . وما أنتم بمعجزين : أنتم في قبضة القدرة . وقيل :

ليست المصائب من الأسقام والقحط والغرق وغير ذلك بعقوبات على الذنوب لقوله :

---

(١) البحر المحيط . نسخة محققة ٩/٢١١

اليوم تجزى كل نفس بما كسبت «١» ، ولاشتراك الصالح والطالح فيهما ، بل أكثر ما يبتلي به الصالحون المتقون . وفي الحديث : «خص بالبلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» .
ولأن الدنيا دار التكليف ، فلو حصل الجزاء فيها لكانت دار الجزاء ، وليس الأمر كذلك .
وهذا القول يؤخره نصوص القرآن ، كقوله تعالى : فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا «٢» الآية .

ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ، إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ، أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ، ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص ، فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون ، والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ، والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ، وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ، ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ، ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ، ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل ، وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي .
لما ذكر تعالى من دلائل وحدانيته أنواعا ، ذكر بعدها العالم الأكبر ، وهو السموات والأرض ثم العالم الأصغر ، وهو الحيوان . ثم أتبعه بذكر المعاد ، أتبعه بذكر السفن الجارية في البحر ، لما فيها من عظيم دلائل القدرة ، من جهة أن الماء جسم لطيف شفاف يغوص فيه الثقيل ، والسفن تشخص بالأجسام الثقيلة الكثيفة ، ومع ذلك جعل تعالى للماء

---

(١) سورة غافر : ٤٠/ ١٧ .

(٢) سورة العنكبوت : ٢٩/ ٤٠ . ." (١)

"٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٨٧) كتاب الأدب: باب من رد على مسلم غيبة ، حديث (٤٨٨٣) ، و ابن المبارك في «الزهد» (٢٣٩) .

جواهر الحسان في تفسير القرآن ، ج ٤ ، ص: ١٧٧

نصرته» ، انتهى «١» ، ثم ذكر تعالى أنه يزكي من شاء ممن سبقت له السعادة ، و كان عمله الصالح أمارة على سبق السعادة له .

---

(١) البحر المحيط . نسخة محققة ٣٣٩/٩

[سورة النور (٢٤): آية ٢٢]

و لا يأتل أولوا الفضل منكم و السعة أن يؤتوا أولي القربى و المساكين و المهاجرين في سبيل الله و ليعفوا و ليصفحوا أ لا تحبون أن يغفر الله لكم و الله غفور رحيم (٢٢)

و قوله تعالى: و لا يأتل أولوا الفضل منكم . . . الآية: المشهور من الروايات أن هذه الآية نزلت في قصة أبي بكر رضي الله عنه و مسطح بن أثاثة ، و كان من قرابة أبي بكر ، و كان أبو بكر ينفق عليه ، لمسكنته ، فلما وقع أمر الإفك بلغ أبا بكر أنه: وقع مسطح مع من وقع فحلف أبو بكر: لا ينفق عليه ، و لا ينفعه بنافعة أبدا ، فجاء مسطح معتذرا/ ٣٦ ب و قال: إنما كنت أسمع و لا أقول ، فنزلت الآية ، و الفضل: الزيادة في الدين ، و السعة هنا:

هي المال ، ثم قال تعالى: أ لا تحبون أن يغفر الله لكم . . . الآية ، أي: كما تحبون عفو الله لكم عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم ، فيروى أن أبا بكر قال: بلى ، إني أحب أن يغفر الله لي ، و رجع إلى مسطح ما كان يجري عليه من النفقة و الإحسان «٢» .

قال ابن العربي في «أحكامه»: و في هذه الآية دليل على أن الحنث إذا رآه الإنسان خيرا هو أولى من البر ، و لقول النبي صلى الله عليه و سلم: «فرأى غيرها خيرا منها ، فليأت الذي هو خير ، و ليكفر عن يمينه» انتهى «٣» . و قال بعض الناس: هذه أرجى آية في كتاب الله عز و جل من

---

(١) ".)

"فنزلت الآية فيهم ، و قال علي بن أبي طالب ، و ابن مسعود ، و ابن عمر: هذه أرجى آية في القرآن «١» ، و روى ثوبان عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «ما أحب أن لي الدنيا و ما فيها بهذه الآية «٢» قل يا عبادي . . .» و أسرفوا معناه أفرطوا ، و القنط أعظم اليأس ، و قرأ نافع و الجمهور «تقنطوا» بفتح النون «٣» ، قال أبو حاتم: فيلزمهم أن يقرؤوا «من بعد ما قنطوا» [الشورى: ٢٨]- بكسرها- و لم يقرأ به أحد ، و قرأ أبو عمرو «تقنطوا»- بالكسر «٤»- .

و قوله: إن الله يغفر الذنوب جميعا عموم بمعنى الخصوص لأن الشرك ليس بداخل في الآية إجماعا ، و هي أيضا في المعاصي مقيدة بالمشيئة ، و روي أن النبي صلى الله عليه و سلم قرأ:

«إن الله يغفر الذنوب جميعا و لا يبالي» «٥» و قرأ ابن مسعود «٦»: «إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء»

---

(١) جواهر الحسان في تفسير القرآن ٢/ ٧٨

و أنيبوا معناه: ارجعوا .

[سورة الزمر (٣٩): الآيات ٥٥ الى ٦٠]

و اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة و أنتم لا تشعرون (٥٥) أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله و إن كنت لمن الساخرين (٥٦) أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين (٥٧) أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين (٥٨) بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها و استكبرت و كنت من الكافرين (٥٩)

و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أ ليس في جهنم مثوى للمتكبرين (٦٠)

---

(١) ".)

"ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٤٠) ، و «المحتسب» (٢/ ٢٦٨) ، و «المحرر الوجيز» (٥/ ١٠٨) ، و «البحر المحيط» (٨/ ٦٨) ، و «الدر المصون» (٦/ ١٤٥) .

جواهر الحسان في تفسير القرآن ، ج ٥ ، ص: ٢٢٧

الحسن: بلاغ بالخفض نعتا ل نهار «١» .

و قوله سبحانه: فهل يهلك إلا القوم الفاسقون و قرى ء شاذا «٢»: فهل يهلك ببناء الفعل للفاعل ، و في هذه الآية وعيد محض ، و إنذار بين و ذلك أن الله عز و جل جعل الحسنة بعشر أمثالها و السيئة بمثلها ، و غفر الصغائر باجتناب الكبائر ، و وعد الغفران على التوبة ، فلن يهلك على الله إلا هالك كما قال صلى الله عليه و سلم ، قال الثعلبي: يقال: إن قوله تعالى:

فهل يهلك إلا القوم الفاسقون أرجى آية في كتاب الله/ عز و جل للمؤمنين .

---

(١) و قرأ بها عيسى .

ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٠٨) ، و «البحر المحيط» (٨/ ٦٨) ، و «الدر المصون» (٦/ ١٤٥) .

(٢) قرأ بها ابن محيصن ، و روي عنه كسر اللام . قال أبو الفتح: و أما «يهلك» بفتح الياء و اللام جميعا فشاذة ، و مرغوب عنها ، لأن الماضي هلك ، فعل مفتوحة العين ، و لا يأتي يفعل ، بفتح العين فيهما جميعا إلا الشاذ .

ينظر: «المحتسب» (٢/ ٢٦٨) ، و «مختصر الشواذ» ص: (١٤١) ، و «المحرر الوجيز» (٥/ ١٠٨) ، و «البحر المحيط» (٨/ ٦٨) ، و «الدر المصون» (٦/ ١٤٥) . [. . . . .]

---

(١) جواهر الحسان في تفسير القرآن ٣/٧٨

جواهر الحسان في تفسير القرآن ، ج ٥ ، ص: ٢٢٨

تفسير سورة محمد

و هي مدنية

[سورة محمد (٤٧): الآيات ١ الى ٣]

بسم الله الرحمن الرحيم ." (١)

"يقول الحق جل جلاله : ﴿ وما أصابكم من مصيبة ﴾ غم ، أو ألم ، أو مكروه ﴿ بما كسبت أيديكم ﴾ أي : بجناية كسبتموها ، عقوبة لكم . ومن قرأ بالفاء ؛ ف « ما » شرطية . ومن قرأ بغيرها فموصلة . وتعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ ، ومعناه عندهم : أن أرواح المتقدمين حين تموت أشباحها تنتقل إلى أشباح أخر ، فإن كانت صالحة انتقلت إلى جسم صالح ؛ وإن كانت خبيثة انتقلت إلى جسم خبيث ، وهو باطل وكفر . ووجه التعلق : أنه لو لم يكن للأطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا . ويجاب : بأن تألم الأطفال إما زيارة في درجات آبائهم إن عاشوا ، أو في درجاتهم إن ماتوا ؛ لأنهم يلحقون بآبائهم في الدرجة ، ولا عمل لهم إلا هذا التألم . والله أعلم .

والآية مخصوصة بالمكلفين بدليل السياق وهو قوله : ﴿ ويعفو عن كثير ﴾ أي : من الذنوب فلا يعاقب عليها ، أو : عن كثير من الناس ، فلا يعاجلهم بالعقوبة . وفي الحديث عنه A : « والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة ، وما عفا عنه فالله أحلم من أن يعود فيه بعد عفوه » وقال ابن عطاء : من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه ، وأن ما عفا عنه مولاه أكثر ، كان قليل النظر في إحسان ربه إليه . وقال محمد بن حامد : العبد ملازم للجنايات في كل أوان ، وجناياته في طاعته أكثر من جناياته في معاصيه ؛ لأن جناية المعصية من وجه ، وجناية الطاعة من وجوه ، والله يطهر العبد من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ، ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة .

وعن علي كرم الله وجهه : هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن ؛ لأن الكريم إذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا ، وإذا عفا لا يعود . هـ . وقد تقدم حديثا . قال في الحاشية الفاسية : قلت : وإنما يعفو في الدنيا عما يشاء ، ويؤخر عقوبة من شاء إلى الآخرة ، فلا يلزم إبطال وعيد الآخرة . ثم الآية إما خاصة بالحدود ، أو بالمجرم المذنب ، وأما من لا ذنب له فما يصيبه من البلاء اجتباء ، وتخصيص ، لا تمحيص . هـ .

قلت : لكل مقام ذنب ، حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فالتمحيص جار في كل مقام ، وراجع ما تقدم

---

(١) جواهر الحسان في تفسير القرآن ٣/٢٨٨

عند قوله : ﴿ لقد تاب الله على النبي . . . ﴾ [التوبة : ١١٧] وسيأتي عند قوله : ﴿ واستغفر لذنبك . . ﴾ [محمد : ١٩] ما يبين هذا . والله أعلم .

﴿ وما أنتم بمعجزين في الأرض ﴾ أي : ما أنتم بفائتين ما قضي عليكم من المصائب ، وإن هجرتم في أقطارها كل مهرب ، ﴿ وما لكم من دون الله من ولي ﴾ متول يحميكم منها ﴿ ولا نصير ﴾ يدفعها عنكم ، أو يدفع عذابه إن حل . ." (١)

"﴿ وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها ﴾ [إبراهيم : ٣٤] فينتج ذلك الشكر ، لتدوم عليه . الرابع : في نصب هذه العوالم ، على ما هي عليه من الإبداع والإتقان ، فيثمر ذلك معرفة الصانع ، وباهر قدرته وحكمته .

وقوله تعالى : ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا . . . ﴾ الخ ، قال القشيري : المولى : المحب ، فهو محب الذين آمنوا ، والكافرين لا يحبهم ، ويصح أن يقال : أرجى آية في القرآن هذه الآية ، لم يقل مولى الزهاد والعباد وأصحاب الأوراد والاجتهاد : بل قال : ﴿ مولى الذين آمنوا ﴾ والمؤمن وإن كان عاصيا فهو من جملتهم . هـ . والمحبة تتفاوت بقدر زيادة الإيمان والإيقان حتى يصير محبوبا مقربا .

قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ﴾ وكذلك الغافل ، فالأنعام تأكل بلا تمييز ، من أي موضع وجدت ، كذلك الجاهل ، لا تمييز له من الحلال أو من الحرام ، والأنعام ليس لها وقت لأكلها ، بل تأكل في كل وقت ، وكذلك الغافل والكافر . فقد ورد « أن الكفار يأكل في سبعة أمعاء ، والمؤمن يجتزئ بما تيسر » ، كما في الخبر : « ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن » والأنعام تأكل على الغفلة ، فمن كان في أكله ناسيا لربه ، فأكله كأكل الأنعام . انظر القشيري . ." (٢)

"تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا﴾ [النساء:١٤٩] وقد بين تعالى في هذا الآية أن العفو مع القدرة من صفاته تعالى ، وكفى بذلك حثا عليه ، وكقوله تعالى: ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ [الحجر: ٨٥] وكقوله: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ [الشورى:٤٣] إلى غير ذلك من الآيات .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ دليل على أن العفو والصفح على المسيء المسلم من موجبات غفران الذنوب ، والجزاء من جنس العمل ، ولذا لما نزلت قال أبو بكر: بلى والله نحب أن يغفر لنا ربنا ، ورجع للإنفاق في مسطح ، ومفعول أن ﴿يغفر الله﴾ محذوف للعلم به: أي يغفر لكم ذنوبكم .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿أولي القربى﴾ أي أصحاب القرابة ، ولفظة ﴿أولي﴾ اسم جمع لا واحد له من لفظه يعرب إعراب الجمع المذكر السالم .

---

(١) البحر المديد ٤٣٩/٥

(٢) البحر المديد ٥٧/٦

فائدة

في هذه الآية الكريمة ، دليل على أن كبائر الذنوب لا تحبط العمل الصالح ، لأن هجرة مسطح بن أثاثة من عمله الصالح ، وقذفه لعائشة من الكبائر ولم يبطل هجرته لأن الله قال فيه بعد قذفه لها ﴿والمهاجرين في سبيل الله﴾ فدل ذلك على أن هجرته في سبيل الله ، لم يحبطها قذفه لعائشة رضي الله عنها .

قال القرطبي في هذه الآية: دليل على أن القذف وإن كان كبيرا لا يحبط الأعمال ، لأن الله تعالى وصف مسطحا بعد قوله بالهجرة والإيمان ، وكذلك سائر الكبائر ، ولا يحبط الأعمال غير الشرك بالله ، قال تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ [الزمر: ٦٥] ا هـ .

وما ذكر من أن في الآية وصف مسطح بالإيمان لم يظهر من الآية ، وإن كان معلوما .

وقال القرطبي أيضا: قال عبد الله بن المبارك: هذه أرجى آية في كتاب الله . ثم قال بعد هذا: قال بعض العلماء ، هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ . وقيل: أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله تعالى: ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا﴾ [الأحزاب:٤٧] وقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير﴾ (١) ".

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ دليل على أن العفو والصفح على المسيء المسلم من موجبات غفران الذنوب ، والجزاء من جنس العمل ، ولذا لما نزلت قال أبو بكر : بلى والله نحب أن يغفر لنا ربنا ، ورجع للإنفاق في مسطح ، ومفعول أن يغفر الله محذوف للعلم به : أي يغفر لكم ذنوبكم .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ أولى القربى ﴾ أي أصحاب القرابة ، ولفظة أولى اسم جمع لا واحد له من لفظه يعرب إعراب الجمع المذكر السالم . فائدة

في هذه الآية الكريمة ، دليل على أن كبائر الذنوب لا تحبط العمل الصالح ، لأن هجرة مسطح بن أثاثة من عمله الصالح ، وقذفه لعائشة من الكبائر ولم يبطل هجرته لأن الله قال فيه بعد قذفه لها ﴿ والمهاجرين فى سبيل الله ﴾ فدل ذلك على أن هجرته في سبيل الله ، لم يحبطها قذفه لعائشة رضي الله عنها .

---

(١) أضواء البيان ٥/٤٨٨

قال القرطبي في هذه الآية : دليل على أن القذف وإن كان كبيرا لا يحبط الأعمال ، لأن الله تعالى وصف مسطحا بعد قوله بالهجرة والإيمان ، وكذلك سائر الكبائر ، ولا يحبط الأعمال غير الشرك بالله ، قال تعالى : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ ا هـ .

وما ذكر من أن في الآية وصف مسطح بالإيمان لم يظهر من الآية ، وإن كان معلوما .

وقال القرطبي أيضا : قال عبد الله بن المبارك : هذه أرجى آية في كتاب الله . ثم قال بعد هذا : قال بعض العلماء ، هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ . وقيل : أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله تعالى : ﴿ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ﴾ وقد قال تعالى في آية أخرى ﴿ والذين ءامنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ﴾

" فشرح الفضل الكبير في هذه الآية ، وبشر به المؤمنين في تلك . ". (١)

وقال بعض أهل العلم : أرجى آية في كتاب الله عز وجل ، آية الدين : وهي أطول آية في القرآن العظيم ، وقد أوضح الله تبارك وتعالى فيها الطرق الكفيلة بصيانة الدين من الضياع ، ولو كان الدين حقيرا كما يدل عليه قوله تعالى فيها : ﴿ ولا يأب كاتب تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ﴾ الآية ، قالوا : هذا من المحافظة في آية الدين على صيانة مال المسلم ، وعدم ضياعه ، ولو قليلا يدل على العناية التامة بمصالح المسلم ، وذلك يدل على أن اللطيف الخبير لا يضيعه يوم القيامة عند اشتداد الهول ، وشدة حاجته إلى ربه .

قال مقيده عفا الله وغفر له : من أرجى آيات القرآن العظيم قوله تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو ﴾ .

فقد بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن إيراث هذه الأمة لهذا الكتاب ، دليل على أن الله اصطفاها في قوله : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ وبين أنهم ثلاثة أقسام :

الأول : الظالم لنفسه وهو الذي يطيع الله ، ولكنه يعصيه أيضا فهو الذي قال الله فيه ﴿ خلطوا عملا صالحا وءاخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ﴾ .

---

(١) أضواء البيان ٤٨٨/٥

"إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا [٤ \ ١٤٩] وقد بين تعالى في هذا الآية أن العفو مع القدرة من صفاته تعالى ، وكفى بذلك حثا عليه ، وكقوله تعالى : فاصفح الصفح الجميل [١٥ \ ٨٥] وكقوله : ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور [٤٢ \ ٤٣] إلى غير ذلك من الآيات .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ألا تحبون أن يغفر الله لكم دليل على أن العفو والصفح على المسيء المسلم من موجبات غفران الذنوب ، والجزاء من جنس العمل ، ولذا لما نزلت قال أبو بكر : بلى والله نحب أن يغفر لنا ربنا ، ورجع للإنفاق في مسطح ، ومفعول «أن يغفر الله» محذوف للعلم به : أي يغفر لكم ذنوبكم .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : أولي القربى أي : أصحاب القرابة ، ولفظة أولى اسم جمع لا واحد له من لفظه يعرب إعراب الجمع المذكر السالم .

فائدة

في هذه الآية الكريمة دليل على أن كبائر الذنوب لا تحبط العمل الصالح ؛ لأن هجرة مسطح بن أثاثة من عمله الصالح ، وقذفه لعائشة من الكبائر ولم يبطل هجرته ؛ لأن الله قال فيه بعد قذفه لها والمهاجرين في سبيل الله فدل ذلك على أن هجرته في سبيل الله ، لم يحبطها قذفه لعائشة – رضي الله عنها – .

قال القرطبي : في هذه الآية دليل على أن القذف وإن كان كبيرا لا يحبط الأعمال ؛ لأن الله تعالى وصف مسطحا بعد قوله بالهجرة والإيمان ، وكذلك سائر الكبائر ، ولا يحبط الأعمال غير الشرك بالله ، قال تعالى : لئن أشركت ليحبطن عملك [٣٩ \ ٦٥] اهـ .

وما ذكر من أن في الآية وصف مسطح بالإيمان لم يظهر من الآية ، وإن كان معلوما .

وقال القرطبي أيضا : قال عبد الله بن المبارك : هذه أرجى آية في كتاب الله ، ثم قال بعد هذا : قال بعض العلماء ، هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ . وقيل : أرجى آية في كتاب الله – عز وجل – قوله تعالى : وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا [٣٣ \ ٤٧] وقد قال تعالى في آية أخرى والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ." (١)

"وقال القرطبي أيضا: قال عبد الله بن المبارك: هذه أرجى آية في كتاب الله . ثم قال بعد هذا: قال بعض العلماء ، هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ . وقيل: أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله تعالى: ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا﴾ [الأحزاب:٤٧] وقد قال تعالى

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥/٤٨٨

في آية أخرى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير﴾ ." (١)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ١٢ ، ص : ٢٣٨

و المراد بالإسراف هنا : الإسراف في اقتراف المعاصي والسيئات ، والخطاب للمؤمنين المذنبين . وعدى الفعل « أسرفوا » بعلى ، لتضمنه معنى الجناية ، أى جنوا على أنفسهم .

والقنوط : اليأس ، وفعله من بابى ضرب وتعب . يقال : فلان قانط من الحصول على هذا الشيء ، أى يائس من ذلك ولا أمل له في تحقيق ما يريده .

والمعنى : قل – أيها الرسول الكريم – لعبادي المؤمنين الذين جنوا على أنفسهم بارتكابهم للمعاصي ، قل لهم : لا تيأسوا من رحمة الله – تعالى – ومن مغفرته لكم .

وجملة « إن الله يغفر الذنوب جميعا » تعليلية . أى : لا تيأسوا من رحمة الله – تعالى – لأنه هو الذي تفضل بمحو الذنوب جميعها . لمن يشاء من عباده المؤمنين العصاة .

إنه – سبحانه – هو الغفور الرحيم أى : هو الواسع المغفرة والرحمة لمن يشاء من عباده المؤمنين ، فهم إن تابوا من ذنوبهم قبل – سبحانه – توبتهم كما وعد تفضلا منه وكرما ، وإن ماتوا دون أن يتوبوا ، فهم تحت رحمته ومشيئته ، إن شاء غفر لهم ، وإن شاء عذبهم ، ثم أدخلهم الجنة بفضله وكرمه .

أما غير المؤمنين ، فإنهم إن تابوا من كفرهم ودخلوا في الإسلام ، غفر – سبحانه – ما كان منهم قبل الإسلام لأن الإسلام يجب ما قبله .

وإن ماتوا على كفرهم فلن يغفر الله – تعالى – لهم ، لقوله : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

قال الإمام الشوكانى : واعلم أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله ، لاشتمالها على أعظم بشارة ، فإنه أولا : أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم ، ومزيد تبشيرهم . ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي . . ثم عقب على ذلك بالنهى عن القنوط من الرحمة . . ثم جاء بما لا يبقى بعده شك ولا يتخالج القلب عند سماعه ظن فقال : إن الله يغفر الذنوب . .

فالألف واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أفراده ، فهو في قوة إن الله يغفر كل ذنب كائنا ما كان ، إلا ما أخرجه النص القرآنى وهو الشرك .

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢٣٧/٢٧

ثم لم يكتف بما أخبر به عباده من مغفرة كل ذنب ، بل أكد ذلك بقوله جميعا فيا لها من بشارة ترتاح لها النفوس . . وما أحسن تعليل هذا الكلام بقوله : إنه هو الغفور الرحيم . . « ١ » .

وقال الجمل في حاشيته ما ملخصه : وفي هذه الآية من أنواع المعاني والبيان أشياء حسنة ،

---

(١) راجع تفسير فتح القدير للشوكانى ج ٤ ص ٤٧٠ . ." (١)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ١٢ ، ص : ٢٣٩

منها إقباله عليهم ، ونداؤهم ، ومنها : إضافتهم إليه إضافة تشريف ، ومنها : الالتفات من التكلم إلى الغيبة ، في قوله : من رحمة الله ، ومنها : إضافة الرحمة لأجل أسمائه الحسنى ، ومنها : إعادة الظاهر بلفظه في قوله : إن الله يغفر ومنها : إبراز الجملة من قوله : إنه هو الغفور الرحيم مؤكدة بإن ، والفصل ، وبإعادة الصفتين اللتين تضمنتهما الجملة السابقة .

وقال عبد الله بن مسعود وغيره : هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى « ١ » .

وبعد أن فتح - سبحانه - لعباده باب رحمته فتحا واسعا كريما . . أتبع ذلك بحضهم على التوبة والإنابة إليه ، حتى يزيدهم من فضله وإحسانه فقال : وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون .

أى قل لهم - أيها الرسول الكريم - لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ، وارجعوا إليه بالتوبة والإنابة ، وأخلصوا له العبادة ، من قبل أن ينزل بكم العذاب الذي لا تستطيعون دفعه ثم لا تجدون من ينجيكم منه .

فأنت ترى أن الآية الأولى بعد أن فتحت للعصاة باب رحمة الله على مصراعيه ، جاءت الآية الثانية فحثتهم على التوبة الصادقة النصوح ، حتى تكون رحمة الله - تعالى - بهم أكمل وأتم وأوسع ، فإن التوبة النصوح سبب في تحويل السيئات إلى حسنات .

كما قال - تعالى - : إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما « ٢ » .

ثم أمرهم باتباع أوامر القرآن الكريم ونواهيه فقال : واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم .

أى : واتبعوا هذا القرآن الكريم ، الذي هو أحسن ما أنزله - سبحانه - إليكم ، بسبب ما اشتمل عليه من هدايات سامية ، ومن تشريعات حكيمة . ومن آداب قويمة .

فإن اتباع ما اشتمل عليه هذا القرآن من توجيهات . يؤدى إلى السعادة في الدنيا والآخرة .

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٢٣٨/١٢

وقوله : من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون متعلق بالأمر بالاتباع ، وإرشاد إلى وجوب الامتثال بدون تأخير أو تسويف . ـــــــــــــــــــ

(١) حاشية الجمل على الجلالين ج ٣ ص ٦٠٥ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٧٠ . ." (١)

"قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: و ما ترجم به الطبري عندي مردود ، و ما أدخل تحت الترجمة متأول ، فأما قول ابن عباس: هي أرجى آية فمن حيث فيها الإدلال على الله تعالى و سؤال الإحياء في الدنيا ، و ليست مظنة ذلك ، و يجوز أن يقول: هي أرجى آية لقوله ، أ و لم تؤمن ؟ أي إن الإيمان كاف لا يحتاج بعده إلى تنقير و بحث ، و أما قول عطاء بن أبي رباح: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فمعناه من حب المعاينة ، و ذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به ، و لهذا قال النبي عليه السلام: «ليس الخبر كالمعاينة» ، و أما قول النبي عليه السلام نحن أحق بالشك من إبراهيم فمعناه: أنه لو كان شك لكنا نحن أحق به و نحن لا نشك ، فإبراهيم عليه السلام أحرى أن لا يشك ، فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم . و الذي روي فيه عن النبي عليه السلام أنه قال: ذلك محض المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ١ ، ص: ٣٥٣ ." (٢)

"الإفك و قال فيه مسطح ما قال حلف أبو بكر ألا ينفق عليه و لا ينفعه بنافعة أبدا ، فجاءه مسطح فاعتذر و قال إنما كنت أغشى مجلس حسان فأسمع و لا أقول ، فقال له أبو بكر لقد ضحكت و شاركت فيما قيل و مر على يمينه ، فنزلت الآية ، و قال الضحاك و ابن عباس إن جماعة من المؤمنين قطعوا منافعهم عن كل من قال في الإفك و قالوا و الله لا نصل من تكلم في شأن عائشة فنزلت الآية في جميعهم و الأول أصح ، غير أن الآية تتناول الأمة إلى يوم القيامة بأن لا يغتاظ «ذو فضل و سعة» فيحلف أن لا ينفع من هذه صفته غابر الدهر ، و رأى الفقهاء من حلف ألا يفعل سنة من السنن أو مندوبا و أبد ذلك أنها جرحة في شهادته ذكره الباجي في المنتقى ، و منه قول النبي صلى الله عليه و سلم «أيكم المتألي على الله لا يفعل المعروف» ، و يأتل معناه يحلف وزنها يفتعل من الألية و هي اليمين ، و قالت فرقة معناه يقصر من قولك ألوت في كذا إذا قصرت فيه ، و منه قوله تعالى: لا يألونكم خبالا ، و قرأ أبو جعفر بن القعقاع و زيد بن أسلم «و لا يتأل» و هذا وزنه يتفعل من الألية بلا خلاف و هي في المصحف ياء تاء لام ، فلذلك ساغ هذا الخلاف لأبي جعفر و زيد فروياه ، و ذكر الطبري أن خط المصحف مع قراءة الجمهور فظاهر قوله إن ثم ألفا قبل التاء ، و «الفضل و السعة» هنا هي المال ، و قوله تعالى: أ لا تحبون الآية تمثيل و حجة أي كما تحبون عفو الله لكم عن ذنوبكم فذلك

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٢٣٩/١٢

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٠٤/٢

أغفر لمن دونكم و ينظر إلى هذا المعنى قول النبي عليه السلام «من لا يرحم لا يرحم» فروي أن أبا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال إني لأحب أن يغفر الله لي و رجع إلى مسطح النفقة و الإحسان الذي كان يجري عليه ، قالت عائشة و كفر عن يمينه ، و قرأ ابن مسعود و سفيان بن حسين «و لتعفوا و لتصفحوا» بالتاء من فوق فيهما ، و رويت عن النبي صلى الله عليه و سلم ، و قال بعض الناس هذه أرجى آية في كتاب الله عز و جل من حيث ." (١)

"قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم (٥٣) و أنيبوا إلى ربكم و أسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون (٥٤) و اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة و أنتم لا تشعرون (٥٥)

هذه الآية عامة في جميع الناس إلى يوم القيامة في كافر و مؤمن ، أي إن توبة الكافر تمحو ذنوبه ، و توبة العاصي تمحو ذنبه . و اختلف هل يكون في المشيئة أو هو مغفور له و لا بد ؟ فقالت فرقة من أهل السنة: هو مغفور له و لا بد ، و هذا مقتضى ظواهر القرآن . و قالت فرقة: التائب في المشيئة ، لكن يغلب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ٤ ، ص: ٥٣٧

الرجاء في ناحيته ، و العاصي في المشيئة ، لكن يغلب الخوف في ناحيته .

و اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية ، فقال عطاء بن يسار: نزلت في وحشي قاتل حمزة .

و قال قتادة و السدي و ابن أبي إسحاق: نزلت في قوم بمكة آمنوا و لم يهاجروا و فتنهم قريش فافتتنوا ، ثم ندموا و ظنوا أنهم لا توبة لهم فنزلت الآية فيهم ، منهم الوليد بن الوليد ، و هشام بن العاصي ، و هذا قول عمر بن الخطاب و أنه كتبها بيده إلى هشام بن العاصي الحديث . و قالت فرقة: نزلت في قوم كفار من أهل الجاهلية ، قالوا:

و ما ينفعنا الإسلام و نحن قد زنينا و قتلنا الناس و أتينا كل كبيرة فنزلت الآية فيهم . و قال علي بن أبي طالب و ابن مسعود و ابن عمر: هذه أرجى آية في القرآن . و روى ثوبان عن النبي صلى الله عليه و سلم: أنه قال: ما أحب أن لي الدنيا بما فيها بهذه الآية ، يا عبادي و: أسرفوا معناه: أفرطوا و تعدوا الطور . و القنط: أعظم اليأس . ." (٢)

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٤/٣

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢٧١/٤

"و قرأ أبي بن كعب «ساعة من النهار» . و قرأ جمهور القراء و الناس: «بلاغ» و ذلك يحتمل معاني ، أحدها: أن يكون خبر ابتداء ، المعنى: هذا بلاغ ، و تكون الإشارة بهذا إلى القرآن و الشرع ، أي هذا إنذار و تبليغ ، و إما إلى المدة التي تكون كساعة كأنه قال: لم يلبثوا إلا ساعة كانت بلاغهم ، و هذا كما تقول: متاع قليل و نحوه من المعنى . و الثاني: أن يكون ابتداء و الخبر محذوف . و الثالث: ما قاله أبو مجلز المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ٥ ، ص: ١٠٨

فإنه كان يقف على قوله: و لا تستعجل و يقول: «بلاغ» ابتداء و خبره متقدم في قوله: لهم و قدح الناس في هذا القول بكثيرة الحائل . و قرأ الحسن بن أبي الحسن ، و عيسى: «بلاغا» ، و هي قراءة تحتمل المعنيين اللذين في قراءة الرفع ، و ليس يدخلها قول أبي مجلز و نصبها بفعل مضمر . و قرأ أبو مجلز و أبو سراج الهذلي: «بلغ» ، على الأمر . و قرأ الحسن بن أبي الحسن: «بلاغ» بالخفض نعتا ل نهار .

و قرأ جمهور الناس:

«فهل يهلك» على بناء الفعل للمفعول . و قرأ بعضهم فيما حكى هارون: «فهل يهلك» ببناء الفعل للفاعل و كسر اللام ، و حكاها أبو عمرو عن الحسن و ابن محيصن: «يهلك» بفتح الياء و اللام . قال أبو الفتح: و هي مرغوب عنها . و روى زيد بن ثابت عن النبي عليه السلام: «فهل يهلك» بضم الياء و كسر اللام «إلا القوم الفاسقين» بالنصب .

و في هذه الألفاظ وعيد محض و إنذار بين ، و ذلك أن الله تعالى جعل الحسنة بعشر أمثالها و السيئة بمثلها ، و أمر بالطاعة و وعد عليها بالجنة ، و نهى عن الكفر و أوعد عليه بالنار ، فلن يهلك على الله إلا هالك كما قال صلى الله عليه و سلم . قال الثعلبي: يقال إن قوله: فهل يهلك إلا القوم الفاسقون أرجى آية في كتاب الله تعالى للمؤمنين . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج ٥ ، ص: ١٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة محمد ." (١)

المسألة الرابعة : قوله ﴿ فبما كسبت أيديكم ﴾ يقتضي إضافة الكسب إلى اليد ، قال والكسب لا يكون باليد ، بل بالقدرة القائمة باليد ، وإذا كان المراد من لفظ اليد هاهنا القدرة ، وكان هذا المجاز مشهورا مستعملا كان لفظ اليد الوارد في حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها لله تعالى عن الأعضاء والأجزاء ، والله أعلم .

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/١٧

ثم قال تعالى : ﴿ ويعفوا عن كثير ﴾ ومعناه أنه تعالى قد يترك الكثير من هذه التشديدات بفضله ورحمته ، وعن الحسن قال : دخلنا على عمران بن حصين في الوجع الشديد ، فقيل له : إنا لنغتم لك من بعض ما نرى ، فقال لا تفعلوا فوالله إن أحبه إلى الله أحبه إلي ، وقرأ ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ فهذا بما كسبت يداي / وسيأتيني عفو ربي ، وقد روى أبو سخلة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال : (ما عفى الله عنه فهو أعز وأكرم من أن يعود إليه في الآخرة ، وما عاقب عليه في الدنيا فالله أكرم من أن يعيد العذاب عليه في الآخرة) رواه الواحدي في (البسيط) ، وقال إذا كان كذلك فهذه أرجى آية في كتاب الله لأن الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين : صنف كفره عنهم بالمصائب في الدنيا ، وصنف عفا عنه في الدنيا ، وهو كريم لا يرجع في عفوه ، وهذه سنة الله مع المؤمنين ، وأما الكافر فلأنه لا يعجل عليه عقوبة ذنبه حتى يوافي ربه يوم القيامة .

ثم قال تعالى : ﴿ وما أنتم بمعجزين فى الارض ﴾ يقول ما أنتم معشر المشركين بمعجزين في الأرض ، أي لا تعجزونني حيثما كنتم ، فلا تسبقونني بسبب هربكم في الأرض ﴿ وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ﴾ والمراد بهم من يعبد الأصنام ، بين أنه لا فائدة فيها ألبتة ، والنصير هو الله تعالى ، فلا جرم هو الذي تحسن عباداته .

! ٧ (١) ٧ ﴾ (٢) <

(٣) ".

السؤال الأول : لم لم يقل : يعطيكم مع أن هذه السعادات حصلت للمؤمنين أيضا ؟ الجواب : لوجوه : أحدها : أنه المقصود وهم أتباع وثانيها : أني إذا أكرمت أصحابك فذاك في الحقيقة إكرام لك ، لأني أعلم أنك بلغت في الشفقة عليهم إلى حيث تفرح بإكرامهم فوق / ما تفرح بإكرام نفسك ، ومن ذلك حيث تقول الأنبياء : نفسي نفسي ، أي أبدأ بجزائي وثوابي قبل أمتي ، لأن طاعتي كانت قبل طاعة أمتي ، وأنت تقول

(١) ﴿ ومن ءاياته الجوار فى البحر كالا علام * إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن فى ذلك لايات لكل صبار شكور * أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير * ويعلم الذين يجادلون فىءاياتنا ما لهم من محيص * فمآ أوتيتم من شىء فمتاع الحيواة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين ءامنوا وعلى ربهم يتوكلون * والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون * والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلواة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * والذين إذآ أصابهم البغى هم ينتصرون ﴾ .

(٢) الشورى : (٣٢) ومن آياته الجوار . . . . .

(٣) التفسير الكبير ٢٧/١٤٩

: أمتي أمتي ، أي أبدأ بهم ، فإن سروري أن أراهم فائزين بثوابهم وثالثها : أنك عاملتني معاملة حسنة ، فإنهم حين شجوا وجهك ، قلت : (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) وحين شغلوك يوم الخندق عن الصلاة ، قلت : (اللهم املأ بطونهم نارا) فتحملت الشجة الحاصلة في وجه جسدك ، وما تحملت الشجة الحاصلة في وجه دينك ، فإن وجه الدين هو الصلاة ، فرجحت حقي على حقك ، لا جرم فضلتك ، فقلت من ترك الصلاة سنين ، أو حبس غيره عن الصلاة سنين لا أكفره ، ومن آذى شعرة من شعراتك ، أو جزء من نعلك أكفره .

السؤال الثاني : ما الفائدة في قوله : ﴿ ولسوف ﴾ ولم لم يقل : وسيعطيك ربك ؟ الجواب : فيه فوائد إحداها : أنه يدل على أنه ما قرب أجله ، بل يعيش بعد ذلك زمانا وثانيها : أن المشركين لما قالوا : ودعه ربه وقلاه فالله تعالى رد عليهم بعين تلك اللفظة ، فقال : ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ (الضحى : ٣) ثم قال المشركون : سوف يموت محمد ، فرد الله عليهم ذلك بهذه اللفظة فقال : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ .

السؤال الثالث : كيف يقول الله : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ ؟ الجواب : هذه السورة من أولها إلى آخرها كلام جبريل عليه السلام معه ، لأنه كان شديد الاشتياق إليه وإلى كلامه كما ذكرنا ، فأراد الله تعالى أن يكون هو المخاطب له بهذه البشارات .

"المسألة الثالثة : احتج أهل التناسخ بهذه الآية ، وكذلك الذين يقولون إن الأطفال البهائم لا تتألم ، فقالوا دلت الآية على أن حصول المصائب لا يكون إلا لسابقة الجرم ، ثم إن أهل التناسخ قالوا : لكن هذه المصائب حاصلة للأطفال والبهائم ، فوجب أن يكون قد حصل لها ذنوب في الزمان السابق ، وأما القائلون بأن الأطفال والبهائم ليس لها ألم قالوا قد ثبت أن هذه الأطفال والبهائم ما كانت موجودة في بدن آخر لفساد القول بالتناسخ فوجب القطع بأنها لا تتألم إذ الألم مصيبة والجواب : أن قوله تعالى : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ خطاب مع من يفهم ويعقل ، فلا يدخل فيه البهائم والأطفال ، ولم يقل تعالى : إن جميع ما يصيب الحيوان من المكاره فإنه بسبب ذنب سابق ، والله أعلم .

المسألة الرابعة : قوله ﴿ فبما كسبت أيديكم ﴾ يقتضي إضافة الكسب إلى اليد ، قال والكسب لا يكون باليد ، بل بالقدرة القائمة باليد ، وإذا كان المراد من لفظ اليد هاهنا القدرة ، وكان هذا المجاز مشهورا مستعملا كان لفظ اليد الوارد في حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها لله تعالى عن الأعضاء والأجزاء ، والله أعلم .

ثم قال تعالى : ﴿ ويعفوا عن كثير ﴾ ومعناه أنه تعالى قد يترك الكثير من هذه التشديدات بفضله ورحمته ، وعن الحسن قال : دخلنا على عمران بن حصين في الوجع الشديد ، فقيل له : إنا لنغتم لك من بعض ما نرى

، فقال لا تفعلوا فوالله إن أحبه إلى الله أحبه إلي ، وقرأ ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ فهذا بما كسبت يداي ، وسيأتيني عفو ربي ، وقد روى أبو سخلة عن علي بن أبي طالب B أن النبي A قرأ هذه الآية وقال : " ما عفى الله عنه فهو أعز وأكرم من أن يعود إليه في الآخرة ، وما عاقب عليه في الدنيا فالله أكرم من أن يعيد العذاب عليه في الآخرة " رواه الواحدي في «البسيط» ، وقال إذا كان كذلك فهذه أرجى آية في كتاب الله لأن الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين : صنف كفره عنهم بالمصائب في الدنيا ، وصنف عفا عنه في الدنيا ، وهو كريم لا يرجع في عفوه ، وهذه سنة الله مع المؤمنين ، وأما الكافر فلأنه لا يعجل عليه عقوبة ذنبه حتى يوافي ربه يوم القيامة .

ثم قال تعالى : ﴿ وما أنتم بمعجزين فى الأرض ﴾ يقول ما أنتم معشر المشركين بمعجزين في الأرض ، أي لا تعجزونني حيثما كنتم ، فلا تسبقونني بسبب هربكم في الأرض ﴿ وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ﴾ والمراد بهم من يعبد الأصنام ، بين أنه لا فائدة فيها ألبتة ، والنصير هو الله تعالى ، فلا جرم هو الذي تحسن عبادته . . ". (١)

"٤- طلب المشركين إنزال العقوبة لفرط إنكارهم وتكذيبهم نوع من الطيش والحماقة ، وكفاهم الاعتبار بعقوبات أمثالهم المكذبين ، فالمثلات أي العقوبات كثيرة . وقد تبين من هذه الآية : أن عذاب الاستئصال لا ينزل بهم إلا بالإصرار على الكفر والمعاصي .

٥- حكم سبحانه بتأخير العقوبة عن هذه الأمة إلى يوم القيامة .

٦- إن الله تعالى لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا ، وعن المذنبين إذا تابوا ، وقد يعفو تعالى عن صاحب الكبيرة قبل التوبة في رأي أهل السنة ، لأن قوله تعالى على ظلمهم أي حال اشتغالهم بالظلم ، وحال الاشتغال بالظلم لا يكون المرء فيها تائبا .

قال ابن عباس : أرجى آية في كتاب الله تعالى : وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم .

٧- وإن الله أيضا شديد العقاب للكافرين إذا أصروا على الكفر .

ج ١٣ ، ص : ١١٧

٨- ليست مهمة النبي صلى الله عليه وسلم تلبية طلبات المشركين واقتراحاتهم ، إنما مهمته الإنذار ، أي التعليم ، فهو منذر لقومه مبين لهم ، ولكل قوم من قبله هاد ومنذر وداع .

٩- لكل قوم هاد ، أي نبي يدعوهم إلى الله . وقيل : الهادي الله أي عليك الإنذار ، والله هادي كل قوم إن

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب - الرازي ١٣/٤٣٩

أراد هدايتهم .

١٠- اجتمع من المشركين كما تحكي هذه الآية ثلاثة طعون : وهي أنهم طعنوا في نبوته بسبب طعنهم في الحشر والنشر ، ثم طعنوا في نبوته بسبب طعنهم في صحة ما ينذرهم به من نزول عذاب الاستئصال ، ثم طعنوا في نبوته بأن طلبوا منه المعجزة والبينة .

وسبب كل هذه الطعون : أنهم أنكروا كون القرآن من جنس المعجزات ، وقالوا : هذا كتاب مثل سائر الكتب . والإتيان بكتاب معين ، لا يكون معجزا البتة ، وإنما المعجز ما يكون مثل معجزات موسى وعيسى عليهما السلام ، كفلق البحر بالعصا ، وقلب العصا ثعبانا . ." (١)

"و منه حفر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخندق حول المدينة تحصينا للمسلمين وأموالهم ، مع كونه من التوكل والثقة بربه بمحل لم يبلغه أحد . ثم كان من أصحابه ما لا يجهله أحد من تحولهم عن منازلهم ، مرة إلى الحبشة ، ومرة إلى المدينة ، تخوفا على أنفسهم من مشركي مكة ، وهربا بدينهم أن يفتنوهم عنه بتعذيبهم .

قال العلماء : فالمخبر عن نفسه بخلاف ما طبع الله نفوس بني آدم عليه كاذب ، وقد طبعهم على الهرب مما يضرها ويؤلمها أو يتلفها .

٧- العصمة للأنبياء من الله تعالى وحده ، لذا قال لموسى وهارون : إنني معكما أسمع وأرى أي إنه معهما بالنصر والمعونة والقدرة على فرعون . والسماع والبصر : عبارة عن الإدراك الذي لا تخفى معه خافية .

والآية دليل كما تقدم على العلم الإلهي ، وعلى كونه تعالى سميعا وبصيرا .

٨- كان أول مطلب موسى وهارون من فرعون إطلاق سراح بني إسرائيل من الأسر ، وإنقاذهم من السخرة والتعب في العمل لأن بني إسرائيل كانوا عند فرعون في عذاب شديد ، يذبح أبناءهم ، ويستخدم نساءهم ، ويكلفهم من العمل في الطين واللبن وبناء المدائن ما لا يطيقونه .

ج ١٦ ، ص : ٢٢٠

٩- كان خطاب موسى وهارون في غاية اللطف واستعمال المنطق ، فقالا له : قد جئناك بآية دالة على نبوتنا ورسالتنا إليك ، ومن اتبع الهدى سلم من سخط الله عز وجل وعذابه ، وليس هذا بتحية ، بدليل أنه ليس بابتداء لقاء ولا خطاب .

وأضافا أيضا في كلامهما : إنا قد أوحي إلينا أن العذاب أي الهلاك والدمار في الدنيا ، والخلود في جهنم في الآخرة على من كذب أنبياء الله ، وتولى ، أي أعرض عن الإيمان . قال ابن عباس : هذه أرجى آية للموحدين

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ١١٥/١٣

لأنهم لم يكذبوا ولم يتولوا .

– ٦– الحوار بين فرعون وموسى حول الربوبية [سورة طه (٢٠) : الآيات ٤٩ الى ٥٥] ." (١)

"أ لا تحبون أن يغفر الله لكم أي كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم ، و

قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني عن جرير : « من لا يرحم لا يرحم » .

١٦– في هذه الآية دليل على أن القذف وإن كان معصية كبيرة لا يحبط الأعمال لأن الله تعالى وصف مسطحا بعد قوله بالهجرة والإيمان وكذلك سائر الكبائر ولا يحبط الأعمال غير الشرك بالله ، قال الله تعالى : لئن أشركت ليحبطن عملك [الزمر ٣٩/ ٦٥] .

١٧– من حلف على شيء ألا يفعله ، فرأى أن فعله أولى من تركه ، أتاه وكفر عن يمينه .

١٨– قال بعض العلماء : هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى ، من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ .

١٩– دلت هذه الآية على أن أبا بكر أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله وصفه بصفات عجيبة في هذه الآية ، دالة على علو شأنه في الدين ، أورد الرازي أربع عشرة صفة مستنبطة من هذه الآية : ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة منها أنه وصفه بأنه صاحب الفضل على الإطلاق من غير تقييد لذلك بشخص دون شخص ، والفضل يدخل فيه الإفضال ، وذلك يدل على أنه

ج ١٨ ، ص : ١٩١

رضي الله عنه ، كما كان فاضلا على الإطلاق كان مفضلا على الإطلاق . ومنها أنه لما وصفه تعالى بأنه أولوا الفضل والسعة بالجمع لا بالواحد وبالعموم لا الخصوص ، على سبيل المدح ، وجب أن يقال : إنه كان خاليا عن المعصية « ١ » .

٢٠– قال بعض أهل التحقيق : إن يوسف عليه السلام لما رمي بالفاحشة برأه الله على لسان صبي في المهد ، وإن مريم لما رميت بالفاحشة برأها الله على لسان ابنها عيسى صلوات الله عليه ، وإن عائشة لما رميت بالفاحشة برأها الله تعالى بالقرآن فما رضي لها ببراءة صبي ولا نبي حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان « ٢ » . ". (٢)

"و قال الشوكاني : وهذه الآية أرجى آية في كتاب الله ، لاشتمالها على أعظم بشارة ، فإنه أولا أضاف العباد إلى نفسه ، لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم ، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي والاستكثار من الذنوب ، ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب ، فالنهي عن القنوط للمذنبين غير

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٢٢٥/١٦

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ١٩٢/١٨

المسرفين من باب الأولى وبفحوى الخطاب ، ثم جاء بما لا يبقى بعده شك :

إن الله يغفر الذنوب . . .

وتقييد المغفرة بالتوبة والإنابة وإخلاص العمل مأخوذ من الآية التالية :

وأنيبوا إلى ربكم . . الآية ومن الأحاديث المتقدمة في سبب النزول ، فباب الرحمة واسع ، كما قال تعالى : ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده [التوبة ٩/ ١٠٤] وقال سبحانه : ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ، ثم يستغفر الله ، يجد الله غفورا رحيما

[النساء ٤/ ١١٠] .

أخرج الطبراني عن سنيد بن شكل قال : سمعت ابن مسعود يقول : إن أعظم آية في كتاب الله : الله لا إله إلا هو الحي القيوم [البقرة ٢/ ٢٥٥ وآل عمران ٣/ ٢] . وإن أجمع آية في القرآن بخير وشر : إن الله يأمر بالعدل والإحسان [النحل ١٦/ ٩٠] . وإن أكثر آية في القرآن فرجا في سورة الغرف (أي الزمر) : قل : يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله .

---

(١) تفسير ابن كثير : ٤/ ٥٨

ج ٢٤ ، ص : ٣٩

و إن أشد آية في كتاب الله تفويضا : ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب [الطلاق ٦٥/ ٢- ٣] فقال له مسروق :

صدقت « ١ » . ." (١)

"و العقوبة عن الذنب في الدنيا كفارة له في الآخرة ، وهذا في حق المؤمنين ، فأما الكافر فعقوبته مؤخرة إلى الآخرة .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن آية : وما أصابكم . . . : هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل . وإذا كان يكفر عني بالمصائب ، ويعفو عن كثير ، فما يبقى بعد كفارته وعفوه ؟ !

٦- إن قدرة الله عامة شاملة لكل شيء ، ومهيمنة على كل شيء ، فلن يستطيع الكفار والمشركون أن يعجزوه أو يفوتوه هربا من سلطانه ، ولن يجدوا لهم في الآخرة وليا يتولى أمورهم ، ويتعهد مصالحهم ، ولا نصيرا يدفع عنهم عذاب الله وانتقامه ، فهم في الدنيا والآخرة في قبضة القدرة الإلهية .

ج ٢٥ ، ص : ٧٧

٧- من آيات الله تعالى أيضا على قدرته ، ونعمته على العباد ، هذه السفن السائرة في عرض البحر على

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ٣٥/٢٤

سطح الماء عند هبوب الرياح ، أو ما حل محلها من الطاقة الدافعة لمحركاتها ، مما صنعه الإنسان بإلهام الله وتعليمه والتمكن من اكتشافه ، وشأن الأجسام الثقيلة الكثيفة الغرق في الماء ، لكنه تعالى جعل للماء قوة لحمل السفن ومنع الغوص ، ثم جعل الرياح سببا لسيرها ، فإذا أراد أن ترسو أسكن الريح .
والله قادر على جعل الرياح ساكنة هادئة ، فتبقى السفن سواكن على ظهر البحر ، وقادر على تعطيل آلاتها وإيقاف محركاتها بأيسر الأشياء ، وهو قادر أيضا على جعل الرياح عواصف فيوبق السفن ، أي يغرق ركابها بذنوبهم ، ويعفو عن كثير من أهلها فلا يغرقهم معها ، وحينئذ يعلم الكفار إذا توسطوا البحر وغشيتهم الرياح من كل مكان أو بقيت السفن رواكد أنه لا ملجأ لهم سوى الله تعالى ، ولا دافع لهم إن أراد الله إهلاكهم فيخلصون له العبادة . ." (١)

"البحر المديد ، ج ٥ ، ص : ٢٢٠
يقول الحق جل جلاله : وما أصابكم من مصيبة غم ، أو ألم ، أو مكروه فبما «١» كسبت أيديكم أي : بجناية كسبتموها ، عقوبة لكم . ومن قرأ بالفاء ف «ما» شرطية . ومن قرأ بغيرها فموصلة . وتعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ ، ومعناه عندهم : أن أرواح المتقدمين حين تموت أشباحها تنتقل إلى أشباح أخر ، فإن كانت صالحة انتقلت إلى جسم صالح وإن كانت خبيثة انتقلت إلى جسم خبيث ، وهو باطل وكفر . ووجه التعلق : أنه لو لم يكن للأطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا . ويجاب : بأن تألم الأطفال إما زيارة فى درجات آبائهم إن عاشوا ، أو فى درجاتهم إن ماتوا لأنهم يلحقون بآبائهم فى الدرجة ، ولا عمل لهم إلا هذا التألم . والله أعلم .
والآية مخصوصة بالمكلفين بدليل السياق ، وهو قوله : ويعفوا عن كثير أي : من الذنوب فلا يعاقب عليها ، أو : عن كثير من الناس ، فلا يعاجلهم بالعقوبة . وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : «والله أكرم من أن يثنى عليكم العقوبة فى الآخرة ، وما عفا عنه فالله أحلم من أن يعود فيه بعد عفوه» «٢» وقال ابن عطاء : من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه ، وأن ما عفا عنه مولاه أكثر ، كان قليل النظر فى إحسان ربه إليه . وقال محمد بن حامد : العبد ملازم للجنايات فى كل أوان ، وجناياته فى طاعته أكثر من جناياته فى معاصيه لأن جناية المعصية من وجه ، وجناية الطاعة من وجوه ، والله يطهر العبد من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله فى القيامة ، ولو لا عفوه ورحمته لهلك فى أول خطوة .
وعن على - كرم الله وجهه - : هذه أرجى آية للمؤمنين فى القرآن لأن الكريم إذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا ، وإذا عفا لا يعود . هـ . وقد تقدم حديثا . قال فى الحاشية الفاسية : قلت : وإنما يعفو فى الدنيا عما يشاء ، ويؤخر عقوبة من شاء إلى الآخرة ، فلا يلزم إبطال وعيد الآخرة . ثم الآية إما خاصة بالحدود ، أو بالمجرم

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ٧٦/٢٥

المذنب ، وأما من لا ذنب له فما يصيبه من البلاء اجتباء وتخصيص ، لا تمحيص . هـ .
قلت : لكل مقام ذنب ، حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فالتمحيص جار فى كل مقام ، وراجع ما تقدم عند قوله : لقد تاب الله على النبي . . . «٣» وسيأتى عند قوله : واستغفر لذنبك . . «٤» ما يبين هذا .
والله أعلم

---

(١) قرأ نافع ، وابن عامر ، وأبو جعفر (بما) بغير فاء ، على جعل (ما) فى ما أصابكم موصولة ، مبتدأ ، و(بما كسبت) خبر ، وعلى جعلها شرطية ، تكون الفاء محذوفة ، نحو قوله تعالى : وإن أطعتموهم إنكم . . . - الآية ١٢١ من سورة الأنعام . وقرأ الباقون (فبما كسبت) . ف (ما) شرطية ، أي : فهى بما كسبت ، أو موصولة ، والفاء تدخل فى حيز الموصول إذا أجرى مجرى الشرط . انظر :
الحجة للفارسى ، (٦/ ١٢٩) والإتحاف (٢/ ٤٥٠) .
(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند (١/ ٨٥) والحاكم (٤/ ٣٨٨) وزاد السيوطي عزوه فى الدر المنثور (٥/ ٧٠٥) لابن راهويه ، وابن منيع ، وعبد بن حميد ، والحكيم الترمذي ، وأبى يعلى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، عن سيدنا على - كرم الله وجهه - .
(٣) من الآية ١١٧ من سورة التوبة .
(٤) من الآية ١٩ من سورة سيدنا محمد . ." (١)

"البحر المديد ، ج ٥ ، ص : ٣٦١

الإشارة : تفكر الاعتبار يكون فى أربعة ، الأول : فى سرعة ذهاب الدنيا وانقراضها ، كأضغاث أحلام ، وكيف غرت من انتشب بها ، وأخذته فى شبكتها ، حتى قدم على الله بلا زاد ، وكيف دمر الله على أهل الطغيان ، واستأصل شأفتهم ، فينتج ذلك التشمير والتأهب ليوم الجزاء . الثاني : فى دوام دار البقاء ، ودوام نعيمها ، فينتهز الفرصة فى العمل الصالح . الثالث : فى النعم التي أنعم الله بها على عباده ، الدنيوية والأخروية ، الحسية والمعنوية ، قال تعالى : وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها «١» فينتج ذلك الشكر ، لتدوم عليه .
الرابع : فى نصب هذه العوالم ، على ما هى عليه من الإبداع والإتقان ، فيثمر ذلك معرفة الصانع ، وباهر قدرته وحكمته .

وقوله تعالى : ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا . . . إلخ ، قال القشيري : المولى : المحب ، فهو محب الذين آمنوا ، والكافرين لا يحبهم ، ويصح أن يقال : أرجى آية فى القرآن هذه الآية ، لم يقل مولى الزهاد والعباد وأصحاب الأوراد والاجتهاد بل قال : مولى الذين آمنوا ، والمؤمن وإن كان عاصيا فهو من جملتهم . هـ -

---

(١) البحر المديد ـ نسخة محققة ٥/٢٢٠

والمحبة تتفاوت بقدر زيادة الإيمان والإيقان حتى يصير محبوبا مقربا .
قوله تعالى : والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ، وكذلك الغافل ، فالأنعام تأكل بلا تمييز ، من أي موضع وجدت ، كذلك الجاهل ، لا تمييز له من الحلال أو من الحرام ، والأنعام ليس لها وقت لأكلها ، بل تأكل فى كل وقت ، وكذلك الغافل والكافر . فقد ورد «أن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، والمؤمن يجتزئ بما تيسر» «٢» ، كما فى الخبر : «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن» «٣» . والأنعام تأكل على الغفلة ، فمن كان فى أكله ناسيا لربه ، فأكله كأكل الأنعام . انظر القشيري .
ولما أمرهم بالنظر فلم يفعلوا ، هددهم بالهلاك ، فقال :
[سورة محمد (٤٧) : الآيات ١٣ الى ١٤]
وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم (١٣) أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم (١٤)

---

(١) من الآية ٣٤ من سورة إبراهيم .
(٢) ورد بلفظ «إن المؤمن يأكل فى معى واحد ، وإن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء» ، الحديث أخرجه البخاري فى (الأطعمة ، باب المؤمن يأكل فى معى واحد ، ح ٥٣٩٣) ومسلم فى (الأشربة باب المؤمن يأكل فى معى واحد رقم ٢٠٦١ ، ح ١٨٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنه .
(٣) بعض حديث أخرجه الترمذي فى (الزهد ، باب ما جاء فى كراهية كثرة الأكل ، ح ٢٣٨٠) وقال : «حديث صحيح» وابن ماجه فى (الأطعمة ، باب الاقتصاد فى الأكل وكراهة الشبع ، ح ٣٣٤٩) والنسائى فى الكبرى (آداب الأكل ، باب ذكر القدر الذي يستحب للإنسان من الأكل ح ٦٧٦٨) والحاكم (٤/ ١٢١) «وصححه الذهبي» من حديث مقدام بن معدى كرب . ." (١)

"تفسير الوسيط (الزحيلي) ، ج ٣ ، ص : ٢٤٢٨

و مفعول الاستعجال محذوف : وهو العذاب ، معناه : لا تستعجل لهم عذابا ، فإنهم إليه صائرون .
كأن الكافرين حين يشاهدون الوعيد المحقق بالعذاب ، لم يمكثوا في الدنيا إلا قدر ساعة من الساعات ، لاحتقارهم ذلك ، ولما يشاهدونه من الأهوال العظام ، كما جاء في آية أخرى : قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين (١١٢) قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فسئل العادين (١١٣) [المؤمنون : ٢٣/ ١١٢- ١١٣] . وآية : كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها (٤٦) [النازعات : ٧٩/ ٤٦] وهذا القرآن العظيم الذي يتم الوعظ به : تبليغ كاف ، يقطع حجة الكافرين ، والبلاغ : بمعنى التبليغ ، فالقرآن بلاغ ، كما قال تعالى :

---

(١) البحر المديد ـ نسخة محققة ٣٦١/٥

هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب (٥٢) [إبراهيم : ١٤/ ٥٢] . وقال سبحانه :

إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين (١٠٦) [الأنبياء : ٢١/ ١٠٦] .

ولا يهلك الله بعذابه إلا القوم الفسقة الخارجين عن الطاعة ، المنغمسين في المعصية ، وهذا من عدل الله تعالى ألا يعذب أحدا إلا بذنب . وفي هذه الآية وعيد عظيم وإنذار بين ، لأن الله تعالى جعل الحسنة بعشر أمثالها ، والسيئة بمثلها ، وأمر بالطاعة ووعد عليها بالجنة ، ونهى عن الكفر وأوعد عليه بالنار ،

قال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم والدارمي وأحمد : «لا يهلك على الله إلا هالك» .

قال الثعلبي : يقال إن قوله تعالى : فهل يهلك إلا القوم الفاسقون أرجى آية في كتاب الله تعالى للمؤمنين . ." (١)

"فإذا كان الشخص فعلا متصفا بصفة الأمانة فالأمين لا يمكن أبدا أن يخون إلا أن يشاء الله ، لكن الذي يحصل أنك تضع ثقتك في غير موضعها ، ولكن اؤتمن غير أمين فخان ، فهذا هو الواقع الذي يحصل ، فالله سبحانه وتعالى كما ترون قد أنزل أطول آية في القرآن -وهي آية الدين السابقة- لأجل حفظ مال المسلم في جنيهات معدودة ، فبين كيف تحفظ له ؛ ولذلك يعتبرون هذه الآية من آيات الرجاء ، وهناك بحث لطيف يذكره بعض العلماء وهو مبحث بعنوان: ما هي أرجى آية في القرآن ؟ وفي المقابل أيضا ما هي أخوف آية في القرآن ؟ فبعض العلماء ذهب إلى أن أرجى آية في القرآن لأهل المعاصي والكبائر من الموحدين هي هذه الآية آية الدين ، ووجه ذلك أن هذه الآية تبين كيف أن الله سبحانه وتعالى يرعى ويحفظ ويشرع من التشريعات ما يضمن حق المسلم ويراعي شئونه حتى في أشياء دقيقة ، فأنزل أطول آية في القرآن لحفظ مال يسير من الدريهمات أو الجنيهات ، وإذا كان كذلك فلا شك أن عناية الله سبحانه وتعالى بعبده المؤمن في عرصات القيامة وفي أهوالها يرجى أن تكون أعظم ، وأن تكون رحمته أوسع ، فهذا هو وجهها . بعض الناس يستحيي في هذا المقام من كتابة الدين ، وهذا غير صحيح ؛ لأن الاستيثاق بالكتابة أو بالإشهاد ليس معناه أنك تخونه أو أنك لم تثق به ، لكن هذا يكون لاعتبارات كثيرة ، منها: أنك يمكن أن تموت أنت أو يموت هو وبالتالي ينتقل لورثته الحق ، وورثته إذا قالوا: أين ما يثبت أنه كان لك دين على الميت ؟ فلا شك أن التوثيق يثبت الدين ويحسم الخلاف ويضبط حقوق الناس . والأمر الآخر: أن بعض الناس قد ينسى ، فبعض الناس يكون حريصا في قلبه على أن يوثق الدين ، لكنه يستحي وهذا الاستحياء لا يسمى استحياء لكنه عجز ، وهو لا يدخل في الحياء المحمود وإنما هو عجز . ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم - وذكر من هؤلاء الثلاثة- رجل أدان دينا فلم يشهد عليه) أي: أقرض رجل رجلا ." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط . الزحيلي ٢٤٢٨/٣

(٢) تعليق المقدم على تفسير الجلالين للقرآن الكريم ٣٨/٢

"وهذه الآية الكريمة وهي قول الله تبارك وتعالى: سنفرغ لكم أيها الثقلان ، من الآيات التي رشحها بعض العلماء بأنها أخوف آية في القرآن الكريم ، يعني: كما أن هناك بحثا معروفا في علوم التفسير وعلوم القرآن في أرجى آية ، هناك بحث آخر في أخوف آية ، وقد تكلمنا على الآيات المحتملة لهذا مرات كثيرة ، أما أخوف آية فما أظن أننا فصلنا فيها ، وإن كان الوقت لا يحتمل التفصيل لكن سنشير إشارة عابرة إلى هذا البحث ، فما هي أخوف آية للعصاة في القرآن الكريم ؟ قيل: هذه الآية: سنفرغ لكم أيها الثقلان ، فإنها تهديد بالحساب ، وقيل: أخوف آية قول الله تبارك وتعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون * واتقوا النار التي أعدت للكافرين [آل عمران:١٣٠-١٣١] . قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: هذه الآية أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه . يقول الغماري : فالعجب من ضعف العلماء الذين يتحايلون لإباحة صور من الربا بعد سماعهم للآية الكريمة ، يا ويلهم من الله سبحانه وتعالى . وفي سورة الزمر آية مثل هذه في الشدة إن لم تكن أشد منها وهي قوله تبارك وتعالى: وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون)[الزمر:٤٧] ، قال الزمخشري : وعيد لهم -يعني: وعيد للذين ظلموا- لا كنه لفظاعته وشناعته ، يقول: وهو نظير قوله تعالى في الوعد: فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين [السجدة:١٧] ، هذا في الوعد والثواب ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) ، أما هذه فقيل: إنها في الوعيد بنفس الدرجة على الجهة الأخرى ، وبدا لهم من الله ما لم يكونوا ." (١)

"وهي أوضح دليل على صحة عطف الإنشاء على الخبر إذ لا يتأتى فيها تأويل مما تأوله المانعون لعطف الإنشاء على الخبر وهم الجمهور والزمخشري والتفتزاني مما سنذكره إن شاء الله عند قوله تعالى: ﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله﴾ إلى قوله: ﴿وبشر المؤمنين﴾ في سورة الصف [١١- ١٣] ، فالجملة المعطوف عليها إخبار عن النبيء صلى الله عليه وسلم بأنه أرسله متلبسا بتلك الصفات الخمسة . وهذا أمر له بالعمل بصفة المبشر ، فلاختلاف مضمون الجملتين عطفت هذه على الأولى .

والفضل: العطاء الذي يزيده المعطي زيادة على العطية . فالفضل كناية عن العطية أيضا لأنه لا يكون فضلا إلا إذا كان زائدا على العطية . والمراد أن لهم ثواب أعمالهم الموعود بها وزيادة من عند ربهم قال تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس: ٢٦] .

ووصف ﴿كبيرا﴾ مستعار للفائق في نوعه . قال ابن عطية: قال لي أبي رضي الله عنه١: هذه أرجى آية عندي

---

(١) تعليق المقدم على تفسير الجلالين للقرآن الكريم ٩/٢٤٠

في كتاب الله لان الله قد أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلا كبيرا . وقد بين الله تعالى الفضل الكبير ما هو في قوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير﴾ [الشورى: ٢٢] فالآية التي في هذه السورة خبر والآية التي في حم عسق تفسير لها ا هـ .

[٤٨] ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا﴾

جاء في مقابلة قوله: ﴿وبشر المؤمنين﴾ [الأحزاب: ٤٧] بقوله: ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ تحذيرا له من موافقتهم فيما يسألون منه وتأيدا لفعله معهم حين استأذنه المنافقون في الرجوع عن الأحزاب فلم يأذن لهم فنهي عن الإصغاء إلى ما يرغبونه فيترك ما احل له من التزوج ، أو فيعطي الكافرين من الأحزاب ثمر النخل صلحا أو نحو ذلك والنهي مستعمل في معنى الدوام على الانتهاء .

وعلم من مقابلة أمر التبشير للمؤمنين بالنهي عن طاعة الكافرين والمنافقين أن الكافرين والمنافقين هم متعلق الإنذار من قوله: ﴿ونذيرا﴾ [الأحزاب: ٤٥] لأن وصف

–

١ هو أبو بكر بن غالب بن عطية القيسي الغرناطي المالكي مفتي غرناطة ، توفي بها سنة ٥١٨ . ." (١)

" اختلف الناس في هذا السؤال هل صدر من إبراهيم عن شك أم لا ؟ فقال الجمهور : لم يكن إبراهيم عليه السلام شاكا في إحياء الله الموتى قط وإنما طلب المعاينة وذلك أن النفوس مستشرقة إلى رؤية ما أخبرت به ولهذا قال عليه السلام :

[ليس الخبر كالمعاينة] رواه ابن عباس لم يروه غيره قاله أبو عمر قال الأخفش : لم يرد رؤية القلب وإنما اراد رؤية العين وقال الحسن و قتادة و سعيد بن جبير و الربيع : سأل ليزداد يقينا إلى يقينه قال ابن عطية : وترجم الطبري في تفسيره فقال : وقال آخرون سأل ذلك ربه لأنه شك في قدرة الله تعالى وأدخل تحت الترجمة عن ابن عباس قال : ما في القرآن آية أرجى عندي منها وذكر عن عطاء بن ابي رباح أنه قال : دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال : رب أرني كيف تحيي الموتى وذكر حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :

[نحن أحق بالشك من إبراهيم] الحديث ثم رجح الطبري هذا القول

قلت : حديث أبي هريرة خرجه البخاري و مسلم عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :

[نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي] قال ابن عطية : وما ترجم به الطبري عندي مردود وما أدخل تحت الترجمة متأول فأما قول ابن عباس : هي أرجى

(١) التحرير والتنوير ٢١/٢٨٤

آية فمن حيث فيها الإدلال على الله تعالى وسؤال الإحياء في الدنيا وليست مظنة ذلك ويجوز أن يقول : هي أرجى آية لقوله أولم تؤمن أي إن الإيمان كاف لا يحتاج معه إلى تنقير وبحث وأما قول عطاء : دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فمعناه من حيث المعاينة على ما تقدم وأما قول النبي صلى الله عليه و سلم : [نحن أحق بالشك من إبراهيم] فمعناه أنه لو كان شاكا لكنا نحن أحق به ونحن لا نشك فإبراهيم عليه السلام أحرى ألا يشك فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم والذي روي فيه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال :

[ذلك محض الإيمان] إنما هو في الخواطر التي لا تثبت وأما الشك فهو توقف بين أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر وذلك هو المنفي عن الخليل عليه السلام وإحياء الموتى إنما يثبت بالسمع وقد كان إبراهيم عليه السلام أعلم به يدلك على ذلك قوله ﴿ ربي الذي يحيي ويميت ﴾ فالشك يبعد على من تثبت قدمه في الإيمان فقط فكيف بمرتبة النبوة والخلة والأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعا وإذا تأملت سؤاله عليه السلام وسائر ألفاظ الآية لم تعط شكا وذلك أن الاستفهام بكيف إنما هو سؤاله عن حالة شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسؤول ونحو قولك : كيف علم زيد ؟ وكيف نسج الثوب ؟ ونحو هذا ومتى قلت : كيف ثوبك ؟ وكيف زيد ؟ فإنما السؤال عن حال من أحواله وقد تكون كيف خبرا عن شيء شأنه أن يستفهم عنه بكيف نحو قولك كيف شئت فكن ونحو قول البخاري : كيف كان بدء الوحي و كيف في هذه الآية إنما هي استفهام عن هيئة الإحياء والإحياء متقرر ولكن لما وجدنا بعض المنكرين لوجود شيء قد يعبرون عن إنكاره بالاستفهام عن حالة لذلك الشيء يعلم أنها لا تصح فيلزم من ذلك أن الشيء في نفسه لا يصح مثال ذلك أن يقول مدع : أنا أرفع هذا الجبل فيقول المكذب له : أرني كيف ترفعه ! فهذه طريقة مجاز في العبارة ومعناها تسليم جدلي كأنه يقول : افرض أنك ترفعه فأرني كيف ترفعه ! فلما كانت عبارة الخليل عليه السلام بهذا الاشتراك المجازي خلص الله له ذلك وحمله على أن بين له الحقيقة فقال له : ﴿ أولم تؤمن قال بلى ﴾ فكمل الأمر وتخلص من كل شك ثم علل عليه السلام سؤاله بالطمأنينة

قلت : هذا ما ذكره ابن عطية وهو بالغ ولا يجوز على الأنبياء صلوات الله عليهم مثل هذا الشك فإنه كفر والأنبياء متفقون على الإيمان بالبعث وقد أخبر الله تعالى أن أنبياءه وأولياءه ليس للشيطان عليهم سبيل فقال : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ وقال اللعين : إلا عبادك منهم المخلصين وإذا لم يكن له عليهم سلطنة فكيف يشككهم وإنما سأل أن يشاهد كيفية جمع أجزاء الموتى بعد تفريقها وإيصال الأعصاب والجلود بعد تمزيقها فأراد أن يترقى من علم اليقين إلى علم اليقين فقوله : أرني كيف طلب مشاهدة الكيفية وقال بعض أهل المعاني : إنما أراد إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي القلوب وهذا فاسد مردود بما تعقبه من البيان ذكره الماوردي وليست الألف في قوله : أولم تؤمن ألف استفهام وإنما هي ألف إيجاب وتقرير كما قال جرير :

(ألستم خير من ركب المطايا)

والواو واو الحال و تؤمن معناه إيمانا مطلقا دخل فيه فضل إحياء الموتى

﴿ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ أي سألتك ليطمئن قلبي بحصول الفرق بين المعلوم برهانا والمعلوم عيانا

والطمأنينة : اعتدال وسكون فطمأنينة الأعضاء معروفة كما قال عليه السلام :

[ثم اركع حتى تطمئن راكعا] الحديث وطمأنينة القلب هي أن يسكن فكره في الشيء المعتقد والفكر في صورة الإحياء غير محظور كما لنا نحن اليوم أن نفكر فيها إذ هي فكر فيها عبر فأراد الخليل أن يعاين فيذهب فكره في صورة الإحياء وقال الطبري : معنى ليطمئن قلبي ليوقن وحكي نحو ذلك عن سعيد بن جبير وحكي عنه ليزداد يقينا وقاله إبراهيم و قتادة وقال بعضهم : لأزداد إيمانا مع إيماني قال ابن عطية : ولا زيادة في هذا المعنى تمكن إلا السكون عن الفكر وإلا فاليقين لا يتبعض وقال السدي و ابن جبير ايضا : أولم تؤمن بأنك خليلي ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي بالخلة وقيل : دعا أن يريه كيف يحيي الموتى ليعلم هل تستجاب دعوته فال الله له : أولم تؤمن أجيب دعاءك قال : بلى ولكن ليطئمن قلبي أنك تجيب دعائي

واختلف في المحرك له على ذلك فقيل : إن الله وعده أن يتخذه خليلا فأراد آية على ذلك قاله السائب بن يزيد وقيل : قول النمروذ : أنا أحيي وأميت وقال الحسن : رأى جيفة نصفها في البر توزعها السباع ونصفها في البحر توزعها دواب البحر فلما رأى تفرقها أحب أن يرى انضمامها فسأله ليطمئن قلبه برؤية كيفية الجمع كما رأى كيفية التفريق فقيل له : ﴿ خذ أربعة من الطير ﴾ قيل : هي الديك والطاووس والحمام والغراب ذكر ذلك ابن إسحاق عن بعض أهل العلم وقاله مجاهد و ابن جريج و عطاء بن يسار واين زيد وقال ابن عباس مكان الغراب الكركي وعنه أيضا مكان الحمام النسر فأخذ هذه الطير حسب ما أمر وذكاها ثم قطعها قطعا صغارا وخلط لحوم البعض إلى لحوم البعض مع الدم والريش حتى يكون أعجب ثم جعل من ذلك المجموع المختلط جزءا على كل جبل ووقف هو من حيث يرى تلك الأجزاء وأمسك رؤوس الطير في يده ثم قال : تعالين بإذن الله فتطايرت تلك الأجزاء وطار الدم إلى الدم والريش إلى الريش حتى التأمت مثل ما كانت أولا وبقيت بلا رؤوس ثم كرر النداء فجاءته سعيا أي عدوا على أرجلهن ولا يقال للطائر : سعى إذا طار إلا على التمثيل قاله النحاس وكان إبراهيم إذا أشار إلى واحد منها بغير رأسه تباعد الطائر وإذا أشار إليه برأسه قرب حتى لقي كل طائر رأسه وطارت بإذن الله وقال الزجاج : المعنى ثم اجعل على كل جبل من كل واحد جزءا وقرأ أبو بكر عن عاصم وأبو جعفر جزؤا على فعل وعن أبي جعفر أيضا جزا مشددة الزاي الباقون مهموز مخفف وهي لغات ومعناه النصيب ﴿ سعيا واعلم ﴾ نصب على الحال و صرهن معناه قطعهن قاله ابن عباس و مجاهد و أبو عبيدة و ابن الأنباري يقال : صار الشيء يصوره أي قطعة وقاله ابن إسحاق وعن ابي الأسود الدؤلي : هو بالسريانية التقطيع قال توبة بن الحمير يصفه :

(فلما جذبت الحبل أطت نسوعه . . . بأطراف عيدان شديد سيورها)

(فأدنت لي الأسباب حتى بلغتها . . . بنهضي وقد كاد ارتقائي يصورها)

أي يقطعها والصور : القطع وقال الضحاك و عكرمة وابن عباس في بعض ما روي عنه : إنها لفظة بالنبطية معناه قطعهن وقيل : المعنى أملهن إليك أي اضممهن واجمعهن إليك يقال : رجل أصور إذا كان مائل العنق وتقول : إني إليكم لأصور يعني مشتاقا مائلا وامرأة صوراء والجمع صور مثل اسود وسود قال الشاعر :

(الله يعلم أنا في تلفتنا . . . يوم الفراق إلى جيراننا صور)

فقوله ﴿ إليك ﴾ على تأويل التقطيع متعلق بـ خذ ولا حاجة إلى مضمر وعلى تأويل الإمالة والضم متعلق بـ صرهن وفي الكلام متروك : فأملهن إليك ثم قطعهن وفيها خمس قراءات : ثنتان في السبع وهما ضم الصاد وكسرها وتخفيف الراء وقرأ قوم فصرهن بضم الصاد وشد الراء المفتوحة كأنه يقول فشدهن ومنه صرة الدنانير وقرأ قوم فصرهن بكسر الصاد وشد الراء المفتوحة ومعناه صيحهن ومن قولك : صر الباب والقلم إذا صوت حكاه النقاش قال ابن جني : هي قراءة غريبة وذلك أن يفعل بكسر العين في المضاعف المتعدي قليل وإنما بابه يفعل بضم العين كشد يشد ونحوه لكن قد جاء منه نم الحديث ينمه وينمه وهر الحرب يهرها ويهرها ومنه بيت الأعشى

(ليعتورنك القول حتى تهره)

إلى غير ذلك في حروف قليلة قال ابن جني : وأما قراءة عكرمة بضم الصاد فيحتمل في الرأء الضم والفتح والكسر كمد وشد والوجه ضم الراء من أجل ضمة الهاء من بعد

القراءة الخامسة صرهن بفتح الصاد وشد الراء مكسورة حكاها المهدوي وغيره عن عكرمة بمعنى فاحبسهن من قولهم : صرى يصري إذا حبس ومنه الشاة المصراة وهنا اعتراض ذكره الماوردي وهو يقال : فكيف أجيب ابراهيم إلى آيات الآخرة دون موسى في قوله : ﴿ رب أرني أنظر إليك ﴾ ؟ فعنه جوابان : أحدهما أن ما سأله موسى لا يصح مع بقاء التكليف وما سأله إبرايهم خاص يصح معه بقاء التكليف الثاني أن الأحوال تختلف فيكون الأصلح في بعض الأوقات الإجابة وفي وقت آخر المنع فيما لم يتقدم فيه إذن وقال ابن عباس : أمر الله تعالى إبراهيم بهذا قبل أن يولد له وقبل أن ينزل عليه الصحف والله أعلم ." (١)

" قوله تعالى : ﴿ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة ﴾ أي لفرط إنكارهم وتكذيبهم يطلبون العذاب قيل هو قولهم : ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ﴾ (الأنفال : ٣٢) قال قتادة : طلبوا العقوبة قبل العافية وقد حكم سبحانه بتأخير العقوبة عن هذه الأمة إلى يوم القيامة وقيل : (قبل الحسنة) أي قبل الإيمان الذي يرجى به الأمان والحسنات و ﴿ المثلات ﴾ العقوبات الواحدة مثلة وروي عن الأعمش أنه قرأ (المثلات) بضم الميم وإسكان الثاء وهذا جمع مثلة ويجوز (المثلات) تبدل من الضمة

---

(١) تفسير القرطبي ٢٨٢/٣

فتحة لثقلها وقيل : يؤتى بالفتحة عوضا من الهاء وروي عن الأعمش أنه قرأ (المثلات) بفتح الميم وإسكان الثاء فهذا جمع مثلة ثم حذف الضمة لثقلها ذكره جميعه النحاس رحمه الله وعلى قراءة الجماعة واحدة مثلة نحو صدقة وصدقة وتميم تضم الثاء والميم جميعا واحدها على لغتهم مثلة بضم الميم وجزم الثاء مثل : غرفة وغرفات والفعل منه مثلت به أمثل مثلا بفتح الميم وسكون الثاء ﴿ وإن ربك لذو مغفرة ﴾ أي لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا وعن المذنبين إذا تابوا وقال ابن عباس : أرجى آية في كتاب الله تعالى ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ﴾ إذا أصروا على الكفر وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : [لما نزلت : ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لولا عفو الله روحمته وتجاوزه لما هنأ أحدا عيش ولولا عقابه ووعيده وعذابه لاتكل كل أحد] ." (١)

" ﴿ إنا قد أوحي إلينا أن العذاب ﴾ يعني الهلاك والدمار في الدنيا والخلود في جهنم في الآخرة ﴿ على من كذب ﴾ أنبياء الله ﴿ وتولى ﴾ أعرض عن الإيمان وقال ابن عباس : هذه أرجى آية للموحدين لأنهم لم يكذبوا ولم يتولوا ." (٢)

" الحادية والعشرون : قوله تعالى : ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة ﴾ الآية المشهور من الروايات أن هذه الآية نزلت في قصة أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه ومسطح بن أثاثة وذلك أنه كان ابن بنت خالته وكان من المهاجرين البدريين المساكين وهو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف وقيل : اسمه عوف ومسطح لقب وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه لمسكنته وقرابته فلما وقع أمر الإفك وقال فيه مسطح ما قال حلف أبو بكر ألا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة أبدا فجاء مسطح فاعتذر وقال : إنما كنت أغشى مجالس حسان فأسمع ولا أقول فقال له أبو بكر : لقد ضحكت وشاركت فيما قيل ومر على يمينه فنزلت الآية وقال الضحاك وابن عباس : إن جماعة من المؤمنين قطعوا منافعهم عن كل من قال في الإفك وقالوا : والله لا نصل من تكلم في شأن عائشة فنزلت الآية في جميعهم والأول أصح غير أن الآية تتناول الأمة إلى يوم القيامة بألا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ألا ينفع من هذه صفته غابر الدهر روى الصحيح أن الله تبارك وتعالى لما أنزل ﴿ إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم ﴾ العشر آيات قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره : والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة فأنزل الله تعالى ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة ﴾ – إلى قوله – ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ قال عبد الله بن المبارك : هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى فقال أبوبكر : والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال : لا أنزعها منه أبدا

---

(١) تفسير القرطبي ٢٤٢/٩

(٢) تفسير القرطبي ١٨٥/١١

الثانية والعشرون : في هذه الآية دليل على أن القذف وإن كان كبيرا لا يحبط الأعمال لأن الله تعالى وصف مسطحا بعد قوله بالهجرة والإيمان وكذلك سائر الكبائر ولا يحبط الأعمال غير الشرك بالله قال الله تعالى : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ [الزمر : ٦٥]

الثالثة والعشرون : من حلف على شيء لا يفعله فرأى فعله أولى منه أتاه وكفر عن يمينه أو كفر عن يمينه وأتاه كما تقدم في (المائدة) ورأى الفقهاء أن من حلف ألا يفعل سنة من السنن أو مندوبا وأبد ذلك أنها جرحة في شهادته ذكره الباجي في المنتقى

الرابعة والعشرون : قوله تعالى : ﴿ ولا يأتل أولو الفضل ﴾ ﴿ ولا يأتل ﴾ معناه يحلف وزنها يفتعل من الألية وهي اليمين ومنه قوله تعالى : ﴿ للذين يؤلون من نسائهم ﴾ [البقرة : ٢٢٦] وقد تقدم في (البقرة) وقالت فرقة : معناه يقصر من قولك : ألوت في كذا إذا قصرت فيه ومنه قوله تعالى : ﴿ لا يألونكم خبالا ﴾ [آل عمران : ١١٨]

الخامسة والعشرون : قوله تعالى : ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ تمثيل وحجة أي كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم وينظر إلى هذا المعنى قوله عليه السلام :

[من لا يرحم لا يرحم]

السابعة والعشرون : قوله تعالى : ﴿ أن يؤتوا ﴾ أي لا يؤتوا فحذف ﴿ لا ﴾ كقول القائل :

(فقلت يمين الله أبرح قاعدا) ذكره الزجاج وعلى قول أبي عبيدة لا حاجة إلى إضمار ﴿ لا ﴾ ﴿

" ﴿ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا * ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ﴾

قوله تعالى : ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ الواو عاطفة جملة على جملة والمعنى منقطع من الذي قبله أمره تعالى أن يبشر المؤمنين بالفضل الكبير من الله تعالى وعلى قول الزجاج : ذا سراج منير أو وتاليا سراجا منيرا يكون معطوفا على الكاف لا في أرسلناك قال ابن عطية : قال لنا أبي رضي الله عنه : هذه من أرجى آية عندي في كتاب الله تعالى لأن الله عز و جل قد أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلا كبيرا وقد بين تعالى الفضل الكبير في قوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ﴾ (الشورى : ٢٢) فالآية التي في هذه السورة خبر والتي في حم عسق تفسير لها ﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ أي لا تطعهم فيما يشيرون عليك من المداهنة في الدين ولا تمالئهم الكافرين : أبي سفيان وعكرمة وأبي الأعور السلمي ؟ قالوا : يا محمد لا تذكر الهتنا بسوء نتبعك والمنافقين : عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد وطعمة بن أبيرق حثوا النبي صلى الله عليه و سلم على إجابتهم بتعلة المصلحة ﴿ ودع أذاهم ﴾ أي دع أن تؤذيهم مجازاة على إذايتهم إياك فأمره تبارك وتعالى بترك معاقبتهم والصفح عن زللهم فالمصدر على هذا

مضاف إلى المفعول ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين وناسخه آية السيف وفيه معنى ثان : أي أعرض عن أقوالهم وما يؤذونك ولا تشتغل به فالمصدر على هذا التأويل مضاف إلى الفاعل وهذا تأويل مجاهد والآية منسوخة باية السيف ﴿ وتوكل على الله ﴾ أمره بالتوكل عليه وآنسه بقوله : ﴿ وكفى بالله وكيلا ﴾ وفي قوة الكلام وعد بنصر والوكيل : الحافظ القائم على الأمر ." (١)

" قوله تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ وإن شئت حذفت الياء لأن النداء موضع حذف النحاس : ومن أجل ما روي فيه ما رواه محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال : لما اجتمعنا على الهجرة اتعدت أنا وهشام بن العصي بن وائل السهمي عياش بن أبي ربيعة بن عتبة فقلنا : الموعد أضاة بني غفار وقلنا : من تأخر منا فقد حبس فليسض صاحبه فأصبحت أنا وعياش بن عتبة وحبس عنا هشام وإذا به قد فتن فافتتن فكنا نقول بالمدينه : هؤلاء قد عرفوا الله عز و جل وآمنوا برسوله صلى الله عليه و سلم ثم افتتنوا لبلاء لحقهم لانرى لهم توبة وكانوا هم أيضا يقولون هذا في أنفسهم فأنزل الله عز و جل نفي كتابه : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ [الزمر : ٦٠] قال عمر : فكتبتها بيدي ثم بعثتها إلى هشام قال هشام : فما قدمت علي خرجت بها إلى ذي طوى فقلت : اللهم فهمنيها فعرفت أنها نزلت فينا فرجعت فجلست على بعيري فلحقت برسول الله صلى الله عليه و سلم وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس فقال : كان قوم من المشركين قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فقالوا للنبي صلى الله عليه و سلم أو بعثوا إليه : إن ما تدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لنا توبة ؟ فأنزل الله عز و جل هذه الآية ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾ ذكره البخاري بمعناه وقد مضى في آخر (الفرقان) وعن ابن عباس أيضا نزلت في أهل مكة قالوا :

يزعم محمد أن من عبد الأوثان وقبل النفس التي حرم الله لم يغفر له وكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله إلها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله ! فأنزل الله هذه الآية وقيل : إنها نزلت في قوم من المسلمين أسرفوا على أنفسهم في العبادة وخافوا ألا يتقبل منهم لذنوب سبقت لهم في الجاهلية وقال ابن عباس أيضا وعطاء : نزلت في وحشي قاتل حمزة لأنه ظن أن الله لايقبل إسلامه : وروى ابن جريج عن عطاء عن بان عباس قال : أتى وحشي إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال : يا محمد أتيتك مستجبرا فأخرني حتى أسمع كلام الله فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم [قد كنت أحب أن أراك على غير جوار فأما إذا أتيتني مستجيرا فأنت في جواري حتى تسمع كلام الله] فإني أشركت بالله وقتلت النفس التي حرم الله وزنيت هل يقبل الله مني توبة فصمت رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى نزلت ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾ [الفرقان : ٦٨] إلى آخر الآية فتلاها عليه فقال أرى شرطا فلعلي لا أعمل صالحا أنا في

---

(١) تفسير القرطبي ١٧٩/١٤

جوارك حتى أسمع كلام الله فنزلت ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء : ٤٨] فدعا به فتلا عليه قال : فلعلي ممن لا يشاء أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله فنزلت : ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ﴾ فقال : نعم الآن لا أرى شرطا فأسلم وروى حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء : أنها سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقرأ : [قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم] وفي مصحف ابن مسعود ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ لمن يشاء قال أبو جعفر النحاس : وهاتان القراءتان على التفسير أي يغفر الله لمن يشاء وقد عرف الله عز و جل من شاء أن يغفر له وهو التائب أو من عمل صغيرة ولم تكن له كبيرة ودل على أنه يريد التائب ما بعده (وأنيبوا إلى ربكم) فالتائب مغفور له ذنوبه جميعا يدل على ذلك ﴿ وإني لغفار لمن تاب ﴾ [طه : ٨٢] فهذا لا إشكال فيه وقال علي بن أبي طالب : ما في القرآن آية أوسع من هذه الآية ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ وقد مضى هذا في (سبحان) وقال عبد الله بن عمر : وهذه أرجى آية في القرآن فرد عليهم ابن عباس وقال أرجى آية في القرآن قوله تعالى : ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ [الرعد : ٦] وقد مضى في (الرعد) وقرئ (ولا تقنطوا) بكسر النون وفتحها وقد مضى في (الحجر) بيانه ." (١)

" قوله تعالى : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ قرأ نافع و ابن عامر (بما كسبت) بغير فاء الباقون (فبما) بالفاء واختاره أبو عبيد و أبو عبيد للزيادة في الحرف والأجر قال المهدوي : إن قدرت أن (ما) الموصولة جاز حذف الفاء وإثباتها والإثبات أحسن وإن قدرتها التي للشرط لم يجز الحذف عند سيبويه وأجاز الأخفش واحتج بقوله تعالى ﴿ وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ [الأنعام : ١٢١] والمصيبة هنا الحدود على المعاصي قاله الحسن وقال الضحاك : ما تعلم رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب قال الله تعالى : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ ثم قال : وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن ذكره ابن المبارك عن عبد العزيز بن أبي رواد قال أبو عبيد : إنما هذا على الترك فأما الذي هو دائب في تلاوته حريص على حفظه إلا أن النسيان يغلبه فليس من ذلك في شيء ومما يحقق ذلك أن النبي صلى الله عليه و سلم كان ينسى الشيء من القرآن حتى يذكره من ذلك حديث عائشة [عن النبي صلى الله عليه و سلم : سمع قراءة رجل في المسجد فقال : ما له رحمه الله ! لقد أذكرني آيات كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا] وقيل : (ما) بمعنى الذي والمعنى الذي أصابكم فيما مضى بما كسبت أيديكم وقال علي رضي الله عنه : هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز و جل وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه ! وقد روى هذا المعنى مرفوعا عنه رضي الله عنه قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها النبي

---

(١) تفسير القرطبي ٢٣٤/١٥

صلى الله عليه و سلم ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ الآية : (يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكر من أن يثنى عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعاقب به بعد عفوه) وقال الحسن : لما نزلت هذه الآية [قال النبي صلى الله عليه و سلم : ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب ولما يعفو الله عنه أكثر] وقال الحسن : دخلنا على عمران بن حصين فقال رجل : لا بد أن أسألك عما أرى بك من الوجع فقال عمران : يا أخي لا تفعل ! فوالله إني لأحب الوجع ومن أحبه كان أحب الناس إلى الله قال الله تعالى : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ فهذا مما كسبت يدي وعفو ربي عما بقي أكثر وقال مرة الهمداني : رأيت على ظهر كف شريح قرحة فقلت : يا أبا أمية ما هذا ؟ قال : هذا بما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقال ابن عون : إن محمد بن سيرين لما ركبه الدين اغتم لذلك فقال : إني لأعرف هذا الغم هذا بذنب أصبته منذ أربعين سنة وقال أحمد بن أبي الحواري : قيل ل أبي سليمان الداراني : ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم ؟ فقال : لأنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم قال الله تعالى : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾ وقال عكرمة : ما من نكبة أصابت عبدا فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفره له إلا بها أو لينال درجة لم يكن يوصله إليها إلا بها وروي أن رجلا قال لموسى : يا موسى سل الله لي في حاجة يقضيها لي هو أعلم بها ففعل موسى فلما نزل إذ هو بالرجل قد مزق السبع لحمه وقتله فقال موسى : ما بال هذا يا رب ؟ فقال الله تبارك وتعالى له : يا موسى إنه سألني درجة علمت أنه لم يبلغها بعمله فأصبته بما ترى لأجعلها وسيلة له في نيل تلك الدرجة فكان أبو سليمان الداراني إذا ذكر هذا الحديث يقول : سبحان من كان قادرا على أن ينيله تلك الدرجة بلا بلوى ! ولكنه يفعل ما يشاء

قلت : ونظير هذه الآية في المعنى قوله تعالى : ﴿ من يعمل سوءا يجز به ﴾ [النساء : ١٢٣] وقد مضى القول فيه قال علماؤنا : وهذا في حق المؤمنين فأما الكافر فعقوبته مؤخرة إلى الآخرة وقيل : هذا خطاب للكفار وكان إذا أصابهم شر قالوا : هذا بشؤم محمد فرد عليهم وقال بل ذلك بشؤم كفركم والأول أكثر وأظهر وأشهر وقال ثابت البناني : إنه كان يقال ساعات الأذى يذهبن ساعات الخطايا ثم فيها قولان : أحدهما أنها خاصة في البالغين أن تكون عقوبة لهم وفي الأطفال أن تكون مثوبة لهم الثاني : أنها عقوبة عامة للبالغين في أنفسهم والأطفال في غيرهم من والد ووالدة ﴿ ويعفو عن كثير ﴾ أي عن كثير من المعاصي ألا يكون عليها حدود وهو مقتضى قول الحسن وقيل : أي يعفو عن كثير من العصاة ألا يعجل عليهم بالعقوبة ." (١)

[قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (يشفعني الله في امتي حتى يقول الله سبحانه لي : رضيت يا محمد ؟ فأقول يارب رضيت)] وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص :

---

(١) تفسير القرطبي ٢٨/١٦

[أن النبي صلى الله عليه و سلم تلا قول الله تعالى في إبراهيم : ﴿ فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾ [إبراهيم : ٣٦] وقول عيسى : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك ﴾ [المائدة : ١١٨] فرفع يديه وقال : (اللهم أمتي أمتي) وبكى فقال الله تعالى لجبريل : (اذهب إلى محمد – فقل له : إن الله يقول لك : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك)] وقال علي رضي الله عنه لأهل العراق : إنكم تقولون إن أرجي آية في كتاب الله تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ [الزمر : ٥٣] قالوا : إنا نقول ذلك قال : ولكنا أهل البيت نقول : إن أرجى آية في كتاب الله قوله تعالى : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ [وفي الحديث

لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه و سلم : إذا والله لا أرضى وواحد من أمتي في النار)]

"عطف على جملة ﴿ إنا أرسلناك ﴾ [الأحزاب : ٤٥] عطف الإنشاء على الخبر لا محالة وهي أوضح دليل على صحة عطف الإنشاء على الخبر إذ لا يتأتى فيها تأويل مما تأوله المانعون لعطف الإنشاء على الخبر وهم الجمهور والزمخشري والتفتزاني مما سنذكره إن شاء الله عند قوله تعالى : ﴿ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله ﴾ إلى قوله : وبشر المؤمنين في سورة الصف (١١ ١٣) ، فالجملة المعطوف عليها إخبار عن النبي بأنه أرسله متلبسا بتلك الصفات الخمس . وهذا أمر له بالعمل بصفة المبشر ، فلاختلاف مضمون الجملتين عطفت هذه على الأولى .

والفضل : العطاء الذي يزيده المعطي زيادة على العطية . فالفضل كناية عن العطية أيضا لأنه لا يكون فضلا إلا إذا كان زائدا على العطية . والمراد أن لهم ثواب أعمالهم الموعود بها وزيادة من عند ربهم ، قال تعالى : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ [يونس : ٢٦] .

ووصف ﴿ كبيرا ﴾ مستعار للفائق في نوعه . قال ابن عطية : قال لي أبي B هذه : هذه أرجى آية عندي في كتاب الله لأن الله قد أمر نبيئه أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلا كبيرا . وقد بين الله تعالى الفضل الكبير ما هو في قوله : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ﴾ [الشورى : ٢٢] فالآية التي في هذه السورة خبر ، والآية التي في حم عسق تفسير لها ا هـ . ." (١)

"" صفحة رقم ٥٧ "

للشعب أرسلناك شاهدا (ونورا للأمم) (مبشرا) لنفتح عيون العمي (ونفتح به أعينا عميا) لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن (وآذانا صما) الجالسين في الظلمة (وقلوبا غلفا) . أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر (بأن يقولوا لا إله إلا الله) .

---

(١) التحرير والتنوير – ابن عاشور ٢٨٤/١١

)
عطف على جملة) إنا أرسلناك ((الأحزاب : ٤٥) عطف الإنشاء على الخبر لا محالة وهي أوضح دليل على صحة عطف الإنشاء على الخبر إذ لا يتأتى فيها تأويل مما تأوله المانعون لعطف الإنشاء على الخبر وهم الجمهور والزمخشري والتفتزاني مما سنذكره إن شاء الله عند قوله تعالى : (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله إلى قوله : وبشر المؤمنين في سورة الصف (١١ ١٣) ، فالجملة المعطوف عليها إخبار عن النبي بأنه أرسله متلبسا بتلك الصفات الخمس . وهذا أمر له بالعمل بصفة المبشر ، فلاختلاف مضمون الجملتين عطفت هذه على الأولى .

والفضل : العطاء الذي يزيده المعطي زيادة على العطية . فالفضل كناية عن العطية أيضا لأنه لا يكون فضلا إلا إذا كان زائدا على العطية . والمراد أن لهم ثواب أعمالهم الموعود بها وزيادة من عند ربهم ، قال تعالى : للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ((يونس : ٢٦) .

ووصف)كبيرا (مستعار للفائق في نوعه . قال ابن عطية : قال لي أبي رضي الله عنه : هذه أرجى آية عندي في كتاب الله لأن الله قد أمر نبيئه أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلا كبيرا . وقد بين الله تعالى الفضل الكبير ما هو في قوله : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ((الشورى : ٢٢) فالآية التي في هذه السورة خبر ، والآية التي في حم عسق تفسير لها ا هـ . ." ((١)

" ألوت أي قصرت ومنه لا يألونكم خبالا والفضل هنا يحتمل أن يريد به الفضل في الدين أو الفضل في المال وهو أن يفضل له عن مقدار ما يكفيه والسعة هي اتساع المال ونزلت الآية بسبب أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح لما تكلم في حديث الإفك وكان ينفق عليه لمسكنته ولأنه قريبه وكان ابن بنت خالته فلما نزلت الآية رجع إلى مسطح النفقة والإحسان وكفر عن يمينه قال بعضهم هذه أرجى آية في القرآن لأن الله أوصى بالإحسان إلى القاذف ثم إن لفظ الآية على عمومه في أن لا يحلف أحد على ترك عمل صالح ! ٢ (٢) ٢ ! أي كما تحبون أن يغفر الله لكم كذلك اغفروا أنتم لمن أساء إليكم ولما نزلت قال أبو بكر رضي الله عنه إني لأحب أن يغفر الله لي ثم رد النفقة إلى مسطح (٣) ﴾ ٢ (٤) ٢ ! معنى المحصنات

---

(١) التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية ٢٢/٥٧

(٢) ألا تحبون أن يغفر الله لكم

(٣)> النور : (٢٣) إن الذين يرمون . . . . .

(٤) المحصنات الغافلات

هنا العفائف ذوات الصون ومعنى الغافلات السليمات الصدور فهو من الغفلة عن الشر ! ٢ (١) ٢ ! هذا الوعيد للقاذفين لعائشة ولذلك لم يذكر فيه توبة قال ابن عباس كل مذنب تقبل توبته إذا تاب إلا من خاض في حديث عائشة وقيل الوعيد لكل قاذف والعذاب العظيم يحتمل أن يريد به الحد أو عذاب الآخرة (٢) ﴾ ٢ (٣) ٢ ! العامل فيه يوفيهم وكرر يومئذ توكيدا وقيل العامل فيه عذاب أو فعل مضمر ! ٢ (٤) ٢ ! أي جزاؤهم الواجب لهم ! ٢ (٥) ٢ ! هذه الآية تدل على أن ما قبلها في المنافقين لأن المؤمن قد علم في الدنيا أن الله هو الحق المبين ومعنى المبين الظاهر الذي لا شك فيه (٦) ﴾ ٢ (٧) ٢ ! الآية معناها أن الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال وأن الطيبات من النساء للطيبين من الرجال ففي ذلك رد على أهل الإفك لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو أطيب الطيبين فزوجته أطيب الطيبات وقيل المعنى أن الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس ففيه أيضا رد على أهل الإفك وقيل معناه أن الخبيثات من الأقوال للخبيثين من الناس والإشارة بذلك إلى أهل الإفك أي أن أقوالهم الخبيثة لا يقولها إلا خبيث مثلهم ^ أولئك مبرؤن مما يقولون ^ الإشارة بأولئك إلى الطيبين والطيبات والضمير في يقولون للخبيثات والخبيثين والمراد تبرئة عائشة رضي الله عنها مما رميت به (٨) ﴾ ٢ (٩) ٢ ! هذه الآية أمر بالاستئذان في غير بيت الداخل فيعم بذلك بيوت الأقارب وغيرهم وقد جاء في الحديث الأمر بالاستئذان على الأم خيفة أن يراها عريانة ومعنى تستأنسوا تستأذنوا وهو مأخوذ من قولك آنست الشيء إذا علمته فالاستئناس أن يستعلم هل يريد أهل الدار الدخول أم لا وقيل هو مأخوذ من الأنس ضد الوحشة وقرأ ابن عباس حتى تستأذنوا والاستئذان واجب وأما السلام فلا ينتهي إلى الوجوب واختلف

---

(١) لعنوا في الدنيا والآخرة

(٢)< النور : (٢٤) يوم تشهد عليهم . . . . .

(٣) يوم تشهد

(٤) دينهم الحق

(٥) ويعلمون أن الله هو الحق المبين

(٦)< النور : (٢٥) يومئذ يوفيهم الله . . . . .

(٧) الخبيثات للخبيثين

(٨)< النور : (٢٦) الخبيثات للخبيثين والخبيثون . . . . .

(٩) لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها

." (١)

" ابن خلف وقابل به الأتقى وهو أبو بكر الصديق فخرج الكلام مخرج المدح والذم على الخصوص لا مخرج الإخبار على العموم (٢) ﴾ ٢ (٣) ٢ ! من أداء الزكاة أو من الزكاة أي يصير زكيا عند الله أو يتطهر من ذنوبه وهذا الفعل بدل من يؤتى ماله أو حال من الضمير (٤) ﴾ ٢ (٥) ٢ ! أي لا يفعل الخير جزاء على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما تقدم بل يفعله ابتداء خالصا لوجه الله وقيل المعنى لا يقصد جزاء من أحد في المستقبل على ما يفعل والأول أظهر ويؤيده ما روى أن سبب الآية أن أبا بكر الصديق لما أعتق بلالا قالت قريش كان لبلال عنده يد متقدمة فنفى الله قولهم (٦) ﴾ ٢ (٧) ٢ ! استثناء منقطع (٨) ﴾ ٢ (٩) ٢ ! وعد بأن يرضيه الله في الآخرة (١٠)

سورة والضحى (١١)

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٦٣/٣

(٢)< الليل : (١٨) الذي يؤتي ماله . . . . .

(٣) يتزكى

(٤)< الليل : (١٩) وما لأحد عنده . . . . .

(٥) وما لأحد عنده من نعمة تجزى

(٦)< الليل : (٢٠) إلا ابتغاء وجه . . . . .

(٧) إلا ابتغاء وجه ربه

(٨)< الليل : (٢١) ولسوف يرضى

(٩) ولسوف يرضى

(١٠)

(١١)

(١) ﴾ ٢ (٢) ٢ ! ذكر في الشمس وضحاها (٣) ﴾ ٢ (٤) ٢ ! فيه أربعة أقوال إذا أقبل وإذا أدبر وإذا أظلم وإذا سكن أي استقر واستوى أو سكن فيه الناس والأصوات ومنه ليلة ساجية إذا كانت ساكنة الريح وطرف ساج أي ساكن غير مضطرب النظر وهذا أقرب في الاشتقاق وهو اختيار ابن عطية (٥) ﴾ ٢ (٦) ٢ ! بتشديد الدال من الوداع وقرئ بتخفيفها بمعنى ما تركك والوداع مبالغة في الترك ! ٢ (٧) ٢ ! أي ما أبغضبك وحذف ضمير المفعول من قلى وآوى وهدى وأغنى اختصارا لظهور المعنى ولموافقة رؤس الآي وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأ عليه الوحي فقالت قريش إن محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت الآية تكذيبا لهم وقيل رمى علية الصلاة والسلام بحجر في أصبعه فدميت فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم فقالت امرأة ما أرى شيطان محمد إلا قد تركه فنزلت الآية (٨) < ^ ولا الآخرة خير لك من الأولى ^ أي الدار الآخرة خير لك من الدنيا قال ابن عطية ويحتمل أن يريد بالآخرة حاله بعد نزول هذه السورة ويريد بالأولى حاله قبل نزولها وهذا بعيد والأول أظهر وأشهر (٩) ﴾ ٢ (١٠) ٢ ! روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت إذا لا أرضى أن يبقى واحد من أمتي في النار قال بعضهم هذه أرجى آية في القرآن وقال ابن عباس رضاه أن الله وعده بألف قصر في الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم وقيل رضاه في الدنيا بفتح مكة وغيره والصحيح أنه وعد يعم كل ما أعطاه الله في الآخرة وكل ما أعطاه في الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغير ذلك (١١) ﴾ ٢ (١٢) ٢ ! عدد الله نعمه عليه فيما مضى من عمره ليقيس عليه ما يستقبل فتطيب نفسه ويقوى رجاءه ووجد في هذه المواضع تتعدى إلى مفعولين وهي بمعنى علم فالمعنى ألم تكن يتيما فآواك وذلك أن والده عليه السلام

---

(١) > الضحى : (١) والضحى

(٢) والضحى

(٣) > الضحى : (٢) والليل إذا سجى

(٤) والليل إذا سجى

(٥) > الضحى : (٣) ما ودعك ربك . . . . .

(٦) ما ودعك ربك وما قلى

(٧) وما قلى

(٨) > الضحى : (٤) وللآخرة خير لك . . . . .

(٩) > الضحى : (٥) ولسوف يعطيك ربك . . . . .

(١٠) ولسوف يعطيك ربك فترضى

(١١) > الضحى : (٦) ألم يجدك يتيما . . . . .

(١٢) ألم يجدك يتيما فآوى

توفي وتركه في بطن أمه ثم ماتت أمه وهو ابن خمسة أعوام وقيل ثمانية فكفله جده عبد المطلب ثم مات وتركه ابن اثني عشر عاما فكفله عمه أبو طالب وقيل لجعفر الصادق لم نشأ النبي صلى الله عليه وسلم يتيما فقال لئلا يكون عليه حق

". (١)

"و الآية مخصوصة بالمكلفين بدليل السياق ، و هو قوله: و يعفوا عن كثير أي: من الذنوب فلا يعاقب عليها ، أو: عن كثير من الناس ، فلا يعاجلهم بالعقوبة . و فى الحديث عنه صلى الله عليه و سلم: «و الله أكرم من أن يثنى عليكم العقوبة فى الآخرة ، و ما عفا عنه فالله أحلم من أن يعود فيه بعد عفوه» «٢» و قال ابن عطاء: من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن و المصائب باكتسابه ، و أن ما عفا عنه مولاه أكثر ، كان قليل النظر فى إحسان ربه إليه . و قال محمد بن حامد: العبد ملازم للجنايات فى كل أوان ، و جناياته فى طاعته أكثر من جناياته فى معاصيه لأن جناية المعصية من وجه ، و جناية الطاعة من وجوه ، و الله يطهر العبد من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله فى القيامة ، و لو لا عفوه و رحمته لهلك فى أول خطوة .
و عن على- كرم الله وجهه-: هذه أرجى آية للمؤمنين فى القرآن لأن الكريم إذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا ، و إذا عفا لا يعود . هـ . و قد تقدم حديثا . قال فى الحاشية الفاسية: قلت: و إنما يعفو فى الدنيا عما يشاء ، و يؤخر عقوبة من شاء إلى الآخرة ، فلا يلزم إبطال و عيد الآخرة . ثم الآية إما خاصة بالحدود ، أو بالمجرم المذنب ، و أما من لا ذنب له فما يصيبه من البلاء اجتباء و تخصيص ، لا تمحيص . هـ .
قلت: لكل مقام ذنب ، حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فالتمحيص جار فى كل مقام ، و راجع ما تقدم عند قوله: لقد تاب الله على النبي . . . «٣» و سيأتى عند قوله: و استغفر لذنبك . . «٤» ما يبين هذا . و الله أعلم

) ". (٢)

"و قوله تعالى: ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا . . . إلخ ، قال القشيري: المولى: المحب ، فهو محب الذين آمنوا ، و الكافرين لا يحبهم ، و يصح أن يقال: أرجى آية فى القرآن هذه الآية ، لم يقل مولى الزهاد و العباد و أصحاب الأوراد و الاجتهاد بل قال: مولى الذين آمنوا ، و المؤمن و إن كان عاصيا فهو من جملتهم . هـ- و المحبة تتفاوت بقدر زيادة الإيمان و الإيقان حتى يصير محبوبا مقربا .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/٢٠٤
(٢) تفسير البحر المديد ص/٤٦٩٧

قوله تعالى: و الذين كفروا يتمتعون و يأكلون كما تأكل الأنعام ، و كذلك الغافل ، فالأنعام تأكل بلا تمييز ، من أي موضع وجدت ، كذلك الجاهل ، لا تمييز له من الحلال أو من الحرام ، و الأنعام ليس لها وقت لأكلها ، بل تأكل فى كل وقت ، و كذلك الغافل و الكافر . فقد ورد «أن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، و المؤمن يجتزئ بما تيسر» «٢» ، كما فى الخبر: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن» «٣» . و الأنعام تأكل على الغفلة ، فمن كان فى أكله ناسيا لربه ، فأكله كأكل الأنعام . انظر القشيري .

و لما أمرهم بالنظر فلم يفعلوا ، هددهم بالهلاك ، فقال:

[سورة محمد (٤٧): الآيات ١٣ الى ١٤]

و كأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم (١٣) أ فمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله و اتبعوا أهواءهم (١٤)

---

(١) من الآية ٣٤ من سورة إبراهيم .

(٢) ورد بلفظ «إن المؤمن يأكل فى معى واحد ، و إن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء» ، الحديث أخرجه البخاري فى (الأطعمة ، باب المؤمن يأكل فى معى واحد ، ح ٥٣٩٣) و مسلم فى (الأشربة باب المؤمن يأكل فى معى واحد رقم ٢٠٦١ ، ح ١٨٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنه .

(".) (١)

"أ و لو جئتك بشي ء مبين «١» انتهى . و قيل: الآية اليد . و قيل: العصا ، و المعنى بآية تشهد لنا بأنا رسولا ربك . و الظاهر أن قوله و السلام على من اتبع الهدى فصل للكلام ، فالسلام بمعنى التحية رغبا به عنه و جريا على العادة في التسليم عند الفراغ من القول ، فسلما على متبعي الهدى و في هذا توبيخ له . و في هذا المعنى استعمل الناس هذه الآية في مخاطباتهم و محاوراتهم . و قيل: هو مدرج متصل بقوله إنا قد أوحي إلينا فيكون إذ ذاك خبرا بسلامة المهتدين من العذاب . و قيل على بمعنى اللام أي و السلامة ل من اتبع الهدى .

و قال الزمخشري: و سلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين ، و توبيخ خزنة النار و العذاب على المكذبين انتهى . و هو تفسير غريب .

و قد يقال: السلام هنا السلامة من العذاب بدليل قوله إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب و تولى و بنى أوحي لما لم يسم فاعله ، و لم يذكر الموحى لأن فرعون كانت له بادرة فربما صدر منه في حق الموحى ما لا يليق به ، و المعنى على من كذب الأنبياء و تولى عن الإيمان . و قال ابن عباس هذه أرجى آية في القرآن لأن المؤمن ما كذب و تولى فلا يناله شي ء من العذاب . و في الكلام حذف تقديره فأتيا فرعون و قالا له ما أمرهما

---

(١) تفسير البحر المديد ص/٤٩١٧

الله أن يبلغاه قال فمن ربكما يا موسى خاطبهما معا و أفرد بالنداء موسى . قال ابن عطية: إذ كان صاحب عظم الرسالة و كريم الآيات . و قال الزمخشري لأنه الأصل في النبوة و هارون وزيره و تابعه ، و يحتمل أن يحمله خبثه و ذعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون و الرتة في لسان موسى ، و يدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين و لا يكاد يبين «٢» انتهى . ." (١)

"قد قالها الذين من قبلهم: أي قال مثل مقالتهم أوتيته على علم . و الظاهر أن قائلي ذلك جماعة من الأمم الكافرة الماضية ، كقارون في قوله: قال إنما أوتيته على علم عندي «١» . و قيل: الذين من قبلهم هم قارون و قومه ، إذ رضوا بمقالته ، فنسب القول إليهم جميعا . و قرى ء: قد قاله ، أي قال القول أو الكلام . فما أغنى عنهم: يجوز أن تكون ما نافية ، و هو الظاهر . و أن تكون استفهامية ، فيها معنى النفي . ما كانوا يكسبون: أي من الأموال . و الذين ظلموا من هؤلاء: إشارة إلى مشركي قريش ، سيصيبهم سيئات ما كسبوا: جاء بسين الاستقبال التي هي أقل تنفيسا في الزمان من سوف ، و هو خبر غيب ، أبرزه الوجود في يوم بدر و غيره . قتل رؤساءهم ، و حبس عنهم الرزق ، فلم يمطروا سبع سنين ثم بسط لهم ، فمطروا سبع سنين ، فقيل لهم: ألم تعلموا أنه لا قابض و لا باسط إلا الله تعالى ؟ .

قل يا عبادي الذين أسرفوا: نزلت في وحشي قاتل حمزة ، قاله عطاء أو في قوم آمنوا عياش بن ربيعة و الوليد بن الوليد و نفر معهما ، ففتنتهم قريش ، فافتتنوا و ظنوا أن لا توبة لهم ، فكتب عمر لهم بهذه الآية ، قاله عمر و السدي و قتادة و ابن إسحاق . و قيل: في قوم كفار من أهل الجاهلية قالوا: و ما ينفعنا الإسلام و قد زنينا و قتلنا النفس و أتينا كل كبيرة ؟

و مناسبتها لما قبلها: أنه تعالى لما شدد على الكفار و ذكر ما أعد لهم من العذاب ، و أنهم لو كان لأحدهم ما في الأرض و مثله معه لافتدى به من عذاب الله ، ذكر ما في إحسانه من غفران الذنوب إذا آمن العبد و رجع إلى الله . و كثيرا تأتي آيات الرحمة مع آيات النقمة ليرجو العبد و يخاف . و هذه الآية عامة في كل كافر يتوب ، و مؤمن عاص يتوب ، تمحو الذنب توبته . و

قال عبد الله ، و علي ، و ابن عامر: هذه أرجى آية في كتاب الله .

و تقدم الخلاف في قراءة لا تقنطوا في الحجر . ." (٢)

"و قال الزمخشري: الآية مخصوصة بالمجرمين ، و لا يمتنع أن يستوفي الله عقاب البحر المحيط في التفسير ، ج ٩ ، ص: ٣٣٩

المجرم و يعفو عن بعض . فأما من لا جرم له ، كالأنبياء و الأطفال و المجانين ، فهو كما إذا أصابهم شي ء من

---

(١) تفسير البحر المحيط ص/٦٧٩٤

(٢) تفسير البحر المحيط ص/٨٤٢٩

ألم أو غيره ، فللعوض الموفى و المصلحة و
عن علي: هذه أرجى آية للمؤمنين .
و قال الحسن: من مصيبة: أي حد من حدود الله ، و تلك مصائب تنزل بشخص الإنسان و نفسه ، فإنما هي بكسب أيديكم . و يعفوا الله عن كثير ، فيستره على العباد حتى لا يحد عليه . و ما أنتم بمعجزين: أنتم في قبضة القدرة . و قيل:
ليست المصائب من الأسقام و القحط و الغرق و غير ذلك بعقوبات على الذنوب لقوله:
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت «١» ، و لاشتراك الصالح و الطالح فيهما ، بل أكثر ما يبتلي به الصالحون المتقون . و
في الحديث: «خص بالبلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» .
و لأن الدنيا دار التكليف ، فلو حصل الجزاء فيها لكانت دار الجزاء ، و ليس الأمر كذلك .
و هذا القول يؤخره نصوص القرآن ، كقوله تعالى: فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا «٢» الآية . ." (١)

"عزوا إلى ابن عباس أنها نزلت في حق وحشي الحبشي قاتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم في وقعة أحد حيث استعظم ذنبه فأنزل الله آية الفرقان [٧٠] التي فيها هذه الجملة : إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشي : هذا شرط شديد . فأنزل الله آية سورة النساء [٤٨] التي فيها هذه الجملة :
إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال : أراني بعد في شبهة فأنزل الله آية الزمر [٥٣] التي نحن في صددها فقال : هذا نعم ، ثم جاء فأسلم .
فسأل المسلمون : هل هذه له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : بل للمسلمين عامة «١» . ومنها ما ذكر عزوا إلى ابن عمر أن الآيات نزلت في نفر من المسلمين منهم عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد كانوا أسلموا ثم عذبوا وفتنوا فافتتنوا فكان المهاجرون يقولون : لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا أسلموا ثم تركوا دينهم من العذاب . فأنزل الله الآيات فكتبها عمر بن الخطاب وأرسلها إليهم فأسلموا وهاجروا «٢» . ومنها ما ذكر عزوا إلى ابن عباس أيضا أن ناسا من أهل الشرك كانوا قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل : والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون إلخ الفرقان : [٦٨] ونزل : قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا الزمر : [٥٣] ورواية ابن

(١) تفسير البحر المحيط ص/٨٦٤٤

عباس الأخيرة قد رواها البخاري أيضا «٣» .
وقال المفسرون فيما قالوه بصدد الآية : إنها موجهة للمؤمنين وفي حقهم عامة وإنها أرجى آية في القرآن وأبعثها أملا وسكينة لقلوب المذنبين منهم «٤» . بل

(١) انظر تفسير الآيات في الطبري والبغوي وابن كثير والخازن وانظر التاج ج ٤ فصل التفسير ص ١٩٩ .
(٢) انظر تفسير الآيات في الطبري والبغوي وابن كثير والخازن وانظر التاج ج ٤ فصل التفسير ص ١٩٩ .
(٣) انظر تفسير الآيات في الطبري والبغوي وابن كثير والخازن وانظر التاج ج ٤ فصل التفسير ص ١٩٩ .
(٤) انظر كتب التفسير السابقة الذكر أيضا . ." (١)

"و ثانيا : إنها مروية عن ابن عباس مع أن رواية كون الآية نزلت بمناسبة مراجعة أناس من المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم التي رواها البخاري قد رواها ابن عباس أيضا .
وثالثا : إن الآية منسجمة انسجاما تاما مع الآيات التالية لها إلى آخر الآية [٥٩] وإن القول إنها أو إنها والآية [٥٤] فقط مدنيتان غير مستقيم . وتبعا لذلك نشك في رواية مدنية الآية أو الآيتين ونشك بالتالي في رواية كونهما نزلتا في شأن وحشي أو في شأن النفر الذين ارتدوا ولم يهاجروا مع المهاجرين . وكل ما يمكن احتماله أن تكون الآية ذكرت لهم أو لهم ولو حشي على سبيل الترغيب والتشجيع والتأميل . والرواية الثانية التي رواها البخاري هي الأكثر احتمالا ولا يضعف هذا الاحتمال جمع الرواية هذه الآية مع آية الفرقان التي نزلت قبلها بمدة طويلة . فمن الممكن أن يفرض أن مراجعات أناس من المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم في مكة قد تكررت فنزلت أولا آيات الفرقان ثم آيات الزمر التي نحن في صددها فجمع ابن عباس رضي الله عنه المناسبات المتكررة مع بعضها في روايته . وروح الآيات ومضمونها تدعم هذه الرواية أو بعبارة ثانية تدعم كون الآيات موجهة في الدرجة الأولى إلى المشركين والكفار . وقد حكت ما سوف يبدونه من ندم وحسرة لإضاعتهم الفرصة . وفي الآية الأخيرة دليل حاسم . وكل هذا يسوغ القول بجزم أن الآيات سلسلة واحدة متماسكة لا يصح فصل بعضها عن بعض وهي في مجموعها في صدد حث الكفار على الإنابة إلى الله والاستجابة إلى دعوة الإسلام والترغيب في ذلك وهم في سعة من الوقت والتحذير من إضاعة الفرصة بالإهمال والتباطؤ .
وروح الآيات ومضمونها مجتمعة تسوغ استغراب ما قاله بعض المفسرين أو رووه عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الآية الأولى أرجى آية في القرآن أو أن الإطلاق فيها يجعل تقييد غفران الذنوب بالتوبة

(١) التفسير الحديث ٤/٣٣٨

هو خلاف الظاهر . فإذا كانت الآية تقول : إن الله يغفر الذنوب جميعا فإن الآية التي تلتها ردفت ذلك بالحث على سرعة الإنابة إلى الله واتباع أحسن ما أنزل وبالتحذير من التباطؤ والإهمال وما ." (١)

"إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال: أراني بعد في شبهة فأنزل الله آية الزمر [٥٣] التي نحن في صددها فقال: هذا نعم ، ثم جاء فأسلم .

فسأل المسلمون: هل هذه له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ فقال لهم النبي صلى الله عليه و سلم: بل للمسلمين عامة «١» . و منها ما ذكر عزوا إلى ابن عمر أن الآيات نزلت في نفر من المسلمين منهم عياش بن أبي ربيعة و الوليد بن الوليد كانوا أسلموا ثم عذبوا و فتنوا فافتتنوا فكان المهاجرون يقولون: لا يقبل الله لهم صرفا و لا عدلا أسلموا ثم تركوا دينهم من العذاب . فأنزل الله الآيات فكتبها عمر بن الخطاب و أرسلها إليهم فأسلموا و هاجروا «٢» . و منها ما ذكر عزوا إلى ابن عباس أيضا أن ناسا من أهل الشرك كانوا قتلوا فأكثروا و زنوا فأكثروا فأتوا محمدا صلى الله عليه و سلم فقالوا: إن الذي تقول و تدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل: و الذين لا يدعون مع الله إلها آخر و لا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق و لا يزنون إلخ الفرقان: [٦٨] و نزل: قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا الزمر: [٥٣] و رواية ابن عباس الأخيرة قد رواها البخاري أيضا «٣» .

و قال المفسرون فيما قالوه بصدد الآية: إنها موجهة للمؤمنين و في حقهم عامة و إنها أرجى آية في القرآن و أبعثها أملا و سكينة لقلوب المذنبين منهم «٤» . بل

---

(١) انظر تفسير الآيات في الطبري و البغوي و ابن كثير و الخازن و انظر التاج ج ٤ فصل التفسير ص ١٩٩ .

(٢) انظر تفسير الآيات في الطبري و البغوي و ابن كثير و الخازن و انظر التاج ج ٤ فصل التفسير ص ١٩٩ .

) ." (٢)

"و روح الآيات و مضمونها مجتمعة تسوغ استغراب ما قاله بعض المفسرين أو رووه عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم: أن الآية الأولى أرجى آية في القرآن أو أن الإطلاق فيها يجعل تقييد غفران الذنوب بالتوبة هو خلاف الظاهر . فإذا كانت الآية تقول: إن الله يغفر الذنوب جميعا فإن الآية التي تلتها ردفت ذلك بالحث على سرعة الإنابة إلى الله و اتباع أحسن ما أنزل و بالتحذير من التباطؤ و الإهمال و ما التفسير

---

(١) التفسير الحديث ٤/٣٤٠

(٢) التفسير الحديث ص/٢٥٣٩

الحديث ، ج ٤ ، ص: ٣٤١
يجرانه من حسرة و ندم . و هذا فضلا عن أن القول إن الله يغفر جميع الذنوب و الآثام دون توبة و ندم و تلاف للذنوب بصالح العمل و الإصلاح هو إفراط لا يتسق مع آيات القرآن التي لا تكاد تحصى كثرة في صدد الإنذار و التبشير و الوعد و الوعيد و تقبيح القبيح و تحسين الحسن و توفية الناس جزاء أعمالهم كلا بحسب عمله . و ما ورد من الأحاديث النبوية يحمل فيما نعتقد في حالة صحتها و لا ننفي ذلك على قصد الترغيب في التوبة و الحث عليها و على تقرير كون الله تعالى يغفر للنادم و التائب المستغفر و بهذا يتم التساوق و يزول التناقض .

على أن الآيات تتضمن تلقينا بليغا مستمر المدى يتسق مع مبدأ التوبة القرآني الذي شرحناه في سياق تفسير سورة الفرقان و هو عدم إيئاس أي كائن دون تلافي أخطائه و الرجوع عن آثامه المتنوعة من كفر و مما دون الكفر ، و إصلاح نفسه دينيا و دنيويا و إبقاء باب العفو مفتوحا لمن حسنت فيهم النيات و استيقظت الضمائر إذا ما ترووا و ندموا و أنابوا إلى الله و اتبعوا أحسن ما أنزل منه و هم في متسع من الوقت و فسحة من العمر و العافية . ." (١)

"عائشة أو يكون لمن مات مصرا غير تائب أو يكون للمنافقين خطوات الشيطان ذكر في البقرة الفحشاء والمنكر ذكر في النحل زكى أي تطهر من الذنوب وصلح دينه ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى معنى يأتل يحلف فهو من قولك آليت إذا حلفت وقيل معناه يقصر فهو من قولك . . . ٤٥٦

٦٣ ألوت أي قصرت ومنه لا يألونكم خبالا والفضل هنا يحتمل أن يريد به الفضل في الدين أو الفضل في المال وهو أن يفضل له عن مقدار ما يكفيه والسعة هي اتساع المال ونزلت الآية بسبب أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح لما تكلم في حديث الإفك وكان ينفق عليه لمسكنته ولأنه قريبه وكان ابن بنت خالته فلما نزلت الآية رجع إلى مسطح النفقة والإحسان وكفر عن يمينه قال بعضهم هذه أرجى آية في القرآن لأن الله أوصى بالإحسان إلى القاذف ثم إن لفظ الآية على عمومه في أن لا يحلف أحد على ترك عمل صالح ألا تحبون أن يغفر الله لكم أي كما تحبون أن يغفر الله لكم كذلك اغفروا أنتم لمن أساء إليكم ولما نزلت قال أبو بكر رضي الله عنه إني لأحب أن يغفر الله لي ثم رد النفقة إلى مسطح المحصنات الغافلات معنى المحصنات هنا العفائف ذوات الصون ومعنى الغافلات السليمات الصدور فهو من الغفلة عن الشر لعنوا في الدنيا والآخرة هذا الوعيد للقاذفين لعائشة ولذلك لم يذكر فيه توبة قال ابن عباس كل مذنب تقبل توبته إذا تاب إلا من خاض في حديث عائشة وقيل الوعيد لكل قاذف والعذاب العظيم يحتمل أن يريد به الحد أو عذاب

---

(١) التفسير الحديث ص/٢٥٤٣

الآخرة يوم تشهد العامل فيه يوفيهم وكرر يومئذ توكيدا وقيل العامل فيه عذاب أو فعل مضمر دينهم الحق أي جزاؤهم الواجب لهم ويعلمون أن الله هو الحق المبين هذه الآية تدل على أن ما قبلها في المنافقين لأن المؤمن قد علم في الدنيا أن الله هو الحق المبين ومعنى المبين الظاهر الذي لا شك فيه الخبيثات للخبيثين الآية ." (١)

"لما نزلت إذا لا أرضى أن يبقى واحد من أمتي في النار قال بعضهم هذه أرجى آية في القرآن وقال ابن عباس رضاه أن الله وعده بألف قصر في الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم وقيل رضاه في الدنيا بفتح مكة وغيره والصحيح أنه وعد يعم كل ما أعطاه الله في الآخرة وكل ما أعطاه في الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغير ذلك

ألم يجدك يتيما فآوى عدد الله نعمه عليه فيما مضى من عمره ليقيس عليه ما يستقبل فتطيب نفسه ويقوى رجاءه ووجد في هذه المواضع تتعدى إلى مفعولين وهي بمعنى علم فالمعنى ألم تكن يتيما فآواك وذلك أن والده عليه السلام توفي وتركه في بطن أمه ثم ماتت أمه وهو ابن خمسة أعوام وقيل ثمانية فكفله جده عبد المطلب ثم مات وتركه ابن اثني عشر عاما فكفله عمه أبو طالب وقيل لجعفر الصادق لم نشأ النبي صلى الله عليه وسلم يتيما فقال لئلا يكون عليه حق . . . ٧٩٨ ." (٢)

"مفاتيح الغيب ، ج ٢٧ ، ص : ٦٠١

والبهائم ليس لها ألم قالوا قد ثبت أن هذه الأطفال والبهائم ما كانت موجودة في بدن آخر لفساد القول بالتناسخ فوجب القطع بأنها لا تتألم إذ الألم مصيبة والجواب : أن قوله تعالى : وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم خطاب مع من يفهم ويعقل ، فلا يدخل فيه البهائم والأطفال ، ولم يقل تعالى : إن جميع ما يصيب الحيوان من المكاره فإنه بسبب ذنب سابق ، والله أعلم .

المسألة الرابعة : قوله فبما كسبت أيديكم يقتضي إضافة الكسب إلى اليد ، قال والكسب لا يكون باليد ، بل بالقدرة القائمة باليد ، وإذا كان المراد من لفظ اليد هاهنا القدرة ، وكان هذا المجاز مشهورا مستعملا ، كان لفظ اليد الوارد في حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها لله تعالى عن الأعضاء والأجزاء ، والله أعلم .

ثم قال تعالى : ويعفوا عن كثير ومعناه أنه تعالى قد يترك الكثير من هذه التشديدات بفضله ورحمته ، وعن الحسن قال : دخلنا على عمران بن حصين في الوجع الشديد ، فقيل له : إنا لنغتم لك من بعض ما نرى ، فقال لا تفعلوا فو الله إن أحبه إلى الله أحبه إلي ، وقرأ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فهذا بما كسبت يداي ، وسيأتيني عفو ربي ، وقد روى أبو سخلة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٢/٢٥٤

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٣/٣٣٤

الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال : «ما عفى الله عنه فهو أعز وأكرم من أن يعود إليه في الآخرة ، وما عاقب عليه في الدنيا فالله أكرم من أن يعيد العذاب عليه في الآخرة» رواه الواحدي في «البسيط» ،

وقال إذا كان كذلك فهذه أرجى آية في كتاب الله لأن الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين : صنف كفره عنهم بالمصائب في الدنيا ، وصنف عفا عنه في الدنيا ، وهو كريم لا يرجع في عفوه ، وهذه سنة الله مع المؤمنين ، وأما الكافر فلأنه لا يجعل عليه عقوبة ذنبه حتى يوافي ربه يوم القيامة .

ثم قال تعالى : وما أنتم بمعجزين في الأرض يقول ما أنتم معشر المشركين بمعجزين في الأرض ، أي لا تعجزونني حيثما كنتم ، فلا تسبقونني بسبب هربكم في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والمراد بهم من يعبد الأصنام ، بين أنه لا فائدة فيها ألبتة ، والنصير هو الله تعالى ، فلا جرم هو الذي تحسن عبادته .

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٣٢ إلى ٣٩]

ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام (٣٢) إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (٣٣) أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير (٣٤) ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص (٣٥) فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (٣٦)

والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون (٣٧) والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون (٣٨) والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون (٣٩) ." (١)

"الناس في الدنيا على أربع . . . والنفس في فكرتهم حائره

فواحد دنياه مقبوضة . . . إن له من بعدها آخره

وواحد دنياه مبسوطة . . . ليس له من بعدها آخره

وواحد قد حاز حظيهما . . . سعيد في الدنيا وفي الآخره

وواحد يسقط من بينهم . . . فذلك لا دنيا ولا آخره

ولما ذكر سبحانه الدنيا والآخرة ، ذكر ما يشملهما مما زاده من فضله ، فقال مصدرا بحرف الابتداء تأكيدا للكلام لأنهم ينكرونه وليست للقسم لأنها إذا دخلت على المضارع لزمته النون المؤكدة ، وضم هذه اللام إلى كلمة التنفيس للدلالة على أن العطاء وإن تأخر وقته لحكمة كائن لا محالة : ﴿ ولسوف يعطيك ﴾ أي بوعد لا خلف فيه وإن تأخر وقته بما أفهمته الأداة ﴿ ربك ﴾ أي الذي لم يزل يحسن إليك بوعد الدنيا ووعد الآخرة

---

(١) مفاتيح الغيب . نسخة محققة ٢٧/٦٠١

﴿ فترضى * ﴾ أي فيتعقب على ذلك ويتسبب عنه رضاك . وهذا شامل لما منحه بعد كمال النفس من كمال العلم وظهور الأمر وإعلاء الدين وفتح البلاد ودينونة العباد ونقص ممالك الجبابرة ، وإنهاب كنوز الأكاسرة والقياصرة ، وإحلال الغنائم حتى كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ، وشامل لما ادخره له سبحانه وتعالى في الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود ، والشفاعة العظمى إلى غير ذلك مما لا يدخل تحت الحدود ، وقد أفهمت العبارة أن الناس أربعة أقسام : معطى راض ، وممنوع غير راض ، ومعطى غير راض ، وممنوع راض ، وعن علي B أنها أرجى آية في القرآن لأنه A لا يرضى واحدا من أمته في النار . ." (١)

"مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به ولهذا قال عليه السلام : (ليس الخبر كالمعاينة (رواه بن عباس لم يروه غيره قاله أبو عمر قال الأخفش : لم يرد رؤية القلب وإنما أراد رؤية العين وقال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير والربيع : سأل ليزداد يقينا إلى يقينه قال بن عطية وترجم الطبري في تفسيره فقال : وقال آخرون سأل ذلك ربه لأنه شك في قدرة الله تعالى : وأدخل تحت الترجمة عن بن عباس قال : ما في القرآن آية أرجى عندي منها وذكر عن عطاء بن أبي رباح أنه قال : دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال : رب أرني كيف تحيي الموتى وذكر حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (نحن أحق بالشك من إبراهيم (الحديث ثم رجح الطبري هذا القول قلت : حديث أبي هريرة خرجه البخاري ومسلم عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي (قال بن عطية : وما ترجم به الطبري عندي مردود وما أدخل تحت الترجمة متأول فأما قول بن عباس : هي أرجى آية فمن حيث فيها الإدلال على الله تعالى وسؤال الإحياء في الدنيا وليست مظنة ذلك ويجوز أن يقول : هي أرجى آية لقوله أو لم تؤمن أي إن الإيمان كاف لا يحتاج معه إلى تنقير وبحث وأما قول عطاء : دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فمعناه من حيث المعاينة على ما تقدم وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم : نحن أحق بالشك من إبراهيم فمعناه أنه لو كان شاكا لكنا نحن أحق به ونحن لا نشك فإبراهيم عليه السلام أحرى ألا يشك فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم والذي روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ذلك محض الإيمان (إنما هو في الخواطر التي لا تثبت وأما الشك فهو توقف بين أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر وذلك هو المنفي عن الخليل عليه السلام وإحياء الموتى إنما يثبت بالسمع وقد كان إبراهيم عليه السلام أعلم به يدلك على ذلك قوله ربي الذي يحيي ويميت فالشك يبعد على من

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – البقاعي ٩/٤٥١

(١) ".

"المثلات تبدل من الضمة فتحة لثقلها وقيل : يؤتى بالفتحة عوضا من الهاء وروي عن الأعمش أنه قرأ المثلات بفتح الميم وإسكان الثاء فهذا جمع مثلة ثم حذف الضمة لثقلها ذكره جميعه النحاس رحمه الله وعلى قراءة الجماعة واحدة مثلة نحو صدقة وصدقة وتميم تضم الثاء والميم جميعا واحدها على لغتهم مثلة بضم الميم وجزم الثاء مثل : غرفة وغرفات والفعل منه مثلت به أمثل مثلا بفتح الميم وسكون الثاء (وإن ربك لذو مغفرة) أي لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا وعن المذنبين إذا تابوا وقال بن عباس : أرجى آية في كتاب الله تعالى وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم (وإن ربك لشديد العقاب) إذا أصروا على الكفر وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : لما نزلت : وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هنأ أحدا عيش ولولا عقابه ووعيده وعذابه لاتكل كل واحد (قوله تعالى : (ويقول الذين كفروا لولا) أي هلا (أنزل عليه آية من ربه) لما اقترحوا الآيات وطلبوها قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (إنما أنت منذر) أي معلم (ولكل قوم هاد) أي نبي يدعوهم إلى الله وقيل : الهادي الله أي عليك الإنذار والله هادي كل قوم إن أراد هدايتهم (٢)

< (٣)

(الرعد ٨ : ٩) (٤)

فيه ثمان مسائل : الأولى قوله تعالى : (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) أي من ذكر وأنثى صبيح وقبيح صالح وطالح وقد تقدم في سورة الأنعام أن الله سبحانه منفرد بعلم الغيب وحده

---

(٥) ".

"الفراء : السلام على من اتبع الهدى ولمن اتبع الهدى سواء (إنا قد أوحي إلينا أن العذاب) يعني الهلاك والدمار في الدنيا والخلود في جهنم في الآخرة (على من كذب) أنبياء الله (وتولى) أعرض عن الايمان وقال

---

(١) تفسير القرطبي ٣/٢٩٨

(٢)< الرعد : (٨) الله يعلم ما . . . . .

(٣)

(٤)

(٥) تفسير القرطبي ٩/٢٨٥

بن عباس : هذه أرجى آية للموحدين لأنهم لم يكذبوا ولم يتولوا قوله تعالى : (قال فمن ربكما يا موسى) ذكر فرعون موسى دون هارون لرءوس الآي وقيل : خصصه بالذكر لأنه صاحب الرسالة والكلام والآية وقيل : إنهما جميعا بلغا الرسالة وإن كان ساكتا لأنه في وقت الكلام إنما يتكلم واحد فإذا انقطع وازره الآخر وأيده فصار لنا في هذا البناء فائدة علم إن الاثنين إذا قلدا أمرا فقام به أحدهما والآخر شخصه هناك موجود مستغني عنه في وقت دون وقت إنهما أديا الأمر الذي قلدا وقاما به واستوجبا الثواب لأن الله تعالى قال : (اذهبا إلى فرعون) وقال : (اذهب أنت وأخوك) وقال : (فقولا له) فأمرهما جميعا بالذهاب وبالقول ثم أعلمنا في وقت الخطاب بقوله : (فمن ربكما) إنه كان حاضرا مع موسى (قال) موسى : (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه) أي أنه يعرف بصفاته وليس له اسم علم حتى يقال فلان بل هو خالق العالم وهو الذي خص كل مخلوق بهيئة وصورة ولو كان الخطاب معهما لقالا : قالا ربنا وخلقه) أول مفعولي أعطى أي أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به أو ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به على قول الضحاك على ما يأتي (ثم هدى) قال بن عباس وسعيد بن جبير والسدي : أعطى كل شيء زوجه من جنسه ثم هداه إلى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه وعن بن عباس : ثم هداه إلى الالفة والاجتماع والمناكحة وقال الحسن وقتادة : اعطى كل شيء صلاحه وهداه لما يصلحه وقال مجاهد : أعطى كل شيء صورة لم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم ولا خلق البهائم في خلق الإنسان ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا وقال الشاعر : وله في كل شيء خلقة * وكذاك الله ما شاء فعل

". (١)

"وقرأ الجمهور خطوات بضم الطاء وسكنها عاصم والأعمش وقرأ الجمهور ما زكى بتخفيف الكاف أي ما اهتدى ولا أسلم ولا عرف رشدا وقيل : ما زكى أي ما صلح يقال : زكا يزكو زكاء أي صلح وشددها الحسن وأبو حيوة أي أن تزكيته لكم وتطهيره وهدايته إنما هي بفضله لا بأعمالكم وقال الكسائي : يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان معترض وقوله ما زكى منكم من أحد أبدا جواب لقوله أولا وثانيا ولولا فضل الله عليكم الحادية والعشرون قوله تعالى : (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة) الآية المشهور من الروايات أن هذه الآية نزلت في قصة أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه ومسطح بن أثاثة وذلك أنه كان بن بنت خالته وكان من المهاجرين البدريين المساكين وهو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف وقيل : اسمه عوف ومسطح لقب وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه لمسكنته وقرابته فلما وقع أمر الإفك وقال فيه مسطح ما قال حلف أبو بكر ألا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة أبدا فجاء مسطح فاعتذر وقال : إنما كنت أغشى مجالس حسان فأسمع

---

(١) تفسير القرطبي ٢٠٤/١١

ولا أقول فقال له أبو بكر : لقد ضحكت وشاركت فيما قيل ومر على يمينه فنزلت الآية وقال الضحاك وبن عباس : إن جماعة من المؤمنين قطعوا منافعهم عن كل من قال في الإفك وقالوا : والله لا نصل من تكلم في شأن عائشة فنزلت الآية في جميعهم والأول أصح غير أن الآية تتناول الأمة إلى يوم القيامة بألا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ألا ينفع في هذه صفته غابر الدهر روى في الصحيح أن الله تبارك وتعالى لما أنزل إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم العشر آيات قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره : والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة فأنزل الله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة إلى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال عبد الله بن المبارك : هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى فقال أبو بكر : والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال : لا أنزعها منه أبدا

". (١)

"الثانية والعشرون في هذه الآية دليل على أن القذف وإن كان كبيرا لا يحبط الأعمال لأن الله تعالى وصف مسطحا بعد قوله بالهجرة والإيمان وكذلك سائر الكبائر ولا يحبط الأعمال غير الشرك بالله قال الله تعالى : لئن أشركت ليحبطن عملك الثالثة والعشرون من حلف على شيء لا يفعله فرأى فعله أولى منه أتاه وكفر عن يمينه أو كفر عن يمينه وأتاه كما تقدم في المائدة ورأى الفقهاء أن من حلف ألا يفعل سنة من السنن أو مندوبا وأبد ذلك أنها جرحة في شهادته ذكره الباجي في المنتقى الرابعة والعشرون قوله تعالى : (ولا يأتل أولوا الفضل) ولا يأتل معناه يحلف وزنها يفتعل من الألية وهي اليمين ومنه قوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم وقد تقدم في البقرة وقالت فرقة : معناه يقصر من قولك : ألوت في كذا إذا قصرت فيه ومنه قوله تعالى لا يألونكم خبالا الخامسة والعشرون قوله تعالى : (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) تمثيل وحجة أي كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم كذلك اغفروا لمن دونكم وينظر إلى هذا المعنى قوله عليه السلام : (من لايرحم لايرحم (السادسة والعشرون قال بعض العلماء : هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ وقيل : أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله تعالى : وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا وقد قال تعالى في آية أخرى : والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير فشرح الفضل الكبير في هذه الآية وبشر به المؤمنون في تلك ومن آيات الرجاء قوله تعالى : قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم وقوله تعالى : الله لطيف

---

(١) تفسير القرطبي ١٢/٢٠٧

". (١)

(النور ٢٣) (٢)

فيه مسألتان : الأولى قوله تعالى : (المحصنات) تقدم في النساء وأجمع العلماء على أن حكم المحصنين في القذف كحكم المحصنات قياسا واستدلالا وقد بيناه في أول السورة والحمد لله واختلف فيمن المراد بهذه الآية فقال سعيد بن جبير : هي في رماة عائشة رضوان الله عليها خاصة وقال قوم : هي في عائشة وسائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قاله بن عباس والضحاك وغيرهما ولا تنفع التوبة ومن قذف غيرهن من المحصنات فقد جعل الله له توبة لأنه قال : والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء إلى قوله إلا الذين تابوا فجعل الله لهؤلاء توبة ولم يجعل لأولئك توبة قاله الضحاك وقيل : هذا الوعيد لمن أصر على القذف ولم يتب وقيل : نزلت في عائشة إلا أنه يراد بها كل من اتصف بهذه الصفة وقيل : إنه عام لجميع الناس القذفة من ذكر وأنثى ويكون التقدير : إن الذين يرمون الأنفس المحصنات فدخل في هذا المذكر والمؤنث واختاره النحاس وقيل : نزلت في مشركي مكة لأنهم يقولون للمرأة إذا هاجرت إنما خرجت لتفجر

"وقيل : وسراجا أي هاديا من ظلم الضلالة وأنت كالمصباح المضيء ووصفه بالإنارة لأن من السرج ما لا يضيء إذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم : ثلاثة تضني : رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء وسئل بعضهم عن الموحشين فقال : ظلام ساتر وسراج فاتر وأسند النحاس قال : حدثنا محمد بن إبراهيم الرازي قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن شيبان النحوي قال حدثنا قتادة عن عكرمة عن بن عباس قال : لما نزلت يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ومعاذا فقال : (انطلقا فبشرا ولا تعسرا فإنه قد نزل علي الليلة آية يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا من النار وداعيا إلى الله قال

---

(١) تفسير القرطبي ٢٠٨/١٢

(٢)

شهادة أن لا إله إلا الله بإذنه بأمره وسراجا منيرا قال بالقرآن (وقال الزجاج : وسراجا أي وذا سراج منير أي كتاب نير وأجاز أيضا أن يكون بمعنى : وتاليا كتاب الله (١) > (٢)

(الاحزاب ٤٧ : ٤٨) (٣)

قوله تعالى : (وبشر المؤمنين) الواو عاطفة جملة على جملة والمعنى منقطع من الذي قبله أمره تعالى أن يبشر المؤمنين بالفضل الكبير من الله تعالى وعلى قول الزجاج : ذا سراج منير أو وتاليا سراجا منيرا يكون معطوفا على الكاف لا في أرسلناك قال بن عطية : قال لنا أبي رضي الله عنه : هذه من أرجى آية عندي في كتاب الله تعالى لأن الله عز وجل قد أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلا كبيرا وقد بين تعالى الفضل الكبير في قوله تعالى : والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون

". (٤)

"رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت : والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون الفرقان إلى آخر الآية فتلاها عليه فقال أرى شرطا فلعلي لا أعمل صالحا أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله فنزلت : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء النساء فدعا به فتلا عليه قال : فلعلي ممن لا يشاء أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله فنزلت : يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال : نعم الآن لا أرى شرطا فأسلم وروى حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ : قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم وفي مصحف بن مسعود إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء قال أبو جعفر النحاس : وهاتان القراءتان على التفسير أي يغفر الله لمن يشاء وقد عرف الله عز وجل من شاء أن يغفر له وهو التائب أو من عمل صغيرة ولم تكن له كبيرة ودل على أنه يريد التائب ما بعده وأنيبوا إلى ربكم فالتائب مغفور له ذنوبه جميعا يدل على ذلك وإني لغفار لمن تاب طه فهذا لا إشكال فيه وقال علي بن أبي طالب : ما في القرآن آية أوسع من هذه الآية قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وقد مضى هذا في [سبحان] وقال عبد الله بن عمر : وهذه أرجى آية في القرآن

---

(١)>   الأحزاب : (٤٧) وبشر المؤمنين بأن . . . . .

(٢)

(٣)

(٤) تفسير القرطبي ١٤ /٢٠١

فرد عليهم بن عباس وقال أرجى آية في القرآن قوله تعالى : وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم الرعد وقد مضى في [الرعد] وقريء ولا تقنطوا بكسر النون وفتحها وقد مضى في [الحجر] بيانه قوله تعالى : (وأنيبوا إلى ربكم) أي ارجعوا إليه بالطاعة لما بين أن من تاب من الشرك يغفر له أمر بالتوبة والرجوع إليه والإنابة الرجوع إلى الله بالإخلاص (وأسلموا له) أي اخضعوا له وأطيعوا (من قبل أن يأتيكم العذاب) في الدنيا

---

(١) ".

"(٢) < (٣)

(الشورى ٣٠ : ٣١) (٤)

قوله تعالى : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) قرأ نافع وبن عامر بما كسبت بغير فاء الباقون فبما بالفاء واختاره أبو عبيد وأبو حاتم للزيادة في الحرف والأجر قال المهدوي : إن قدرت أن ما الموصولة جاز حذف الفاء وإثباتها والإثبات أحسن وإن قدرتها التي للشرط لم يجز الحذف عند سيبويه وأجازه الأخفش واحتج بقوله تعالى : وإن أطعتموهم إنكم لمشركون والمصيبة هنا الحدود على المعاصي قاله الحسن وقال الضحاك : ما تعلم رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب قال الله تعالى : وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ثم قال : وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن ذكره بن المبارك عن عبد العزيز بن أبي رواد قال أبو عبيد : إنما هذا على الترك فأما الذي هو دائب في تلاوته حريص على حفظه إلا أن النسيان يغلبه فليس من ذلك في شيء ومما يحقق ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينسى الشيء من القرآن حتى يذكره من ذلك حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم : سمع قراءة رجل في المسجد فقال : (ما له رحمه الله لقد أذكرني آيات كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا (وقيل : ما بمعنى الذي والمعنى الذي أصابكم فيما مضى بما كسبت أيديكم وقال علي رضي الله عنه : هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه وقد روي هذا المعنى مرفوعا عنه رضي الله عنه قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها النبي صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم

---

(١) تفسير القرطبي ١٥/٢٦٩

(٢)< الشورى : (٣٠) وما أصابكم من . . . . .

(٣)

(٤)

الآية : (يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا عنه

". (١)

(٦) (٢)

عدد سبحانه مننه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال : (ألم يجدك يتيما) لا أب لك قد مات أبوك (فآوى) أي جعل لك مأوى تأوي إليه عند عمك أبي طالب فكفلك وقيل لجعفر بن محمد الصادق : لم أوتم النبي صلى الله عليه وسلم من أبويه فقال : لئلا يكون لمخلوق عليه حق وعن مجاهد : هو من قول العرب : درة يتيمة إذا لم يكن لها مثل فمجاز الآية : ألم يجدك واحدا في شرفك لا نظير لك فآواك الله بأصحاب يحفظونك ويحوطونك (٣) > (٤)

(٧) (٥)

أي غافلا عما يراد بك من أمر النبوة فهداك : أي أرشدك والضلال هنا بمعنى الغفلة كقوله جل ثناؤه : لا يضل ربي ولا ينسى أي لا يغفل وقال في حق نبيه : وإن كنت من قبله لمن الغافلين وقال قوم : ضالا لم تكن تدري القرآن والشرائع فهداك الله إلى القرآن وشرائع الإسلام عن الضحاك وشهر بن حوشب وغيرهما وهو معنى

"مستشرقة إلى رؤية ما أخبرت به ، ولهذا قال عليه السلام: (ليس الخبر كالمعاينة) رواه ابن عباس ولم يروه غيره ، قاله أبو عمر .

قال الاخفش: لم يرد رؤية القلب وإنما أراد رؤية العين .

---

(١) تفسير القرطبي ٣٠/١٦

(٢)

(٣)> الضحى : (٧) ووجدك ضالا فهدى

(٤)

(٥)

وقال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير والربيع: سأل ليزداد يقينا إلى يقينه .

(١) قال ابن عطية: وترجم الطبري في تفسيره فقال: وقال آخرون سأل ذلك ربه ، لانه شك في قدرة الله تعالى
.

وأدخل تحت الترجمة عن ابن عباس قال: ما في القرآن آية أرجى عندي منها .

وذكر عن عطاء بن أبي رباح أنه قال: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال: رب أرني كيف تحيي الموتى .

وذكر حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (نحن أحق بالشك من إبراهيم) الحديث ، ثم رجح الطبري هذا القول .

قلت: حديث أبي هريرة خرجه البخاري ومسلم عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال ر ب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن
ما لبث يوسف لاجبت الداعي) .

قال ابن عطية: وما ترجم به الطبري عندي مردود ، وما أدخل تحت الترجمة متأول ، فأما قول ابن عباس: (هي أرجى آية) فمن حيث فيها الا دلال على الله تعالى وسؤال الاحياء في الدنيا وليست مظنة ذلك .

ويجوز أن يقول: هي أرجى آية لقوله " أو لم تؤمن " أي إن الايمان كاف لا يحتاج معه إلى تنقير وبحث .

وأما قول عطاء: " دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس " فمعناه من حيث المعاينة على ما تقدم .

وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم: (نحن أحق بالشك من إبراهيم) فمعناه أنه لو كان شاكا لكنا نحن أحق به ونحن لانشك فإبراهيم عليه السلام أحرى ألا يشك ، فالحديث مبنى على نفى الشك عن إبراهيم ، والذى روى فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ذلك محض الايمان) إنما هو في الخواطر التى لا تثبت ، وأما الشك فهو توقف بين أمرين لامزية لاحدهما على الآخر ، وذلك هو المنفى عن الخليل عليه السلام .

وإحياء الموتى إنما يثبت بالسمع وقد كان إبراهيم عليه السلام أعلم به ، يدلك على ذلك قوله: " ربى الذى يحيي ويميت " فالشك يبعد على من

---

(١) في ج وه: إلى نفسه . ." (١)

"" المثلات " تبدل من الضمة فتحة لثقلها ، وقيل: يؤتى بالفتحة عوضا من الهاء .

وروي عن الأعمش أنه قرأ " المثلات " بفتح الميم وإسكان الثاء ، فهذا جمع مثلة ، ثم حذف الضمة لثقلها ،

---

(١) تفسير القرطبي – ت دار احياء التراث العربي بالهوامش ٢٩٨/٣

ذكره جميعه النحاس رحمه الله .

وعلى قراءة الجماعة واحدة مثلة ، نحو صدقة [وصدقة] (١) ، وتميم تضم الثاء والميم جميعا ، واحدها على لغتهم مثلة ، بضم الميم وجزم الثاء ، مثل: غرفة وغرفات ، والفعل منه مثلت به أمثل مثلا ، بفتح الميم وسكون الثاء .

(وإن ربك

لذو مغفرة) أي لذو تجاوز عن المشركين إذا أمنوا ، وعن المذنبين إذا تابوا .

وقال ابن عباس: أرجى آية في كتاب الله تعالى " وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم " .

(وإن ربك لشديد العقاب) إذا أصروا على الكفر .

وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال: لما نزلت: " وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هنأ أحد عيش ولولا عقابه ووعيده وعذابه لاتكل كل أحد " .

قوله تعالى: (ويقول الذين كفروا لولا) أي هلا (أنزل عليه آية من ربه) .

لما اقترحوا الآيات وطلبوها قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (إنما أنت منذر) أي معلم .

(ولكل قوم هاد) أي نبي يدعوهم إلى الله .

وقيل: الهادي الله ، أي عليك الإنذار ، والله هادي كل قوم إن أراد هدايتهم .

قوله تعالى: الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار (٨) علم الغيب والشهدة الكبير المتعال (٩) فيه ثمان مسائل: الأولى - قوله تعالى: (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) أي من ذكر وأنثى ، صبيح وقبيح ، صالح وطالح ، وقد تقدم في سورة " الأنعام " (٢) أن الله سبحانه منفرد بعلم الغيب وحده

---

(١) من ا .

(٢) راجع ج ٧ ص ١ فما بعد .

(*) ". (١)

"الفراء: السلام على من اتبع الهدى ولمن اتبع الهدى سواء .

(إنا قد أوحى إلينا أن العذاب) يعني الهلاك والدمار في الدنيا والخلود في جهنم في الآخرة .

(على من كذب) أنبياء الله (وتولى) أعرض عن الايمان .

---

(١) تفسير القرطبي - ت دار احياء التراث العربي بالهوامش ٢٨٥/٩

وقال ابن عباس: هذه أرجى آية للموحدين لانهم لم يكذبوا ولم يتولوا .

قوله تعالى: (قال فمن ربكما يا موسى) ذكر فرعون موسى دون هرون لرءوس الآي .

وقيل: خصصه بالذكر لانه صاحب الرسالة والكلام والآية .

وقيل إنهما جميعا

بلغا الرسالة وإن كان ساكتا ، لانه في وقت الكلام إنما يتكلم واحد ، فإذا انقطع وازره الآخر وأيده .

فصار لنا في هذا البناء فائدة علم ، أن الاثنين إذا قلدا أمرا فقام به أحدهما ، والآخر شخصه هناك موجود مستغنى عنه في وقت دون وقت أنهما أديا الامر الذي قلدا وقاما به واستوجبا الثواب ، لان الله تعالى قال: " أذهبا إلى فرعون " وقال: " اذهب أنت وأخوك " وقال: " فقولا له " فأمرهما جميعا بالذهاب وبالقول ، ثم أعلمنا في وقت الخطاب بقوله: " فمن ربكما " أنه كان حاضرا مع موسى .

(قال) موسى: (ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه) أي أنه يعرف بصفاته ، وليس له أسم علم حتى يقال فلان بل هو خالق العالم ، وهو الذي خص كل مخلوق بهيئة وصورة ، ولو كان الخطاب معهما لقالا: قالا ربنا .

" وخلقه " أول مفعولي أعطى ، أي أعطى خليقته كل شئ يحتاجون إليه ويرتفقون به ، أو ثانيهما أي أعطى كل شئ صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به ، على قول الضحاك على ما يأتي .

(ثم هدى) قال ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي: أعطى كل شئ زوجه من جنسه ، ثم هداه إلى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه ، وعن ابن عباس: ثم هداه إلى الالفة والاجتماع والمناكحة .

وقال الحسن وقتادة: أعطى كل شئ صلاحه ، وهداه لما يصلحه .

وقال مجاهد: أعطى كل شئ صورة ، لم يجعل خلق الانسان في خلق البهائم ، ولا خلق البهائم في خلق الانسان ، ولكن خلق كل شئ فقدره تقديرا .

وقال الشاعر: وله في كل شئ خلقة * وكذاك الله ما شاء فعل ." (١)

"وقرأ الجمهور " خطوات " بضم الطاء .

وسكنها عاصم والاعمش .

وقرأ الجمهور: " ما زكى " بتخفيف الكاف ، أي ما اهتدى ولا أسلم ولا عرف رشدا .

وقيل: " ما زكى " أي ما صلح ، يقال: زكا يزكو زكاء ، أي صلح .

وشددها الحسن وأبو حيوة ، أي أن تزكيته لكم وتطهيره وهدايته إنما هي بفضله لا بأعمالكم .

وقال الكسائي: " يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان " معترض ، وقوله: " ما زكى منكم من أحد أبدا " جواب لقوله أولا وثانيا: " ولولا فضل الله عليكم " .

---

(١) تفسير القرطبي – ت دار احياء التراث العربي بالهوامش ١١/٢٠٤

الحادية والعشرون – قوله تعالى: (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة) الاية .

المشهور من الروايات أن هذه الاية نزلت في قصة أبي بكر بن أبي قحافة رضى الله عنه ومسطح بن أثاثة .

وذلك أنه كان ابن بنت خالته وكان من المهاجرين البدريين المساكين .

وهو مسطح بن أثاثة ابن عباد بن المطلب بن عبد مناف .

وقيل: اسمه عوف ، ومسطح لقب .

وكان أبو بكر رضى الله عنه ينفق عليه لمسكنته وقرابته ، فلما وقع أمر الافك وقال فيه مسطح ما قال ، حلف أبو بكر ألا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة أبدا ، فجاء مسطح فاعتذر وقال: إنما كنت أغشى مجالس حسان فأسمع ولا أقول .

فقال له أبو بكر: لقد ضحكت وشاركت فيما قيل ، ومر على يمينه ، فنزلت الاية .

وقال الضحاك وابن عباس: إن جماعة من المؤمنين قطعوا منافعهم عن كل من قال في الافك وقالوا: والله لا نصل من تكلم في شأن عائشة ، فنزلت الاية في جميعهم .

والاول أصح ، غير أن الاية تتناول الامة إلى يوم القيامة بألا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ألا ينفع من هذه صفته غابر الدهر .

وروى الصحيح أن الله تبارك وتعالى لما أنزل: " إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم " العشر آيات ، قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره: والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذى قال لعائشة ، فأنزل الله تعالى: " ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة " إلى قوله – ألا تحبون أن يغفر الله لكم " .

قال عبد الله بن المبارك: هذه

أرجى آية في كتاب الله تعالى ، فقال أبو بكر رضى الله عنه: والله إنى لاحب أن يغفر الله لى ، فرجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه وقال: لا أنزعها منه أبدا . ." (١)

"الثانية والعشرون – في هذه الاية دليل على أن القذف وإن كان كبيرا لا يحبط الاعمال ، لان الله تعالى وصف مسطحا بعد قوله بالهجرة والايمان ، وكذلك سائر الكبائر ، ولا يحبط الاعمال غير الشرك بالله ، قال الله تعالى: " لئن أشركت ليحبطن عملك (١) " [الزمر: ٦٥] .

الثالثة والعشرون – من حلف على شئ لا يفعله فرأى فعله أولى منه أتاه وكفر عن يمينه ، أو كفر عن يمينه وأتاه ، كما تقدم في " المائدة " (٢) .

ورأى الفقهاء أن من حلف ألا يفعل سنة من السنن أو مندوبا وأبد ذلك أنها جرحة في شهادته ، ذكره الباجى في المنتقى .

---

(١) تفسير القرطبي – ت دار احياء التراث العربي بالهوامش ٢٠٧/١٢

الرابعة والعشرون – قوله تعالى: (ولا يأتل أولوا الفضل) " ولا يأتل " معناه يحلف ، وزنها يفتعل ، من الالية وهي اليمين ، ومنه قوله تعالى: " للذين يؤلون من نسائهم " وقد تقدم في " البقرة " (٣) .

وقالت فرقة: معناه يقصر ، من قولك: ألوت في كذا إذا قصرت فيه ، ومنه قوله تعالى: " لا يألونكم خبالا (٤) " [آل عمران: ١١٨] .

الخامسة والعشرون – قوله تعالى: (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) تمثيل وحجة أي كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم ، وينظر إلى هذا المعنى قوله عليه السلام: (من لا يرحم لا يرحم) .

السادسة والعشرون – قال بعض العلماء: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى ، من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ .

وقيل .

أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله تعالى: " وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٥) " [الاحزاب: ٤٧] .

وقد قال تعالى في آية أخرى: " والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير (٦) " [الشورى: ٢٢] ، فشرح الفضل الكبير في هذه الاية ، وبشر به المؤمنين في تلك .

ومن آيات الرجاء قوله تعالى: " قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم (١) " [الزمر: ٥٣] .

وقوله تعالى: " الله لطيف

---

(١) راجع ج ١٥ ص ٢٧٦ وص ٢٦٧ .

(٢) راجع ج ٦ ص ٢٦٤ فما بعد .

(٣) راجع ج ٣ ص ١٠٣ .

(٤) راجع ج ٤ ص ١٧٨ .

(٥) راجع ج ١٤ ص ٢٠١ .

(٦) راجع ج ١٦ ص ٢٠ .

(*) ". (١)

---

(١) تفسير القرطبي – ت دار احياء التراث العربي بالهوامش ٢٠٨/١٢

"رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت: " والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون " [الفرقان: ٦٨ إلى آخر الآية فتلاها عليه ، فقال أرى شرطا فلعلي لا أعمل صالحا ، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله .

فنزلت: " إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون

ذلك لمن يشاء " [النساء: ٤٨] فدعا به فتلا عليه ، قال: فلعلي ممن لا يشاء أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله .

فنزلت: " يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله " فقال: نعم الآن لا أرى شرطا .

فأسلم .

وروى حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ: " قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم " .

وفي مصحف ابن مسعود " إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء " .

قال أبو جعفر النحاس: وهاتان القراءتان على التفسير ، أي يغفر الله لمن يشاء .

وقد عرف الله عز وجل من شاء أن يغفر له ، وهو التائب أو من عمل صغيرة ولم تكن له كبيرة ، ودل على أنه يريد التائب ما بعده " وأنيبوا إلى ربكم " فالتائب مغفور له ذنوبه جميعا يدل على ذلك " وإني لغفار لمن تاب " [طه: ٨٢] فهذا لا إشكال فيه .

وقال علي بن أبي طالب: ما في القرآن آية أوسع من هذه الآية: " قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله " وقد مضى هذا في [سبحان] .

وقال عبد الله بن عمر: وهذه أرجى آية في القرآن فرد عليهم ابن عباس وقال أرجى آية في القرآن قول تعالى: " وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم " [الرعد: ٦] وقد مضى في [الرعد] (٢) .

وقرئ " ولا تقنطوا " بكسر النون وفتحها .

وقد مضى في " الحجر (٣) " بيانه .

قوله تعالى: (وأنيبوا إلى ربكم) أي ارجعوا إليه بالطاعة ، لما بين أن من تاب من الشرك يغفر له أمر بالتوبة والرجوع إليه ، والانابة الرجوع إلى الله بالاخلاص .

(وأسلموا له) أي اخضعوا له وأطيعوا (من قبل أن يأتيكم العذاب) في الدنيا

---

(١) راجع ج: ١ ص ٣٢٢ وما بعدها طبعة أولى أو ثانية .

(٢) راجع ج ٩ ص ٢٨٥ طبعة أولى أو ثانية .

(٣) راجع ج ١٠ ص ٣٦ طبعة أولى أو ثانية .

(*) . " (١)

"قوله تعالى: وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير (٣٠) وما أنتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله

من ولي ولا نصير (٣١) قوله تعالى: " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم " قرأ نافع وابن عامر " بما كسبت " بغير فاء .

الباقون " فبما " بالفاء ، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم للزيادة في الحرف والاجر .

قال المهدوي: إن قدرت أن " ما " الموصولة جاز حذف الفاء وإثباتها ، والاثبات أحسن .

وإن قدرتها التي للشرط لم يجز الحذف عند سيبويه ، وأجازه الاخفش واحتج بقوله تعالى: " وإن أطعتموهم إنكم لمشركون " (١) [الانعام: ١٢١] .

والمصيبة هنا الحدود على المعاصي ، قاله الحسن .

وقال الضحاك: ما تعلم رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب ، قال الله تعالى: " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم " ثم قال: وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن ، ذكره ابن المبارك عن عبد العزيز بن أبي رواد .

قال أبو عبيد: إنما هذا على الترك ، فأما الذي هو دائب في تلاوته حريص على حفظه إلا أن النسيان يغلبه فليس من ذلك في شئ .

ومما يحقق ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينسى الشئ من القرآن حتى يذكره ، من ذلك حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم: سمع قراءة رجل في المسجد فقال: (ماله رحمه الله لقد أذكرني آيات كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا) .

وقيل: " ما " بمعنى الذي ، والمعنى الذي أصابكم فيما مضى بما كسبت أيديكم .

وقال علي رضي الله عنه: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل .

وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه ! وقد روي هذا المعنى مرفوعا عنه رضي الله عنه ، قال على بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها النبي صلى الله عليه وسلم: " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم " الآية: (يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم .

والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا عنه

---

(١) تفسير القرطبي – ت دار احياء التراث العربي بالهوامش ٢٦٩/١٥

(١) آية ١٢١ سورة الانعام .

(*) ". (١)

"الفراء: السلام على من اتبع الهدى ولمن اتبع الهدى سواء . ﴿إنا قد أوحي إلينا أن العذاب﴾ يعني الهلاك والدمار في الدنيا والخلود في جهنم في الآخرة . ﴿على من كذب﴾ أنبياء الله ﴿وتولى﴾ أعرض عن الإيمان . وقال ابن عباس: هذه أرجى آية للموحدين لأنهم لم يكذبوا ولم يتولوا .
قوله تعالى: ﴿قال فمن ربكما يا موسى﴾ ذكر فرعون موسى دون هارون لرؤوس الآي . وقيل: خصصه بالذكر لأنه صاحب الرسالة والكلام والآية . وقيل إنهما جميعا بلغا الرسالة وإن كان ساكتا ؛ لأنه في وقت الكلام إنما يتكلم واحد ، فإذا انقطع وازره الآخر وأيده . فصار لنا في هذا البناء فائدة علم ؛ أن الاثنين إذا قلدا أمرا فقام به أحدهما ، والآخر شخصه هناك موجود مستغنى عنه في وقت دون وقت أنهما أديا الأمر الذي قلدا وقاما به واستوجبا الثواب ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾ وقال: ﴿اذهب أنت وأخوك﴾ وقال: ﴿فقولا له﴾ فأمرهما جميعا بالذهاب وبالقول ، ثم أعلمنا في وقت الخطاب بقوله: ﴿فمن ربكما﴾ أنه كان حاضرا مع موسى . ﴿قال﴾ موسى: ﴿ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه﴾ أي أنه يعرف بصفاته ، وليس له اسم علم حتى يقال فلان بل هو خالق العالم ، والذي خص كل مخلوق بهيئة وصورة ، ولو كان الخطاب معهما لقالا: قالا ربنا "وخلقه" أول مفعولي أعطى ، أي أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به ، أو ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به ؛ على قول الضحاك على ما يأتي . ﴿ثم هدى﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي: أعطى كل شيء زوجه من جنسه ، ثم هداه إلى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه ، وعن ابن عباس ثم هداه إلى الألفة والاجتماع والمناكحة . وقال الحسن وقتادة: أعطى كل شيء صلاحه ، وهداه لما يصلحه . وقال مجاهد: أعطى كل شيء صورة ؛ ويجعل خلق الإنسان في خلق البهائم ، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان ، ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا . وقال الشاعر:
وله في كل شيء خلقه . . . وكذاك الله ما شاء فعل ." (٢)
"وقرأ الجمهور ﴿خطوات﴾ بضم الطاء . وسكنها عاصم والأعمش . وقرأ الجمهور ﴿ما زكى﴾ بتخفيف الكاف ؛ أي ما اهتدى ولا أسلم ولا عرف رشدا . وقيل: ﴿ما زكى﴾ أي ما صلح ؛ يقال: زكا يزكو زكاء ؛ أي صلح . وشددها الحسن وأبو حيوة ؛ أي أن تزكيته لكم وتطهيره وهدايته إنما هي بفضله لا بأعمالكم . وقال

---

(١) تفسير القرطبي – ت دار احياء التراث العربي بالهوامش ٣٠/١٦

(٢) تفسير القرطبي – ت دار عالم الكتب بالرياض ٢٠٤/١١

الكسائي: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ معترض ، وقوله :﴿ما زكى منكم من أحد أبدا﴾ جواب لقوله أولا وثانيا: ﴿ولولا فضل الله عليكم﴾ .

الحادية والعشرون: قوله تعالى: ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة﴾ الآية . المشهور من الروايات أن هذه الآية نزلت في قصة أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه ومسطح بن أثاثة . وذلك أنه كان ابن بنت خالته وكان من المهاجرين البدريين المساكين . وهو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف . وقيل: اسمه عوف ، ومسطح لقب . وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه لمسكنته وقرابته ؛ فلما وقع أمر الإفك وقال فيه مسطح ما قال ، حلف أبو بكر ألا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة أبدا ، فجاء مسطح فاعتذر وقال: إنما كنت أغشى مجالس حسان فأسمع ولا أقول . فقال له أبو بكر: لقد ضحكت وشاركت فيما قيل ؛ ومر على يمينه ، فنزلت الآية . وقال الضحاك وابن عباس: إن جماعة من المؤمنين قطعوا منافعهم عن كل من قال في الإفك وقالوا: والله لا نصل من تكلم في شأن عائشة ؛ فنزلت الآية في جميعهم . والأول أصح ؛ غير أن الآية تتناول الأمة إلى يوم القيامة بألا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ألا ينفع في هذه صفته غابر الدهر . روي في الصحيح أن الله تبارك وتعالى لما أنزل: ﴿إن الذين جاءوا بالأفك عصبة منكم﴾ العشر آيات ، قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره: والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة﴾ إلى قوله: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ . قال عبد الله بن المبارك: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى ؛ فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي ؛ فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: لا أنزعها منه أبدا . ." (١)

"الثانية والعشرون: في هذه الآية دليل على أن القذف وإن كان كبيرا لا يحبط الأعمال ؛ لأن الله تعالى وصف مسطحا بعد قوله بالهجرة والإيمان ؛ وكذلك سائر الكبائر ؛ ولا يحبط الأعمال غير الشرك بالله ، قال الله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ [الزمر: ٦٥] .

الثالثة والعشرون: من حلف على شيء لا يفعله فرأى فعله أولى منه أتاه وكفر عن يمينه ، أو كفر عن يمينه وأتاه ؛ كما تقدم في "المائدة] . ورأى الفقهاء أن من حلف ألا يفعل سنة من السنن أو مندوبا وأبد ذلك أنها جرحة في شهادته ؛ ذكره الباجي في المنتقى .

الرابعة والعشرون: قوله تعالى: ﴿ولا يأتل أولو الفضل﴾ ﴿ولا يأتل﴾ معناه يحلف ؛ وزنها يفتعل ، من الألية وهي اليمين ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿للذين يؤلون من نسائهم﴾ وقد تقدم في "البقرة" . وقالت فرقة: معناه يقصر ؛ من قولك: ألوت في كذا إذا قصرت فيه ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿لا يألونكم خبالا﴾ [آل عمران: ١١٨] .

الخامسة والعشرون: قوله تعالى: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ تمثيل وحجة أي كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم

---

(١) تفسير القرطبي – ت دار عالم الكتب بالرياض ١٢/٢٠٧

فكذلك اغفروا لمن دونكم ؛ وينظر إلى هذا المعنى قوله عليه السلام: "من لا يرحم لا يرحم" .
السادسة والعشرون: قال بعض العلماء: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى ، من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ . وقيل . أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله تعالى: ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا﴾ [الأحزاب: ٤٧] . وقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير﴾ [الشورى: ٢٢] ؛ فشرح الفضل الكبير في هذه الآية ، وبشر به المؤمنين في تلك . ومن آيات الرجاء قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ [الزمر: ٥٣] . وقوله تعالى: ﴿الله لطيف .﴾" (١)

"الآية: ٣٠ ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ، وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾
قوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ قرأ نافع وابن عامر ﴿بما كسبت﴾ بغير فاء . الباقون ﴿فبما﴾ بالفاء ، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم للزيادة في الحرف والأجر . قال المهدوي: إن قدرت أن "ما" الموصولة جاز حذف الفاء وإثباتها ، والإثبات أحسن . وإن قدرتها التي للشرط لم يجز الحذف عند سيبويه ، وأجازه الأخفش واحتج بقوله تعالى: ﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ [الأنعام: ١٢١] . والمصيبة هنا الحدود على المعاصي ؛ قاله الحسن . وقال الضحاك: ما تعلم رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب ؛ قال الله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ ثم قال: وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن ؛ ذكره ابن المبارك عن عبدالعزيز بن أبي رواد . قال أبو عبيد: إنما هذا على الترك ، فأما الذي هو دائب في تلاوته حريص على حفظه إلا أن النسيان يغلبه فليس من ذلك في شيء . ومما يحقق ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينسى الشيء من القرآن حتى يذكره ؛ من ذلك حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم: سمع قراءة رجل في المسجد فقال: "ما له رحمه الله ! لقد أذكرني آيات كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا" . وقيل: "ما" بمعنى الذي ، والمعنى الذي أصابكم فيما مضى بما كسبت أيديكم . وقال علي رضي الله عنه: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل . وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه ! وقد روي هذا المعنى مرفوعا عنه رضي الله عنه ، قال على بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها النبي

---

(١) تفسير القرطبي – ت دار عالم الكتب بالرياض ١٢/٢٠٨

صلى الله عليه وسلم: "وما من مصيبة فبما كسبت أيديكم" الآية: "يا علي ما أصابكم من مرض أوعقوبة أوبلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم . والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا عنه ." (١)

"ولما ذكر سبحانه الدنيا والآخرة ، ذكر ما يشملهما مما زاده من فضله ، فقال مصدرا بحرف الابتداء تأكيدا للكلام لأنهم ينكرونه وليست للقسم لأنها إذا دخلت على المضارع لزمته النون المؤكدة ، وضم هذه اللام إلى كلمة التنفيس للدلالة على أن العطاء وإن تأخر وقته لحكمة كائن لا محالة : ﴿ولسوف يعطي﴾ أي بوعد لا خلف فيه وإن تأخر وقته بما أفهمته الأداة ﴿ربك﴾ أي الذي لم يزل يحسن إليك بوعد الدنيا ووعيد الآخرة ﴿فترضى *﴾ أي فيتعقب على ذلك ويتسبب عنه رضاك .

وهذا شامل لما منحه بعد كمال النفس من كمال العلم وظهور الأمر وإعلاء الدين وفتح البلاد ودينونة العباد ونقص ممالك الجبابرة ، وإنهاب كنوز الأكاسرة والقياصرة ، وإحلال الغنائم حتى كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ، وشامل لما ادخره له سبحانه وتعالى في الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود ، والشفاعة العظمة إلى غير ذلك مما لا يدخل تحت الحدود ، وقد أفهمت العبارة أن الناس أربعة أقسام : معطى راض ، وممنوع غير راض ، ومعطى غير راض ، وممنوع راض ، وعن علي رضي الله عنه أناه أرجى آية في القرآن لأنه صلى الله عليه وسلم لا يرضى واحدا من أمته في النار .

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤٥٢

ولما وعده بأنه لا يزال في كل لحظة يرقيه في مراقي العلا والشرف ، ذكره بما رقاه به قبل ذلك من حين توفي أبوه وهو حمل وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين ، فتم

٤٥٦

". (٢)

"عن بعض . فأما من لا جرم له كالأنبياء والأطفال والمجانين ، فهؤلاء إذا أصابهم شيء من ألم أو غيره فللعوض الموفى والمصلحة . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : «ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب ، ولما يعفو الله عنه أكثر» «١» وعن بعضهم : من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه ، وأن ما عفا عنه مولاه أكثر : كان قليل النظر في إحسان ربه إليه . وعن آخر : العبد ملازم

---

(١) تفسير القرطبي – ت دار عالم الكتب بالرياض ٣٠/١٦

(٢) نظم الدرر ـ موافق للمطبوع ٦٨١/٨

للجنايات في كل أوان ، وجناياته في طاعاته أكثر من جناياته في معاصيه ، لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه ، والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ، ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة : وعن على رضى الله عنه وقد رفعه : من «عفى عنه في الدنيا عفى عنه في الآخرة «٢» ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الآخرة» وعنه رضى الله عنه : هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن بمعجزين بفائتين ما قضى عليكم من المصائب من ولي من متول بالرحمة .

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٣٢ إلى ٣٤]

ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام (٣٢) إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (٣٣) أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير (٣٤)

الجوار : السفن . وقرئ : الجوار كالأعلام كالجبال . قالت الخنساء :

كأنه علم في رأسه نار «٣»

---

(١) . أخرجه عبد الرزاق وابن أبي حاتم من طريق إسماعيل بن سليم عن الحسن والطبري والبيهقي في أواخر الشعب . عن قتادة كلاهما مرسل . ووصله عبد الرزاق من رواية الصلت بن بهرام عن أبي وائل عن البراء رضى الله عنه

(٢) . أخرجه ابن ماجة من رواية أبي جحيفة عن على رفعه . بلفظ : من أصاب ذنبا في الدنيا فعوقب به ، فالله أعدل من أن يثني على عبد عقوبته . ومن أذنب ذنبا فستر الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود في شيء عفا عنه» ورواه أحمد والبزار والحاكم والدارقطني والبيهقي في الشعب في السابع والأربعين . وقال إسحاق في مسنده :

أخبرنا عيسى بن يونس عن إسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفراء عن يونس بن حبان عن على نحوه وفيه انقطاع

(٣) وإن صخرا لمولانا وسيدنا وإن صخرا إذا يشتو لنحار

أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

للخنساء ترثى أخاها . ويشتو : أى يدخل في الشتاء ، وهو حكاية حال ماضية . ونحار : كثير نحر الإبل للضيفان كناية عن كثرة كرمه . والأغر : الأبيض . والأبلج : الطلق الوجه المعروف . والهداة : جمع هاد : من يتقدم غيره ليدله . والعلم : الجبل : وفي رأسه نار : صفة علم جاءت لترشيح التشبيه وتقريره ، والمبالغة في توضيح المشبه وتشهيره ، وعادة دليل الركب : الاهتداء إلى الطريق بالجبال الشامخة ، فإذا كان فوقها نار : علم أن أهلها كرام .

ويروى :

وإن صخرا لتأتم الهداة به ." (١)

"لما توعد الكفر ، وبين أن ذلك التقدير لا بد من وقوعه ، يعني : أن ذلك إنما هو من خواص الكفر ، أما سائر الذنوب غير الشرك ، فإنه يغفرها ، إن شاء .

قال الكلبي : نزلت في وحشي بن حرب ، وأصحابه ؛ وذلك أنه لما قتل حمزة ، كان قد جعل له على قتله أن يعتق ، فلم يوف له بذلك ، فلما قدم مكة ، ندم على صنعه ، هو ، وأصحابه ؛ فكتبوا إلى رسول الله A : إنا قد ندمنا على الذي صنعنا ، وإنه ليس يمنعنا عن الإسلام إلا أنا سمعناك تقول بمكة : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ﴾ [الفرقان : ٦٨] الآيات ، وقد دعونا مع الله إلها أخر ، وقتلنا النفس التي حرم الله قتلها وزنينا ، فلولا هذه الآيات ، لاتبعناك ؛ فنزلت : ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ﴾ [الفرقان : ٧٠] ، الآيتين ، فبعث بهما [رسول الله A] إليهم فلما قرءوا ، كتبوا إليه : إن هذا شرط شديد نخاف إلا نعمل عملا صالحا فنزل : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشآء ﴾ ، فبعث بها إليهم ، فبعثوا إليه : إنا نخاف ألا نكون من أهل المشيئة ؛ فنزلت : ﴿ ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ [الزمر : ٥٣] فبعث بها إليهم ؛ فدخلوا في الإسلام ، ورجعوا إلى النبي A فقبل منهم ، ثم قال [E] لوحشي : « أخبرني : كيف قتلت حمزة » ؟ فلما أخبره ، قال : « ويحك ! غيب وجهك عني » ، فلحق وحشي بالشام ، وكان بها إلى أن مات .

وروى أبو مجلز ، عن ابن عمر : « لما نزلت : » يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم « الآية ، قام رجل ، فقال : والشرك يا رسول الله ، فسكت ، ثم قام إليه مرتين ، أو ثلاثا ؛ فنزلت : » إن الله لا يغفر أن يشرك به « الآية ، قال مطرف بن الشخير : قال ابن عمر : كنا على عهد رسول الله A إذا مات الرجل على كبيرة ، شهدنا أنه من أهل النار ، حتى نزلت هذه الآية ، فأمسكنا عن الشهادات .

حكي عن علي – Bه – أن هذه الآية أرجى آية في القرآن .

قوله : ﴿ ويغفر ما دون ذلك ﴾ ، كلام مستأنف ، وليس عطفا على ﴿ يغفر ﴾ الأول ؛ لفساد المعنى ، والفاعل في ﴿ يشآء ﴾ ضمير عائد على الله تعالى ، ويفهم من كلام الزمخشري : أنه ضمير عائد على من في » لمن « لأن المعنى عنده : إن الله لا يغفر الشرك لمن لا يشاء أن يغفر له ؛ لكونه مات على الشرك ، غير تائب منه ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء أن يغفر له ، بكونه مات تائبا من الشرك ، و ﴿ لمن يشآء ﴾ متعلق ب ﴿ يغفر ﴾ . ." (٢)

---

(١) تفسير الكشاف مع الحواشى موافقا للمطبوع ٢٢٦/٤

(٢) تفسير اللباب – ابن عادل ١٩٣/٥

"وقال الواحدي : « وأصل هذا الحرف من المثل الذي هو الشبه ، ولما كان الأصل أن يكون العقاب مشابها للمعاقب عليه ، ومماثلا له سمي بهذا الاسم » .

والمعنى : يستعجلونك بالعذاب الذي لم نعاجلهم به ، وقد علموا ما نزل من عقوباتنا بالأمم الخالية ، أفلا يعتبرون بها .

ثم قال ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى قد يعفو عن صاحب الكبيرة قبل التوبةن لأن قوله : ﴿ لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ ، أي : حال اشتغالهم بالظلم كما يقال : رأيت الأمير على أكله ، أي حال اشتغاله بالأكل ، وهذا يقتضي كونه تعالى غافرا للناس حال اشتغالهم بالظلم ، ومعلوم أن حال اشتغال الإنسان بالظلم لا يكون تائبا ؛ فدل هذا على أنه تعالى قد يغفر الذنوب قبل الاشتغال بالتوبة ، وترك العمل بهذا الدليل في حق الكفر ؛ فوجب أن يبقى معمولا به في حق غير الكفرة ، وهو المطلوب .

ويقال : إنه تعالى لم يقتصر على قوله : ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ بل عطف عليه قوله : ﴿ وإن ربك لشديد العقاب ﴾ ؛ فوجب أن يحمل الأول على أصحاب الكبائر ، ويحتمل الثاني على الكفار .

قال المفسريون : « لذو مغفرة » لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا وعن المذنبين إذا تابوا .

وقال ابن عباس Bهما : أرجى آية في القرآن هذه الآية : ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ﴾ إذا أصروا على الكفر .

وروى حمضاد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب C تعالى قال : لما نزلت : ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ﴾ قال رسول الله A « لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هنأ أحدا عيش ولولا عقابه ووعيده وعذابه لاتكل كل أحد » .

فإن قيل : لم لا يجوز أن يكون المراد : لذو مغفرة لأهل الصغائر لأجل أن عقوبتهم مكفرة ، ثم نقول : لم لا يجوز أن يكون المراد إن ربك لذو مغفرة إذا تابوا ، وأنه تعالى إنما لا يعجل العقاب إمهالا لهم في الإتيان بالتوبة ، فإن تابوا فهو ذو مغفرة لهم ، ويكون المراد من هذه المغفرة [تأخير العقاب] إلى الآخرة ، بل نقول : يجب حمل اللفظ عليه ؛ لأن القوم طلبوا تعجيل العذاب ، فجيب أن تحمل المغفرة على تأخير العذاب حتى ينطبق الجواب على السؤال .

ثم يقال : لم لا يجوز أن يكون المراد بقوله : ﴿ لذو مغفرة ﴾ إمهالهم بالتوبة ، ولا يعجل بالعقوبة ، فإن تابوا ، فهو ذو مغفرة ، وإن لم يتوبوا ؛ فهو شديد العقاب ؟ . ." (١)

---

(١) تفسير اللباب – ابن عادل ٩/٣٩٠

"ويحمل قوله : ﴿ بما كسبت أيديكم ﴾ على أن الأصلح عند إتيانكم بذلك الكسب إنزال هذه المصائب عليكم .

فصل

هذه الآية تقتضي إضافة الكسب إلى اليد ، والكسب لا يكون بل بالقدرة القائمة باليد فوجب أن يكون المراد من لفظ اليد هاهنا القدرة ، وإذا كان هذا المجاز مشهورا مستعملا كان لفظ اليد الوارد في حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها لله تعالى عن الأعضاء .

قوله : ﴿ ويعفوا عن كثير ﴾ أي قد يترك الكثير بفضله ورحمته قال الواحدي بعد أن روى حديث علي المتنقدم : وهذه أرجى آية في كتاب الله ؛ لأن الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين ، صنف كفر عنهم بالمصائب ، وصنف عفا عنه في الدنيا ، وهو كرم لا يرجع في عفوه فهذه سنة الله مع المؤمنين . وأما الكافر ، فإنه لا يعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافي (ربه) يوم القيامة .

ثم قال : ﴿ ومآ أنتم بمعجزين ﴾ أي بفائتين « في الأرض » هربا ، أي لا تعجزونني حيث ما كنتم و لات سبقوني ﴿ وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ﴾ والمراد به من يعبد الأصنام ، بين أنه لا فائدة فيها ألبتة بل النصير هو الله تعالى ، فلا جرم هو الذي يحسن عبادته . ." (١)

"وأما الآية الأولى فلم تقع مسببة ، بل ناسبت ما قبلها ، فعطفت عليه بالواو ، وإذا كانت فإذا متصلة بقوله : ﴿وإذا ذكر الله وحده﴾ ، كما قلنا ، فما بينهما من الآي اعتراض يؤكد به ما بين المتصلين . فدعاء الرسول ربه بأمر منه وقوله : ﴿أنت تحكم﴾ ، وتعقيبه الوعيد ، تأكيد لاشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله في الشدائد دون آلهتهم . وقوله : ﴿ولو أن للذين ظلموا ﴾ يتناول لهم ، أو لكل ظالم ، إن جعل مطلقا أو إياهم خاصة إن عنوا به . انتهى ، وهو ملتقط أكثره من كلام الزمخشري ، وهو متكلف في ربط هذه الآية بقوله : ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت﴾ مع بعدما بينهما من الفواصل . وإذا كان أبو علي الفارسي لا يجيز الاعتراض بجملتين ، فكيف يجيزه بهذه الجمل الكثيرة ؟ والذي يظهر في الربط أنه لما قال : ﴿ولو أن للذين ظلموا ﴾ الآية ، كان ذلك إشعارا بما ينال الظالمين من شدة العذاب ، وأنه يظهر لهم يوم القيامة من العذاب ما لم يكن في حسابهم ، أتبع ذلك بما يدل على ظلمه وبغيه ، إذ كان إذا مسه دعا ربه ، فإذا أحسن إليه ، لم ينسب ذلك إليه . ثم إنه بعد وصف تلك النعمة أنها ابتلاء وفتنة ، كما بدا له في الآخرة من عمله الذي كان يظنه صالحا ما لم يكن في حسابه من سوء العذاب المترتب على ذلك العمل ، ترتب الفتنة على تلك

---

(١) تفسير اللباب – ابن عادل ٩١/١٤

النعمة . ﴿ولاكن أكثرهم لا يعلمون﴾ : أي إن ذلك استدراج وامتحان ﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ : أي قال مثل مقالتهم ﴿أوتيته على علما﴾ . والظاهر أن قائلي ذلك جماعة من الأمم الكافرة الماضية ، كقارون في قوله : ﴿قال إنمآ أوتيته على علم عندى ﴾ . وقيل : الذين من قبلهم هم قارون وقومه ، إذ رضوا بمقالته ، فنسب القول إليهم جميعا . وقرىء : قد قاله ، أي قال القول أو الكلام . ﴿فمآ أغنى عنهم﴾ : يجوز أن تكون ما نافية ، وهو الظاهر . وأن تكون استفهامية ، فيها معنى النفي . ﴿ما كانوا يكسبون﴾ : أي من الأموال . ﴿والذين ظلموا من ها ؤلاء﴾ : إشارة إلى مشركي قريش ، ﴿سيصيبهم سيات ما كسبوا ﴾ : جاء بسين الاستقبال التي هي أقل تنفيسا في الزمان من سوف ، وهو خبر غيب ، أبرزه الوجود في يوم بدر وغيره . قتل رؤساءهم ، وحبس عنه الرزق ، فلم يمطروا سبع سنين ؛ ثم بسط لهم ، فمطروا سبع سنين ، فقيل لهم : ألم تعلموا أنه لا قابض ولا باسط إلا الله تعالى ؟ .

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٢٥

﴿قل ياعبادى الذين أسرفوا ﴾ : نزلت في وحشي قاتل حمزة ، قاله عطاء ؛ أو في قوم آمنوا عياش بن

٤٣٣

ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ، ففتنتهم قريش ، فافتتنوا وظنوا أن لا توبة لهم ، فكتب عمر لهم بهذه الآية ، قاله عمر والسدي وقتادة وابن إسحاق . وقيل : في قوم كفار من أهل الجاهلية قالوا : وما ينفعنا الإسلام وقد زنينا وقتلنا النف وأتينا كل كبيرة ؟ ومناسبتها لما قبلها : أنه تعالى لما شدد على الكفار وذكر ما أعد لهم من العذاب ، وأنهم لو كان لأحدهم ما في الأرض ومثله معه لافتدى به من عذاب الله ، ذكر ما في إحسانه من غفران الذنوب إذا آمن العبد ورجع إلى الله . وكثيرا تأتي آيات الرحمة مع آيات النقمة ليرجو العبد ويخاف . وهذه الآية عام في كل كافر يتوب ، ومؤمن عاص يتوب ، تمحو الذنب توبته . وقال عبد الله ، وعلي ، وابن عامر : هذه أرجى آية في كتاب الله . وتقدم الخلاف في قراءة ﴿لا تقنطوا ﴾ في الحجر .

﴿إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ : عام يراد به ما سوى الشرك ، فهو مقيد أيضا بالمؤمن العاصي غير التائب بالمشيئة . وفي قوله : ﴿ى عبادى﴾ ، بإضافتهم إليه وندائهم ، إقبال وتشريف . و﴿أسرفوا على أنفسهم﴾ : أي بالمعاصي ، والمعنى : إن ضرر تلك الذنوب إنما هو عائد عليهم ، والنهي عن القنوط يقتضي الأمر بالرجاء ، وإضافة الرحمة إلى الله التفات من ضمير المتكلم إلى الاسم الغائب ، لأن في إضافتها إليه سعة للرحمة إذا أضيفت إلى الله الذي هو أعظم الأسماء ، لأنه العلم المحتوي على معاني جميع الأسماء . ثم أعاد الاسم الأعظم ، وأكد الجملة بأن مبالغة في الوعد بالغفران ، ثم وصف نفسه بما سبق في الجملتين من الرحمة والغفران بصفتي المبالغة ، وأكد بلفظ هو المقتضي عند بعضهم الحصر . وقال الزمخشري : ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ ، شرط التوبة . وقد تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن ، فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه ، لأن القرآن في حكم كلام واحد ، ولا يجوز فيه التناقض . انتهى ، وهو على طريقة المعتزلة في أن المؤمن العاصي

لا يغفر له إلا بشرط التوبة .

(١) ".

"من القول ، فسلما على متبعي الهدى وفي هذا توبيخ له . وفي هذا المعنى استعمل الناس هذه الآية في مخاطباتهم ومحاوراتهم . وقيل : هو مدرج متصل بقوله ﴿إنا قد أوحى إلينآ﴾ فيكون إذ ذاك خبرا بسلامة المهتدين من العذاب . وقيل ﴿على﴾ بمعنى اللام أي والسلامة ﴿لمن اتبعك﴾ .

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٤٣

وقال الزمخشري : وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين ، وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين انتهى . وهو تفسير غريب .

وقد يقال : السلام هنا السلامة من العذاب بدليل قوله ﴿إنا قد أوحى إلينآ أن العذاب على من كذب وتولى﴾ وبني ﴿أوحى ﴾ لما لم يسم فاعله ، ولم يذكر الموحى لأن فرعون كانت له بادرة فربما صدر منه في حق الموحى ما لا يليق به ، والمعنى على من كذب الأنبياء وتولى عن الإيمان . وقال ابن عباس هذه أرجى آية في القرآن لأن المؤمن ما كذب وتولى فلا يناله شيء من العذاب . وفي الكلام حذف تقديره فأتيا فرعون وقالا له ما أمرهما الله أن يبلغاه قال ﴿فمن ربكما ياموسى ﴾ خاطبهما معا وأفرد بالنداء موسى . قال ابن عطية : إذ كان صاحب عظم الرسالة وكريم الآيات . وقال الزمخشري لأنه الأصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه ، ويحتمل أن يحمله خبثه وذعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان موسى ، ويدل عليه قوله ﴿أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين﴾ انتهى .

واستبد موسى عليه السلام بجواب فرعون من حيث خصه بالسؤال والنداء معا ثم أعلمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا حيث خصه بالسؤال والنداء معا ثم أعلمه من صفات الله تعالى بالصفة التي لا شرك لفرعون فيها ولا بوجه مجاز . قال الزمخشري : ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الإنصاف وكان طالبا للحق انتهى . والمعنى أعطى كل ما خلق خلقته وصورته على ما يناسبه من الإتقان لم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم ، ولا خلق البهائم في خلق الإنسان ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا . وقال الشاعر :

وله في كل شيء خلقةوكذلك الله ما شاء فعل

وهذا قول مجاهد وعطية ومقاتل وقال الضحاك من المنفعة المنوطة به المطابقة له ﴿خلقه ثم هدى ﴾ أي يسر كل شيء لمنافعه ومرافقه ، فأعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار ، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع ، وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه . قال القشيري

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ (دار الفكر) /

: والخلق المخلوق لأن البطش والمشي والرؤية والنطق معان مخلوقة أودعها الله للأعضاء ، وعلى هذا مفعول ﴿أعطى ﴾ الأول ﴿كل شيء ﴾ والثاني ﴿خلقه﴾ وكذا في قول ابن عباس وابن جبير والسدي وهو أن المعنى ﴿أعطى كل شيء﴾ مخلوقه من جنسه أي كل حيوان ذكر نظيره أنثى في الصورة . فلم يزاوج منهما غير جنسه ثم هداه إلى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه . وعن ابن عباس أنه هداه إلى إلفه والاجتماع به والمناكحة . وقال الحسن وقتادة ﴿أعطى كل شيء﴾ صلاحه وهداه لما يصلحه .

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٤٣

وقيل ﴿كل شيء ﴾ هو المفعول الثاني لأعطى و﴿خلقه﴾ المفعول الأول أي ﴿أعطى ﴾ خليقته ﴿كل شيء ﴾ يحتاجون إليه ويرتفقون به . وقرأ عبد الله وأناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو نهيك وابن أبي إسحاق والأعمش والحسن ونصير عن الكسائي وابن نوح عن قتيبة وسلام خلقه بفتح اللام فعلا ماضيا في موضع الصفة لكل شيء أو لشيء ، ومفعول ﴿أعطى ﴾ الثاني حذف اقتصارا أي ﴿كل شيء خلقه﴾ لم يخله من عطائه وإنعامه ﴿ثم هدى ﴾ أي عرف كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل إليه . وقيل : حذف اختصارا لدلالة المعنى عليه ، أي ﴿أعطى كل شيء خلقه﴾ ما يحتاج إليه وقدره ابن عطية كماله أو مصلحته .

﴿قال فما بال القرون الاولى ﴾ لما أجابه موسى بجواب مسكت ، ولم يقدر فرعون على معارضته فيه انتقل

٢٤٧

". (١)

"التوبة : بالعلم الصحيح بقبح الذنب وسوء عاقبته وألم الوجدان من تصور سخط الله والخوف من عقابه ، والإقلاع عن الذنب أو الذنوب ؛ بباعث هذا الألم الذي هو ثمرة ذلك العلم ، والعزم على عدم العود إلى اقترافها ، ثم العمل بضدها ؛ ليمحى من النفس أثرها ، والروايات صريحة بأن اعتراف من ذكر بذنوبهم قد استتبع كل هذا .

(إن الله غفور رحيم) تعليل لرجاء قبول توبتهم ، إذ معناه أنه كثير المغفرة للتائبين واسع الرحمة للمحسنين ، كما قال : (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) (٢٠ : ٨٢) وكما قال : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) (٧ : ٥٦) وكما قص علينا من خبر استغفار الملائكة للمؤمنين قولهم : (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) إلى قوله : (وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) (٤٠ : ٧ - ٩) .

قال بعض العلماء : إن هذه الآية أرجى آية في القرآن ، وقال آخرون أرجى الآيات قوله تعالى : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر) ١٨٠/٦

رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) (٣٩ : ٥٣) وإنما هذا علاج لمن اشتد عليهم الخوف من إسرافهم في شهواتهم ، حتى كادوا يقنطون من رحمة ربهم لا للمصرين على ذنوبهم بغير مبالاة ، ولذلك قال بعدها : (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) (٣٩ : ٥٤) إلى آخر الآيات .

ومن العبرة في هذه الأقسام للمسلمين أن قسم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا يوجد في كل زمان ومكان ، كقسم الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وأما المهاجرون والأنصار الأولون الذين أقام الرسول – صلى الله عليه وسلم – بهم بناء الإسلام فهم الذين لا يلزبهم قرين . ولا يلحقهم لاحق من العالمين ، ولعل أكثر المسلمين الصادقين في هذا الزمان من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، ولعل أسوأ سيئاتهم ترك الجهاد بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله فيجب أن يسترشدوا بهذه الآية ، وبما ورد في سبب نزولها من توبة أبي لبابة وأصحابه ، ولا تتم العبرة بها ، إلا بتدبر ما بعدها ، وهو تطهير النفس من النفاق وضعف الإيمان ، ببذل الصدقات وغيره من صالح الأعمال .

وقد روى البخاري في تفسير الآية في صحيحه عن سمرة بن جندب مرفوعا : أتاني الليلة (أي في النوم) ملكان فابتعثاني فانتهيا بي إلى مدينة بلبن ذهب ، ولبن فضة فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء ، وشطر كأقبح ما أنت راء قالا لهم : اذهبوا فقعوا في ذلك النهر ، فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا ." (١)

"(٢)

الرعد (٤ _ ٦) (٣)

حكيما قادرا (٤) > ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات ﴾ بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة إلى سبخة وكريمة إلى زهيدة وصلبة إلى رخوة وذلك دليل على قادر مدبر مريد موقع لأفعاله على وجه دون وجه ﴿ وجنات ﴾ معطوفة على قطع ﴿ من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان ﴾ بالرفع مكى وبصرى وحفص عطف على قطع غيرهم بالجر بالعطف على أعناب والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها رأسان وأصلها واحد

---

(١) تفسير المنار ١١/١٨

(٢)

(٣)

(٤)< الرعد : (٤) وفي الأرض قطع . . . . .

وعن حفص بضم الصاد وهما لغتان ﴿ يسقى بماء واحد ﴾ وبالياء عاصم وشامى ﴿ ونفضل بعضها على بعض ﴾ وبالياء حمزة وعلى ﴿ في الأكل ﴾ في الثمر وبسكون الكاف نافع ومكى ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ عن الحسن مثل اختلاف القلوب في آثارها وأنوارها وأسرارها باختلاف القطع في أنهارها وأزهارها وثمارها (١) > ﴿ وإن تعجب ﴾ يا محمد من قولهم في انكار البعث ﴿ فعجب قولهم ﴾ خبر ومبتدأ أي فقولهم حقيق بأن يتعجب منه لأن من قدر على انشاء ما عدد عليك كانت الاعادة أهون شيء عليه وأيسره فكان انكارهم أعجوبة من الأعاجيب ﴿ أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد ﴾ في محل الرفع بدل من قولهم قرأ عاصم وحمزة كل واحد بهمزتين ﴿ أولئك الذين كفروا بربهم ﴾ أولئك الكافرون المتمادون في كفرهم ﴿ وأولئك الأغلال في أعناقهم ﴾ وصف لهم بالإصرار أو من جملة الوعيد ﴿ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ دل تكرار أولئك على تعظيم الأمر (٢) > ﴿ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة ﴾ بالنقمة قبل العافية وذلك أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره ﴿ وقد خلت من قبلهم المثلات ﴾ أي عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزءوا والمثلة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال أي ظالمين لأنفسهم قال السدى يعنى المؤمنين وهى أرجى آية في كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فإن التوبة تزيلها وترفعها ﴿ وإن ربك لشديد العقاب ﴾ على

". (٣)

" الرعد ٤ – ٦

حكيما قادرا وفي الأرض قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة إلى سبخة وكريمة إلى زهيدة وصلبة إلى رخوة وذلك دليل على قادر مدبر مريد موقع لأفعاله على وجه دون وجه وجنات معطوفة على قطع من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان بالرفع مكى وبصرى وحفص عطف على قطع غيرهم بالجر بالعطف على أعناب والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها رأسان وأصلها واحد وعن حفص بضم الصاد وهما لغتان يسقي بماء واحد وبالياء عاصم وشامى ونفضل بعضها على بعض وبالياء حمزة وعلى في الأكل في الثمر وبسكون الكاف نافع ومكى ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون عن الحسن مثل اختلاف القلوب في آثارها وأنوارها وأسرارها باختلاف القطع في أنهارها وأزهارها وثمارها وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فعجب قولهم

---

(١)> الرعد : (٥) وإن تعجب فعجب . . . . .

(٢)> الرعد : (٦) ويستعجلونك بالسيئة قبل . . . . .

(٣) تفسير النسفي ٢/٢١٠

خبر ومبتدأ أي فقولهم حقيق بأن يتعجب منه لأن من قدر على انشاء ما عدد عليك كانت الاعادة أهون شيء عليه وأيسره فكان انكارهم أعجوبة من الأعاجيب أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد في محل الرفع بدل من قولهم قرأ عاصم وحمزة كل واحد بهمزتين أولئك الذين كفروا بربهم أولئك الكافرون المتمادون في كفرهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وصف لهم بالإصرار أو من جملة الوعيد وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون دل تكرار أولئك على تعظيم الأمر ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية وذلك أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات أي عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزءوا والمثلة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال أي ظالمين لأنفسهم قال السدى يعنى المؤمنين وهى أرجى آية في كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فإن التوبة تزيلها وترفعها وان ربك لشديد العقاب على ." (١)

"ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة ﴾ بالنقمة قبل العافية وذلك أنهم سألوا رسول الله A أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بإنذاره ﴿ وقد خلت من قبلهم المثلات ﴾ أي عقوبات أمثالهم من المكذبين فمالهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا والمثلة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة . ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ [الشورى : ٤٠] ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال أي ظالمين لأنفسهم قال السدي يعني المؤمنين وهي أرجى آية في كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فإن التوبة تزيلها وترفعها ﴿ وإن ربك لشديد العقاب ﴾ على الكافرين أو هما جميعا في المؤمنين لكنه معلق بالمشيئة فيهما أي يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴿ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه اية من ربه ﴾ لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله A عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية وإحياء الموتى فقيل لرسول الله A ﴿ إنما أنت منذر ﴾ إنما أنت رجل أرسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأي آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها ﴿ ولكل قوم هاد ﴾ من الأنبياء يهديهم إلى الدين ويدعوهم إلى الله بآية خص بها لا بما يريدون ويتحكمون .

﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد ﴾ «ما» في هذه المواضع الثلاثة موصولة أي يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغيره ذلك وما تغيضه الأرحام أي ويعلم ما تنقصه يقال غاض الماء وغضته أنا وما تزداده والمراد عدد الولد فإنها تشتمل على واحد واثنين وثلاثة وأربعة أوجسد الولد فإنه يكون تاما ومخدجا أو مدة الولادة فإنها تكون أقل من تسعة أشهر

---

(١) تفسير النسفي [مدارك التنزيل ٢/٢١٠

وأزيد عليها إلى سنتين عندنا وإلى أربع عند الشافعي وإلى خمس عند مالك أو مصدرية أي يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الأرحام وازديادها ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ بقدر واحد لا يجازوه ولا ينقص عنه لقوله : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ [القمر : ٤٩] ." (١)

"﴿ وهو الذى ينزل الغيث ﴾ بالتشديد : مدني وشامي وعاصم ﴿ من بعد ما قنطوا ﴾ وقرىء ﴿ قنطوا ﴾ ﴿ وينشر رحمته ﴾ أي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب . وقيل لعمر Bه : اشتد القحط وقنط الناس . فقال : مطروا إذا أراد هذه الآية . أو أراد رحمته في كل شيء ﴿ وهو الولى ﴾ الذي يتولى عباده بإحسانه ﴿ الحميد ﴾ المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته ﴿ ومن ءاياته ﴾ أي علامات قدرته ﴿ خلق السماوات والأرض ﴾ مع عظمهما ﴿ وما بث ﴾ فرق ﴿ وما ﴾ يجوز أن يكون مرفوعا ومجرورا حملا على المضاف أو المضاف إليه ﴿ فيهما ﴾ من السماوات والأرض ﴿ من دابة ﴾ الدواب تكون في الأرض وحدها لكن يجوز أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور وإن كان ملتبسا ببعضه كما يقال : بنو تميم فيهم شاعر مجيد وإنما هو في فخذ من أفخاذهم ومنه قوله تعالى : ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ [الرحمن : ٢٢] وإنما يخرج من الملح ، ولا يبعد أن يخلق في السماوات حيوانات يمشون فيها مشي الأناسي على الأرض ، أو يكون للملائكة مشي مع الطيران فوصفوا بالدبيب كما وصف به الأناسي ﴿ وهو على جمعهم ﴾ يوم القيامة ﴿ إذا يشآء قدير ﴾ «إذا» تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي ، قال الله تعالى : ﴿ واليل إذا يغشى ﴾ [الليل : ١] .

﴿ ومآ أصابكم من مصيبة ﴾ غم وألم ومكروه ﴿ فبما كسبت أيديكم ﴾ أي بجناية كسبتموها عقوبة عليكم . ﴿ بما كسبت ﴾ بغير الفاء : مدني وشامي على أن «ما» مبتدأ و ﴿ بما كسبت ﴾ خبره من غير تضمين معنى الشرط ، ومن أثبت الفاء فعلى تضمين معنى الشرط . وتعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ وقال لو لم يكن للأطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا . وقلنا : الآية مخصوصة بالمكلفين بالسباق والسياق وهو ﴿ ويعفوا عن كثير ﴾ أي من الذنوب فلا يعاقب عليه أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة ، وقال ابن عطاء : من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر في إحسان ربه إليه . وقال محمد بن حامد : العبد ملازم للجنايات في كل أوان وجناياته في طاعته أكثر من جناياته في معاصيه لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ، ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة ، وعن علي رضي الله تعالى عنه : هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن لأن الكريم إذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا وإذا عفا لا يعود ﴿ ومآ أنتم

---

(١) تفسير النسفي [مدارك التنزيل – موقع التفاسير ٩٧/٢

بمعجزين فى الأرض ﴾ أي بفائتين ما قضى عليكم من المصائب ﴿ وما لكم من دون الله من ولى ﴾ متول بالرحمة ﴿ ولا نصير ﴾ ناصر يدفع عنكم العذاب إذا حل بكم . ." (١)

"وقوله ﴿ بقدر ﴾ أي على قدر المصلحة ووفق حال الشخص كقوله ﴿ وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ [الحجر : ٢١] وحي بين أن حكمته اقتضت عدم توسيع الرزق على كل الخلق أراد أن يبين أنه لا يترك ما يحتاجون إليه وإن بلغ أمرهم إلى حد اليأس والقنوط فقال ﴿ وهو الذي ينزل الغيث ﴾ الآية . ونشر الرحمة عموم المطر الأرض أو هي عامة في كل رحمة سوى المطر ﴿ وهو الولي ﴾ الذي يتولى أمور عباده ﴿ الحميد ﴾ على كل ما يفعله . ولا ريب أن هذه من جملة دلائل القدرة فلذلك عطف عليها قوله ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض ﴾ ومحل قوله ﴿ وما بث ﴾ إما مجرور عطفا على السموات أو مرفوع عطفا على خلق . وإنما قال ﴿ فيهما من دابة ﴾ مع أن الدواب في الأرض وحدها لأن الشيء قد ينسب إلى جميع المذكور وإن كان متلبسا ببعضه كما يقال : « بنو فلان فعلوا كذا » ولعله قد فعله واحد منهم فقط . ويجوز أن يكون للملائكة مع الطيران مشى فيتصفوا بالدبيب كالإنسان ، أو يكون في السموات أنواع أخر من الخلائق يدبون كما يدب الحيوان في الأرض . ﴿ وهو على جمعهم ﴾ أي إحيائهم بعد الموت ﴿ إذا يشاء قدير ﴾ وإذا يدخل على الماضي ومعنى الاستقبال في ﴿ يشاء ﴾ يعود إلى تعلق المشيئة لا إلى نفس المشيئة القديمة . ثم بين حال المكلفين وأن ما يصيبهم من ألم ومكروه وبلاء فهو عقوبة للمعاصي التي اكتسبوها ، وأن الله يعفو عن كثير من الذنوب أو الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة رحمة أو استدراجا . قال الحسن : أراد إقامة الحدود على المعاصي وأنه لم يجعل لبعض الذنوب حدا . وقيل : إن هذه في يوم القيامة فإن الدنيا دار تكليف لا دار جزاء . ولقائل أن يقول : كون الجزاء الأوفى على الإثم مخصوصا بالقيامة لا ينافي وصول بعض الجزاء إلى المكلف في الدنيا ، ولهذا قال علي B : هذه أرجى آية للمؤمنين في كتاب الله . وذلك أنه تعالى قسم ذنوب المؤمنين صنفين : صنف يكفره عنهم بالمصائب ، وصنف يعفو وهو كريم لا يرجع في عفوه ، نعم لو عكست القضية وقيل ما كسبت أيديكم فإنه يصيبكم به ألم وعذاب في الدنيا لكان هذا منافيا لكون الجزاء في الآخرة ولحصول العفو أيضا . روي عن علي بن أبي طالب B أن النبي A قرأ هذه الآية فقال : ما عفا الله عنه . فهو أعز وأكرم من أن يعود إليه في الآخرة وما عاقب عليه في الدنيا فالله أكرم من أن يعيد عليه العذاب في الآخرة . قال أهل التناسخ : لولا أن الأطفال والبهائم لهم حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة ما كانوا ليتألموا فإنهم لا ذنوب لهم الآن . وأجيب بالتزام أنهم لا يتألمون من المصائب والآلام وفيه بعد ، وبأن الخطاب في الآية لذوي العقول البالغين ، وبأنها في البالغين عقوبة أو زيادة درجة ، وفي الأطفال مثوبة لهم أو لوالديهم . ." (٢)

---

(١) تفسير النسفي [مدارك التنزيل – موقع التفاسير ٢٨٢/٣

(٢) تفسير النيسابوري ٤٧٠/٦

"روح المعاني ، ج ١٣ ، ص : ٤١

وأخرج ابن المنذر وجماعة عن الحسن قال : لما نزلت هذه الآية وما أصابكم إلخ ، قال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا اختلاج عرق ولا نكبة حجر ولا عثرة قدم إلا بذنب وما يعفو الله عز وجل عنه أكثر

، وأخرج ابن سعد عن أبي مليكة أن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما كانت تصدع فتضع يدها على رأسها وتقول بذنبي وما يغفره الله تعالى أكثر ، ورؤي على كف شريح قرحة فقيل : بم هذا ؟ فقال : بما كسبت يدي ، وسئل عمران بن حصين عن مرضه فقال : إن أحبه إلى الله تعالى وهذا بما كسبت يدي ، والآية مخصوصة بأصحاب الذنوب من المسلمين وغيرهم فإن من لا ذنب له كالأنبياء عليهم السلام قد تصيبهم مصائب ،

ففي الحديث «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»

ويكون ذلك لرفع درجاتهم أو لحكم أخرى خفيت علينا ، وأما الأطفال والمجانين فقيل غير داخلين في الخطاب لأنه للمكلفين وبفرض دخولهم أخرجهم التخصيص بأصحاب الذنوب فما يصيبهم من المصائب فهو لحكم خفية ، وقيل : في مصائب الطفل رفع درجته ودرجة أبويه أو من يشفق عليه بحسن الصبر ثم إن المصائب قد تكون عقوبة على الذنب وجزاء عليه بحيث لا يعاقب عليه يوم القيامة ، ويدل على ذلك ما

رواه أحمد في مسنده والحكيم الترمذي وجماعة عن علي كرم الله تعالى وجهه قال : ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير وسأفسرها لك يا علي ما أصابك من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله تعالى أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا الله تعالى عنه في الدنيا فالله سبحانه أكرم من أن يعود بعد عفوه

، وزعم بعضهم أنها لا تكون جزاء لأن الدنيا دار تكليف فلو حصل الجزاء فيها لكانت دار جزاء وتكليف معا وهو محال فما هي إلا امتحانات ، وخبر علي كرم الله وجهه يرده وكذا ما صح من أن الحدود أي غير حد قاطع الطريق مكفرات وأي محالية في كون الدنيا دار تكليف ويقع فيها لبعض الأشخاص ما يكون جزاء له على ذنبه أي مكفرا له .

وعن الحسن تفسير المصيبة بالحد قال : المعنى ما أصابكم من حد من حدود الله تعالى فإنما هو بكسب أيديكم وارتكابكم ما يوجبه ويعفو الله تعالى عن كثير فيستره على العبد حتى لا يحد عليه ، وهو مما تأباه الأخبار ومع هذا ليس بشيء ولعله لم يصح عن الحسن .

وفي الانتصاف أن هذه الآية تبلس عندها القدرية ولا يمكنهم ترويج حيلة في صرفها عن مقتضى نصها فإنها حملوا قوله تعالى : ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء [النساء : ٤٨ ، ١١٦] على التائب وهو غير ممكن لهم هاهنا

فإنه قد أثبت التبعيض في العفو ومحال عندهم أن يكون العفو هنا مقيدا بالتوبة فإنه يلزم تبعيضا أيضا وهي عندهم لا تتبعض كما نقل الإمام عن أبي هاشم وهو رأس الاعتزال والذي تولى كبره منهم فلا محل لها إلا الحق الذي لا مرية فيه وهو رد العفو إلى مشيئة الله تعالى غير موقوف على التوبة . وأجيب عنهم بأن لهم أن يقولوا : المراد ويعفو عن كثير فلا يعاقب عليه في الدنيا بل يؤخر عقوبته في الآخرة لمن لم يتب . وأنت تعلم ما دل خبر على كلام الله تعالى وجهه .

وما أنتم بمعجزين في الأرض أي بجاعلين الله سبحانه وتعالى عاجزا عن أن يصيبكم بالمصائب بما كسبت أيديكم وإن هربتم في أقطار الأرض كل مهرب ، وقيل : المراد أنكم لا تعجزون من في الأرض من جنوده تعالى فكيف من في السماء وما لكم من دون الله من ولي من متول بالرحمة يرحمكم إذا أصابتكم المصائب وقيل يحميكم عنها ولا نصير

يدفعها عنكم ، والجملة كالتقرير لقوله تعالى : ويعفوا عن كثير أي إن الله تعالى يعفو عن كثير من المصائب إذ لا قدرة لكم أن تعجزوه سبحانه فتفوتوا ما قضى عليكم منها ولا لكم أيضا من متول بالرحمة غيره عز وجل ليرحمكم إذا أصابتكم ولا ناصر سواه لينصركم منها ولهذا جاء عن علي كرم الله تعالى وجهه أن هذه أرجى آية (١) ".

"وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس في قوله (خاوية) قال خراب وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال (خاوية) ليس فيها أحد وأخرج أيضا عن الضحاك قال (على عروشها) سقوفها وأخرج ابن جرير عن السدى قال ساقطة على سقوفها وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال (لبثت يوما) ثم إلتفت فرأى الشمس فقال (او بعض يوم) وأخرج عنه أيضا قال كان طعامه الذي معه سلة من تين وشرابه زق من عصير وأخرج أيضا عن مجاهد نحوه واخرج أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله (لم يتسنه) قال لم يتغير وأخرج عبد بن حميد وابن جرير قال (لم يتسنه) لم ينتن وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود في قوله (ولنجعلك آية للناس) مثل ما تقدم عن الأعمش وكذلك أخرج مثله أيضا عن عكرمة وأخرج ابن جرير وابن امنذر عن ابن عباس في قوله (كيف ننشزها) قال نخرجها وأخرج ابن جرير عن زيد بن ثابت قال نحييها

البقرة ٢٦٠ (٢) > قوله (وإذ) ظرف منصوب بفعل محذوف أي اذكر وقت قول إبراهيم وأنما كان الأمر بالذكر موجها إلى الوقت دون ما وقع فيه مع كونه المقصود لقصد المبالغة لأن طلب وقت الشيء يستلزم

---

(١) روح المعانى . نسخة محققة ٤١/١٣

(٢)> البقرة : (٢٦٠) وإذ قال إبراهيم . . . . .

طلبه بالأولى وهكذا يقال في سائر المواضع الواردة في الكتاب العزيز بمثل هذا الظرف وقوله ﴿ رب ﴾ آثره على غيره لما فيه من الاستعطاف الموجب لقبول ما يرد بعده من الدعاء وقوله ﴿ أرني ﴾ قال الأخفش لم يرد رؤية القلب وإنما أراد رؤية العين وكذا قال غيره ولا يصح أن يراد الرؤية القلبية هنا لأن مقصود إبراهيم أن يشاهد الإحياء لتحصل له الطمأنينة والهمزة الداخلة على الفعل لقصد تعديته إلى المفعول الثاني وهو الجملة أعني قوله ﴿كيف تحيي الموتى ﴾ وكيف في محل نصب على التشبيه بالظرف أو بالحال والعامل فيها الفعل الذي بعدها وقوله ﴿ أو لم تؤمن ﴾ عطف على مقدر أي ألم تعلم ولم تؤمن بأني قادر على الإحياء حتى تسألني إراءته ﴿ قال بلى ﴾ علمت وآمنت بأنك قادر على ذلك ولكن سالت ليطمئن قلبي باجتماع دليل العيان إلى دلائل الإيمان وقد ذهب الجمهور إلى أن إبراهيم لم يكن شاكا في إحياء الموتى قط وإنما طلب المعاينة لما جبلت عليه النفوس البشرية من رؤية ما أخبرت عنه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (ليس الخبر كالمعاينة) وحكى ابن جرير عن طائفة من أهل العلم أنه سأل ذلك لأنه شك في قدرة الله واستدلوا بما صح عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين وغيرهما من قوله نحن أحق بالشك من إبراهيم) وبما روى عن ابن عباس أنه قال (ما في القرآن عندي آية أرجي منها) أخرجه عنه عبدالرزاق وعبد ابن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه ورجح هذا ابن جرير بعد حكايته له قال ابن عطية وهو عندي مردود يعني قول هذه الطائفة ثم قال وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم (نحن أحق بالشك من إبراهيم) فمعناه أنه لو كان شاكا لكنا نحن أحق به ونحن لا نشك فإبراهيم أحرى أن لا يشك فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم وأما قول ابن عباس هي أرجى آية فمن حيث أن فيها الإدلال على الله وسؤال الإحياء في الدنيا وليست مظنة ذلك ويجوز أن نقول هي أرجى آية لقوله ﴿ أو لم تؤمن ﴾ أي أن الإيمان كاف لا يحتاج

---

(١) ".

"قوله : " وإذ " ظرف منصوب بفعل محذوف ، أي : اذكر وقت قول إبراهيم ، وإنما كان الأمر بالذكر موجها إلى الوقت دون ما وقع فيه مع كونه المقصود لقصد المبالغة ؛ لأن طلب وقت الشيء يستلزم طلبه بالأولى ، وهكذا يقال في سائر المواضع الواردة في الكتاب العزيز بمثل هذا الظرف . وقوله : ﴿ رب ﴾ آثره على غيره لما فيه من الاستعطاف الموجب لقبول ما يرد بعده من الدعاء . وقوله : ﴿ أرني ﴾ قال الأخفش : لم يرد رؤية القلب ، وإنما أراد رؤية العين ، وكذا قال غيره ، ولا يصح أن يراد الرؤية القلبية هنا ؛ لأن مقصود إبراهيم أن يشاهد الإحياء لتحصل له الطمأنينة ، والهمزة الداخلة على الفعل لقصد تعديته إلى المفعول الثاني ، وهو الجملة : أعني قوله : ﴿كيف تحى الموتى ﴾ وكيف : في محل نصب على التشبيه بالظرف ، أو بالحال ،

---

(١) فتح القدير ٢٨١/١

والعامل فيها الفعل الذي بعدها . وقوله : ﴿ أولم تؤمن ﴾ عطف على مقدر أي : ألم تعلم ، ولم تؤمن بأني قادر على الإحياء حتى تسألني إراءته ؟ ﴿ قال بلى ﴾ علمت ، وآمنت بأنك قادر على ذلك ، ولكن سألت ليطمئن قلبي باجتماع دليل العيان إلى دلائل الإيمان .

وقد ذهب الجمهور إلى أن إبراهيم لم يكن شاكا في إحياء الموتى قط ، وإنما طلب المعاينة لما جبلت عليه النفوس البشرية من رؤية ما أخبرت عنه ، ولهذا قال النبي A : " ليس الخبر كالمعاينة " وحكى ابن جرير ، عن طائفة من أهل العلم أنه سأل ذلك ؛ لأنه شك في قدرة الله . واستدلوا بما صح عنه A في الصحيحين ، وغيرهما من قوله : " نحن أحق بالشك من إبراهيم " وبما روى عن ابن عباس أنه قال : «ما في القرآن عندي آية أرجى منها» . أخرجه عنه عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والحاكم وصححه ، ورجح هذا ابن جرير بعد حكايته له . قال ابن عطية : وهو عندي مردود ، يعني : قول هذه الطائفة ، ثم قال : وأما قول النبي A : " نحن أحق بالشك من إبراهيم " فمعناه : أنه لو كان شاكا لكنا نحن أحق به ، ونحن لا نشك ، فإبراهيم أحرى أن لا يشك . فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم . وأما قول ابن عباس : هي أرجى آية ، فمن حيث أن فيها الإدلال على الله ، وسؤال الإحياء في الدنيا ، وليست مظنة ذلك . ويجوز أن نقول هي أرجى آية لقوله : ﴿ أولم تؤمن ﴾ أي : أن الإيمان كاف لا يحتاج معه إلى تنقير ، وبحث ، قال : فالشك يبعد على من ثبت قدمه في الإيمان فقط ، فكيف بمرتبة النبوة ، والخلة ؟ والأنبياء معصومون من الكبائر ، ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعا ، وإذا تأملت سؤاله عليه السلام ، وسائر الألفاظ للآية لم تعط شكا ، وذلك أن الاستفهام ب ﴿ كيف ﴾ إنما هو سؤال عن حالة شيء موجود متقرر الوجود عند السائل ، والمسئول نحو قولك : كيف علم زيد ؟ وكيف نسج الثوب ؟ ونحو هذا ، ومتى قلت : كيف ثوبك ؟ وكيف زيد ؟ فإنما السؤال عن حال من أحواله . ." (١)

"قال مقاتل : وعظهم الله ، ليعتبروا في توحيده ، وذلك حين مطروا بعد سبع سنين ، فقال : أو لم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء ، ويقتر على من يشاء ﴿ إن فى ذلك لآيات ﴾ أي : في ذلك المذكور لدلالات عظيمة ، وعلامات جليلة ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ وخص المؤمنين ؛ لأنهم المنتفعون بالآيات المتفكرون فيها . ثم لما ذكر سبحانه ما ذكره من الوعيد عقبه بذكر سعة رحمته ، وعظيم مغفرته ، وأمر رسوله A : أن يبشرهم بذلك ، فقال : ﴿ قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ المراد بالإسراف : الإفراط في المعاصي ، والاستكثار منها ، ومعنى لا تقنطوا : لا تيأسوا من رحمة الله من مغفرته . ثم لما نهاهم عن القنوط أخبرهم بما يدفع ذلك ، ويرفعه ، ويجعل الرجاء مكان القنوط ، فقال : ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ .

---

(١) فتح القدير – الشوكاني ٣٨١/١

واعلم أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله سبحانه لاشتمالها على أعظم بشارة ، فإنه أولا أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم ، ومزيد تبشيرهم ، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي ، والاستكثار من الذنوب ، ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب ، فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولى ، وبفحوى الخطاب ، ثم جاء بما لا يبقي بعده شك ، ولا يتخالج القلب عند سماعه ظن ، فقال : ﴿ إن الله يغفر الذنوب ﴾ ، فالألف ، واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أفراده ، فهو في قوة إن الله يغفر كل ذنب كائنا ما كان ، إلا ما أخرجه النص القرآني ، وهو : الشرك ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [النساء : ٤٨ ، ١١٦] ، ثم لم يكتف بما أخبر عباده به من مغفرة كل ذنب ، بل أكد ذلك بقوله : ﴿ جميعا ﴾ فيا لها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم بربهم الصادقين في رجائه ، الخالعين لثياب القنوط الرافضين لسوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب ، ولا يبخل بمغفرته ، ورحمته على عباده المتوجهين إليه في طلب العفو الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم ، وما أحسن ما علل سبحانه به هذا الكلام قائلا : إنه هو الغفور الرحيم ، أي : كثير المغفرة ، والرحمة عظيمهما بليغهما واسعهما ، فمن أبى هذا التفضل العظيم ، والعطاء الجسيم ، وظن أن تقنيط عباد الله ، وتأييسهم من رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به ، فقد ركب أعظم الشطط ، وغلط أقبح الغلط ، فإن التبشير ، وعدم التقنيط الذي جاءت به مواعيد الله في كتابه العزيز ، والمسلك الذي سلكه رسوله A كما صح عنه من قوله : « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » وإذا تقرر لك هذا ، فاعلم أن الجمع بين هذه الآية ، وبين قوله : ". (١)

"والأولى حمل الآية على العموم ، والعفو يصدق على تأخير العقوبة كما يصدق على محو الذنب ، ورفع الخطاب به . قال الواحدي : وهذه أرجى آية في كتاب الله ؛ لأنه جعل ذنوب المؤمنين صنفين : صنف كفره عنهم بالمصائب ، وصنف عفا عنه في الدنيا ، وهو كريم لا يرجع في عفوه ، فهذه سنة الله مع المؤمنين . وأما الكافر ، فإنه لا يعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة ﴿ وما أنتم بمعجزين فى الأرض ﴾ أي : بفائتين عليه هربا في الأرض ، ولا في السماء لو كانوا فيها بل ما قضاه عليهم من المصائب واقع عليهم نازل بهم ﴿ وما لكم من دون الله من ولي ﴾ يواليكم ، فيمنع عنكم ما قضاه الله ﴿ ولا نصير ﴾ ينصركم من عذاب الله في الدنيا ، ولا في الآخرة .

ثم ذكر سبحانه آية أخرى من آياته العظيمة الدالة على توحيده ، وصدق ما وعد به ، فقال : ﴿ ومن ءاياته الجوار ﴾ قرأ نافع ، وأبو عمرو : (الجواري) بإثبات الياء في الوصل ، وأما في الوقف ، فإثباتها على الأصل ، وحذفها للتخفيف ، وهي : السفن واحدتها جارية أي : سائرة ﴿ فى البحر كالأعلام ﴾ أي : الجبال جمع

---

(١) فتح القدير – الشوكاني ٦/٢٩٥

علم ، وهو الجبل ، ومنه قول الخنساء :

وإن صخرا لتأتم الهداة به . . . كأنه علم في رأسه نار

قال الخليل : كل شيء مرتفع عند العرب ، فهو علم . وقال مجاهد : الأعلام القصور واحدها علم ﴿ إن يشأ يسكن الريح ﴾ قرأ الجمهور بهمز : ﴿ يشأ ﴾ ، وقرأ ورش عن نافع بلا همز . وقرأ الجمهور : ﴿ الريح ﴾ بالإفراد ، وقرأ نافع : (الرياح) على الجمع ، أي : يسكن الريح التي تجري بها السفن ﴿ فيظللن ﴾ أي : السفن ﴿ رواكد ﴾ أي : سواكن ثوابت ﴿ على ظهره ﴾ البحر ، يقال : ركد الماء ركودا : سكن ، وكذلك ركدت الريح ، وركدت السفينة ، وكل ثابت في مكان ، فهو راكد . قرأ الجمهور : (فيظللن) بفتح اللام الأولى ، وقرأ قتادة بكسرها ، وهي لغة قليلة . ﴿ إن فى ذلك ﴾ الذي ذكر من أمر السفن ﴿ لأيات ﴾ دلالات عظيمة ﴿ لكل صبار شكور ﴾ أي : لكل من كان كثير الصبر على البلوى كثير الشكر على النعماء . قال قطرب : الصبار الشكور الذي إذا أعطي شكر ، وإذا ابتلي صبر . قال عون بن عبد الله :

فكم من منعم عليه غير شاكر . . . وكم من مبتلي وهو غير صابر

﴿ أو يوبقهن بما كسبوا ﴾ معطوف على يسكن ، أي : يهلكهن بالغرق ، والمراد : أهلكهن بما كسبوا من الذنوب ، وقيل : بما أشركوا . والأول أولى ، فإنه يهلك في البحر المشرك وغير المشرك ، يقال : أوبقه ، أي : أهلكه ﴿ ويعف عن كثير ﴾ من أهلها بالتجاوز عن ذنوبهم ، فينجيهم من الغرق . قرأ الجمهور : ﴿ يعف ﴾ بالجزم عطفا على جواب الشرط . قال القشيري : وفي هذه القراءة إشكال ؛ لأن المعنى : إن يشأ يسكن الريح ، فتبقي تلك السفن رواكد ، أو يهلكها بذنوب أهلها ، فلا يحسن عطف ﴿ يعف ﴾ على هذا ، لأنه يصير المعنى : إن يشأ يعف ، وليس المعنى ذلك ، بل المعنى : الإخبار عن العفو من غير شرط المشيئة ، فهو : إذن عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى ، وقد قرأ قوم : (ويعفو) بالرفع ، وهي جيدة في المعنى . ." (١)

"ج٦ص٢٠٤

لما في من الكلام الأول من دعوى الرسالة في قوله : إنا رسولا ربك يذكر الدليل المثبت لها وهي جملة مستأنفة استئنافا بيانيا كأنه قيل به يعلم ذلك ونحوه والاستئناف لا ينافي ذلك وإنما قال : لما تضمنه لأنها لا تقرر قوله : أرسل الخ ، وقوله : من دعوى الرسالة بيان لما كان بيناه ، وأما كونه بيانا للكلام السابق وما تضنف ، هو المجيء بالآية التي لا تنفك عن الرسالة والتضمن هنا بمعنى الدلالة الالتزامية فتكلف ظاهر فإن قلت إذا كان هذا

---

(١) فتح القدير - الشوكاني ٣٨٤/٦

تقريرا لقوله إنا رسولا ربك ، كان ينبغي أذ يقرن به قلت قد أشار المصنف إلى دفعه في قوله : وتعقيب الإتيان الخ فلا حاجة إلى القول بأنه من تتمة دعوى الرسالة . قوله : (معه آيتان (أي العصا واليد بل آيات كما مر يعني مقتضى المقام بعد الدعوى أن يذكر أن له حجة وبرهانا على مذعاه من غير تعرض لوحدته وكثرته فلذا أفرد في هذه الآية ونظائرها ولو ذكر تعدده كان فضولا . قوله : (وسلام الملافكة الخ (في الكشاف يريد وسلام الملائكة عليهم الصلاة والسلام الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين وتحقيقه كما في بعض الشروح أنه جعل السلام تحية خزنة الجنة للمهتدين المتضمنة لوعدهم بالجنة ، وفيه تعريض لغيره ! بتوبيخ خزنة النار المتضمن لوعيدهم بعذابها لأن المقام للترغيب فيما هو حسن العاقبة وهو تصديق الرسل عليهم الصلاة والسلام والتنفير عن خلافه فلو جعل السلام بمعنى السلامة ، كما في قول عيسى صلى الله عليه وسلم : يوم ولدت الخ لم يفد أن ذلك في العاقبة وما قيل أن الدليل على أنه ليس بتحية أنه ليس ابتداء إلقاء ليس بشيء لأنه لم يجعل تحية موسى عليه الصلاة والسلام بل تحية الملائكة فما قيل إنه لا إشعار في اللفظ بهذا التخصيص مع مخالفته لما مر في قوله : والسلام عليئ يوم ولدت الآية غير مسلم . قوله : (أو السلامة في الدارين لهم (فالسلام مصدر بمعنى السلامة كالرضاع والرضاعة ، وقوله : لهم إشارة إلى أن على بمعنى اللام على هذا الوجه كما ورد عكسه في قوله لهم : اللعنة والحروف كثيرا ما تتقارض ، وقد حسنه هنا مقابلة المشاكلة في قوله : على من كذب فلا وجه لاستبعاده . قوله : (إن عذاب المشركين الخ (في عبارته قلق وركاكة وقد اختلفت النسخ وضبطها والمشهور فيها المشركين بثين معجمة وراء مهملة وكاف جمع مشرك والمراد به هنا مطلق الكافر فإنه أحد معنييه ومراده دفع ما يتوهم من حصر العذاب فيهم مع أن غيرهم معذب بأنه إنما يفيده إذا كان التعريف للجنس أو الاستغراق أما إذا كان للعهد والمراد به العذاب المعد للكفرة وهو المخلد فلا يفيده ولو سلم فلا محذور فيه كما إذا جعلته للاستغراق الادعائي مبالغة وهذا معنى قوك الإمام المراد من هذا العذاب العذاب الدائم فكان العذاب المتناهي عنده كلا عذاب وللنظر إلى ظاهرها قال ابن عباس رضي الله عنهما إنها أرجى آية في القرآن ، ووقع في بعض النسخ المنزلين بالنون والزاي المعجمة واللام ففي بعض الحواشي بالتثنية وفتح الميم تثنية منزل ، والمراد بهما الدنيا والآخرة وجعله مفهوما من مقام التهديد والإطلاق ، وهذا يناسب تفسير السلام الثاني وظاهر كلام بعضهم أنه حينئذ منزل بضم الميم أي منزلي العذاب وهم خزنة النار لوقوعه في مقابلة خزنة الجنة وهو بعيد جدا ، والمعؤل على النسخة الأولى عندهم ، وقواسه : على المكذبين الخ إشارة إلى أن من للعموم ولم يقل والمتولين أول خولهم فيهم . قوله : (ولعل تغيير التظم (إذ كان الظاهر أن ينفي السلام عن غيره ،

والوعيد هو العذاب والتوكيد بأن وقد ، وأول الأمر أي أمر الدعوة أنجع أي أنفع وأوفق وأليق بالواقع لأنه معذب لإصراره على كفره وطغيانه وهذا لا ينافي ما مر في قوله تعالى : ﴿ فقولا له قولا لينا ﴾ [سورة طه ، الآية : ٤٤] ، لأنه لم يوجه بهذا ولم يصرح بأنه له ولذا قدم الترغيب فيه على الترهيب . قوله : (أي بعد ما أتياه

وقالا له الخ (خطابهما وجهه ظاهر لأن الكلام معهما وأما كونه لم يقل من ربي فأظهر لأنه لا يعترف بالربوبية في الظاهر ، وقوله : لأنه الأصل أي في الدعوة والرسالة ويحتمل أنه لأنه يزعم أنه ربه لتربيته له فهذا أوفق بتلبيسه على الأسلوب الأحمق ، ويجوز أنه لتكبره عن أن يخاطب هرون . قوله : (أو لأنه عرف أن له رتة (قيل- : يرده ما شاهده منه عليه الصلاة والسلام من حيث البيان القاطع ." (١)

"فرط منه أمر ، أي: قد بدر .

قال [الزمخشري] (١) : "فرط" بمعنى: سبق وتقدم . ومنه الفارط: الذي يتقدم الوارد ، وفرس فرط: يسبق الخيل .

﴿أو أن يطغى﴾ يتجاوز الحد في الإساءة بنا .

وقيل: يطغى بالتخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي ؛ لجرأته عليك وقسوة قلبه .

﴿قال لا تخافا﴾ أي: لا تفزعا منه ، ﴿إنني معكما﴾ بالنصرة والعون ﴿أسمع﴾ محاورتكم ﴿وأرى﴾ ما يجري بينكم ، فأمنعكما منه بحفظي وكلايتي .

﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل﴾ أي: خل عنهم ﴿ولا تعذبهم﴾ بقتل الأبناء واستحياء النساء ، والاستخدام في الأعمال الشاقة من الحفر ونقل الحجارة والبناء .

﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ علامة دالة على صحة ما ادعيناه من الرسالة .

﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ قال مقاتل (٢) : من آمن بالله .

قال الزجاج (٣) : ليس يعني به التحية ، وإنما معناه: أن من اتبع الهدى سلم من عذاب الله ، يدل على هذا المعنى قوله: ﴿إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى﴾ أي: كذب بما جئنا به وأعرض عنه .

وقد قيل: إن هذه الآية أرجى آية في القرآن .

---

(١) . . . في الأصل: الزالمخشري . انظر: الكشاف (٣/٦٧) .

(٢) . . . تفسير مقاتل (٢/٣٣٠) .

(٣) . . . معاني الزجاج (٣/٣٥٨) .

(١/٥١٣) ." (٢)

"فرط منه أمر ، أي: قد بدر .

قال [الزمخشري] (١) : "فرط" بمعنى: سبق وتقدم . ومنه الفارط: الذي يتقدم الوارد ، وفرس فرط: يسبق الخيل

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى ٦/٢٠٤

(٢) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز ٤/٥١٣

.

﴿ أو أن يطغى ﴾ يتجاوز الحد في الإساءة بنا .

وقيل: يطغى بالتخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي ؛ لجرأته عليك وقسوة قلبه .

﴿ قال لا تخافا ﴾ أي: لا تفزعا منه ، ﴿ إنني معكما ﴾ بالنصرة والعون ﴿ أسمع ﴾ محاورتكم ﴿ وأرى ﴾ ما يجري بينكم ، فأمنعكما منه بحفظي وكلايتي .

﴿ فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ﴾ أي: خل عنهم ﴿ ولا تعذبهم ﴾ بقتل الأبناء واستحياء النساء ، والاستخدام في الأعمال الشاقة من الحفر ونقل الحجارة والبناء .

﴿ قد جئناك بآية من ربك ﴾ علامة دالة على صحة ما ادعيناه من الرسالة .

﴿ والسلام على من اتبع الهدى ﴾ قال مقاتل (٢) : من آمن بالله .

قال الزجاج (٣) : ليس يعني به التحية ، وإنما معناه: أن من اتبع الهدى سلم من عذاب الله ، يدل على هذا المعنى قوله: ﴿ إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ﴾ أي: كذب بما جئنا به وأعرض عنه .

وقد قيل: إن هذه الآية أرجى آية في القرآن .

---

(١) . . . في الأصل: الزلمخشري . انظر: الكشاف (٦٧/٣) .

(٢) . . . تفسير مقاتل (٣٣٠/٢) .

(٣) . . . معاني الزجاج (٣٥٨/٣) .

(٥١٣/١)

---------***#@---فاصل_صفحات---@#***---------". (١)

"صيغة فعال: من الحرفة . والعرب أكثرما تصوغ الحرف على وزن فعال مثل نجار وحداد وبزاز وعطار ونشار . فإذا جئنا بالصفة على وزن الصيغة (فعال) فكأنما حرفته هذا الشيء . وإذا قلنا عن إنسان أنه كذاب فكأنما يحترف الكذب . والنجار حرفته النجارة . إذن هذه الصيغة هي من الحرفة وهذه الصنعة تحتاج إلى المزاولة . وعليه فإن كلمة صبار تعني الذي يحترف الصبر . وقد وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم في صفات الله تعالى فقال تعالى (فعال لما يريد) قوله تعالى غفار بعدما يقول (كفار) ليدل على أن الناس كلما أحدثوا كفرا واستغفروا غفر الله تعالى لهم (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا (١٠) نوح) .

صيغة فعول: مأخوذة من المادة (المواد) مثل الوقود وهو الحطب الذي يوقد ويستهلك في الاتقاد ، والوضوء الماء الذي يستهلك في الوضوء ، والسحور ما يؤكل في السحور ، والسفوف وهو ما يسف ، والبخور وهو ما

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز – للإمام الرسعني (٦٦١هـ) ٥١٢/٤

يستهلك في التبخير . فصيغة فعول إذن تدل على المادة التي تستعمل في الشيء الخاصة به . وصيغة فعول يستوي فيها المؤنث والمذكر فنقول رجل شكور وامرأة شكور . ولا نقول شكورة ولا بخورة ولا وقودة مثلا . وكذلك صيغة فعول لا تجمع جمع مذكر سالم أو جمع مؤنث سالم فلا نقول رجال صبورين أو نساء صبورات وإنما نقول صبر وشكر وغفر . وعليه فإن كلمة شكور التي هي على وزن صيغة فعول منقولة من المادة . فإذا قلنا صبور فهي منقولة من المادة وهي الصبر وتعني أن من نصفه بالصبور هو كله صبر ويستنفذ في الصبر كما يستنفذ الوقود في النار . وكذلك كلمة غفور بمعنى كله مغفرة ولذلك قالوا أن أرجى آية في القرآن هي ما جاء في سورة الزمر في قوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم (٥٣)) . ." (١)

"صيغة فعول: مأخوذة من المادة (المواد) مثل الوقود وهو الحطب الذي يوقد ويستهلك في الاتقاد ، والوضوء الماء الذي يستهلك في الوضوء ، والسحور ما يؤكل في السحور ، والسفوف وهو ما يسف ، والبخور وهو ما يستهلك في التبخير . فصيغة فعول إذن تدل على المادة التي تستعمل في الشيء الخاصة به . وصيغة فعول يستوي فيها المؤنث والمذكر فنقول رجل شكور وامرأة شكور . ولا نقول شكورة ولا بخورة ولا وقودة مثلا . وكذلك صيغة فعول لا تجمع جمع مذكر سالم أو جمع مؤنث سالم فلا نقول رجال صبورين أو نساء صبورات وإنما نقول صبر وشكر وغفر . وعليه فإن كلمة شكور التي هي على وزن صيغة فعول منقولة من المادة . فإذا قلنا صبور فهي منقولة من المادة وهي الصبر وتعني أن من نصفه بالصبور هو كله صبر ويستنفذ في الصبر كما يستنفذ الوقود في النار . وكذلك كلمة غفور بمعنى كله مغفرة ولذلك قالوا أن أرجى آية في القرآن هي ما جاء في سورة الزمر في قوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم (٥٣)) .
وهنا نسأل أيهما أكثر مبالغة فعول أو فعال ؟ فعول بالتأكيد أكثر مبالغة من فعال ولذلك فكلمة صبور هي أكثر مبالغة وتعني أنه يفني نفسه في الصبر أما كلمة صبار فهي بمعنى الحرفة . ." (٢)

"صيغة فعول: مأخوذة من المادة (المواد) مثل الوقود وهو الحطب الذي يوقد ويستهلك في الاتقاد ، والوضوء الماء الذي يستهلك في الوضوء ، والسحور ما يؤكل في السحور ، والسفوف وهو ما يسف ، والبخور وهو ما يستهلك في التبخير . فصيغة فعول إذن تدل على المادة التي تستعمل في الشيء الخاصة به . وصيغة فعول يستوي فيها المؤنث والمذكر فنقول رجل شكور وامرأة شكور . ولا نقول شكورة ولا بخورة ولا وقودة مثلا . وكذلك صيغة فعول لا تجمع جمع مذكر سالم أو جمع مؤنث سالم فلا نقول رجال صبورين أو نساء صبورات

---

(١) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم ص/٧

(٢) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم ص/٢٥

وإنما نقول صبر وشكر وغفر . وعليه فإن كلمة شكور التي هي على وزن صيغة فعول منقولة من المادة . فإذا قلنا صبور فهي منقولة من المادة وهي الصبر وتعني أن من نصفه بالصبور هو كله صبر ويستنفذ في الصبر كما يستنفذ الوقود في النار . وكذلك كلمة غفور بمعنى كله مغفرة ولذلك قالوا أن أرجى آية في القرآن هي ما جاء في سورة الزمر في قوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم (٥٣)) . ." (١)

"صيغة فعال: من الحرفة . والعرب أكثرما تصوغ الحرف على وزن فعال مثل نجار وحداد وبزاز وعطار ونشار . فإذا جئنا بالصفة على وزن الصيغة (فعال) فكأنما حرفته هذا الشيء . وإذا قلنا عن إنسان أنه كذاب فكأنما يحترف الكذب . والنجار حرفته النجارة . إذن هذه الصيغة هي من الحرفة وهذه الصنعة تحتاج إلى المزاولة . وعليه فإن كلمة صبار تعني الذي يحترف الصبر . وقد وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم في صفات الله تعالى فقال تعالى (فعال لما يريد) قوله تعالى غفار بعدما يقول (كفار) ليدل على أن الناس كلما أحدثوا كفرا واستغفروا غفر الله تعالى لهم (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا (١٠) نوح) .

صيغة فعول: مأخوذة من المادة (المواد) مثل الوقود وهو الحطب الذي يوقد ويستهلك في الاتقاد ، والوضوء الماء الذي يستهلك في الوضوء ، والسحور ما يؤكل في السحور ، والسفوف وهو ما يسف ، والبخور وهو ما يستهلك في التبخير . فصيغة فعول إذن تدل على المادة التي تستعمل في الشيء الخاصة به . وصيغة فعول يستوي فيها المؤنث والمذكر فنقول رجل شكور وامرأة شكور . ولا نقول شكورة ولا بخورة ولا وقودة مثلا . وكذلك صيغة فعول لا تجمع جمع مذكر سالم أو جمع مؤنث سالم فلا نقول رجال صبورين أو نساء صبورات وإنما نقول صبر وشكر وغفر . وعليه فإن كلمة شكور التي هي على وزن صيغة فعول منقولة من المادة . فإذا قلنا صبور فهي منقولة من المادة وهي الصبر وتعني أن من نصفه بالصبور هو كله صبر ويستنفذ في الصبر كما يستنفذ الوقود في النار . وكذلك كلمة غفور بمعنى كله مغفرة ولذلك قالوا أن أرجى آية في القرآن هي ما جاء في سورة الزمر في قوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم (٥٣)) . ." (٢)

"لطائف الإشارات ، ج ٣ ، ص : ٢٨٧

أو لم يروا كيف خالف بين أحوال الناس في الرزق : فمن موسع عليه رزقه ، ومن مضيق عليه ، وليس لواحد منهم شيء مما خص به من التقليل أو التكثير .

قوله جل ذكره :

---

(١) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم ص/٢٨

(٢) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم ص/٢٨

[سورة الزمر (٣٩) : آية ٥٣]

قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم (٥٣)

«١» التسمية ب «يا عبادي» مدح «٢» ، والوصف بأنهم «أسرفوا» ذم . فلما قال :

«يا عبادي» طمع المطيعون في أن يكونوا هم المقصودين بالآية ، فرفعوا رءوسهم ، ونكس العصاة رءوسهم وقالوا : من نحن . . حتى يقول لنا هذا ؟ ! فقال تعالى : «الذين أسرفوا» فانقلب الحال فهؤلاء الذين نكسوا رءوسهم انتعشوا وزالت ذلتهم ، والذين رفعوا رءوسهم أطرقوا وزالت صولتهم «٣» .

ثم أزال الأعجوبة عن القسمة بما قوى رجاءهم بقوله : «على أنفسهم» يعنى إن أسرفت فعلى نفسك أسرفت .

«لا تقنطوا من رحمة الله» : بعد ما قطعت اختلافك إلى بابنا فلا ترفع قلبك عنا .

«إن الله يغفر الذنوب جميعا» الألف واللام فى «الذنوب» للاستغراق والعموم ، والذنوب جمع ذنب ، وجاءت «جميعا» للتأكيد فكأنه قال : أغفر ولا أترك ، وأعفو ولا أبقى .

---

(١) أورد الواحدي في أسباب النزول عدة اقوال بشأن من نزلت فيهم هذه الآية الكريمة ، ومن هذه الروايات :

عن ابن عباس قال : نزلت في أهل مكة حين قالوا : يزعم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له ، فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله إلها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله .

وقال ابن عمر : نزلت في عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فتركوا دينهم .

ويروى أنها نزلت في وحشي قاتل حمزة . (الواحدي ص ٢٤٨ ، ٢٤٩) .

(٢) يقول الدقاق : ليس شيء أشرف من العبودية ، وقد سمى بها الحق نبيه (ص) فقال : سبحان الذي أسرى بعبده ، وقال : فأوحى إلى عبده ما أوحى - ولو كان اسم أجل من العبودية لسماه به . (الرسالة ص ١٠٠) .

(٣) راجع ما قاله القشيري في قصة داود : (إن زلة أسفك عليها يوصلك إلى ربك أجدى عليك من طاعة إعجابك بها يقصيك عن ربك) . ويقول على بن أبي طالب : ما في القرآن أوسع من هذه الآية . ويقول عبد الله ابن عمر : هذه أرجى آية في القرآن . [. . . . .] ." (١)

---

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع ٣/٢٨٧

"لافاضة وجوداتها عليها بمقتضى الحكمة فيمكن أن يقال : إن المفاتح بمعنى الخزائن إشارة إلى تلك الماهيات الأزلية التي هي كالمرايا لما غاب عنا من الصور وتلك حاضرة عنده تعالى أزلا ولا يعلمها علما حضوريا غير محتاج إلى صورة ظلية إلا هو جل وعلا وهذا ظاهر لمن أخذت العناية بيده (ويعلم ما في البر) أي بر النفوس من ألوان الشهوات ومراتبها (والبحر) أي بحر القلوب من لآليء الحكم ومرجان العرفان (وما تسقط من ورقة) من أوراق أشجار اللطف والقهر في مهيع النفس وخصم القلب (إلا يعلمها) في سائر أحوالها (ولا حبة) من بذر الجلال والجمال (في ظلمات الأرض) وهو عالم الطبائع والاشباح (ولا رطب) من الالهامات التي ترد على القلب بلطف من غير انزعاج (ولا يلبس) من الوساوس والخطرات التي تفزع منها النفس حين ترد عليها (إلا في كتاب مبين) وهو علمه سبحانه الجامع وبعضهم لم يؤول شيئا من المذكورات وفسر الكتاب بسماء الدنيا لتعين هذه الجزئيات فيها ويمكن أن يقال إن الكتاب إشارة إلى ماهيات الأشياء وهي المسمات بالاعيان الثابتة ومعنى كونها فيها ما أشرنا اليه أن تلك الأعيان كالمرايا لهذه الموجودات الخارجية (وهو الذي يتوفاكم بالليل) أي ينيمكم وقيل : يتوفاكم بطيران أرواحكم في الملكوت وسيرها في رياض حضرات اللاهوت (١) وقيل : يحتمل أن يكون المعنى ويعلم ما كسبتموه بنهار التجلي الجمالي من الانس أو شوارد العرفان (ثم يبعثكم فيه) أي فيما جرحتم من صور أعمالكم ومكاسبكم الحسنة والقبيحة وقيل الحسنة وقيل فيما كسبتموه في نهار التجلي وأول الأقوال هنا وفيما تقدم أولى (ليقضي أجل مسمى) أي معين عنده (ثم إلى ربكم ترجعون) في عين الجمع المطلق (فينبئكم بما كنتم تعملون) باظهار صور أعمالكم عليكم وجزائكم بها (وهو القاهر فوق عباده) لأنه الوجود المطلق حتى عن قيد الاطلاق وله الظهور حسبما تقتضيه الحكمة ولا تقيده المظاهر (والله من ورائهم محيط) + (ويرسل عليكم حفظة) وهي للقوى التي ينطبع فيها الخير والشر ويصير أو ملكه ويظهر عند انسلاخ الروح ويتمثل بصورة مناسبة أو القوى السماوية التي تنتقش فيها الصور الجزئية ولا تغادر صغيرة ولا كبيرة (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) قيل : هم نفس أولئك الحفظة وقد أودع الله تعالى فيهم القدرة على التوفي (ثم ردوا إلى الله) في عين الجمع المطلق (مولاهم) أي مالكهم الذي يلي سائر أحوالهم إذ لا وجود لها إلا به (الحق) وكل ما سواه باطل وذكر بعض أهل الاشارة أن هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى بناء على أن الله تعالى أخبر برجوع العبد اليه سبحانه وخروجه من سجن الدنيا وأيدي الكاتبين واصفا نفسه له بأنه مولاه الحق المشعر بأن غيره سبحانه لا يعد مولى حقا ولاشك أنه لا أعز للعبد من أن يكون مرده إلى مولاه (ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) إد ظهور الأعمال بالصور المناسبة آن مفارقة الروح للجسد

(قل من ينجيكم من ظلمات البر) وهي الغواشي النفسانية (والبحر) وهي حجب صفات القلب تدعونه إلى كشفها (تضرعا) في نفوسكم (وخفية) في اسراركم لئن أنجيتنا من هذه الغواشي والحجب لنكونن

من الشاكرين بنعمة الانجاء بالاستقامة والتمكين (قل الله ينجيكم منها) بانوار تجليات صفاته ومن كل كرب سوى ذلك بأن

١- وقيل : يمكن أن يكون المعنى وهو الذي يضيق عليكم إلى حيث يكاد تزهق أرواحكم في ليل القهر وتجلي الجلال (ويعلم ما جرحتم) أي كسبتم (بالنهار) من الأعمال مطلقا وقيل من الأعمال الشاقة على النفس المؤلمة لها كالطاعات

". (١)

"في العفو ومحال عندهم أن يكون العفو هنا مقيدا بالتوبة فإنه يلزم تبعيضها أيضا وهي عندهم لا تتبعض كما نقل الأمام عن أبي هاشم وهو رأس الأعتزال والذي تولى كبره منهم فلا محل لها إلا الحق الذي لا مرية فيه وهو رد العفو إلى مشيئة الله تعالى غير موقوف على التوبة وأجيب عنهم بأن لهم أن يقولوا : المراد ويعفو عن كثير فلا يعاقب عليه في الدنيا بل يؤخر عقوبته في الآخرة لمن لم يتب وأنت تعلم ما دل خبر علي كرم الله تعالى وجهه

(٢) > (وما أنتم بمعجزين في الأرض (أي بجاعلين الله سبحانه وتعالى عاجزا أن يصيبكم بالمصائب بما كسبت أيديكم وإن هربتم في أقطار الأرض كل مهرب وقيل : المراد إنكم لا تعجزون من في الأرض من جنوده تعالى فكيف من في السماء (وما لكم من دون الله من ولي (من متول بالرحمة يرحمكم إذا أصابتكم المصائب وقيل يحميكم عنها (ولا تصير

٣١

(يدفعها عنكم والجملة كالتقرير لقوله تعالى : (ويعفو عن كثير) أي إن الله تعالى يعفو عن كثير من المصائب إذ لا قدرة لكم أن تعجزوه سبحانه فتفو ما قضى عليكم منه اولا لكم أيضا متول بالرحمة غيره عز وجل ليرحمكم إذا أصابتكم ولاناصر سواه لينصركم منها ولهذا جاء عن علي كرم الله تعالى وجهه أن هذه أرجى آية في القرآن للمؤمنين ويقوي أمر الرجاء على ما قيل : أن معنى (ما أنتم) الخ ما أنتم بمعجزين الله تعالى في دفع مصائبكم أي أنه سبحانه قادر على ذلك (٣) > (ومن آياته الجوار) أي السفن الجواري أي الجارية فهي صفة لموصوف محذوف لقرينة قوله تعالى : (في البحر (وبذلك حسن الحذف وإلافهي صفة غير مختصة والقياس فيها أن لا يحذف الموصوف وتقوم مقامه وجوز أبو حيان أن يقال : إنها صفة غالبة كالأبطح وهي يجوز فيها أن تلي العوامل بغير ذكر الموصوف و (في الحر) متعلق بالجواري وقوله تعالى : (كالأعلام

---

(١) روح المعاني ١٩٢/٧

(٢)> الشورى : (٣١) وما أنتم بمعجزين . . . . .

(٣)> الشورى : (٣٢) ومن آياته الجوار . . . . .

٣٢

(في موضع الحال (١)

١- وجوز أن يكون الأول أيضا كذلك والأعلام جمع علم وهو الجبل وأصله الأثر الذي يعلم به الشيء كعلم الطريق وعلم الجيش وسمي الجبل علما لذلك ولا اختصاص له بالجبل اذ ليعليه النار للأهتداء أذا أريد ذلك قيد كما في قول الخنساء : وإن صخر التأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار وفيه مبالغة لطيفة وحكى أن النبيصص قال لما سمعه : قاتلها الله تعالى ما رضيت بتشبيه بالجبل حتى جعلت على رأسه نارا وقرأ نافع وأبو عمرو و (الجواري) بياء في الوصل دون الوقف

وقرأابن كثير به افيهما والباقون بالحذف فيهما والأثبات على الأصل والحذف للتخفيف وعلى كل فالأعراب تقديري وسمع بعض العرب الأعراب على الراء (١) > (إن يشأ يسكن الريح (التي تجري بها ويعدم سبب تموجها وهو تكاثف الهواء الذي كان في المحل الذي جرت إليه وتراكم بعضه على بعض وسبب ذلك التكاثف إما انخفاض درجة حرارة الهواء فيقل تمدده ويتكلف ويتكاثف ويترك أكثر المحل الذي كان مشغولا به خليا وإما تجمع فجائي يحصل في الأبخرة المنتشرة في الهواء فيخلو محلها وهذا على ما قيل أقوى الأسباب فإذا وجد الهواء أمامه فراغا بسبب ذلك جرى بقوة ليشغله فتحدث الر وتستمر حتى تملأ المحل وما ذكر في سبب التموج هو الذي ذكره فلاسفة العصر وأما المتقدمون فذكروا أشياء أخر ولعل هناك أسبابا غير ذلك كله لا يعلمها إلا الله عز وجل والقول بالأسباب تحريكا وإسكانا لا ينافي إسناد الحوادث إلى الفاعل المختار جل جلاله وعم نواله

". (٢)

"وذكر بعض أهل الإشارة أن هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى بناء على أن الله تعالى أخبر برجوع العبد إليه سبحانه وخروجه من سجن الدنيا وأيدي الكاتبين واصفا نفسه له بأنه مولاه الحق المشعر بأن غيره سبحانه لا يعد مولى حقا ، ولا شك أنه لا أعز للعبد من أن يكون مرده إلى مولاه ﴿ ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ﴾ [الأنعام : ٦٢] إذ ظهور الأعمال بالصور المناسبة آن مفارقة الروح للجسد . ﴿ * ﴾ إذ ظهور الأعمال

---

(١)> الشورى : (٣٣) إن يشأ يسكن . . . . .

(٢) روح المعاني ٤٢/٢٥

بالصور المناسبة آن مفارقة الروح للجسد . ﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر ﴾ وهي الغواشي النفسانية ﴿ والبحر ﴾ وهي حجب صفات القلب ﴿ تدعونه ﴾ إلى كشفها ﴿ تضرعا ﴾ في نفوسكم ﴿ وخفية ﴾ في أسراركم ﴿ لئن أنجانا من هذه ﴾ الغواشي والحجب ﴿ لنكونن من الشاكرين ﴾ [الأنعام : ٦٣] نعمة الإنجاء بالاستقامة والتمكين ﴿ قل الله ينجيكم منها ﴾ بأنوار تجليات صفاته ومن كل كرب سوى ذلك بأن يمن عليكم بالفناء ﴿ ثم أنتم ﴾ بعد علمكم بقدرته تعالى على ذلك ﴿ تشركون ﴾ [الأنعام : ٦٤] به أنفسكم وأهواءكم فتعبدونها ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ﴾ بأن يحجبكم عن النظر في الملكوت أو بأن يقهركم باحتجابكم بالمعقولات والحجب الروحانية ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ بأن لا يسهل عليكم القيام على باب الربوبية بنعت الخدمة وطلب الوصلة أو بأن يحجبكم بالحجب الطبيعية ﴿ أو يلبسكم شيعا ﴾ فرقا مختلفة كل فرقة على دين قوة من القوى تقابل الفرقة الأخرى أو يجعل أنفسكم مختلفة العقائد كل فرقة على دين دجال ﴿ ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ [الأنعام : ٦٥] بالمنازعات والمجادلات حسبما يقتضيه الاختلاف ﴿ لكل نبإ ﴾ أي ما ينبأ عنه ﴿ مستقر ﴾ أي محل وقوع واستقرار ﴿ وسوف تعلمون ﴾ [الأنعام : ٦٧] حين يكشف عنكم حجب أبدانكم ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون فى ءاياتنا ﴾ بإظهار صفات نفوسهم وإثبات العلم والقدرة لها ﴿ فأعرض عنهم ﴾ [الأنعام : ٦٨] لأنهم محجوبون مشركون ﴿ وما على الذين يتقون ﴾ وهم المتجردون عن صفاتهم ﴿ من حسابهم ﴾ أي من حساب هؤلاء المحجوبين ﴿ من شيء ولكن ذكرى ﴾ أي فليذكروهم بالزجر والردع ﴿ لعلهم يتقون ﴾ [الأنعام : ٦٩] يحترزون عن الخوض .
وجوز أن يكون المعنى أن المتجردين لا يحتجبون بواسطة مخالطة المحجوبين ولكن ذكرناهم لعلهم يزيدون في التقوى ﴿ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ﴾ أي اترك الذين عادتهم اللعب واللهو الخ فإنهم قد حجبوا بما رسخ فيهم عن سماع الإنذار وتأثيره فيهم ﴿ وذكر به ﴾ أي بالقرآن كراهة ﴿ أن تبسل نفس بما كسبت ﴾ أي تحجب بكسبها بأن يصير لها ملكة أي ذكر من لم يكن دينه اللعب واللهو لئلا يكون دينه ذلك وأما من وصل إلى ذلك الحد فلا ينفعه التذكير ﴿ أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم ﴾ وهو شدة الشوق إلى الكمال ." (١)

"﴿ وما أنتم بمعجزين فى الارض ﴾ أي جاعلين الله سبحانه وتعالى عاجزا عن أن يصيبكم بالمصائب بما كسبت أيديكم وإن هربتم في أقطار الأرض كل مهرب ، وقيل : المراد أنكم لا تعجزون من في الأرض من جنوده تعالى فكيف من في السماء ﴿ وما لكم من دون الله من ولى ﴾ من متول بالرحمة يرحمكم إذا أصابتكم المصائب وقيل يحميكم عنها ﴿ ولا نصير ﴾ يدفعها عنكم ، والجملة كالتقرير لقوله تعالى : ﴿ ويعفوا عن كثير ﴾ [الشورى : ٣٠] أي أن الله تعالى يعفو عن كثير من المصائب إذ لا قدرة لكم أن تعجزوه سبحانه فتفوتوا

---

(١) روح المعاني - الألوسي ٣٨٥/٥

ما قصى عليكم منها ولا لكم أيضا من متول بالرحمة غيره D ليرحمكم إذا أصابتكم ولا ناصر سواه لينصركم منها ولهذا جاء عن علي كرم الله تعالى وجهه أن هذه أرجى آية في القرآن للمؤمنين ، ويقوى أمر الرجاء على ما قيل : أن معنى ﴿ ما أنتم ﴾ الخ ما أنتم بمعجزين الله تعالى في دفع مصائبكم أي أنه سبحانه قادر على ذلك ." (١)

"﴿سيهديهم﴾ أي أيام حياتهم في الدنيا إلى أرشد الأمور ، وفي الآخرة إلى الدرجات بوعد لا خلف فيه ﴿ويصلح بالهم﴾ أي يرضي خصماءهم ، ويقبل أعمالهم ﴿ويدخلهم الجنة﴾ أي : الكاملة في النعيم ﴿عرفها﴾ أي : أعلمها ، وبينها ﴿لهم﴾ أي : بما يعلم به كل أحد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد : يهتدي أهل الجنة إلى مساكنهم منها لا يخطئون كأنهم كانوا سكانها منذ خلقوا ، يستدلون عليها وعن مقاتل : أن الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما : عرفها لهم : طيبها مشتق من العرف وهو الريح الطيبة يقال طعام معرف أي : مطيب . ﴿يأيها الذين آمنوا﴾ أي : أقروا بذلك ﴿إن تنصروا
٦
الله﴾ أي : دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ينصركم﴾ أي : على عدوكم فإنه الناصر لا غيره ، من عدد أو عدد . ويثبت أقدامكم أي في القيام بحقوق الإسلام والمجاهده مع الكفار ولما بين تعالى ما لأهل الإيمان بين ما لأهل الكفران بقوله تعالى :

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤
والذين كفروا﴾ وهو مبتدأ أي : ستروا ما دل عليه العقل ، وقادت إليه الفطرة الأولى ، وخبره تعسوا يدل عليه قوله تعالى : ﴿فتعسا لهم﴾ أي : هلاكا لهم وخيبة من الله تعالى ، وقال ابن عباس : أي بعدا لهم وقيل التعس الجر على الوجه ، والنكس : الجر على الرأس وقوله تعالى : ﴿وأضل أعمالهم﴾ عطف على تعسوا أي : أبطلها وإن كانت ظاهرة الإتقان ؛ لأجل تضييع الأساس وهو الإيمان . وقوله تعالى :
﴿ذلك﴾ يجوز أن يكون مبتدأ والخبر الجار بعده ، أو خبر مبتدأ مضمر . أي : الأمر ذلك ﴿بأنهم﴾ أي : بسبب أنهم ﴿كرهوا ما أنزل الله﴾ أي : الملك الأعظم الذي لا نعمة إلا منه من القرآن وما أنزل الله تعالى فيه من التكاليف والأحكام لأنهم قد ألفوا الإهمال وإطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك ، وتعاظمهم

(١) روح المعاني – الألوسي ١٨/٢٧٩

والذي أنزله من القرآن وغيره هو روح الوجود الذي لا بقاء بدونه فلما كرهوا الروح الأعظم بطلت أرواحهم فتبعتها أشباحهم وهو معنى قوله تعالى مسببا بيانا لمعنى إضلال أعمالهم ﴿فأحبط﴾ أي : أبطل إبطالا لاصلاح معه ﴿أعمالهم﴾ بسبب : أنهم أفسدوها بنياتهم فصارت وإن كانت صورها صالحة ليس لها أرواح لكونها واقعة على غير ما أمر به الله الذي لا أمر إلا له ، ولا يقبل من العمل إلا ما حده ورسمه ثم خوف الكفار بقوله تعالى : ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ أي : التي فيها آثار الوقائع ﴿فينظروا كيف كان عاقبة﴾ أي : آخر أمر ﴿الذين من قبلهم دمر الله﴾ أي : أوقع الملك الأعظم الهلاك ﴿عليهم﴾ بما عم أهاليهم وأموالهم ، وكل من رضي أفعالهم أو مقالهم . وعدل عن أن يقول ﴿ولهؤلاء﴾ إلى قوله تعالى ﴿وللكافرين﴾ تعميما وتعليقا للحكم بالوصف وهو العراقة في الكفر ﴿أمثالها﴾ أي : أمثال عاقبة من قبلهم .

﴿ذلك﴾ أي : الأمر العظيم وهو نصر المؤمنين وقهر الكافرين ، ﴿بأن الله﴾ أي : بسبب أن الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال ﴿مولى﴾ أي : ولي وناصر ﴿الذين آمنوا﴾ فهو يفعل معهم بما له من الجلال والجمال ما يفعل القريب بقريبه الحبيب له قال القشيري : ويصح أن يقال : أرجى آية في القرآن هذه الآية ؛ لأن الله تعالى لم يقل إنه هادي العباد وأصحاب الأوراد والاجتهاد بل علق ذلك بالإيمان ﴿وأن الكافرين﴾ أي : العريقين في هذا الوصف .

﴿لا مولى لهم﴾ فيدفع العذاب عنهم وهذا لا يخالف قوله تعالى ﴿وردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ (سورة يونس ، آية : ٣٠)

فإن المولى فيه بمعنى المالك ثم ذكر سبحانه وتعالى ما للفريقين بقوله تعالى :

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤

٧

﴿إن الله﴾ أي الذي له جميع الصفات ﴿يدخل الذين آمنوا﴾ أي : أوقعوا التصديق ﴿وعملوا﴾ تصديقا لما ادعوا أنهم أوقعوه ﴿الصالحات﴾ أي : الطاعات ﴿جنات﴾ أي : بساتين عظيمة الشأن موصوفة بأنها ﴿تجري من تحتها﴾ أي : من تحت قصورها ﴿الأنهار﴾ فهي دائمة النمو والبهجة والنضارة والثمرة ﴿والذين كفروا يتمتعون﴾ أي : في الدنيا بالملاذ ، كما تتمتع الأنعام ناسين ما أمر الله تعالى به معرضين عن كتابه .

﴾

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٧

ويأكلون﴾ على سبيل الاستمرار ﴿كما تأكل الأنعام﴾ أي : أكل التذاذ ومرح من أي موضع كان وكيف الأكل من غير تمييز الحرام من غيره ، إذ ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم ، لا يلتفتون إلى الآخرة ؛ لأن الله تعالى أعطاهم الدنيا ، ووسع عليهم فيها ، وفرغهم لها حتى شغلتهم عنه هوانا بهم وبغضا لهم فيدخلهم نارا وقودها الناس والحجارة كما قال تعالى : ﴿والنار مثوى لهم﴾ أي : منزل ومقام ومصير ولما ضرب الله تعالى لهم

مثلا بقوله تعالى ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ ولم ينفعهم مع ما تقدم من الدلائل ضرب للنبي صلى الله عليه وسلم مثلا تسلية له . فقال تعالى : ." (١)

"ويروى أن الله تعالى لما خلق العرش أظلت عمامة سوداء ونادت ماذا أمطر ؟

فأجيبت : أن امطري السرور ساعة فلهذا ترى الهموم والأحزان دائمة والسرور قليلا ونادرا ، وقدم ذكر الضحى وأخر الليل ؛ لأنه يشبه الموت .

وقوله تعالى : ﴿ما ودعك﴾ ، أي : تركك يا أشرف الرسل تركا تحصل به فرقة كفرقة المودع ، ولو على أحسن الوجوه الذي هو مراد المودع ﴿ربك﴾ ، أي : المحسن إليك جواب القسم ﴿وما قلى﴾ ، أي : وما أبغضك بغضا ما ، وتركت الكاف لأنه رأس آية كقوله تعالى : ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾ (الأحزاب : ٣٥)

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٦٣٢

أي الله .

تنبيه : اختلفوا في سبب نزول هذه الآية على ثلاثة أقوال أحدها ما روى البخاري عن جندب بن سفيان قال : "اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتين أو ثلاثا فجاءت أم جميل امرأة أبي لهب ، فقالت : يا محمد ، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث" فنزلت .

ثانيها : ما روى أبو عمرو قال : "أبطأ جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم حتى شق عليه فجاءه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو وأنزل عليه الآية" .

ثالثها : ما روي "أن خولة كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إن جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أياما لا ينزل عليه الوحي ، فقال صلى الله عليه وسلم يا خولة ما حدث في بيتي إن جبريل عليه السلام لا يأتيني قالت خولة : فكنست فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا جرو ميت فأخذته فألقيته خلف الجدار فجاء نبي الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة ، فقال : يا خولة ، دثريني فأنزل الله تعالى هذه السورة .

ولما نزل جبريل عليه السلام سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن التأخير فقال : أما علمت أنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة" .

رابعها : ما روي "أن اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف ؟

فقال صلى الله عليه وسلم سأخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله ، فاحتبس عنه الوحي إلى أن نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى : ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله﴾ (الكهف : ٢٣)

فأخبره بما سئل عنه ، وفي هذه القصة نزلت ﴿ما ودعك ربك﴾" واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه . فقال

---

(١) تفسير السراج المنير – دار الكتب العلمية ٤/٦

ابن جرير : اثنا عشر يوما . وقال ابن عباس : خمسة عشر يوما . وقال مقاتل : أربعون يوما . قالوا : وقال المشركون : إن محمدا ودعه ربه وقلاه فأنزل الله تعالى هذه السورة فقال النبي صلى الله عليه وسلم "يا جبريل
٦٣٣
ما جئت حتى اشتقت إليك ؟
فقال جبريل عليه السلام : إني كنت إليك أشد شوقا ولكني عبد مأمور وأنزل الله تعالى : ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾" (مريم : ٦٤)
﴿وللآخرة﴾ التي هي المقصود من الوجود بالذات لأنها باقية خاصة عن شوائب الكدر ﴿خير لك﴾ ، أي : لما فيها من الكرامات لك ﴿من الأولى﴾ ، أي : الدنيا الفانية التي لا سرور فيها خالص وقيد تعالى بقوله سبحانه : ﴿لك﴾ لأنها ليست خيرا لكل أحد .
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٦٣٢
قال البقاعي : إن الناس على أربعة أقسام : منهم من له الخير في الدارين وهم أهل الطاعة الأغنياء ، ومنهم : من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء ، ومنهم من له صورة خير في الدنيا وشر في الآخرة وهم الكفرة الأغنياء ، ومنهم من له صورة شر في الدنيا وخير في الآخرة وهم المؤمنون الفقراء . وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أهل البيت أختار الله لنا الآخرة على الدنيا" .
﴿ولسوف يعطيك﴾ ، أي : بوعد لا خلف فيه وإن تأخر وقته بما أفهمته الأداة ﴿ربك﴾ ، أي : المحسن إليك بسائر النعم في الآخرة من الخيرات عطاء جزيلا ﴿فترضى﴾ ، أي : به فقال صلى الله عليه وسلم "إذا لا أرضى وواحد من أمتي في النار" . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص : أن النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال : "اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله تعالى : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك" . وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال : "لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئا" وعن عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أتاني آت من عند ربي يخبرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة ، فهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئا" . وعن شريح قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقول : إنكم معشر أهل العراق تقولون أرجى آية في القرآن ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ (الزمر : ٥٣) ." (١)

---

(١) تفسير السراج المنير – دار الكتب العلمية ٤٠٢/٤

" (^ نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا (٤٧) إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى) * * * * (^ معكم) من التوراة والإنجيل (^ من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها) الطمس : المحو ، ومعناه : من قبل أن نطمس الوجه ، ونرده إلى القفا ، وقيل : معناه : نبات الشعر عليه ، حتى يصير كالقردة ، وقيل : يجعل عينيه على القفا ليمشي بقهقرى ، وروى : أن عبد الله بن سلام لما سمع هذه الآية ، جاء إلى النبي ويده على وجهه ، فأسلم ، وقال : خفت أن يطمس وجهي قبل أن أصل إليك ، وكذلك كعب الأحبار لما سمع هذه الآية أسلم في زمن عمر رضي الله عنه .

فإن قال قائل : قد أوعد اليهود بالطمس إن لم يسلموا ، ولم يطمس وجوههم ، فكيف ذلك ؟ قيل : هذا كان في قوم معدودين أسلموا ، وذلك : عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سعيد ، وأوس بن سعيد ، والمحيريق ، وجماعة ، ولو لم يسلموا لطمسوا .

وقيل : أراد به : الطمس في القيامة ، قال مجاهد : أراد بقوله (^ نطمس وجوها) أي : نتركهم في الضلالة ؛ فيكون المراد طمس القلب (^ أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) أي : نجعلهم قردة كما جعلنا أصحاب السبت قردة (^ وكان أمر الله مفعولا) . (١)>

قوله تعالى : (^ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) قيل : هذه أرجى آية في القرآن ، قال ابن عمر : كنا نطلق القول فيمن ارتكب الكبائر بالخلود في النار ، حتى نزلت هذه الآية ، فتوقفنا (^ ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما) أي : اختلق إثما عظيما ، فإن قال قائل : قد قال الله تعالى : (^ إن الله لا يغفر أن يشرك به) وقال في موضع آخر : (^ إن الله يغفر الذنوب جميعا) فكيف وجه الجمع ؟

قيل أراد به : يغفر الذنوب جميعا سوى الشرك .

---

(١)> النساء : (٤٨) إن الله لا . . . . .

(١) ".

"

(^ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور (٣٤) الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب (٣٥) والذين كفروا لهم) * * * * * أنه قال : أرجى آية في كتاب الله تعالى هذه الآية ؛ لأنه جمع بين الظالم والمقتصد والسابق ، ثم قال : (^ جنات عدن يدخلوها) وعن بعضهم قال : إن الواو في قوله : (^ يدخلونها) أحب إلي من كذا وكذا . وعن كثير من السلف أنهم قالوا : كل هؤلاء من هذه الآية .

وقوله : (^ يحلون فيها من أساور من ذهب) ظاهر المعنى . والأساور : جمع السوار .

وقوله : (^ ولؤلؤ) أي : من ذهب ولؤلؤ ، وقرئ : ' ولؤلؤا ' بالنصب أي : يحلون لؤلؤا .

وقوله : (^ ولباسهم فيها حرير) أي : الديباج . ومن المعروف أن النبي قال : ' من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ' ، وقال : ' هو لهم في الدنيا ، ولنا في الآخرة ' . (٢)>

قوله تعالى : (^ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) قال ابن عباس : حزن النار . وعن قتادة : حزن الموت . وعن بعضهم : هم المعيشة .

وقال مجاهد : هم الخبز . والأولى أن يحمل على جميع الأحزان ، فهم ينجون عن كلها ، ومن المعروف أن الحزن : هو حزن أهوال القيامة .

وقوله : (^ إن ربنا لغفور شكور) قد بينا . (٣)>

قوله تعالى : (^ الذي أحلنا دار المقامة من فضله) قد بينا معنى المقامة والمقامة .

وقوله تعالى : (^ لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) أي : تعب وإعياء . (٤)>

قوله تعالى : (^ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا) أي : لا يقضي عليهم الموت فيموتوا .

وقوله : (^ ولا يخفف عنهم من عذابها) أي : من عذاب النار .

---

(١) تفسير السمعاني ٤٣٤/١

>(٢) فاطر : (٣٤) وقالوا الحمد لله . . . . .

>(٣) فاطر : (٣٥) الذي أحلنا دار . . . . .

>(٤) فاطر : (٣٦) والذين كفروا لهم . . . . .

" . (١)

" (^ الفاسقون (٣٥)) * * * * * * * *

وقوله : (^ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) أي : الكافرون ، والفاسق : [هو] الخارج عن طاعة الله ، وذلك الكافر ، ويقال : إن هذه الآية أرجى آية في القرآن . قال قتادة : لا يهلك على الله إلا هالك ، ثم فسر الهالك قال : هو كافر ولى الإسلام ظهره ، أو منافق يصف الإيمان بلسانه وينكر بقلبه .

" . (٢)

وقوله : (^ وللآخرة خير لك من الأولى) يعني : ثواب الله خير لك من نعيم الدنيا ، وقد روى أن عمر – رضي الله عنه – دخل على النبي فرآه مضجعا على حصير ، قد أثر الحصير في جنبه ، فبكى عمر – رضي الله عنه – فقال رسول الله : ' وما يبكيك يا عمر ؟ فقال : ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من النعيم ، وذكرت حالك وأنت رسول الله .

فقال له النبي : أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ' . (٣)>

وقوله : (^ ولسوف يعطيك ربك فترضى) أي : من الثواب والكرامة والمنزلة حتى [ترضى] ، وفي بعض التفاسير : هو ألف قصر من اللؤلؤ وترابها المسك ، والقول الثالث : أنه الشفاعة لأمته ، وعن محمد بن علي الباقر قال : إنكم تقولون : إن أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله : (^ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) الآية ، ونحن نقول : أرجى آية في كتاب الله تعالى هو قوله : (^ ولسوف يعطيك ربك فترضى) يعني : أنه يشفعه في أمته حتى يرضى . (٤)>

قوله تعالى : (^ ألم يجدك يتيما فآوى) سماه يتيما ؛ لأن أباه توفي وهو حمل ، وقيل : بعد ولادته بشهرين ، وتوفيت أمه وهو ابن ست سنين ، وكفله جده عبد المطلب ، ثم مات وهو ابن ثمان سنين ، وكفله عمه أبو طالب ، ومعنى قوله : (^ فأوى) أي : جعل لك مأوى ، وهو أبو طالب ، والمعنى : يأوي إليه ، وتوفي أبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين . (٥)>

---

(١) تفسير السمعاني ٤/٣٦٠

(٢) تفسير السمعاني ٥/١٦٦

(٣)> الضحى : (٥) ولسوف يعطيك ربك . . . . . .

(٤)> الضحى : (٦) ألم يجدك يتيما . . . . . .

(٥)> الضحى : (٧) ووجدك ضالا فهدى

وقوله : (^ ووجدك ضالا فهدى) أي : عن الشرائع والإسلام فهداك إليها ، ويقال : عن النبوة ، وقيل : ووجدك ضالا أي : غافلا عما يراد بك فهداك إليه ، وهو أحسن

"قيل لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم ؟ قال: إنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم وقرأ هذه الآية . وأجاب الأولون بأن حصول هذه المصائب يكون من باب الامتحان في التكليف لا من باب العقوبة كما في حق الأنبياء والأولياء بل ذلك لزيادة درجات وفضائل وخصوصيات لا يصلون إليها إلا بها لأن أعمالهم لم تبلغها فهي خير من الله تعالى لهم ، ويحمل قوله تعالى: ﴿فبما كسبت أيديكم﴾ على أن الأصلح عند إتيانكم بذلك الكسب إنزال هذه المصائب عليكم ﴿ويعفو عن كثير﴾ أي: من الذنوب بفضله ورحمته فلا يعاقب عليها ولولا عفوه وتجاوزه ما ترك على ظهرها من دابة قال الواحدي بعد أن روى حديث علي: وهذه أرجى آية في كتاب الله تعالى لأن الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين ؛ صنف: كفر عنهم بالمصائب ، وصنف: عفا عنهم في الدنيا وهو كريم لا يرجع في عفوه ، فهذه سنة الله تعالى مع المؤمنين وأما الكافر: فإنه لا تعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة .
﴿وما أنتم بمعجزين﴾ أي: فائتين ما قضى عليكم من المصائب ﴿في الأرض وما لكم من دون الله﴾ ولا في شيء أراده سبحانه منكم كائنا ما كان ﴿من ولي﴾ أي: يكون متوليا لشيء من أموركم بالاستقلال ﴿ولا نصير﴾ يدفع عنكم شيئا يريده سبحانه بكم .
(١٠/٩٩)

﴿ومن آياته﴾ أي: الدالة على تمام قدرته واختياره ووحدانيته ﴿الجواري﴾ أي: السفن الجارية ﴿في البحر كالأعلام﴾ أي: كالجبال قالت الخنساء في مرثية أخيها صخر:
*وإن صخرا لتأتم الهداة به **كأنه علم في رأسه نار*
(١٠/١٠٠)

أي: جبل في رأسه نار شبهت به أخاها . روي أن النبي صلى الله عليه وسلم «استنشد قصيدتها هذه فلما وصل الراوي هذا البيت قال: قاتلها الله تعالى ما رضيت بتشبيهه بالجبل حتى جعلت في رأسه نارا» . وقال مجاهد: الأعلام القصور وأحدها علم ، وقال الخليل بن أحمد: كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم . ." (١)

---

(١) تفسير السراج المنير – الشربيني ص/٣٩٦٥

"﴿ذلك﴾ يجوز أن يكون مبتدأ والخبر الجار بعده ، أو خبر مبتدأ مضمر . أي: الأمر ذلك ﴿بأنهم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿كرهوا ما أنزل الله﴾ أي: الملك الأعظم الذي لا نعمة إلا منه من القرآن وما أنزل الله تعالى فيه من التكاليف والأحكام لأنهم قد ألفوا الإهمال وإطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك ، وتعاظمهم والذي أنزله من القرآن وغيره هو روح الوجود الذي لا بقاء بدونه فلما كرهوا الروح الأعظم بطلت أرواحهم فتبعتها أشباحهم وهو معنى قوله تعالى مسببا بيانا لمعنى إضلال أعمالهم ﴿فأحبط﴾ أي: أبطل إبطالا لاصلاح معه ﴿أعمالهم﴾ بسبب: أنهم أفسدوها بنياتهم فصارت وإن كانت صورها صالحة ليس لها أرواح لكونها واقعة على غير ما أمر به الله الذي لا أمر إلا له ، ولا يقبل من العمل إلا ما حده ورسمه ثم خوف الكفار بقوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ أي: التي فيها آثار الوقائع ﴿فينظروا كيف كان عاقبة﴾ أي: آخر أمر ﴿الذين من قبلهم دمر الله﴾ أي: أوقع الملك الأعظم الهلاك ﴿عليهم﴾ بما عم أهاليهم وأموالهم ، وكل من رضي أفعالهم أو مقالهم . وعدل عن أن يقول ﴿ولهؤلاء﴾ إلى قوله تعالى ﴿وللكافرين﴾ تعميما وتعليقا للحكم بالوصف وهو العراقة في الكفر ﴿أمثالها﴾ أي: أمثال عاقبة من قبلهم .

﴿ذلك﴾ أي: الأمر العظيم وهو نصر المؤمنين وقهر الكافرين ، ﴿بأن الله﴾ أي: بسبب أن الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال ﴿مولى﴾ أي: ولي وناصر ﴿الذين آمنوا﴾ فهو يفعل معهم بما له من الجلال والجمال ما يفعل القريب بقريبه الحبيب له قال القشيري: ويصح أن يقال: أرجى آية في القرآن هذه الآية ؛ لأن الله تعالى لم يقل إنه هادي العباد وأصحاب الأوراد والاجتهاد بل علق ذلك بالإيمان ﴿وأن الكافرين﴾ أي: العريقين في هذا الوصف 1.

﴿لا مولى لهم﴾ فيدفع العذاب عنهم وهذا لا يخالف قوله تعالى ﴿وردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ (سورة يونس ، آية: ٣٠)

(٥٦/١١)

___ ". (١)

" | | أعرض عن الله فلينتظر الذل والسخط والبغض مع غضب الله في الآخرة . | | قال الله ! ! ٢

(٢) ٢ ! الآية . | | قال الحسين بن الفضل : لا ترى مبتدعا إلا ذليلا ، لأن الله يقول : ! ! ٢ (٣) ٢ !

---

(١) تفسير السراج المنير – الشربيني ص/٤١٣٦

(٢) إن الذين اتخذوا العجل

(٣) وكذلك نجزي المفترين

. | | قوله تعالى : ! ٢ (١) ٢ ﴿ (٢) > [الآية : ١٥٥] . | | قال بعضهم : اختار موسى على عدد الأولياء في الامم السالفة وفي أمته وهم | السبعون الذين إليهم متضرع الخلق وبهم يحفظون . | | قوله تعالى : ! ٢ (٣) ٢ ﴿ (٤) > [الآية : ١٥٦] . | قال الواسطي رحمة الله عليه : ذلك في نفس المعارف ما عرفه أحد إلا تكدر عيشه ، | وأرباب الحقائق لا يعذبون في الدنيا إلا بتواتر نعم الله عليهم والتقرب ، حتى يرد عليه | ما منه يغيب من الصفات والنعوت ، فيرتفع عند سوء الأدب في السير . | | قوله تعالى : ^ (ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون) ^ [الآية : ١٥٦] . | | قال الكتاني رحمة الله عليه : تسع كل شيء ولكن خص بها الأنبياء لقوله تعالى . | ! ٢ (٥) ٢ ! ومن يمكنه تصحيح التقوى فيكون بشرط الآية . | | قال بعضهم : وصف العذاب بصفة الخصوص مقرونا بالمشيئة ، وعم الرحمة أنها تسع | كل شيء . | | قال أبو عثمان : لا أعلم في القرآن آية أقنط من قوله : ^ (ورحمتي وسعت كل | شيء) ^ والناس يرونها أرجى آية ، وذلك أن الله يقول : ! ٢ (٦) ٢ ! . | | قوله تعالى : ! ٢ (٧) ٢ ﴿ (٨) > [الآية : ١٥٧] . | | قال ابن عطاء : الأمي هو الأعجمي ، قال أعجمي عما دوننا عالم بنا وبما ينزل عليه |

---

(٩) ".

" نعمة وأعطيناه مكانها عافية ! ٢ (١٠) ٢ ! يعني على علم عندي

---

(١) واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا

(٢) الأعراف : (١٥٥) واختار موسى قومه . . . . .

(٣) إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء

(٤) الأعراف : (١٥٦) واكتب لنا في . . . . .

(٥) فسأكتبها للذين يتقون

(٦) فسأكتبها للذين يتقون

(٧) الذين يتبعون الرسول النبي الأمي

(٨) الأعراف : (١٥٧) الذين يتبعون الرسول . . . . .

(٩) تفسير السلمي ١/٢٤٥

(١٠) نعمة منا قال إنما أوتيته على علم

! ٢ (١) ٢ ! يعني بلية وعطية يبتلى بها العبد ليشكر أو ليكفر ! ٢ (٢) ٢ ! أن إعطائي ذلك بلية وفتنة ذلك لأنه علم أني أهل لذلك ويقال معناه على علم عندي بالدواء ! ٢ (٣) ٢ ! أي بلية

قوله عز وجل ! ٢ (٤) ٢ ! يعني قال تلك الكلمة الذين من قبل كفار مكة مثل قارون وأشباهه

! ٢ (٥) ٢ ! يعني لم ينفعهم ما كانوا يجمعون من الأموال ! ٢ (٦) ٢ ! أي عقوبات ما عملوا

! ٢ (٧) ٢ ! يعني من أهل مكة ! ٢ (٨) ٢ ! يعني عقوبات ما عملوا مثل ما أصاب الذين من قبلهم ! ٢ (٩) ٢ ! أي غير فائتين من عذاب الله (١٠)

سورة الزمر ٥٢ – ٥٣ (١١)

(١٢) > ثم قال ^ أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ^ أي يوسع الزرق لمن يشاء ^ ويقدر ^ أي يقتر على من يشاء ! ٢ (١٣) ٢ ! يعني في القبض والبسط ! ٢ (١٤) ٢ ! لعلامات لوحدانيتي ! ٢ (١٥) ٢ ! أي يصدقون بتوحيد الله تعالى

---

(١) بل هي فتنة

(٢) ولكن أكثرهم لا يعلمون

(٣) بل هي فتنة

(٤) قد قالها الذين من قبلهم

(٥) فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون

(٦) فأصابهم سيئات ما كسبوا

(٧) والذين ظلموا من هؤلاء

(٨) سيصيبهم سيئات ما كسبوا

(٩) وما هم بمعجزين

(١٠)

(١١)

(١٢)> الزمر : (٥٢ – ٥٣) أولم يعلموا أن . . . . .

(١٣) إن في ذلك

(١٤) لآيات

(١٥) لقوم يؤمنون

قوله عز وجل ! ٢ (١) ٢ ! يعني أسرفوا بالذنوب على أنفسهم قرأ نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر ! ٢ (٢) ٢ ! بفتح الياء والباقون بالإرسال وهما لغتان ومعناهما واحد ! ٢ (٣) ٢ ! يعني لا تيأسوا من رحمة الله ! ٢ (٤) ٢ ! الكبائر وغير الكبائر إذا تبتم ! ٢ (٥) ٢ ! لمن تاب ! ٢ (٦) ٢ ! بعد التوبة لهم

وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة

قال أصاب قوم في الشرك ذنوبا عظاما وكانوا يخافون أن لا يغفر الله لهم فدعاهم الله تعالى بهذه الآية ! ٢ (٧) ٢ !

وقال مجاهد ! ٢ (٨) ٢ ! بقتل الأنفس في الجاهلية

وقال في رواية الكلبي نزلت الآية في شأن وحشي يعني أسرفوا على أنفسهم بالقتل والشرك والزنى

لا تيأسوا ! ٢ (٩) ٢ ! لمن تاب

وقال ابن مسعود أرجى آية في كتاب الله عز وجل هذه الآية

وهكذا قال عبد الله بن عمرو بن العاص وروي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال فيها عظة

". (١٠)

" عنهم ! ٢ (١١) ٢ ! يعني المطر ! ٢ (١٢) ٢ ! يعني الولي للمطر يرسله مرة بعد مرة ! ٢ (١٣) ٢ ! يعني أهلا أن يحمد على صنعه

---

(١) قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم

(٢) قل يا عبادي

(٣) لا تقنطوا من رحمة الله

(٤) إن الله يغفر الذنوب جميعا

(٥) إنه هو الغفور

(٦) الرحيم

(٧) يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله

(٨) يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم

(٩) من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا

(١٠) تفسير السمرقندي ١٨٢/٣

(١١) وينشر رحمته

(١٢) وهو الولي الحميد

(١٣) الحميد

قوله عز وجل ! ٢ (١) ٢ ! يعني من علامات وحدانيته ! ٢ (٢) ٢ ! يعني خلقين عظيمين لا يقدر عليهما بنو آدم ولا غيرهم ! ٢ (٣) ٢ ! يعني ما خلق في السموات والأرض من خلق أو بشر فيهما ! ٢ (٤) ٢ ! يعني على إحيائهم للبعث ! ٢ (٥) ٢ ! يعني قادرا على ذلك

ويقال ! ٢ (٦) ٢ ! يعني في الأرض خاصة كما قال ! ٢ (٧) ٢ ! [الرحمن ٢٢] يعني من أحدهما

ثم قال ! ٢ (٨) ٢ ! يعني ما تصابون من مصيبة في أنفسكم وأموالكم ! ٢ (٩) ٢ ! يعني يصيبكم بأعمالكم ومعاصيكم ! ٢ (١٠) ٢ ! يعني ما عفا الله عنه فهو أكثر

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال ألا أخبركم بأرجى آية في كتاب الله أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا بلى فقرأ عليهم ! ٢ (١١) ٢ ! قال فالمصائب في الدنيا بكسب الأيدي وما عفا الله تعالى عنه في الدنيا ولم يعاقب فهو أجود وأمجد وأكرم من أن يعذب فيه يوم القيامة

وعن الضحاك قال ما تعلم رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب ثم قرأ ! ٢ (١٢) ٢ ! وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن

---

(١) ومن آياته
(٢) خلق السماوات والأرض
(٣) وما بث فيهما من دابة
(٤) وهو على جمعهم
(٥) إذا يشاء قدير
(٦) وما بث فيهما من دابة
(٧) يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
(٨) وما أصابكم من مصيبة
(٩) فبما كسبت أيديكم
(١٠) ويعفو عن كثير
(١١) وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير
(١٢) وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم

قرأ نافع وابن عامر ! ٢ (١) ٢ ! بحذف الفاء ويكون ^ ما ^ بمعنى الذي ومعناه الذي أصابكم وقع بما كسبت أيديكم الباقون ! ٢ (٢) ٢ ! بالفاء وتكون الفاء جواب الشرط ومعناه ما يصيبكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم (٣)

سورة الشورى ٣١ - ٣٥ (٤)

(٥) > ثم قال ^ وما أنتم بمعجزين في الأرض ^ يعني بفائتين من عذاب الله حتى يجزيكم به ! ٢ (٦) ٢ ! يعني من عذاب الله ! ٢ (٧) ٢ ! يعني من حافظ ! ٢ (٨) ٢ ! يعني مانع يمنعكم من عذاب الله تعالى

". (٩)

" (^ نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا (٤٧) إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى) * * * * (^ معكم) من التوراة والإنجيل (^ من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها) الطمس : المحو ، ومعناه : من قبل أن نطمس الوجه ، ونرده إلى القفا ، وقيل : معناه : نبات الشعر عليه ، حتى يصير كالقردة ، وقيل : يجعل عينيه على القفا ليمشي بقهقرى ، وروى : أن عبد الله بن سلام لما سمع هذه الآية ، جاء إلى النبي ويده على وجهه ، فأسلم ، وقال : خفت أن يطمس وجهي قبل أن أصل إليك ، وكذلك كعب الأحبار لما سمع هذه الآية أسلم في زمن عمر رضي الله عنه .

---

(١) بما كسبت أيديكم

(٢) فبما كسبت

(٣)

(٤)

(٥)> الشورى : (٣١ - ٣٥) وما أنتم بمعجزين . . . . .

(٦) وما لكم من دون الله

(٧) من ولي

(٨) ولا نصير

(٩) تفسير السمرقندي ٢٣٢/٣

فإن قال قائل : قد أوعد اليهود بالطمس إن لم يسلموا ، ولم يطمس وجوههم ، فكيف ذلك ؟ قيل : هذا كان في قوم معدودين أسلموا ، وذلك : عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سعيد ، وأوس بن سعيد ، والمحيريق ، وجماعة ، ولو لم يسلموا لطمسوا .

وقيل : أراد به : الطمس في القيامة ، قال مجاهد : أراد بقوله (^ نطمس وجوها) أي : نتركهم في الضلالة ؛ فيكون المراد طمس القلب (^ أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) أي : نجعلهم قردة كما جعلنا أصحاب السبت قردة (^ وكان أمر الله مفعولا) . (١)>

قوله تعالى : (^ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) قيل : هذه أرجى آية في القرآن ، قال ابن عمر : كنا نطلق القول فيمن ارتكب الكبائر بالخلود في النار ، حتى نزلت هذه الآية ، فتوقفنا (^ ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما) أي : اختلق إثما عظيما ، فإن قال قائل : قد قال الله تعالى : (^ إن الله لا يغفر أن يشرك به) وقال في موضع آخر : (^ إن الله يغفر الذنوب جميعا) فكيف وجه الجمع ؟

قيل أراد به : يغفر الذنوب جميعا سوى الشرك .

". (٢)

"

(^ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور (٣٤) الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب (٣٥) والذين كفروا لهم) * * * * * أنه قال : أرجى آية في كتاب الله تعالى هذه الآية ؛ لأنه جمع بين الظالم والمقتصد والسابق ، ثم قال : (^ جنات عدن يدخلوها) وعن بعضهم قال : إن الواو في قوله : (^ يدخلونها) أحب إلي من كذا وكذا . وعن كثير من السلف أنهم قالوا : كل هؤلاء من هذه الآية .

وقوله : (^ يحلون فيها من أساور من ذهب) ظاهر المعنى . والأساور : جمع السوار .

وقوله : (^ ولؤلؤ) أي : من ذهب ولؤلؤ ، وقرئ : ' ولؤلؤا ' بالنصب أي : يحلون لؤلؤا .

وقوله : (^ ولباسهم فيها حرير) أي : الديباج . ومن المعروف أن النبي قال : ' من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ' ، وقال : ' هو لهم في الدنيا ، ولنا في الآخرة ' . (٣)>

---

(١)> النساء : (٤٨) إن الله لا . . . . .

(٢) تفسير السمعاني ١/٤٣٤

(٣)> فاطر : (٣٤) وقالوا الحمد لله . . . . .

قوله تعالى : (^ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) قال ابن عباس : حزن النار . وعن قتادة : حزن الموت . وعن بعضهم : هم المعيشة .

وقال مجاهد : هم الخبز . والأولى أن يحمل على جميع الأحزان ، فهم ينجون عن كلها ، ومن المعروف أن الحزن : هو حزن أهوال القيامة .

وقوله : (^ إن ربنا لغفور شكور) قد بينا . (١)>

قوله تعالى : (^ الذي أحلنا دار المقامة من فضله) قد بينا معنى المقامة والمقامة .

وقوله تعالى : (^ لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) أي : تعب وإعياء . (٢)>

قوله تعالى : (^ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا) أي : لا يقضي عليهم الموت فيموتوا .

وقوله : (^ ولا يخفف عنهم من عذابها) أي : من عذاب النار .

". (٣)

" (^ الفاسقون (٣٥)) * * * * * * * *

وقوله : (^ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) أي : الكافرون ، والفاسق : [هو] الخارج عن طاعة الله ، وذلك الكافر ، ويقال : إن هذه الآية أرجى آية في القرآن . قال قتادة : لا يهلك على الله إلا هالك ، ثم فسر الهالك قال : هو كافر ولى الإسلام ظهره ، أو منافق يصف الإيمان بلسانه وينكر بقلبه .

". (٤)

وقوله : (^ وللآخرة خير لك من الأولى) يعني : ثواب الله خير لك من نعيم الدنيا ، وقد روى أن عمر – رضي الله عنه – دخل على النبي فرآه مضجعا على حصير ، قد أثر الحصير في جنبه ، فبكى عمر – رضي الله عنه – فقال رسول الله : ' وما يبكيك يا عمر ؟ فقال : ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من النعيم ، وذكرت حالك وأنت رسول الله .

---

(١)> فاطر : (٣٥) الذي أحلنا دار . . . . .

(٢)> فاطر : (٣٦) والذين كفروا لهم . . . . .

(٣) تفسير السمعاني ٣٦٠/٤

(٤) تفسير السمعاني ١٦٦/٥

فقال له النبي : أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ' . (١)<

وقوله : (^ ولسوف يعطيك ربك فترضى) أي : من الثواب والكرامة والمنزلة حتى [ترضى] ، وفي بعض التفاسير : هو ألف قصر من اللؤلؤ وترابها المسك ، والقول الثالث : أنه الشفاعة لأمته ، وعن محمد بن علي الباقر قال : إنكم تقولون : إن أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله : (^ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) الآية ، ونحن نقول : أرجى آية في كتاب الله تعالى هو قوله : (^ ولسوف يعطيك ربك فترضى) يعني : أنه يشفعه في أمته حتى يرضى . (٢)<

قوله تعالى : (^ ألم يجدك يتيما فآوى) سماه يتيما ؛ لأن أباه توفي وهو حمل ، وقيل : بعد ولادته بشهرين ، وتوفيت أمه وهو ابن ست سنين ، وكفله جده عبد المطلب ، ثم مات وهو ابن ثمان سنين ، وكفله عمه أبو طالب ، ومعنى قوله : (^ فأوى) أي : جعل لك مأوى ، وهو أبو طالب ، والمعنى : يأوي إليه ، وتوفي أبو طالب قبل الهجرة بثلاث سنين . (٣)<

وقوله : (^ ووجدك ضالا فهدى) أي : عن الشرائع والإسلام فهداك إليها ، ويقال : عن النبوة ، وقيل : ووجدك ضالا أي : غافلا عما يراد بك فهداك إليه ، وهو أحسن

"قيل لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم ؟ قال: إنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم وقرأ هذه الآية . وأجاب الأولون بأن حصول هذه المصائب يكون من باب الامتحان في التكليف لا من باب العقوبة كما في حق الأنبياء والأولياء بل ذلك لزيادة درجات وفضائل وخصوصيات لا يصلون إليها إلا بها لأن أعمالهم لم تبلغها فهي خير من الله تعالى لهم ، ويحمل قوله تعالى: ﴿فبما كسبت أيديكم﴾ على أن الأصلح عند إتيانكم بذلك الكسب إنزال هذه المصائب عليكم ﴿ويعفو عن كثير﴾ أي: من الذنوب بفضله ورحمته فلا يعاقب عليها ولولا عفوه وتجاوزه ما ترك على ظهرها من دابة قال الواحدي بعد أن روى حديث علي: وهذه أرجى آية في كتاب الله تعالى لأن الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين ؛ صنف: كفر عنهم بالمصائب ، وصنف: عفا عنهم في الدنيا وهو كريم لا يرجع في عفوه ، فهذه سنة الله تعالى مع المؤمنين وأما الكافر: فإنه لا تعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة .

﴿وما أنتم بمعجزين﴾ أي: فائتين ما قضى عليكم من المصائب ﴿في الأرض وما لكم من دون الله﴾ ولا في شيء

---

(١)< الضحى : (٥) ولسوف يعطيك ربك . . . . .

(٢)< الضحى : (٦) ألم يجدك يتيما . . . . .

(٣)< الضحى : (٧) ووجدك ضالا فهدى

أراده سبحانه منكم كائنا ما كان ﴿من ولي﴾ أي: يكون متوليا لشيء من أموركم بالاستقلال ﴿ولا نصير﴾ يدفع عنكم شيئا يريده سبحانه بكم .

(١٠/٩٩)

﴿ومن آياته﴾ أي: الدالة على تمام قدرته واختياره ووحدانيته ﴿الجواري﴾ أي: السفن الجارية ﴿في البحر كالأعلام﴾ أي: كالجبال قالت الخنساء في مرثية أخيها صخر:

وإن صخرا لتأتم الهداة به . . . كأنه علم في رأسه نار

(١٠/١٠٠)

أي: جبل في رأسه نار شبهت به أخاها . روي أن النبي صلى الله عليه وسلم «استنشد قصيدتها هذه فلما وصل الراوي هذا البيت قال: قاتلها الله تعالى ما رضيت بتشبيهه بالجبل حتى جعلت في رأسه نارا» . وقال مجاهد: الأعلام القصور وأحدها علم ، وقال الخليل بن أحمد: كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم . ." (١)

"﴿ذلك﴾ يجوز أن يكون مبتدأ والخبر الجار بعده ، أو خبر مبتدأ مضمر . أي: الأمر ذلك ﴿بأنهم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿كرهوا ما أنزل الله﴾ أي: الملك الأعظم الذي لا نعمة إلا منه من القرآن وما أنزل الله تعالى فيه من التكاليف والأحكام لأنهم قد ألفوا الإهمال وإطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك ، وتعاظمهم والذي أنزله من القرآن وغيره هو روح الوجود الذي لا بقاء بدونه فلما كرهوا الروح الأعظم بطلت أرواحهم فتبعتها أشباحهم وهو معنى قوله تعالى مسببا بيانا لمعنى إضلال أعمالهم ﴿فأحبط﴾ أي: أبطل إبطالا لاصلاح معه ﴿أعمالهم﴾ بسبب: أنهم أفسدوها بنياتهم فصارت وإن كانت صورها صالحة ليس لها أرواح لكونها واقعة على غير ما أمر به الله الذي لا أمر إلا له ، ولا يقبل من العمل إلا ما حده ورسمه ثم خوف الكفار بقوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ أي: التي فيها آثار الوقائع ﴿فينظروا كيف كان عاقبة﴾ أي: آخر أمر ﴿الذين من قبلهم دمر الله﴾ أي: أوقع الملك الأعظم الهلاك ﴿عليهم﴾ بما عم أهاليهم وأموالهم ، وكل من رضي أفعالهم أو مقالهم . وعدل عن أن يقول ﴿ولهؤلاء﴾ إلى قوله تعالى ﴿وللكافرين﴾ تعميما وتعليقا للحكم بالوصف وهو العراقة في الكفر ﴿أمثالها﴾ أي: أمثال عاقبة من قبلهم .

﴿ذلك﴾ أي: الأمر العظيم وهو نصر المؤمنين وقهر الكافرين ، ﴿بأن الله﴾ أي: بسبب أن الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال ﴿مولى﴾ أي: ولي وناصر ﴿الذين آمنوا﴾ فهو يفعل معهم بما له من الجلال والجمال ما يفعل القريب بقريبه الحبيب له قال القشيري: ويصح أن يقال: أرجى آية في القرآن هذه الآية ؛ لأن الله تعالى لم يقل إنه هادي العباد وأصحاب الأوراد والاجتهاد بل علق ذلك بالإيمان ﴿وأن الكافرين﴾ أي: العريقين في هذا

---

(١) تفسير السراج المنير ص/٣٩٦٥

الوصف .1

﴿لا مولى لهم﴾ فيدفع العذاب عنهم وهذا لا يخالف قوله تعالى ﴿وردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ (سورة يونس ، آية: ٣٠)

(٥٦/١١) ." (١)

." (٢)

"(٣)

٩٣S (٤)

"

سمعت أبا القاسم الحسنن بن محمد بن حبيب يقول : سمعت أبي يقول سمعت على بن محمد الوراق يقول : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول وقرأ هذه الآية : هذا رفقك بمن يقول : أنا الإله ، فكيف رفقك بمن يقول : أنت الإله ؟

قال أبو القاسم الحسين فبنيت عليه ألفاظا اقتديت به فيها فقلت : هذا رفقك بمن ينافيك فكيف رفقك بمن يصافيك ؟ هذا رفقك بمن يعاديك فكيف رفقك بمن يواليك ؟ هذا رفقك بمن يسبك فكيف رفقك بمن يحبك ؟ هذا رفقك بمن يقول لك ندا فكيف رفقك بمن يقول فردا ؟ هذا رفقك بمن ضل فكيف رفقك

---

(١) تفسير السراج المنير ص/٤١٣٦

(٢) تفسير البغوي ١/٤٤٠

(٣)

(٤)

بمن ذل هذا رفقك بمن اقترف فكيف رفقك بمن اعترف ؟ هذا رفقك بمن أصر فكيف رفقك بمن أقر ؟ هذا رفقك بمن استكبر فكيف رفقك بمن استغفر ؟

(١) > ^ ﴿ قالا ﴾) يعني موسى وهارون ^ ﴿ ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا ﴾) . قال ابن عباس : يعجل بالقتل والعقوبة ، وقال الضحاك : تجاوز الحد ، وقيل : يغلبنا ^ ﴿ أو أن يطغى ﴾) يتكبر ويستعصي علينا .

(٢) > ^ ﴿ قال لا تخافا إنني معكما ﴾) بالدفع عنكما ^ ﴿ أسمع ﴾) قولكما وقوله ^ ﴿ وأرى ﴾) فعله وفعلكما (٣) > ^ ﴿ فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم ﴾) أي ولا تتعبهم في العمل ، وكانت بنو إسرائيل عند آل فرعون في عذاب شديد يقتل ابناءهم ويستخدم نساءهم ويكلفهم من العمل واللبن والطين وبناء المدائن ما لا يقدرون عليه .

قال موسى ^ ﴿ قد جئناك بآية من ربك ﴾) قال فرعون : وما هي ؟ قال : فأدخل يده في جيب قميصه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس ، غلبت نور الشمس ، فعجب منها ولم يره العصا إلا بعد ذلك يوم الزينة .

^ ﴿ والسلام على من اتبع الهدى ﴾) يعني من أسلم (٤) > ^ ﴿ إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب ﴾) أنبياء الله ^ ﴿ وتولى ﴾) أعرض عن الإيمان ، ورأيت في بعض التفاسير أن هذه أرجى آية للموحدين في القرآن .

(٥) > ^ ﴿ قال فمن ربكما يا موسى ﴾) يعني يا موسى وهارون فذكر موسى دون هارون لرؤوس الآي .

(٦) > ^ ﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ﴾) قال الحسين وقتادة : أعطى كل شئ صلاحه وهداه لما يصلحه

---

(١)> طه : (٤٥) قالا ربنا إننا . . . . .

(٢)> طه : (٤٦) قال لا تخافا . . . . .

(٣)> طه : (٤٧) فأتياه فقولا إنا . . . . .

(٤)> طه : (٤٨) إنا قد أوحي . . . . .

(٥)> طه : (٤٩) قال فمن ربكما . . . . .

(٦)> طه : (٥٠) قال ربنا الذي . . . . .

" (١) .

"

(٢) < ^ ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾) أي ما تركك منذ اختارك ، ولا أبغضك منذ أحبك ، وهذا جواب القسم .

(٣) < ^ ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك ﴾) من الثواب ، وقيل : من النصر والتمكن وكثرة المؤمنين ^ ﴿ فترضى ﴾) .

وأخبرني عقيل أن أبا الفرج ، أخبرهم عن ابن جرير قال : حدثني عباد بن يعقوب قال : حدثنا الحكم بن ظهر ، عن السدي ، عن ابن عباس : في قوله ^ ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾) قال : رضا محمد ان لا يدخل أحد من أهل بيته النار ، وقيل : هي الشفاعة في جميع المؤمنين .

أخبرنيه أبو عبدالله القنجوي قال : حدثنا أبو علي المقري قال : حدثنا محمد بن عمران بن أسد الموصلي قال : حدثنا محمد بن أحمد المدادي قال : حدثنا عمرو بن عاصم قال : حدثنا حرب بن سريح البزاز قال : حدثنا أبو جعفر محمد بن علي قال : حدثني عمي محمد بن علي بن الحنفية ، عن أبيه علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أشفع لأمتي حتى ينادي ربي عز وجل : رضيت يا محمد ، فأقول : رب رضيت) ثم قال لي : إنكم معشر أهل العراق تقولون : إن أرجى آية في القرآن ^ ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾) قلت : انا لنقول ذلك ، قال : ولكنا أهل البيت نقول : إن أرجى آية في كتاب الله تعالى ^ ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾) وهي الشفاعة .

وأخبرني ابن فنجويه قال : حدثنا ابن حمدان قال : حدثنا أبو عامر بن سعدان قال : حدثنا أحمد بن صالح المصري ، قال : حدثنا عبدالله بن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر بن سوادة حدثه عن عبدالرحمن بن جبير عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله سبحانه في إبراهيم : ^ ﴿ فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾) وقول عيسى : ^ ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾) فرفع يديه ثم قال : (اللهم أمتي أمتي) وبكى .

فقال الله سبحانه : يا جبرائيل إذهب إلى محمد وربك أعلم فاسأله ما يبكيك ؟ فأتاه جبرائيل ، فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسل

---

(١) تفسير الثعالبي ٦/٢٤٦

(٢)< الضحى : (٣) ما ودعك ربك . . . . .

(٣)< الضحى : (٤ – ٥) وللآخرة خير لك . . . . .

"

سمعت أبا القاسم الحسنن بن محمد بن حبيب يقول : سمعت أبي يقول سمعت على بن محمد الوراق يقول : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول وقرأ هذه الآية : هذا رفقك بمن يقول : أنا الإله ، فكيف رفقك بمن يقول : أنت الإله ؟

قال أبو القاسم الحسين فبنيت عليه ألفاظا اقتديت به فيها فقلت : هذا رفقك بمن ينافيك فكيف رفقك بمن يصافيك ؟ هذا رفقك بمن يعاديك فكيف رفقك بمن يواليك ؟ هذا رفقك بمن يسبك فكيف رفقك بمن يحبك ؟ هذا رفقك بمن يقول لك ندا فكيف رفقك بمن يقول فردا ؟ هذا رفقك بمن ضل فكيف رفقك بمن ذل هذا رفقك بمن اقترف فكيف رفقك بمن اعترف ؟ هذا رفقك بمن أصر فكيف رفقك بمن أقر ؟ هذا رفقك بمن استكبر فكيف رفقك بمن استغفر ؟

(١) > ^ ﴿ قالا ﴾) يعني موسى وهارون ^ ﴿ ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا ﴾) . قال ابن عباس : يعجل بالقتل والعقوبة ، وقال الضحاك : تجاوز الحد ، وقيل : يغلبنا ^ ﴿ أو أن يطغى ﴾) يتكبر ويستعصي علينا .

(٢) > ^ ﴿ قال لا تخافا إنني معكما ﴾) بالدفع عنكما ^ ﴿ أسمع ﴾) قولكما وقوله ^ ﴿ وأرى ﴾) فعله وفعلكما (٣) > ^ ﴿ فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم ﴾) أي ولا تتعبهم في العمل ، وكانت بنو إسرائيل عند آل فرعون في عذاب شديد يقتل ابناءهم ويستخدم نساءهم ويكلفهم من العمل واللبن والطين وبناء المدائن ما لا يقدرون عليه .

قال موسى ^ ﴿ قد جئناك بآية من ربك ﴾) قال فرعون : وما هي ؟ قال : فأدخل يده في جيب قميصه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس ، غلبت نور الشمس ، فعجب منها ولم يره العصا إلا بعد ذلك يوم الزينة .

---

(١)< طه : (٤٥) قالا ربنا إننا . . . . .

(٢)< طه : (٤٦) قال لا تخافا . . . . .

(٣)< طه : (٤٧) فأتياه فقولا إنا . . . . .

^ ﴿ والسلام على من اتبع الهدى ﴾) يعني من أسلم (١) > ^ ﴿ إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب ﴾) أنبياء الله ^ ﴿ وتولى ﴾) أعرض عن الإيمان ، ورأيت في بعض التفاسير أن هذه أرجى آية للموحدين في القرآن .

(٢) < ^ ﴿ قال فمن ربكما يا موسى ﴾) يعني يا موسى وهارون فذكر موسى دون هارون لرؤوس الآي .

(٣) < ^ ﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ﴾) قال الحسين وقتادة : أعطى كل شئ صلاحه وهداه لما يصلحه

." (٤)

"

(٥) < ^ ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾) أي ما تركك منذ اختارك ، ولا أبغضك منذ أحبك ، وهذا جواب القسم .

(٦) < ^ ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك ﴾) من الثواب ، وقيل : من النصر والتمكن وكثرة المؤمنين ^ ﴿ فترضى ﴾) .

وأخبرني عقيل أن أبا الفرج ، أخبرهم عن ابن جرير قال : حدثني عباد بن يعقوب قال : حدثنا الحكم بن ظهر ، عن السدي ، عن ابن عباس : في قوله ^ ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾) قال : رضا محمد ان لا يدخل أحد من أهل بيته النار ، وقيل : هي الشفاعة في جميع المؤمنين .

أخبرنيه أبو عبدالله القنجوي قال : حدثنا أبو علي المقري قال : حدثنا محمد بن عمران بن أسد الموصلي قال : حدثنا محمد بن أحمد المدادي قال : حدثنا عمرو بن عاصم قال : حدثنا حرب بن سريج البزاز قال : حدثنا أبو جعفر محمد بن علي قال : حدثني عمي محمد بن علي بن الحنفية ، عن أبيه علي بن أبي طالب

---

(١)> طه : (٤٨) إنا قد أوحي . . . . .

(٢)> طه : (٤٩) قال فمن ربكما . . . . .

(٣)> طه : (٥٠) قال ربنا الذي . . . . .

(٤) تفسير الثعلبي ٢٤٦/٦

(٥)> الضحى : (٣) ما ودعك ربك . . . . .

(٦)> الضحى : (٤ - ٥) وللآخرة خير لك . . . . .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أشفع لأمتي حتى ينادي ربي عز وجل : رضيت يا محمد ، فأقول : رب رضيت) ثم قال لي : إنكم معشر أهل العراق تقولون : إن أرجى آية في القرآن ^ ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾) قلت : انا لنقول ذلك ، قال : ولكنا أهل البيت نقول : إن أرجى آية في كتاب الله تعالى ^ ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾) وهي الشفاعة .

وأخبرني ابن فنجويه قال : حدثنا ابن حمدان قال : حدثنا أبو عامر بن سعدان قال : حدثنا أحمد بن صالح المصري ، قال : حدثنا عبدالله بن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر بن سوادة حدثه عن عبدالرحمن بن جبير عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله سبحانه في إبراهيم : ^ ﴿ فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾) وقول عيسى : ^ ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾) فرفع يديه ثم قال : (اللهم أمتي أمتي) وبكى .

فقال الله سبحانه : يا جبرائيل إذهب إلى محمد وربك أعلم فاسأله ما يبكيك ؟ فأتاه جبرائيل ، فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسل

"وقوله ﴿ لعله يتذكر أو يخشى ﴾ أي يسلم .

فإن قيل : كيف قال : لعله يتذكر أو يخشى وعلمه سابق في فرعون أنه لا يتذكر ولا يخشى ؟ .

قال الحسين بن الفضل : هو مصروف إلى غير فرعون ، ومجازه : لكي يتذكر متذكر أو يخشى خاش إذا رأى بري وإلطافي بمن خلقته ورزقته ، وصححت جسمه وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية دوني .

وقال أبو بكر محمد بن عمر الوراق : لعل ها هنا من الله واجب ، ولقد تذكر فرعون حيث لم تنفعه الذكرى والخشية ، وذلك قوله حين الجمه الغرق في البحر ﴿ آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ [يونس : ٩٠] .

سمعت أبا القاسم الحسنن بن محمد بن حبيب يقول : سمعت أبي يقول سمعت على بن محمد الوراق يقول : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول وقرأ هذه الآية : هذا رفقك بمن يقول : أنا الإله ، فكيف رفقك بمن يقول : أنت الإله ؟

قال أبو القاسم الحسين فبنيت عليه ألفاظا اقتديت به فيها فقلت : هذا رفقك بمن ينافيك فكيف رفقك بمن يصافيك ؟

هذا رفقك بمن يعاديك فكيف رفقك بمن يواليك ؟

هذا رفقك بمن يسبك فكيف رفقك بمن يحبك ؟

هذا رفقك بمن يقول لك ندا فكيف رفقك بمن يقول فردا ؟

هذا رفقك بمن ضل فكيف رفقك بمن ذل هذا رفقك بمن اقترف فكيف رفقك بمن اعترف ؟

هذا رفقك بمن أصر فكيف رفقك بمن أقر ؟

هذا رفقك بمن استكبر فكيف رفقك بمن استغفر ؟

﴿ قالا ﴾ يعني موسى وهارون ﴿ ربنآ إننا نخاف أن يفرط علينآ ﴾ . قال ابن عباس : يعجل بالقتل والعقوبة ، وقال الضحاك : تجاوز الحد ، وقيل : يغلبنا ﴿ أو أن يطغى ﴾ يتكبر ويستعصي علينا .

﴿ قال لا تخافآ إنني معكمآ ﴾ بالدفع عنكما ﴿ أسمع ﴾ قولكما وقوله ﴿ وأرى ﴾ فعله وفعلكما ﴿ فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم ﴾ أي ولا تتعبهم في العمل ، وكانت بنو إسرائيل عند آل فرعون في عذاب شديد يقتل ابناءهم ويستخدم نساءهم ويكلفهم من العمل واللبن والطين وبناء المدائن ما لا يقدرون عليه .

قال موسى ﴿ قد جئناك بآية من ربك ﴾ قال فرعون : وما هي ؟ قال : فأدخل يده في جيب قميصه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس ، غلبت نور الشمس ، فعجب منها ولم يره العصا إلا بعد ذلك يوم الزينة .

﴿ والسلام على من اتبع الهدى ﴾ يعني من أسلم ﴿ إنا قد أوحي إلينآ أن العذاب على من كذب ﴾ أنبياء الله ﴿ وتولى ﴾ أعرض عن الإيمان ، ورأيت في بعض التفاسير أن هذه أرجى آية للموحدين في القرآن .

﴿ قال فمن ربكما ياموسى ﴾ يعني يا موسى وهارون فذكر موسى دون هارون لرؤوس الآي .

﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ﴾ قال الحسين وقتادة : أعطى كل شئ صلاحه وهداه لما يصلحه . ". (١)

ولنذكر هنا ما في سفر أشعياء ونقحم فيه بيان مقابلة كلماته بالكلمات التي جاءت في حديث عبد الله بن عمرو

جاء في الإصحاح الثاني والأربعين من سفر أشعياء : هو ذا عبدي " أنت عبدي " " الذي أعضده مختاري " ورسولي " الذي سرت به نفسي وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم لا يصيح " ليس بفظ " ولا يرفع " ولا غليظ " ولا يسمع في الشارع صوته " ولا صخاب في الأسواق " قصبة مرفوضة لا يقصف " ولا يدفع السيئة بالسيئة " وفتيلة خامدة لا يطفأ " يعفو ويصفح " إلى الأمان يخرج الحق " وحرزا " لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض " ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء " وتنتظر الجزائر شريعته " للأميين " أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك " سميتك المتوكل " وأحفظك " ولن يقبضه الله " واجعلك عهدا للشعب

---

(١) تفسير الثعلبي ص/١٤٦٨

" أرسلناك شاهدا " ونورا للأمم " " مبشرا " لنفتح عيون العمي " ونفتح به أعينا عميا " لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن " وآذانا صما " الجالسين في الظلمة " وقلوبا غلفا " ومجدي لا أعطيه لآخر " " بأن يقولوا لا إله إلا الله "

(وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا "كبيرا [٤٧]) عطف على جملة (إنا أرسلناك) عطف الإنشاء على الخبر لا محالة وهي أوضح دليل على صحة عطف الإنشاء على الخبر إذ لا يتأتى فيها تأويل مما تأوله المانعون لعطف الإنشاء على الخبر وهم الجمهور والزمخشري والتفتزاني مما سنذكره إن شاء الله عند قوله تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله) إلى قوله (وبشر المؤمنين) في سورة الصف فالجملة المعطوف عليها إخبار عن النبي صلى الله عليه و سلم بأنه أرسله متلبسا " بتلك الصفات الخمسة . وهذا أمر له بالعمل بصفة المبشر فلاختلاف مضمون الجملتين عطفت هذه على الأولى

والفضل : العطاء الذي يزيده المعطي زيادة على العطية . فالفضل كناية عن العطية أيضا لأنه لا يكون فضلا " إلا إذا كان زائدا على العطية . والمراد أن لهم ثواب أعمالهم الموعود بها وزيادة من عند ربهم قال تعالى : (للذين احسنوا الحسنى وزيادة)

صلى الله عليه و سلم عليه الصلاة و السلام ووصف (كثيرا) مستعار للفائق في نوعه . قال ابن عطية : قال لي أبي رضي الله عنه : هذه أرجى آية عندي في كتاب الله لان الله قد أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلا كبيرا . وقد بين الله تعالى الفضل الكبير ما هو في قوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير) فالآية التي في هذه السورة خبر " والآية التي في حم عسق تفسير لها اه

(ولا 'تطع الكافرين والمنفقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا [٤٨]) جاء في مقابلة قوله (وبشر المؤمنين) بقوله (ولا تطع الكافرين والمنافقين) تحذيرا له من موافقتهم فيما يسألون منه وتأيدا لفعله معهم حين استأذنه المنافقون في الرجوع عن الأحزاب فلم يأذن لهم فنهي عن الإصغاء إلى ما يرغبونه فيترك ما احل له من التزوج أو فيعطي الكافرين من الأحزاب ثمر النخل صلحا أو نحو ذلك والنهي مستعمل في معنى الدوام على الانتهاء ." (١)

" عليه العقوبة في الآخرة) وعنه رضي الله عنه : هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن ﴿ بمعجزين ﴾ بفائتين ما قضي عليكم من المصائب ﴿ من ولى ﴾ من متول بالرحمة .

---

(١) التحرير والتنوير ص/٣٣٧٢

! ٧ (١) ٧ !

(٢) > ﴿الجوار﴾ السفن . وقرىء (الجوار) ﴿كالاعلام﴾ كالجبال . قالت الخنساء : ٪ (كأنه علم في رأسه نار ؛

وقرىء (الرياح فيظللن) بفتح اللام وكسرها ؛ من ظل ويظل ، نحو : ضل يضل ويضل ﴿ رواكد ﴾ ثوابت لا تجري ﴿ على ظهره ﴾ على ظهر البحر ﴿ لكل صبار ﴾ على بلاء الله ﴿ شكور ﴾ لنعمائه ، وهما صفتا المؤمن المخلص ، فجعلهما كناية عنه ، وهو الذي وكل همته بالنظر في آيات الله ، فهو يستملي منها العبر ﴿ يوبقهن ﴾ يهلكهن . والمعنى : أنه إن يشأ يبتلي المسافرين في البحر بإحدى بليتين : إما أن يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجري ، وإما أن يرسل الريح عاصفة فيهلكهن إغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب ﴿ ويعف عن كثير ﴾ منها ، فإن قلت : علام عطف يوبقهن ؟ قلت : على

.". (٣)

"ج ١١ ، ص : ١٤

(وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) أي وهناك فريق آخر ممن حولكم من الأعوان ومن أهل المدينة ليسوا منافقين ولا من السابقين الأولين ، بل من المذنبين الذين خلطوا الصالح من العمل بالسيىء منه ، والسيىء بالصالح ، فلم يكونوا من الصالحين الخلص ولا من الفاسقين ، فهم قد آمنوا وعملوا الصالحات واقترفوا بعض السيئات كالذين تخلفوا عن الخروج إلى غزوة تبوك من غير عذر صحيح ولم يستأذنوا كاستئذان المرتابين ولم يعتذروا بالكذب كالمنافقين ، ثم كانوا حين قعودهم ناصحين لله ورسوله شاعرين بذنوبهم خائفين من ربهم .

وقد بين سبحانه حالهم بقوله :

(عسى الله أن يتوب عليهم) أي إنهم محل الرجاء لقبول الله توبتهم بتوفيقهم للتوبة الصحيحة التي هى سبب المغفرة والرحمة – وإنما يكون ذلك بالعلم بقبح الذنب وسوء عاقبته ، وتوبيخ الضمير حين تصور سخط الله

---

(١) ﴿ ومن ءاياته الجوار فى البحر كالا علام * إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن فى ذلك لايات لكل صبار شكور * أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ﴾

(٢)< الشورى : (٣٢) ومن آياته الجوار . . . . .

(٣) بالكشاف ٢٣١/٤

والخوف من عقابه – ثم الإقلاع عنه بباعث هذا الألم ، والعزم على عدم العود إلى قترافه ، والعزم على العمل بضده ليمحو أثره من نفسه .

ثم علل هذا بقوله :

(إن الله غفور رحيم) أي إنه تعالى يقبل توبتهم ، لأنه كثير المغفرة للتائبين ، واسع الرحمة للمحسنين .

وفى معنى الآية قوله : « وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » وقوله : « إن رحمت الله قريب من المحسنين » .

قال جماعة من العلماء : إن هذه الآية أرجى آية فى القرآن فى توقع رحمة الله للمذنبين الذين يجترحون السيئات ثم يتوبون إلى ربهم ويقلعون عن ذنوبهم .

روى البخاري عن سمرة بن جندب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أتاني الليلة أي فى المنام ملكان فابتعثاني فانتهيا بي إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء ، وشطر كأقبح ما أنت راء ، قالا لهم اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر ، فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء ." (١)

"

لقد كان المنافقون في أول المعركة مختفين ومستورين ، ثم ظهرت منهم بادرة الانخذال في أحد فكانوا أقرب إلى الكفر منهم إلى الإيمان ، ولكنهم من بعد ذلك سارعوا إلى الكفر ، فكأن هناك من يلاحقهم بسوط ليتسابقوا إلى الكفر .

وها هو ذا الحق سبحانه قد حدد عناصر المعركة ، أو قوى المعركة ، أو ميدان المعركة أو جنود المعركة فينبه رسوله: ﴿ ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ﴾ ولم يقل: لن يضروكم شيئا ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته المؤمنين ليسوا طرفا في المسألة ، فعداء الذين يسارعون في الكفر هو عداء لله ؛ لذلك يقول الحق: ﴿ إنهم لن يضروا الله شيئا ﴾ . كأن المعركة ليست مع المؤمنين . ولكنها معركة الكافرين مع الله ، وما دامت المعركة مع الله فالمؤمنون جند الله ؛ وهم الصورة التي أرادها الله لهزيمة الكافرين:﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾[التوبة: ١٤]

فلو كانت معركة الكفر مع المؤمنين بالله فقط لقال الله: ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروكم شيئا ، لكن المسألة ليست هكذا ، لقد أراد معسكر الكفر والنفاق أن يدخل معركة مع الله ، ولا توجد قوة قادرة على ذلك ، ولهذا يطمئن الله المؤمنين أكثر ، ليزدادوا ثباتا على الإيمان ؛ لأن الكل من البشر مؤمنين وكفارا أغيار ، وقد يتحول بعض من البشر المؤمنين الأغيار عن المنهج قليلا ، فعندما تكون المعركة بين بشر وبشر فقد يغلب أحد الطرفين بقوته .

---

(١) تفسير الشيخ المراغى . موافقا للمطبوع ١٤/١١

ومن أجل المزيد من الاطمئنان الكامل نقل الله المعركة مع الكفر إلى مسألة أخرى ، إنه بجلاله وكماله وجبروته هو الذي يقف ضد معسكر الكفار . والمهم فقط أن يظل المؤمنون في حضانة الله . والرسول كان يحزنه أن يسارع البعض إلى الكفر . فهل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلم أنه إنما جاء مبلغا فقط ؟ . إنه يعلم ولكنه كان يحرص – صلى الله عليه وسلم – على أن يؤمن الناس جميعا ليذوقوا حلاوة ما جاء به ، هذا الحرص هو الذي يدفع الحزن إلى قلب الرسول ، وعندما يرى واحدا لا يتذوق حلاوة المنهج ، فالرسول يأمل أن يذوق الناس كلهم حلاوة الإيمان ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم رءوف رحيم بالمؤمنين ، بل وبالناس جميعا ﴿ ومآ أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ودليل ذلك أن جاءه التخيير . " فقد نادى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: " إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال: يا محمد ، إن الله قد بعثني إليك وأنا ملك الجبال لتأمرني بأمرك فما شئت ؟ إن شئت أطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا " " .

فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يبقى على هؤلاء فقط ولكنه يحرص أيضا على الأجيال القادمة . وقد كان . وخرج من أولاد كفار قريش صناديد وأبطال وجنود دعوة وشهداء . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم – كما أخبر الله في آيات القرآن – يحزن عندما لا يذوق أحد حلاوة الإيمان ، ويقول الحق:﴿ فلعلك باخع نفسك علىا آثارهم إن لم يؤمنوا بهاذا الحديث أسفا ﴾[الكهف: ٦]

وفي موقع آخر يقول الحق:﴿ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين * إن نشأ ننزل عليهم من السمآء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ﴾[الشعراء: ٣-٤]

والحق سبحانه وتعالى لا يريد أعناقا ، لكنه يريد قلوبا تأتي له بعامل الاختيار والمحبة ، فباستطاعته وهو الخالق الأكرم أن يخلق البشر على هيئة غير قابلة للمعصية ، كما خلق الملائكة ، إن كل الأجناس تسبح بحمده ، إذن فالقرآن يبين حرصه صلى الله عليه وسلم بأن يؤمن الناس جميعا وأن يذوقوا حلاوة اللقاء بربهم ، واتباع منهج الله، وحلاوة التشريع الذي يسعدهم ويسعد كل ملكاتهم . فإذا ما جاءت المسائل على غير ما يحب رسول الله . فها هو ذا قول الله سبحانه: ﴿ ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ﴾ .

وهذا دليل على أن الله يريد أن يبلغ البشر: أيها الناس إن من فرط حب الرسول لكم أنه يحزن من أجل عصيانكم وأنا الذي أقول له: لا تحزن . والرسول صلى الله عليه وسلم رحيم بالأمة كلها ، كما يقول القرآن:﴿ ومآ أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[الأنبياء: ١٠٧]

ويكفيه موقفه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، حين تذهب كل أمة إلى رسولها ليردها ، فتأتي الأمم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكرمه الله بقبول شفاعته حتى يعجل الله بالفصل والحساب ، وهذه رحمة للعالمين ؛ لأنهم من هول الموقف يتمنون الانصراف ولو إلى النار .

ونحن قلنا سابقا: إن الحق سبحانه وتعالى علم انشغال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمته وبرحمته بهم ، فقال له الله – ليريح عواطفه ومواجيده – ما ورد هنا في الحديث الشريف:

فعن عبد الله ابن عمر بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿ رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ﴾ .

وقول عيسى – عليه السلام – ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ . " فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي وبكى ، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم ، فقال الله: يا جبريل ، اذهب إلى محمد فقل: (إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك) "

انظروا إلى ما ورد عن سيدنا علي في هذه الآية ، فقد روي أنه – رضي الله عنه – قال لأهل العراق: إنكم تقولون: إن أرجى آية في كتاب الله تعالى: ﴿ قل ياعبادي الذين أسرفوا علىا أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ . قالوا: إنا نقول ذلك قال: ولكنا – أهل البيت – نقول: إن أرجى آية في كتاب الله قوله تعالى: ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضا ﴾ . وفي الحديث لما نزلت هذه الآية قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: (إذا لا أرضى وواحد من أمتي في النار) .

وهكذا نرى شغل رسول الله بأمته كأمر واضح موجود في بؤرة شعوره .

إذن فقول الله: ﴿ ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ﴾ هو توضيح من الله لرسوله بأنهم لم يسارعوا في الكفر تقصيرا منك ، فأنت قد أديت واجبك ، ويضيف سبحانه: ﴿ إنهم لن يضروا الله شيئا ﴾ ولم يقل سبحانه: إنهم لن يضروك ، أو لن يضروا المؤمنين ، لا بل لقد جعل سبحانه وتعالى المعركة معه وهو القوى ذو الجبروت إنه هنا يطمئن المؤمنين .

ويريد الله ألا يجعل للذين يسارعون إلى الكفر حظا في الآخرة فيقول: ﴿ يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾ وما دامت هذه إرادات الله في ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ، أيكون لهم عمل يصادم مرادات ربهم ؟ لا .

إنه سبحانه يريد بما شرع من منهج أن تأتيهم سننه ، والله يعذب من يخالف سننه التي شرعها . لأنه جلت قدرته يطلب من المكلفين أن يطبقوا سننه التي شرعها لهم .

وفرق بين وجود " لام العاقبة " التي تأتي حين يكون في مراد العبد شيء ، ولكن القدرة الأعلى تريد شيئا آخر ، وهي تختلف عن " لام الإرادة " والتعليل ف " لام الإرادة والتعليل " تتضح في قولنا: ذاكر التلميذ لينجح ، لأن علة المذاكرة هي الرغبة في النجاح ، أما " لام العاقبة " ، فتتضح عندما يقول الأب لابنه: أنا دللتك لترسب آخر العام .

أدلل الأب ابنه حتى يرسب ؟ لا ، ولكن الأب يأتي هنا بـ " لام العاقبة " أي كان للأب مراد ، ولكن قدرة أعلى جاءت على خلاف المراد .

ونوضح المسألة أكثر ، فالحق يقول في قصة سيدنا موسى:﴿ وأوحينآ إلىا أم موسىا أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رآدوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾[القصص: ٧]

ونحن لا بد أن نتنبه إلى قول الحق: ﴿ فألقيه في اليم ﴾ والإنسان العادي لو قال لامرأة تحمل رضيعها: إن خفت على ابنك فألقيه في البحر . هذه المرأة لن تصدق هذا القائل ، لكن أم موسى تلقت هذا الوحي من الله ، والتلقي من الله لا يصادمه فكر شيطان ولا فكر بشر ، فالإلهام من الله يتجلى في قوله: ﴿ وأوحينآ إلىا أم موسىا ﴾ . وما دام الله هو الذي ألهمها ، فإن خاطر الشيطان لا يجيء . ولذلك قامت أم موسى بتنفيذ أمر الله . ويطمئنها الله فقال لها: ﴿ ولا تخافي ولا تحزني إنا رآدوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ .

وينبه سبحانه أم موسى أنه لن يرده إليها لمجرد أنه قرة عين ، ولكن لأن لموسى أيضا مهمة مع الله . وفي لقطة أخرى يقول الحق عن مسألة الوحي لأم موسى:﴿ إذ أوحينآ إلىا أمك ما يوحىا * أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع علىا عيني ﴾[طه: ٣٨-٣٩]

والحق هنا في هذه اللقطة يصف وقت تنفيذ العملية التي أوحى بها ، ففيه فرق بين التمهيد للعملية قبل أن تقع كما حدث في اللقطة السابقة حيث قال لها الحق: ﴿ فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ﴾ . كان ذلك هو الإعداد ، ثم جاء وقت التنفيذ ، فقال الحق لموسى: ﴿ إذ أوحينآ إلىا أمك ما يوحىا ﴾ . إنها سلسلة من الأوامر المتلاحقة التي تدل على أن هذه العملية كانت في وقت أخذ جنود فرعون لأطفال بني إسرائيل ليقتلوهم ، إنه سبحانه يبين لنا أن جنود الله من الجمادات التي لا تعي تلقت الأمر الإلهي بأن تصون موسى ، فكلمة " اقذفيه " تدل على السرعة ، وتلقي " اليم " الأمر من الله بأن موسى عندما يلقى في البحر ، فلا بد أن يلقيه إلى الساحل . ﴿ إذ أوحينآ إلىا أمك ما يوحىا * أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل ﴾ إنها أوامر للمسخر من المخلوقات التي لا تعصى .

لكن كيف تكون أوامر الحق لعدو لله ؟ إن الله يدخلها كخاطر ملح في رأس فرعون لينفذ مراد الله . إن امرأة فرعون تقول له ما جاء في قوله تعالى:﴿ وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسا أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون ﴾[القصص: ٩]

لقد دخل أمر الله كخاطر ، والتقطه آل فرعون لا ليكون قرة عين لامرأة فرعون ، ولكن لأمر مختلف أراده الله .

فهل ساعة الالتقاط كان في بالهم أن يكون موسى عدوا أو قرة عين ؟ إنها " لام العاقبة " التي تتضح في قوله: ﴾ ليكون لهم عدوا وحزنا ﴿ . فالإنسان يكون في مراده شيء ، ولكن القدرة الأعلى من الإنسان – وهو الله – تريد شيئا آخر .

الإنسان في تخطيطه أن يقوم بالعملية لكذا ، ولكن القوة الأعلى من الإنسان تريد العملية لهدف آخر ، وهي التي أوحت للإنسان أن يقوم بهذه العملية . ويتجلى ذلك بوضوح في العلة لالتقاط آل فرعون لموسى . كان فرعون يريده قرة عين له ، ولكن الله أراده أن يكون عدوا لفرعون . وفي هذا المثال توضيح شامل للفرق بين " لام العاقبة " و " لام الإرادة والتعليل " وعندما نرى أحداثا مثل هذه الأحداث فلا نقول: " هذا مراد الله " ولكن فلنقل: (العاقبة فيما فعلوا وأحدثوا خلاف ما خططوا) .

وبعد ذلك يقول الحق: ﴾ إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان . . . . ﴿

". (١)

"

وهذا أمر بالخير ؛ يوجهه الله سبحانه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم .

ونحن نلحظ في هذه الآيات من سورة هود أنها تحمل أوامر ونواهي ؛ الأوامر بالخير دائما ؛ والنواهي عن الشر دائما .

ونلحظ أن الحق سبحانه قال:

﴿ فاستقم كمآ أمرت ومن تاب معك ﴾[هود: ١١٢] .

ثم وجه النهي للأمة كلها:﴿ ولا تطغوا ﴾[هود: ١١٢] ولم يقل: " فاستقم ولا تطغي " لأن الأمر بالخير يأتي للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته معه ؛ وفي النهي عن الشر يكون الخطاب موجها إلى الأمة ، وفي هذا تأكيد لرفعة مكانة النبي صلى الله عليه وسلم .

ونرى نفس الأمر حين يوجه الحق سبحانه الحديث إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول سبحانه وتعالى:

---

(١) تفسير الشعراوي ص/٥٦٧

﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ﴾[هود: ١١٣] .

ولم يقل: " ولا تركن إلى الذين ظلموا " .

وهنا في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها يقول الحق سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم ولأمته:

﴿ وأقم الصلاة ﴾ [هود: ١١٤] .

والإقامة تعني: أداء المطلوب على الوجه الأكمل ، مثل إقامة البنيان ؛ وأن تجعله مؤديا للغرض المطلوب منه .

ويقال: " أقام الشيء " أي: جعله قائما على الأمر الذي يؤدي به مهمته .

وقول الحق سبحانه:

﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار ﴾ [هود: ١١٤] .

أي: نهايته من ناحية ، ونهايته من الناحية الأخرى ؛ لان طرف الشيء هو نهايته .

وتتحدد نهاية الطرفين من منطقة وسط الشيء ، فالوسط هو الفاصل بين الطرفين ؛ فما على يمين الوسط يعد طرفا ؛ وما على يسار الوسط يعد طرفا آخر ؛ وكل جزء بعد الوسط طرف .

وعادة ما يعد الوسط هو نقطة المنتصف تماما ، وما على يمينها يقسم إلى عشرة أجزاء ، وما على يسارها يقسم إلى عشرة أجزاء أخرى ، وكل قسم بين تلك الأجزاء التي على اليمين و التي على اليسار يعد طرفا .

وقول الحق سبحانه:

﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار ﴾ [هود: ١١٤] .

يقتضي أن تعرف أن النهار عندنا إنما نتعرف عليه من بواكير الفجر الصادق ، وهذا هو أول طرف نقيم فيه صلاة الفجر ، ثم يأتي الظهر ؛ فإن وقع الظهر قبل الزوال حسبناه من منطقة ما قبل الوسط ، وإن كان بعد الزوال حسبناه من منطقة ما بعد الوسط .

وبعد الظهر هناك العصر ، وهو طرف آخر .

وقول الحق سبحانه:

﴿ وزلفا من اليل ﴾ [هود: ١١٤] .

يقتضي منا أن نفهم أن كلمة ﴿ زلفا ﴾ هي جمع ؛ زلفة ، وهي مأخوذة من: أزلفه ، إذا قربه .

والجمع أقله ثلاثة ؛ ونحن نعلم أن لنا في الليل صلاة المغرب ، وصلاة العشاء ، ولذلك نجد الإمام أبا حنيفة يعتبر الوتر واجبا ، فقال: إن صلاة العشاء فرض ، وصلاة الوتر واجب ؛ وهناك فرق بين الفرض والواجب .

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك مباشرة:

﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ [هود: ١١٤] .

وهذا التعقيب يضع الصلاة في قمة الحسنات ، وقد أوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا بأن قال: " الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر " .

واختلف العلماء في معنى السيئات والحسنات ، وقال بعضهم: الحسنة هي ما جعل الله سبحانه على عملها ثوابا ، والسيئة هي ما جعل الله على عملها عقابا .

وأول الحسنات في الإيمان أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وهذه حسنة أذهبت الكفر ؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات .

ولذلك قال بعض العلماء: إن المسلم الذي ارتكب معصية أو كبيرة من الكبائر ، لا يخلد في النار ؛ لأنه إذا كانت حسنة الإيمان قد أذهبت سيئة الكفر ، أفلا تذهب ما دون الكفر ؟ .

وهكذا يخفف العقاب على المسلم فينال عقابه من النار ، ولكنه لا يخلد فيها ؛ لأننا لا يمكن أن نساوي بين من آمن بالله ومن لم يؤمن بالله .

والإيمان بالله هو أكبر حسنة ، وهذه الحسنة تذهب الكفر ، ومن باب أولى أن تذهب ما دون الكفر .

وتساءل بعض العلماء: هل الفرائض هي الحسنات التي تذهب السيئات ؟

وأجاب بعضهم: هناك أحاديث صحيحة قد وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسنات في غير الفرائض ، ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن صوم يوم عرفة إلى صوم يوم عرفة يذهب السيئات " .

ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الإنسان الذي يستقبل نعمة الله بقوله: الحمد لله الذي رزقنيه من غير حول مني ولا قوة ، والحمد لله الذي كساني من غير حول مني ولا قوة " . وهذا القول يكفر السيئات .

ألم يقل صلى الله عليه وسلم " إنك إذا قلت: سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم " فهذا القول كفارة ؟

إذن: فالحسنات مطلقة سواء أكانت فرضا أم غير فرض ، وهي تذهب السيئات . والسيئة هي عمل توعد الله ـ سبحانه ـ من يفعله بالعقوبة .

وتساءل أيضا بعض العلماء: إن السيئة عمل ، والعمل إذا وقع يرفع ويسجل ، فكيف تذهبها الحسنة ؟

وأجابوا: إن ذهاب السيئة يكون إما عن طريق من يحفظ العمل ، ويكتبه عليك ، فيمحوه الله من كتاب سيئاتك ، أو أن يعفو الله سبحانه وتعالى عنك ؛ فلا يعاقبك عليه ، أو يكون ذهاب العمل في ذاته فلا يتأتى ، وما وقع لا يرتفع ؛ أو يحفظها الله إن وقعت ؛ لأنه هو سبحانه القائل:

﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾[ق: ١٨] .

ويقول سبحانه:

﴿ وإن عليكم لحافظين *كراما كاتبين ﴾[الانفطار: ١٠.١١] .

وهكذا يكون إذهاب السيئة ، إما محوها من الكتاب ، وإما أن تظل في الكتاب ، ويذهب الله سبحانه عقوبتها بالمغفرة .

والحق سبحانه يقول:

﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة ﴾[النجم: ٣٢] .

واجتناب الكبائر لا يمنع من وقوع الصغائر .

والحق سبحانه يقول:

﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشآء والمنكر ﴾[العنكبوت: ٤٥] .

وحين ننظر إلى مواقيت الصلاة ، نجدها خمسة مواقيت ، فمن تعلق قلبه بالصلاة ، إنما ينشغل قلبه طوال وقت حركته بإقامة الصلاة ، ثم يأتي وقت الليل لينام ، وكل من يرتكب معصية سينشغل فكره بها لمدة ، ولو لم يأت له وقت صلاة لأحس بالضياع ، أما إذا ما جاء وقت الصلاة فقلبه يتجه لله سبحانه طالبا المغفرة .

وإن وقعت منه المعصية مرة ، فقد لا تقع مرة أخرى ، أو أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر في وقت الاستعداد لها ، فمن جلس لينم على غيره ، أو يظلم الناس ، إذا ما سمع أذان الصلاة وقام وتوضأ ؛ فقد رحم الناس في وقت وضوئه ووقت صلاته ووقت ختمه للصلاة .

وهناك أعمال كثيرة من الفروض والحسنات وهي تمحو السيئات ، وعلى المسلم أن ينشغل بزيادة الحسنات ، وألا ينشغل بمحو السيئات ؛ لأن الحسنة الواحدة بشعرة أمثالها وقد يضاعفها الله سبحانه ، أما السيئة فإنما تكتب واحدة .

وينهي الحق سبحانه هذه الآية الكريمة بقوله:

﴿ ذالك ذكربا للذاكرين ﴾ [هود: ١١٤] .

أي: إن إقامة الصلاة طرفي النهار ، وزلفا من الليل هي حسنات تذهب السيئات ؛ وفي ذلك ذكرى وتنبيه للنفس إلى شيء غفل عنه ، أي: أن هذا الشيء كان موجودا من قبل ، ولكن جاءت الغفلة لتنسيه ، والإخبار الأول أزال الجهل بهذا الشيء ، والإخبار الثاني يذكرك بالحكم ؛ لأن آفة الإنسان أن الأمور التي تمر به من المرائي والمدركات ، تتوالى وتصير الأشياء التي في بؤرة الشعور إلى حاشية الشعور ، فيغفل الإنسان عما صار في حاشية الشعور ، ولا بد من مجيء معنى جديد ليذكر بما غاب في حاشية الشعور .

ومثال ذلك: إنك إذا ألقيت حجرا في بحر ، فهذا الحجر يستقر في بؤرة تصنع حولها دوائر من المياه ، وتذهب هذه الدوائر إلى أن تختفي من رؤية الإنسان ، ودليل ذلك أنك قد تتذكر أحداثا مرت عليك من عشرين عاما أو أكثر ، هذه الأحداث كانت موجودة في حاشية الشعور ، ثم جاء لك ما ينبهك إليها .

والمخ كآلة التصوير الفوتوغرافية يلتقط أحيانا من مرة واحدة ، وأحيانا من مرتين ، أو أكثر ، والالتقاط من أول مرة إنما يتم لأن المخ في تلك اللحظة كان خاليا من الخواطر .

ونحن نجد أن من فقدوا أبصارهم إنما ينعم الله سبحانه عليهم بنعمة أخرى ، هي قدرتهم الكبيرة على حفظ العلم ؛ لأنه حين يسمع الكفيف العلم لا تشغله الخواطر المرئية التي تسرق انتباه بؤرة الشعور ، أما المبصر ، فقد تسرق بؤرة شعوره ما يمر أمامه ، فيسمع العلم لأكثر من مرة إلى أن يصادف العلم بؤرة الشعور خالية فيستقر فيها .

وهكذا تفعل الذكرى ؛ لأنها تستدعي ما في حاشية الشعور إلى بؤرة الشعور ، فإذا انشغلت عن طاعة وذهبت إلى معصية ، فالذكرى توضح لك آفاق المسئولية التي تتبع المعصية ، وهي العقاب .

ولذلك يقال: " لا خير في خير بعده النار ، ولا شر في شر بعده الجنة " .

والحق سبحانه يقول هنا في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها:

﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من اليل ﴾ [هود: ١١٤] .

وأنت حين تنظر إلى أركان الإسلام ، ستجد أنك تشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله مرة واحدة في العمر ، والركن الثاني ، وهو الصلاة ، وهو ركن لا يسقط أبدا ، فهي كل يوم خمس مرات ، فيها تنطق بالشهادة ، وتزكي ببعض الوقت ليبارك لك الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيما بقي لك من وقت ، وفيها تصوم عن الطعام والشراب وكل ما يفسد الصيام ، وأنت تتجه لحظة قيام الصلاة إلى البيت الحرام .

ففي الصلاة تتضح العبادات الأخرى ، ففيها من أركان الإسلام الخمس .

ولذلك لا تسقط الصلاة أبدا ؛ لأنك إن لم تستطع الصلاة واقفا ؛ فلك أن تصلي قاعدا ، وإن لم تكن تستطيع الحركة فلك أن تحرك رموش عينيك ، وأنت تصلي .

وهكذا تجد في الصلاة كل أركان الدين ، ولأهميتها نجد أنها تبقى مع الإنسان إلى آخر رمق في حياته ، وهي قد أخذت أهميتها في التشريع على قدر أهميتها في التكليف ، وكل تكاليف الإسلام قد جاءت بواسطة الوحي إلا الصلاة ، فقد جاءت مباشرة من الله تعالى ، فقد استدعى الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم إليه ليفرض عليه الصلاة وهي تحية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ نظرا لأنها شرعت في قرب محمد صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى .

لذلك جعل الحق سبحانه الصلاة المفروضة في القرب وسيلة لقرب أمة رسوله صلى الله عليه وسلم جميعا ؛ ولذلك فهي الباقية .

ويحكى أن الإمام عليا ـ كرم الله وجهه ورضي عنه ـ أقبل على قوم وقال لهم: أي آية في كتاب الله أرجى عندكم ؟

أي: ما هي الآية التي تعطي الرجاء والطمأنينة والبشرى بأن الحق سبحانه يقبلنا ويغفر لنا ويرحمنا ، فقال بعضهم: هي قول الحق سبحانه:

﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذالك لمن يشآء ﴾[النساء: ١١٦] .

فقال الإمام علي: حسنة ، وليست إياها ؟ أي: أنها آية تحقق ما طلبه ، لكنها ليست الآية التي يعنيها .

فقال بعض القوم إنها قول الحق سبحانه:

﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾[النساء: ١١٠] .

فكرر الإمام علي: حسنة ، وليست إياها .

فقال بعض القوم: هي قول الحق سبحانه:

﴿ قل ياعبادي الذين أسرفوا علىا أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾

[الزمر: ٥٣] .

فقال الإمام علي: حسنة ، وليست إياها:

فقال بعضهم: هي قوله سبحانه:

﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾[آل عمران: ١٣٥] .

فقال الإمام علي: حسنة ، وليست إياها .

وصمت القوم وأحجموا ، فقال الإمام علي كرم الله وجهه: ما بالكم يا معشر المسلمين ؟ وكأنه يسألهم: لماذا سكتم ؟ . . فقالوا: لا شيء .

وهكذا جعل الإمام علي التشويق أساسا يبني عليه ما سوف يقول لهم: واشرأبت أعناقهم ، وأرهفوا السمع ، فقال لهم الإمام علي: سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " أرجى آية في كتاب الله هي قول الحق سبحانه:

﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من اليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذالك ذكرىا للذاكرين ﴾ [هود: ١١٤] .

يا علي إن أحدكم ليقوم من وضوئه فتتساقط عن جوارحه ذنوبه ، فإذا أقبل على الله بوجهه وقلبه لا ينفتل ـ أي: لا يلتفت ـ إلا وقد غفر الله له كل ذنوبه كيوم ولدته أمه ؛ فإذا أحدث شيئا بين الصلاتين فله ذلك ، ثم عد الصلوات الخمس واحدة واحدة ، فقال بين الصبح والظهر ، وبين الظهر والعصر ، وبين العصر والمغرب ، وبين المغرب والعشاء ، وبين العشاء والفجر ، ثم قال صلى الله عليه وسلم: " يا علي إنما الصلوات الخمس لأمتي كنهر جار بباب أحدكم ، أو لو كان على جسد واحد منكم درن ثم اغتسل في البحر ، أيبقى على جسده شيء من الدرن ؟ قال: فذلكم والله الصلوات لأمتي " .

ولذلك لو نظرنا إلى الأعمال لوجدنا كل عمل له مجاله في عمره إلا مجال الصلاة ، فمجالها كل عمر الإنسان .

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك: ﴿ واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾

(١) ".

"﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى ﴾ معنى يأتل يحلف ، فهو من قولك : آليت إذا حلفت ، وقيل معناه : يقصر فهو من قولك : ألوت أي قصرت ، ومنه ﴿ لا يألونكم خبالا ﴾ [آل عمران : ١١٨] والفضل هنا يحتمل أن يريد به الفضل في الدين ، أو الفضل في المال ، وهو أن يفضل له عن مقدار ما يكفيه ، والسعة هي اتساع المال ، ونزلت الآية بسبب أبي بكر الصديق Bه حين حلف أن لا ينفق على مسطح ، لما تكلم في حديث الإفك ، وكان ينفق عليه لمسكنته ؛ ولأنه قريبه ، وكان ابن بنت خالته ، فلما نزلت الآية رجع إلى مسطح النفقة والإحسان ، وكفر عن يمينه قال بعضهم : هذه أرجى آية في القرآن ، لأن الله أوصى بالإحسان إلى القاذف ، ثم إن لفظ الآية على عمومه في أن لا يحلف أحد على ترك عمل صالح ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ أي كما تحبون أن يغفر الله لكم ، كذلك اغفروا أنتم لمن أساء إليكم ، ولما نزلت قال أبو بكر Bه : إني لأحب أن يغفر الله لي ، ثم رد النفقة إلى مسطح . ." (٢)

"﴿ قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ قال علي بن أبي طالب وابن مسعود : هذه أرجى آية في القرآن ، وروي أن رسول الله A قال : ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية واختلف في سببها فقيل : في وحشي قاتل حمزة ، لما أراد أن يسلم وخاف أن لا يغفر له ما وقع فيه من قتل حمزة ، وقيل : نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا ، ففتنوا فافتتنوا ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم ، وهذا قول عمر بن الخطاب : وقد كتب بها إلى هشام بن العاصي ، لما جرى له ذلك وقيل : نزلت في قوم من أهل الجاهلية ، قالوا : ما ينفعنا الإسلام لأننا قد زنينا ، وقتلنا النفوس فنزلت الآية فيهم ، ومعناها مع ذلك على العموم في

---

(١) تفسير الشعراوي ص/١٥٧٤

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ص/١٢٢٥

جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيل نذكره ، وذلك أن الذين أسرفوا على أنفسهم ، إن أراد بهم الكفار فقد اجتمعت الأمة على أنهم إذا أسلموا غفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم ؛ لقوله A : « الإسلام يجب ما قبله » ، وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم ، بل يخلدهم في النار ، وإن أراد به العصاة من المسلمين فإن العاصي إذا تاب غفر له ذنوبه ، وإن لم يتب فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، فالمغفرة المذكورة في هذه الآية ، يحتمل أن يريد بها المغفرة للكفار إذا أسلموا أونن للعصاة إذا تابوا ، أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضل الله عليهم بالمغفرة ، والظاهر أنها نزلت في الكفار ، وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا أسلموا ، والدليل على أنها في الكفار ما ذكر بعدها إلى قوله : ﴿ قد جآءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ﴾ [الزمر : ٥٩] . ." (١)

"ولا يجوز عليه التعجب لأنه تغير في النفس بما تخفى أسبابه ، وإنما ذكر تعالى ذلك ليتعجب منه نبيه والمؤمنون .

٢- من أنكر البعث والقيامة ، فهو كافر ، لإنكاره القدرة الإلهية والعلم والصدق في الخبر ، ويساق إلى جهنم بالأغلال والسلاسل ، وهو خالد في النار .

فهذه أوصاف ثلاثة لمنكري البعث: أولئك الذين كفروا بربهم ، وأولئك الأغلال في أعناقهم ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

٣- العذاب المخلد ليس إلا للكفار بهذه الآية: هم فيها خالدون أي هم الموصوفون بالخلود لا غيرهم ، أما أهل الكبائر من المسلمين الذين يرتكبون الجرائم العظام ، كالقتل وشهادة الزور وعقوق الوالدين ، فلا يخلدون في النار .

٤- طلب المشركين إنزال العقوبة لفرط إنكارهم وتكذيبهم نوع من الطيش والحماقة ، وكفاهم الاعتبار بعقوبات أمثالهم المكذبين ، فالمثلات أي العقوبات كثيرة . وقد تبين من هذه الآية: أن عذاب الاستئصال لا ينزل بهم إلا بالإصرار على الكفر والمعاصي .

٥- حكم سبحانه بتأخير العقوبة عن هذه الأمة إلى يوم القيامة .

٦- إن الله تعالى لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا ، وعن المذنبين إذا تابوا ، وقد يعفو تعالى عن صاحب الكبيرة قبل التوبة في رأي أهل السنة ، لأن قوله تعالى على ظلمهم أي حال اشتغالهم بالظلم ، وحال الاشتغال بالظلم لا يكون المرء فيها تائبا .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ص/١٨٥٣

قال ابن عباس: أرجى آية في كتاب الله تعالى: وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم .

٧- وإن الله أيضا شديد العقاب للكافرين إذا أصروا على الكفر . ." (١)

"٩- كان خطاب موسى وهارون في غاية اللطف واستعمال المنطق ، فقالا له: قد جئناك بآية دالة على نبوتنا ورسالتنا إليك ، ومن اتبع الهدى سلم من سخط الله عز وجل وعذابه ، وليس هذا بتحية ، بدليل أنه ليس بابتداء لقاء ولا خطاب .

وأضافا أيضا في كلامهما: إنا قد أوحي إلينا أن العذاب أي الهلاك والدمار في الدنيا ، والخلود في جهنم في الآخرة على من كذب أنبياء الله ، وتولى ، أي أعرض عن الإيمان . قال ابن عباس: هذه أرجى آية للموحدين لأنهم لم يكذبوا ولم يتولوا .

- ٦- الحوار بين فرعون وموسى حول الربوبية

[سورة طه (٢٠) : الآيات ٤٩ الى ٥٥]

قال فمن ربكما يا موسى (٤٩) قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (٥٠) قال فما بال القرون الأولى (٥١) قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى (٥٢) الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى (٥٣)

كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى (٥٤) منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى (٥٥)

الإعراب:

قال: علمها عند ربي: علمها: مبتدأ ، وفي كتاب: خبره ، وعند ربي: ظرف يتعلق بالخبر ، وتقديره: علمها كائن في كتاب عند ربي . ويحتمل أن يكون عند ." (٢)

"١٣- نهى الله المؤمنين وغيرهم عن اتباع مسالك الشيطان ومذاهبه لأنه لا يأمر إلا بالفحشاء والمنكر .

١٤- لله تعالى وحده الفضل في تزكية المؤمنين وتطهيرهم وهدايتهم ، لا بأعمالهم .

١٥- على المؤمن التخلق بأخلاق الله ، فيعفو عن الهفوات والزلات والمزالق ، فإن فعل ، فالله يعفو عنه ويستر ذنوبه ، وكما تدين تدان ، والله سبحانه قال:

ألا تحبون أن يغفر الله لكم أي كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم ،

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٣/١١٦

(٢) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٦/٢٢٠

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني عن جرير: «من لا يرحم لا يرحم» .

١٦- في هذه الآية دليل على أن القذف وإن كان معصية كبيرة لا يحبط الأعمال لأن الله تعالى وصف مسطحا بعد قوله بالهجرة والإيمان وكذلك سائر الكبائر ولا يحبط الأعمال غير الشرك بالله ، قال الله تعالى: لئن أشركت ليحبطن عملك [الزمر ٣٩/ ٦٥] .

١٧- من حلف على شيء ألا يفعله ، فرأى أن فعله أولى من تركه ، أتاه وكفر عن يمينه .

١٨- قال بعض العلماء: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى ، من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ .

١٩- دلت هذه الآية على أن أبا بكر أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله وصفه بصفات عجيبة في هذه الآية ، دالة على علو شأنه في الدين ، أورد الرازي أربع عشرة صفة مستنبطة من هذه الآية: ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة منها أنه وصفه بأنه صاحب الفضل على الإطلاق من غير تقييد لذلك بشخص دون شخص ، والفضل يدخل فيه الإفضال ، وذلك يدل على أنه ." (١)

"المغفرة والرحمة ، فلا يعاقب بعد التوبة . قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة ، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ، ورجع عنها ، وإن كانت مهما كانت ، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر ، ولا يصح حمل هذه على غير توبة ، لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه «١» .

وقال الشوكاني: وهذه الآية أرجى آية في كتاب الله ، لاشتمالها على أعظم بشارة ، فإنه أولا أضاف العباد إلى نفسه ، لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم ، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي والاستكثار من الذنوب ، ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب ، فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولى وبفحوى الخطاب ، ثم جاء بما لا يبقى بعده شك:

إن الله يغفر الذنوب . . .

وتقييد المغفرة بالتوبة والإنابة وإخلاص العمل مأخوذ من الآية التالية:

وأنيبوا إلى ربكم . . الآية ومن الأحاديث المتقدمة في سبب النزول ، فباب الرحمة واسع ، كما قال تعالى: ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده [التوبة ٩/ ١٠٤] وقال سبحانه: ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ، ثم يستغفر الله ، يجد الله غفورا رحيما

[النساء ٤/ ١١٠] .

أخرج الطبراني عن سنيد بن شكل قال: سمعت ابن مسعود يقول: إن أعظم آية في كتاب الله: الله لا إله إلا هو

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٨/١٩٠

الحي القيوم [البقرة ٢/ ٢٥٥ وآل عمران ٣/ ٢] . وإن أجمع آية في القرآن بخير وشر: إن الله يأمر بالعدل والإحسان [النحل ١٦/ ٩٠] . وإن أكثر آية في القرآن فرجا في سورة الغرف (أي الزمر) : قل: يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله .

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٨ ." (١)

"وما فيهما من المخلوقات التي لا يعلم حصرها إلا الله تعالى ، وأنه قادر على جمعهم للحشر والحساب يوم القيامة .

ويرى بعض العلماء استدلالا بقوله تعالى: وما بث فيهما من دابة أنه لا يستبعد وجود مخلوقات في الكواكب والعوالم العلوية غير الملائكة ، كما تدل الدلائل الفلكية- وربما اكتشاف سفن الفضاء الحديثة- على وجود حياة في كوكب المريخ . وليس في هذا دلالة قطعية ، لأن في تفسير الآية وجها آخر كما تقدم .

٥- المصائب في الغالب تكون بسبب الذنوب والمعاصي ، فهي عقوبات على السيئات ، وقد تكون للابتلاء كما

قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد والبخاري والترمذي وابن ماجه عن سعد: «أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل»

والقصد من الابتلاء رفع الدرجات ، لأن الأنبياء معصومون عن الذنوب والآثام ، ويكون حصول المصيبة من باب الامتحان في التكليف ، لا من باب العقوبة ، كما في حق الأنبياء والأولياء .

والعقوبة عن الذنب في الدنيا كفارة له في الآخرة ، وهذا في حق المؤمنين ، فأما الكافر فعقوبته مؤخرة إلى الآخرة .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن آية: وما أصابكم . . . : هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل . وإذا كان يكفر عني بالمصائب ، ويعفو عن كثير ، فما يبقى بعد كفارته وعفوه ؟ !

٦- إن قدرة الله عامة شاملة لكل شيء ، ومهيمنة على كل شيء ، فلن يستطيع الكفار والمشركون أن يعجزوه أو يفوتوه هربا من سلطانه ، ولن يجدوا لهم في الآخرة وليا يتولى أمورهم ، ويتعهد مصالحهم ، ولا نصيرا يدفع عنهم عذاب الله وانتقامه ، فهم في الدنيا والآخرة في قبضة القدرة الإلهية . ." (٢)

"روى الصحيح أن الله تبارك وتعالى لما أنزل ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم﴾ [(١١) سورة النور] العشر آيات ، قال أبو بكر -وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره-: والله لا أنفق عليه شيئا أبدا ، بعد

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٣٨/٢٤

(٢) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٧٦/٢٥

الذي قال لعائشة ، فأنزل الله تعالى: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة﴾ إلى قوله: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ [(٢٢) سورة النور] قال عبد الله بن المبارك: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى ، فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال: لا أنزعها منه أبدا .

الثانية والعشرون: في هذه الآية دليل على أن القذف وإن كان كبيرا لا يحبط الأعمال ؛ لأن الله تعالى وصف مسطحا بعد قوله بالهجرة والإيمان . .

فدل على أن أمر الهجرة والإيمان قائم ، ما حبط بمجرد القذف .

وكذلك سائر الكبائر ، ولا يحبط الأعمال غير الشرك بالله ، قال الله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ [(٦٥) سورة الزمر] . .

على خلاف بين أهل العلم أن حبوط الأعمال هو بمجرد الشرك أو بالموت عليه ، يظهر هذا فيمن حج ثم حصل منه ما يحكم بردته من أجله ثم رجع وتاب وأناب هل يحبط ويبطل الحج الذي حجه ؟ فيلزمه إعادته ؟ أو نقول: أنه ما مات على الشرك فيموت وهو كافر ؟ بهذا القيد والأكثر على هذا .

طالب . . صلاة العصر ؟

حبط عمله ! لكن مع ذلك هذا مجرد تغليظ ، هذا تغليظ ، لأن الكلام والخلاف في الشرك ، هل يحبط عمل من مات على الإسلام ، بمعنى أنه أشرك وارتد ثم عاد إلى الإسلام هل يحبط عمله السابق أو لا يحبط أو حبوط مشروط بموته على الكفر ؟ .

طالب: في قوله يا شيخ: لا يحبط الأعمال إلا الشرك .

صحيح: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ .

الطالب: لكن ورد حديث بحبوط العمل ؟

لكن من ورد بالحبوط ، الحبوط حبوط نسبي .

الطالب: . . الصلاة مثلا ، أجر الصلوات السابقة ، كيف يوجه الحديث ؟ ." (١)

"المناسبة

قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا . . . . .﴾ الآيات ، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما (١) أوعد الكافرين فيما سلف أردفه بذكر رحمته وفضله على عباده المؤمنين ، بغفران ذنوبهم إذا هم تابوا وأنابوا إليه ، وأخلصوا له العمل ، ليكون في ذلك مطمع لهؤلاء الضالين ، ومنبهة لهم من ضلالهم .

---

(١) التعليق على تفسير القرطبي – عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ٢٩/٦

وعبارة "أبي حيان" هنا (٢): ومناسبتها لما قبلها: أنه تعالى لما شدد على الكفار ، وذكر ما أعد لهم من العذاب ، وأنهم لو كان لأحدهم ما في الأرض ومثله معه . . لافتدى به من عذاب الله . . ذكر ما في إحسانه من غفران الذنوب ، إذا آمن العبد ورجع إلى الله ، وكثيرا تأتي آيات الرحمة مع آيات النقمة ، ليرجو العبد ويخاف ، وهذه الآية عامة في كل كافر يتوب ، ومؤمن عاص يتوب ، تمحو الذنب توبته ، وقال عبد الله وعلي وابن عمر: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى انتهى .

قوله تعالى: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم . . .﴾ الآيات ، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما أوعد المشركين فيما سلف بما سيكون لم من الأهوال يوم القيامة ، ووعد المتقين بما يمنحهم من الفوز والنعيم في ذلك اليوم . . أردف ذلك ذكر حال لكل منهما تبدو للعيان ، ويشاهدها كل إنسان يوم العرض والحساب .

قوله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل (٦٢) . . .﴾ الآيات ، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما (٣) بسط الوعد والوعيد يوم القيامة لأهل التوحيد وأهل الشرك . . عاد إلى ذكر دلائل الألوهية والوحدانية ، ثم انتقل إلى النعي على الكافرين في أمرهم لرسوله بعبادة الأوثان والأصنام ، ثم بين أن الأنبياء جميعا أوحي إليهم أن لا يعبدوا إلا الله وحده ، وأن لا يشركوا به سواه ، وأنهم إن فعلوا غير ذلك . . حبطت أعمالهم وكانوا من الخاسرين ، ثم كرر النعي عليهم مرة أخرى ، بأنهم لم يعرفوا الله حق معرفته ، إذ لو عرفوه . . لما جعلوا هذه المخلوقات الخسيسة مشاركة له في العبودية .

---

(١) المراغي .

(٢) البحر المحيط .

(٣) المراغي . ." (١)

"فأنزل الله هذه الآية ، ورآها أصحابه من أوسع الآيات في مغفرة الذنوب . انتهى . وعلى كل تقدير ، فخصوص السبب لا ينافي عموم اللفظ ، فدخل فيه كل مسرف .

واعلم (١): أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله سبحانه ؛ لاشتمالها على أعظم بشارة ، فإنه أولا أضاف العباد إلى نفسه ، لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم ، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي ، والاستكثار من الذنوب ، ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب ، فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين ، من باب الأولى ، وبفحوى الخطاب .

وبعد أن نهاهم عن القنوط . . أخبرهم بما يدفع ذلك ويرفعه ، فيحل الرجاء مكانه ، وجاء بما لا يبقى بعده

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن محمد الأمين الهرري ٥٢/٢٥

شك ، ولا يخالج القلب عند سماعه ظن ، فقال: ﴿إن الله﴾ سبحانه وتعالى ﴿يغفر الذنوب﴾ ؛ أي: أفراد جنس الذنوب حال كونها ، ﴿جميعا﴾ فالألف واللام فيه: لاستغراق أفراد الجنس ؛ أي: إن الله سبحانه يغفر كل ذنب ، كائنا ما كان ، إلا ما أخرجه النص القرآني ، وهو الشرك بقوله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ .

فيا لها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين ، المحسنين ظنهم بربهم ، الصادقين في رجائه ، الخالعين ثياب القنوط ، البعيدين عن سوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب ، ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده ، المتوجهين إليه في طلب العفو ، الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم .

ثم ذكر علة ذلك ، فقال: ﴿إنه﴾ سبحانه ﴿هو﴾ وحده ﴿الغفور﴾ بمحو ما يوجب العقاب عمن تاب ﴿الرحيم﴾ بالتفضل بالثواب له ؛ أي: كثير المغفرة والرحمة ، عظيمهما وبليغهما واسعهما ، وصيغة (٢) المبالغة: راجعة إلى كثرة الذنوب ، وكثرة المغفور والمرحوم .

فمن أبى هذا الفضل العظيم ، والعطاء الجسيم ، وظن أن تقنيط عباد الله ، وتأييسهم من رحمته ، أولى بهم مما بشرهم الله به . . فقد ركب أعظم الشطط ، وغلط أقبح الغلط ، فإن التبشير هو الذي جاءت به نصوص الكتاب ، وهو المسلك

---

(١) الشوكاني .

(٢) روح البيان . ." (١)

"للآخرين ونحو الآية قوله تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾ . وفي الحديث الصحيح: "والذي نفسي بيده ، ما يصيب المؤمن من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، إلا كفر الله عنه بها من خطاياه ، حتى الشوكة يشاكها" .

ولما نزلت هذه الآية ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "والذي نفس محمد بيده ، ما من خدش عود ، ولا اختلاج عرق ، ولا عثرة قدم ، إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر" . وروى الترمذي ، وجماعة عن علي – كرم الله وجهه – قال: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله ، حدثنا بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير (٣٠)﴾ قال – صلى الله عليه وسلم –: "وسأفسرها لك يا علي ، ما أصابكم من مرض ، أو عقوبة ، أو بلاء في الدنيا ، فبما كسبت أيديكم ، والله أكرم من أن يعود بعد عفوه" ، والآثار في هذا الباب كثيرة .

وقال الواحدي: وهذه أرجى آية في كتاب الله ؛ لأنه جعل ذنوب المؤمنين صنفين ، صنف كفره عنهم بالمصائب

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن محمد الأمين الهرري ٥٦/٢٥

، وصنف عما عنه في الدنيا ، وهو كريم لا يرجع في عفوه ، فهذه سنة الله مع المؤمنين ، وأما الكافر فإنه لا يعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة انتهى .
والخلاصة: أنه يكفر عن العبد بما يصيبه من المصائب ، ويعفو عن كثير من الذنوب .

٣١ – ولما كان من يعاقب بدون الموت ، ربما ظن أنه عاجز فائت ، قال: ﴿وما أنتم﴾ أيها الناس ، أجمعون عربكم وعجمكم ﴿بمعجزين في الأرض﴾ ؛ أي: بفائتين عليه تعالى . هربا في الأرض . ولا في السماء ، لو كنتم فيها، لو أراد محقكم بالكلية ، يعني: لو أراد الله سبحانه ، ابتلاءكم وعقوبتكم . . فلا تفوتونه حيثما كنتم ، ولا تسبقونه ، ولا تقدرون أن تمنعوه من تعذيبكم ، بل ما قضاه عليكم من المصائب واقع عليكم ، نازل بكم ﴿وما لكم﴾ أيها الناس ، عند الاجتماع . فكيف عند الانفراد ﴿من دون الله﴾ سبحانه وتعالى المحيط بكل شيء عظمة وكبرا وعزة ﴿من ولي﴾ يوالي أموركم بالاستقلال ، فيحميكم مما قضاه الله ." (١)
"وقوله تعالى: ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ ١ أي والحال أن العقوبات قد مضت في الأمم من قبلهم كعقوبة الله لعاد وثمود وأصحاب الأيكة والمؤتفكات فما لهم يطالبون بها استبعادا لها واستخفافا بها أين ذهبت عقولهم ؟ وقوله تعالى: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس٢ على ظلمهم﴾ وهو ظاهر مشاهد إذ لو كان يؤاخذ بالظلم لمجرد وقوعه فلم يغفر لأصحابه لما ترك على الأرض من دابة ، وقوله: ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ أي على من عصاه بعد أن أنذره وبين له ما يتقي فلم يتق ما يوجب له العذاب من الشرك والمعاصي .
وقوله تعالى في الآية الثالثة (٧) ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ ! يخبر تعالى رسوله والمؤمنين عن قيل الكافرين بالتوحيد والبعث والنبوة: ﴿لولا﴾ أي هلا أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آية من ربه كعصا موسى وناقة صالح ، حتى نؤمن بنبوته ونصدق برسالته ، فيرد تعالى عليهم بقوله: ﴿إنما أنت منذر﴾ والمنذر المخوف من العذاب وليس لازما أن تنزل معه الآيات ، وعليه فلا تلتفت إلى ما يطالبون به من الآيات ، واستمر على دعوتك فإن لكل قوم٣ هاديا وأنت هادي هذه الأمة ، وداعيها إلى ربها فادع واصبر .
وقوله تعالى في الآية الرابعة (٨) ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ ٤ أي من ذكر أو أنثى واحدا أو أثنين أبيض أو أسمر سعيدا أو شقيا ، وقوله: ﴿وما تغيض٥ الأرحام وما تزداد﴾ أي ويعلم ما تغيض الأرحام من دماء الحيض٦ وما تزداد منها إذ غيضها ينقص من مدة الحمل وازديادها يزيد في مدة الحمل فقد تبلغ السنة أو أكثر ، وقوله: ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ أي وكل شيء في حكمه وقضائه وتدبيره بمقدار معين لا يزيد ولا ينقص في ذات ولا صفة

---

١ المثلات: جمع مثلة ، وهي العقوبة نحو: صدقة وصدقات ، وتضم الميم وتسكن الثاء مثله كغرفة والجمع مثل

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن محمد الأمين الهرري ١١٩/٢٦

كقرب وهي العقوبة الشديدة التي تكون مثالا تمثل بها العقوبات .

٢ قال ابن عباس رضي الله عنه هذه أرجى آية في كتاب الله ، قال سعيد بن المسيب ، لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هنأ أحدا عيشه ولولا عقابه ووعيده وعذابه لا تكل كل أحد" .

٣ هادي كل امة رسولها الذي بعث فيها وخلفاء الأنبياء وحواريوهم هداة يهدون من بعدهم والله يهدي من يشاء .

٤ قال القرطبي: من ذكر أو أنثى: صبيح أو قبيح صالح أو طالح . وقوله: ﴿كل أنثى﴾ يفيد عموم كل أنثى في الإنسان والحيوان ، وهو كذلك .

٥ العادة أن انحباس الحيض دال على العلوق أي: الحمل ، وفيضان الدم دال على عدم الحمل ، وتفسير الآية بهذا حسن ، فالله تعالى يعلم ما تغيض الأرحام من الدم ، لانشغال الرحم بالعلقة ثم بالجنين ، وما تزداد من الدم حتى يفيض عنها ، ويخرج ، وهو دم من لا حمل لها . وما في التفسير وجه وهذا الوجه أوضح .

٦ استدل بالآية من قال: الحامل لا تحيض وهو أبو حنيفة . والجمهور على أنها تحيض كما استدل بها كل من قال: الحمل تزيد مدته إلى أربع سنوات ، وهو الجمهور ، وخالف الظاهرية في ذلك . ." (١)

"لعلمه المحيط بكل شيء وجهلنا لكل شيء إلا ما علمناه فأزال به جهلنا وقوله: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم﴾ لهلكتم١ بجهلكم وسوء عملكم . ولكن لما أحاطكم الله به من فضل لم تستوجبوه إلا برأفته بكم ورحمته لكم عفا عنكم ولم يعاقبكم .

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا٢ خطوات الشيطان﴾ أي يا من صدقتم الله ورسوله لا تتبعوا خطوات الشيطان فإنه عدوكم فكيف تمشون وراءه وتتبعونه فيما يزين لكم من قبيح المعاصي وسيء الأقوال والأعمال فإن من يتبع خطوات الشيطان لا يلبث أن يصبح شيطانا يأمر بالفحشاء والمنكر ، ففاصلوا هذا العدو ، واتركوا الجري وراءه فإنه لا يأمر بخير قط فاحذروا وسواسه وقاوموا نزغاته بالاستعاذة بالله السميع العليم فإنه لا ينجكم منه إلا هو سبحانه وتعالى وقوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا﴾ وهذه منة أخرى وهي أنه لولا فضل٣ الله على المؤمنين ورحمته بحفظهم ودفع الشيطان عنهم ما كان ليطهر منهم أحد ، وذلك لضعفهم واستعدادهم الفطري للاستجابة لعدوهم ، فعلى الذين شعروا بكمالهم ؛ لأنهم نجوا مما وقع فيه عصبة الإفك من الإثم أن يستغفروا لإخوانهم وأن يقللوا من لومهم وعتابهم ، فإنه لولا فضله عليهم ورحمته بهم لوقعوا فيما وقع فيه اخوانهم ، فليحمدوا الله الذي نجاهم وليتطامنوا تواضعا الله وشكرا له . وقوله: ﴿ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾ أي فمن شاء الله تزكيته زكاه وعليه فليلجأ إليه وليطلب التزكية منه ، وهو تعالى

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ١١/٣

يزكي من كان أهلا للتزكية ، ومن لا فلا ، لأنه السميع لأقوال عباده والعليم بأعمالهم ونياتهم وأحوالهم وهي حال تقتضي التضرع إليه والتذلل وقوله تعالى: ﴿ولا يأتل أولو الفضل٤ منكم والسعة٥ أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا﴾ هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق لما منع مسطح بن أثاثة

---

١ ﴿لهلكتم﴾ هو جواب لولا المحذوف والسر في حذفه أن تذهب النفس كل مذهب ممكن في تقديره بحسب المقام والسياق .

٢ في الآية إشارة أفصح من عبارة وهي: أن الظنون السيئة وحب الفاحشة وحب إشاعتها بين المؤمنين كل هذا من وساوس الشيطان وتزيينه للناس للفتنة والإفساد .

٣ لولا هنا: حرف امتناع لوجود امتنع عدم التزكية لوجود فضل الله تعالى ورحمته ، والجملة سيقت للامتنان على المؤمنين ليشكروا .

٤ روي في الصحيح أن الله تبارك وتعالى لما أنزل: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم﴾ العشر آيات ، قال أبو بكر ، وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال في عائشة فأنزل الله تعالى ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم﴾ إلى قوله ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي . فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه . وقال: لا أنزعها منه أبدا . قال ابن المبارك . هذه أرجى آية في كتاب الله .

٥ الفضل: الزيادة وهي ضد النقص . والسعة: الغنى والائتلاء: الحلف مأخوذ من الألية التي هي الحلف . ." (١)

"١- بيان أن من الذنوب ما يعفو (١) الله تعالى عنه ولا يؤاخذ به تكرما وإحسانا .

ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام (٣٢) إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (٣٣) أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير (٣٤) ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص (٣٥)

شرح الكلمات:

ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام: أي ومن علامات ربوبيته للخلق إيجاد السفن كالجبال في البحار وتسخير البحار للسير فيها لمنافع العباد .

إن يشأ يسكن الريح: أي يوقف هبوب الريح فلا نسيم ولا عواصف .

فيظللن رواكد على ظهره: أي تقف السفن وتظل راكد حابسة على ظهر البحر .

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٥٥٧/٣

إن في ذلك لآيات: أي في هذه المظاهر من خلق السفن والبحار وتسخير البحار وسير السفن وركودها عند سكون الرياح لدلالات واضحة على وجود الله وقدرته وعمله وحكمته .

لكل صبار شكور: أي إن هذه الآيات لا يراها ولا ينتفع بها إلا من كان صبارا عند الشدائد والمحن شكورا عند الآلاء والنعم .

أو يوبقهن بما كسبوا: أي وإن يشأ يجعل الرياح عواصف فيهلك تلك السفن ويغرقها بمن فيها بسبب ذنوب أصحابها ، وهو على ذلك قدير .

ويعفو عن كثير: أي إنه تعالى ليعفو عن كثير من الذنوب والخطايا فلا يؤاخذ بها إذ لو آخذ بكل ذنب ما بقي أحد على وجه الأرض لقلة من لا يذنب فيها .

ويعلم الذين يجادلون في آياتنا: أي ويعلم المكذبون بآيات الله من المشركين عندما تعصف العواصف وتضطرب السفن ويخاف الغرق .

ما لهم من محيص: أي ليس لهم من مهرب إلا إلى الله فيجأرون بدعائه وحده ناسين آلهتهم الباطلة .

١- ولذا قال علي رضي الله عنه أرجى آية في كتاب الله تعالى هي هذه الآية وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه ؟ . ." (١)

"ومفعول الاستعجال محذوف: وهو العذاب ، معناه: لا تستعجل لهم عذابا ، فإنهم إليه صائرون .

كأن الكافرين حين يشاهدون الوعيد المحقق بالعذاب ، لم يمكثوا في الدنيا إلا قدر ساعة من الساعات ، لاحتقارهم ذلك ، ولما يشاهدونه من الأهوال العظام ، كما جاء في آية أخرى: قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين (١١٢) قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فسئل العادين (١١٣) [المؤمنون: ٢٣/ ١١٢- ١١٣] . وآية: كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها (٤٦) [النازعات: ٧٩/ ٤٦] وهذا القرآن العظيم الذي يتم الوعظ به: تبليغ كاف ، يقطع حجة الكافرين ، والبلاغ: بمعنى التبليغ ، فالقرآن بلاغ ، كما قال تعالى: هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب (٥٢) [إبراهيم: ١٤/ ٥٢] . وقال سبحانه:

إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين (١٠٦) [الأنبياء: ٢١/ ١٠٦] .

ولا يهلك الله بعذابه إلا القوم الفسقة الخارجين عن الطاعة ، المنغمسين في المعصية ، وهذا من عدل الله تعالى ألا يعذب أحدا إلا بذنب . وفي هذه الآية وعيد عظيم وإنذار بين ، لأن الله تعالى جعل الحسنة بعشر أمثالها ، والسيئة بمثلها ، وأمر بالطاعة ووعد عليها بالجنة ، ونهى عن الكفر وأوعد عليه بالنار ،

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٤/٦١٣

قال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم والدارمي وأحمد: «لا يهلك على الله إلا هالك» .

قال الثعلبي: يقال إن قوله تعالى: فهل يهلك إلا القوم الفاسقون أرجى آية في كتاب الله تعالى للمؤمنين . ." (١)

(١) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٤٢٨/٣

"٦٧٦٥ - أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدِ بْنُ أَبِي عَمْرٍو ، نا أَبُو عَبْدِ اللهِ الصَّفَّارُ ، نا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا ، نا يَعْقُوبُ بْنُ عُبَيْدٍ ، نا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، نا يُوسُفُ الصَّيْقَلُ ، عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ أَبِي زَيْنَبَ ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عُثْمَانَ النَّهْدِيَّ ، يَقُولُ: " مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَرْجَى عِنْدِي لِهَذِهِ الْآيَةِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] " الْآيَةَ ." (١)

"ومناسبة قوله فأنزل الله تصديقها الخ . . . للترجمة أن التبليغ على نوعين: أحدهما: هو الأصل أن يبلغه بعينه وهو خاص بالقرآن . الثاني: أن يبلغ ما يستنبط من أصول ما تقدم إنزاله فينزل عليه موافقته فيما استنبطه إما بنصه وإما بما يدل على موافقته بطريق الأولى كهذه الآية فإنها اشتملت على الوعيد الشديد في حق من أشرك وهي مطابقة بالنص ، وفي حق من قتل النفس بغير حق وهي مطابقة للحديث بطريق الأولى لأن القتل بغير حق وإن كان عظيمًا لكن قتل الولد أقبح من قتل من ليس بولد وكذا القول في الزنا فإن الزنا بحليلة الجار أعظم قبحًا من مطلق الزنا ، ويحتمل أن يكون
إنزال هذه الآية سابقًا على إخباره - صلى الله عليه وسلم- بما أخبر به لكن لم يسمعه الصحابي إلا بعد ذلك ، ويحتمل أن يكون كلٌّ من الأمور الثلاثة نزل تعظيم الإثم فيه سابقًا ، ولكن اختصت هذه الآية بمجموع الثلاثة في سياق واحد مع الاقتصار عليها فيكون المراد بالتصديق الموافقة في الاقتصار عليها فعلى هذا فمطابقة الحديث للترجمة ظاهرة جدًّا والله أعلم .

٤٧ - باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾ [آل عمران: ٩٣] وَقَوْلِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم-: «أُعْطِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ ، فَعَمِلُوا بِهَا وَأُعْطِيَ أَهْلُ الإِنْجِيلِ الإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهِ ، وَأُعْطِيتُمُ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ» . وَقَالَ أَبُو رَزِينٍ ﴿يَتْلُونَهُ﴾ [البقرة: ١٢١]: يَتَّبِعُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ ، يُقَالُ يُتْلَى: يُقْرَأُ حَسَنُ التِّلاَوَةِ حَسَنُ الْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ . ﴿لاَ يَمَسُّهُ﴾ [الواقعة: ٧٩]: لاَ يَجِدُ طَعْمَهُ وَنَفْعَهُ إِلاَّ مَنْ آمَنَ بِالْقُرْآنِ وَلاَ يَحْمِلُهُ بِحَقِّهِ إِلاَّ الْمُوقِنُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥] وَسَمَّى النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم- الإِسْلاَمَ وَالإِيمَانَ عَمَلاً ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم- لِبِلاَلٍ: «أَخْبِرْنِى بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِى الإِسْلاَمِ» ؟ قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَى عِنْدِى أَنِّى لَمْ أَتَطَهَّرْ إِلاَّ صَلَّيْتُ وَسُئِلَ أَىُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ الْجِهَادُ ثُمَّ حَجٌّ مَبْرُورٌ» .
(باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾ [آل عمران: ٩٣]) فاقرؤوها فالتلاوة مفسرة بالعمل والعمل

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي، أبو بكر ٣٥٦/٩

من فعل العامل (و) باب (قول النبي – صلى الله عليه وسلم-: أعطي أهل التوراة التوراة فعملوا بها وأعطي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به وأعطيتم القرآن فعملتم به) وصله في آخر هذا الباب لكن بلفظ أوتي في الموضعين وأوتيتم .

(وقال أبو رزين) براء ثم زاي بوزن عظيم مسعود بن مالك الأسدي الكوفي التابعي الكبير في قوله تعالى: (﴿يتلونه﴾ [البقرة: ١٢١]) أي حق تلاوته كما في رواية أبي ذر (يتبعونه ويعملون به حق عمله) وصله سفيان الثوري في تفسيره (يقال: يتلى) أي (يقرأ) قاله أبو عبيدة في المجاز في قوله تعالى: ﴿إنّا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ [العنكبوت: ٥١] (حسن التلاوة) أي (حسن القراءة للقرآن) وكذا يقال رديء التلاوة أي القراءة ولا يقال حسن القرآن ولا رديء القرآن وإنما يسند إلى العباد القراءة لا القرآن لأن القرآن كلام الله والقراءة فعل العبد .

(﴿لا يمسه﴾) من قوله تعالى: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ [الواقعة: ٧٩] أي (لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن) أي المطهرون من الكفر (ولا يحمله بحقه إلا الموقن) ولأبي ذر وابن عساكر إلا المؤمن بدل الموقن بالقاف أي بكونه من عند الله المتطهر من الجهل والشك (لقوله تعالى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا بئس مثل القوم الذين

كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [الجمعة: ٥] وسمى النبي – صلى الله عليه وسلم- الإسلام والإيمان) وزاد أبو ذر والصلاة (عملاً) في حديث سؤال جبريل السابق مرارًا . وفي الحديث المعلق في الباب .

(قال أبو هريرة: قال النبي – صلى الله عليه وسلم- لبلال: أخبرني بأرجى عمل) بفتح الميم (عملته) بكسرها (في الإسلام . (قال) يا رسول الله (ما عملت عملاً أرجى عندي أني لم أتطهر) طهورًا في ساعة من ليل أو نهار (إلا صليت) أي بذلك الطهور ركعتين كما في بعض الروايات ودخول هذا الحديث هنا من جهة أن الصلاة لا بدّ فيها من القراءة . والحديث سبق في غير مرة .

(وسئل) النبي – صلى الله عليه وسلم- (أي العمل أفضل) ؟ أيّ أكثر ثوابًا عند الله (قال: إيمان بالله ورسوله ثم الجهاد) في سبيل الله (ثم حج مبرور) مقبول لا يخالطه إثم .

والحديث سبق موصولاً في الإيمان في باب من قال: إن الإيمان هو العمل فجعل – صلى الله عليه وسلم- الإيمان والجهاد والحج عملاً .

٧٥٣٣ – حَدَّثَنَا عَبْدَانُ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي سَالِمٌ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَنْ سَلَفَ مِنَ الأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، أُوتِىَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ ، ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ، ثُمَّ أُوتِىَ أَهْلُ الإِنْجِيلِ الإِنْجِيلَ ، فَعَمِلُوا بِهِ حَتَّى صُلِّيَتِ الْعَصْرُ ، ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ، ثُمَّ أُوتِيتُمُ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، فَأُعْطِيتُمْ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: هَؤُلاَءِ أَقَلُّ مِنَّا عَمَلاً وَأَكْثَرُ أَجْرًا

قَالَ: اللَّهُ هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا ؟ قَالُوا: لاَ . قَالَ: فَهْوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ» .

وبه قال: (حدّثنا عبدان) هو لقب عبد الله بن عثمان المروزي قال: (أخبرنا عبد الله) بن المبارك المروزي قال: (أخبرنا يونس) بن يزيد الأيلي (عن الزهري) محمد بن مسلم بن شهاب أنه قال: (أخبرني) بالإفراد (سالم) هو ابن عمر (عن ابن عمر) أبيه – رضي الله عنهما– (أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال):

(إنما بقاؤكم فيمن سلف من الأمم كما بين) أجزاء وقت (صلاة العصر) المنتهية (إلى غروب الشمس أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا) عن استيفاء عمل النهار كله بأن ماتوا قبل النسخ (فأعطوا قيراطًا قيراطًا) بالتكرار مرتين ." (١)

"٥٣ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ رَحْمَةَ ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُخْتَارِ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ثُمَّ شَكَّ حَمَّادٌ فِي أَبِي وَائِلٍ قَالَ: «لَمَّا حَضَرَتْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ الْوَفَاةُ قَالَ: لَقَدْ طَلَبْتُ الْقَتْلَ مَظَانَّهُ ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي إِلَّا أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي ، وَمَا مِنْ عَمَلٍ شَيْءٍ أَرْجَى عِنْدِي بَعْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ لَيْلَةٍ بِتُّهَا وَأَنَا مُتَتَرِّسٌ بِفَرَسِي ، وَالسَّمَاءُ تَهُلُّنِي ، مُنْتَظِرٌ الصُّبْحَ حَتَّى نُغِيرَ عَلَى الْكُفَّارِ ، ثُمَّ قَالَ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَانْظُرُوا سِلَاحِي وَفَرَسِي فَاجْعَلُوهُ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ» فَلَمَّا تُوُفِّيَ خَرَجَ عُمَرُ عَلَى جَنَازَتِهِ ، فَذَكَرَ قَوْلَهُ ، مَا عَلَى نِسَاءِ أَبِي الْوَلِيدِ أَنْ يَسْفَحْنَ عَلَى خَالِدٍ مِنْ دُمُوعِهِنَّ مَا لَمْ يَكُنَّ نَقْعًا أَوْ لَقْلَقَةً « . قَالَ ابْنُ الْمُخْتَارِ: النَّقْعُ:» التُّرَابُ عَلَى الرَّأْسِ ، وَاللَّقْلَقَةُ: الصَّوْتُ " ." (٢)

"حَدَّثَنَا

٣٥٣٧٩ – يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أَخْبَرَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ أَبِي زَيْنَبَ ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عُثْمَانَ يَقُولُ: مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَرْجَى عِنْدِي لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] " ." (٣)

"٣٦٥٢٨– حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ أَبِي زَيْنَبَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عُثْمَانَ يَقُولُ : مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَرْجَى عِنْدِي لِهَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ .

٧٠– أبو العالية رحمه الله .

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني ٤٦٢/١٠

(٢) الجهاد لابن المبارك ابن المبارك ص/٥٥

(٣) مصنف ابن أبي شيبة أبو بكر بن أبي شيبة ٢٠٦/٧

٣٦٥٢٩- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ ، عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ قَالَ : قَلِيلاً مَا يَنَامُونَ لَيْلَةً حَتَّى الصَّبَاحِ .

٣٦٥٣٠- حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ ، عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ قَالَ : لَيْسَ أَنْتُمْ ، أَنْتُمْ أَصْحَابُ الذُّنُوبِ .

٣٦٥٣١- حَدَّثَنَا عَبَّادٌ ، عَنْ عَوْفٍ ، عَنْ أَبِي الْمِنْهَالِ أَنَّ أَبَا الْعَالِيَةِ رَأَى رَجُلاً يَتَوَضَّأُ ، فَلَمَّا فَرَغَ ، قَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ ، فَقَالَ : إِنَّ الطُّهُورَ بِالْمَاءِ حَسَنٌ ، وَلَكِنَّهُمُ الْمُطَهَّرُونَ مِنَ الذُّنُوبِ . ." (١)

"في أربع : مال اليتيم والغلول والخيانة والسرقة لا يقبلن في حج ولا عمرة ولا جهاد ، وذكر حرفا آخر .

(٦٩) أبو عثمان النهدي (١) حدثنا عفان قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت قال : قال أبو عثمان النهدر : إني لاعلم حين يذكرني ربي ، قالوا : وكيف ذاك ؟ قال : إن الله يقول : * (فاذكروني أذكركم) * فإذا ذكرت الله ذكربي .

(٢) حدثنا يزيد بن هارون قال أخبرنا الحجاج بن أبي زينب قال : سمعت أبا عثمان يقول : ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الامة من قوله : * (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) * .

(٧٠) أبو العالية رحمه الله (١) حدثنا حفص بن غياث عن عاصم عن أبي العالية * (كانوا قليلا من الليل) * قال : قليلا ما ينامون ليلة حتى الصباح .

(٢) حدثنا مروان بن معوية عن عاصم عن أبي العالية * (لا يمسه إلا المطهرون) * قال : ليس أنتم ، أنتم أصحاب الذنوب .

(٣) حدثنا عباد عن عوف عن أبي المنهال أن أبا العالية رأى رجلا يتوضا فلما فرغ قال : (اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين) فقال : إن الطهور من الماء حسن ، ولكنهم المطهرون من الذنوب .

(٤) حدثنا يحيى بن سعيد عن التيمي عن رجل عن أبي العالية أنه كان إذا أراد أن يختم القرآن آخر النهار أخره إلى أن يمسي ، وإذا أراد أن يختمه آخر الليل أخره إلى أن يصبح .

(٦٩ / ١) سورة البقرة من الآية (١٥٢) .

(٦٩ / ٢) سورة التوبة من الآية (١٠٢) .

(٧٠ / ١) سورة الذاريات .

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ط السلفية أبو بكر بن أبي شيبة ٥٤٨/١٣

(٧٠ / ٢) سورة الواقعة من الآية (٧٩) .

(*) ." (١)

تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين ." (٢)

"حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ ، ثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، ثَنَا مُحَاضِرٌ ، قَالَ: قَالَ الثَّوْرِيُّ: لَرَكْعَتَانِ أُصَلِّيهِمَا أَرْجَى عِنْدِي مِنَ الْحَدِيثِ ." (٣)

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (الفكر) أبو بكر بن أبي شيبة ٢٧٧/٨

(٢) مسند أحمد - قرطبة أحمد بن حنبل ٣٣٣/٢

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٣٦٧/٦

" ٢٧١٦ – أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ثنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطي ثنا هارون بن عبد الله ثنا أبو أسامة حدثني أبو حيان التيمي عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :

فقالها : ثم قال : عد فعاد قال : ثم قال : عد فعاد قال : قم قد غفر الله لك قال أبو عبد الله :

" ٧١٦٥ – أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو نا أبو عبد الله الصفار نا أبو بكر بن أبي الدنيا نا يعقوب بن عبيد نا يزيد بن هارون نا يوسف الصقيل عن الحجاج بن أبي زينب قال : سمعت أبا عثمان النهدي يقول : ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الآية من قوله :

﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ﴾ الآية ." (١)

(١) شعب الإيمان للبيهقي – العلمية البيهقي، أبو بكر ٤٣٢/٥

"٥٢- حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ قَالَY حَدَّثَنَا ابْنُ رَحْمَةَ ، قَالَY سَمِعْتُ ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ قَالَY حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَY " الشُّهَدَاءُ أُمَنَاءُ اللَّهِ ، قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا عَلَى فُرُشِهِمْ "

٥٣ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ قَالَY حَدَّثَنَا ابْنُ رَحْمَةَ ، قَالَY سَمِعْتُ ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ قَالَY حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُخْتَارِ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ثُمَّ شَكَّ حَمَّادٌ فِي أَبِي وَائِلٍ قَالَY " لَمَّا حَضَرَتْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ الْوَفَاةُ قَالَY لَقَدْ طَلَبْتُ الْقَتْلَ مَظَانَّهُ ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي إِلَّا أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي ، وَمَا مِنْ عَمَلٍ شَيْءٍ أَرْجَى عِنْدِي بَعْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ لَيْلَةٍ بِتُّهَا وَأَنَا مُتَتَرِّسٌ بِفَرَسِي ، وَالسَّمَاءُ تَهُلُّنِي ، مُنْتَظِرٌ الصُّبْحَ حَتَّى نُغِيرَ عَلَى الْكُفَّارِ ، ثُمَّ قَالَY إِذَا أَنَا مِتُّ فَانْظُرُوا سِلَاحِي وَفَرَسِي فَاجْعَلُوهُ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ " فَلَمَّا تُوُفِّيَ خَرَجَ عُمَرُ عَلَى جَنَازَتِهِ ، فَذَكَرَ قَوْلَهُ ، مَا عَلَى نِسَاءِ أَبِي الْوَلِيدِ أَنْ يَسْفَحْنَ عَلَى خَالِدٍ مِنْ دُمُوعِهِنَّ مَا لَمْ يَكُنَّ نَقْعًا أَوْ لَقْلَقَةً " . قَالَ ابْنُ الْمُخْتَارِY النَّقْعُY " التُّرَابُ عَلَى الرَّأْسِ ، وَاللَّقْلَقَةُY الصَّوْتُ " ." (١)

" ٥٣ – حدثنا محمد قال حدثنا بن رحمة قال سمعت بن المبارك عن حماد بن زيد قال حدثنا عبد الله بن المختار عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل ثم شك حماد في بن وائل قال : لما حضرت خالد بن الوليد الوفاة قال

---

(١) الجهاد لابن المبارك . مشكول ص/٥٥

لقد طلبت القتل مظانة فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي وما من عمل شيء أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة بتها وأنا متترس بفرسي والسماء تهلني منتظر الصبح حتى نغير على الكفار ثم قال إذا أنا مت فانظروا سلاحي وفرسي فاجعلوه عدة في سبيل الله فلما توفي خرج عمر على جنازته فذكر قوله ما على نساء أبي الوليد أن يسفحن على خالد من دموعهن ما لم يكن نقعا أو لقلقة قال بن المختار النقع التراب على الرأس واللقلقة الصوت ." (١)

"٦٨٥ – وأخبرني علي بن أحمد ، نا أحمد بن إسحاق ، نا ابن خلاد ، نا عبد الله بن أحمد بن معدان ، نا سعيد بن رحمة الأصبحي ، قال : « كنت أسبق إلى مجلس عبد الله بن المبارك بليل معي أقراني ، لا يسبقني أحد ويجيء هو مع الأشياخ ، فقيل له : قد غلبنا عليك هؤلاء الصبيان ، فقال : » هؤلاء أرجى عندي منكم ؛ أنتم كم تعيشون ، وهؤلاء عسى الله أن يبلغ بهم ، قال سعيد : فما بقي أحد غيري « ." (٢)

"باب فضل الطهور بالليل والنهارِ وفضل الصلاة بعد الوضوء بالليل والنهار

. . .

١٧ – باب فَضْلِ الطُّهُورِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَفَضْلِ الصَّلاَةِ بَعْدَ الْوُضُوءِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

قوله: "أني" بفتح الهمزة ومن مقدرة قبلها صلة لأفعل التفضيل ، وثبتت في رواية مسلم ، ووقع في رواية الكشميهني: "أن" بنون خفيفة بدل "أني" . قوله: "فإني سمعت" زاد مسلم: "الليلة" وفيه إشارة إلى أن ذلك وقع في المنام .

٧٥٣٣ – حَدَّثَنَا عَبْدَانُ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ أَخْبَرَنَا يُونُسُ عَنْ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي سَالِمٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَنْ سَلَفَ مِنْ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِيَ

---

(١) الجهاد لابن المبارك ص/٥٥

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع – الخطيب ٢/٢٧٥

أَهْلُ الإِنْجِيلِ الإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهِ حَتَّى صُلِّيَتْ الْعَصْرُ ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ثُمَّ أُوتِيتُمْ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ فَأُعْطِيتُمْ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ هَؤُلاَءِ أَقَلُّ مِنَّا عَمَلًا وَأَكْثَرُ أَجْرًا قَالَ اللَّهُ هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا قَالُوا لاَ قَالَ فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ

قوله: "باب قول الله تعالى قل فأتوا بالتوراة فاتلوها" مراده بهذه الترجمة أن يبين أن المراد بالتلاوة القراءة وقد فسرت التلاوة بالعمل والعمل من فعل العامل وقال في كتاب خلق أفعال العباد ذكر صلى الله عليه وسلم أن بعضهم يزيد على بعض في القراءة وبعضهم ينقص فهم يتفاضلون في التلاوة بالكثرة والقلة وأما المتلو وهو القرآن فإنه ليس فيه زيادة ولا نقصان ، ويقال فلان حسن القراءة ورديء القراءة ولا يقال حسن القرآن ولا رديء القرآن ، وإنما يسند إلى العباد القراءة لا القرآن لأن القرآن كلام الرب سبحانه وتعالى والقراءة فعل العبد ، ولا يخفى هذا إلا على من لم يوفق ثم قال تقول قرأت بقراءة عاصم وقراءتك على قراءة عاصم ، ولو أن عاصما حلف أن لا يقرأ اليوم ثم قرأت أنت على قراءته لم يحنث هو قال وقال أحمد لا تعجبني قراءة حمزة ، قال البخاري ولا يقال لا يعجبني القرآن فظهر افتراقهما . قوله: "وقول النبي صلى الله عليه وسلم أعطى أهل التوراة التوراة إلخ" وصله في آخر هذا الباب بلفظ: "أوتي " في الموضعين و " أوتيتم " وقد مضى في اللفظ المعلق أعطى وأعطيتم في باب المشيئة والإرادة في أول "كتاب التوحيد" . قوله: "وقال أبو رزين" براء ثم زاي بوزن عظيم هو مسعود بن مالك الأسدي الكوفي من كبار التابعين . قوله: "يتلونه حق تلاوته يعملون به حق عمله" كذا لأبي ذر ولغيره يتلونه: يتبعونه ويعملون به حق عمله ، وهذا وصله سفيان الثوري في تفسيره من رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود عنه عن منصور بن المعتمر عن أبي رزين في قوله تعالى :﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾ قال يتبعونه حق اتباعه ويعملون به حق عمله ، قال ابن التين وافق أبا رزين عكرمة واستشهد بقوله تعالى ." (١)

(ك والضياء) في المختارة من حديث عبد الله بن محمد بن جابر بن عبد الله عن أبيه (عن) جده (جابر) القول مرتين أو ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم قل إلخ فقالها الرجل ثم قال عد فعاد ثم قال مخرجه الحاكم في الدعاء رواته مدنيون لا يعرف واحد منهم بجرح انتهى وعبد الله لم يخرج له أحد من

" ١٠٩٨ - حدثنا إسحق بن نصر حدثنا أبو أسامة عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) فتح الباري لابن حجر - طبعة السلفية عبد الباقي وابن باز ١٣/٥٠٨

قال أبو عبد الله دف نعليك يعني تحريك

[ش أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل بلال رضي الله عنه رقم ٢٤٥٨

(بأرجى) بعمل عملته وأنت ترجو به الثواب أكثر من غيره من أعمالك . (بين يدي) قدامي .

(

" وقول النبي صلى الله عليه و سلم (أعطي أهل التوراة التوراة فعملوا بها . . وأعطي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به . . وأعطيتم القرآن فعملتم به) . [ر ٧٠٢٩]

وقال أبو رزين ﴿ يتلونه ﴾ / البقرة ١٢١ / يتبعونه ويعملون به حق عمله يقال ﴿ يتلى ﴾ / النساء ١٢٧ / يقرأ حسن التلاوة حسن القراءة للقرآن . ﴿ لا يمسه ﴾ / الواقعة ٧٩ / لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن ولا يحمله بحقه إلا الموقن لقوله تعالى ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بأيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ / الجمعة ٥ /

وسئل أي العمل أفضل ؟ قال (إيمان بالله ورسوله ثم الجهاد ثم حج مبرور) . [ر ٢٦]

[ش (يحمله . .) يأخذه فيقرؤه ويتعلمه ويعمل به . (حملوا . .) حفظوا وعلموا . (لم يحملوها) لم يعملوا بما فيها] ." (١)

الله بن نمير (واللفظ له) حدثنا أبي حدثنا أبو حيان التيمي يحيى بن سعيد عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال

"

---

(١) صحيح البخاري - تحقيق البغا ٢٧٣٩/٦

١٣٣ أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال أنا عبيد الله بن موسى قال أنا إسرائيل عن المقدام بن شريح عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ستة نفر فقال المشركون أطرد هؤلاء عنك فإنهم وإنهم قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت أسماءهما قال فوقع يعني في نفسه ما شاء الله وحدث به نفسه فأنزل الله عز وجل ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ إلى ﴿ الظالمين ﴾ أبي بن كعب رضي الله عنه

١٣٤ أخبرنا محمد بن عبد الأعلى قال أنا خالد قال أنا شعبة عن قتادة قال سمعت أنسا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب إن الله عز وجل أمرني أن أقرأ عليك القرآن قال وسماني قال سماك فبكى

١٣٥ أخبرنا محمد بن يحيى بن أيوب قال أنا سليمان بن عامر قال سمعت الربيع بن أنس يقول قرأت القرآن على أبي العالية وقرأ أبو العالية على أبي وقال أبي قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقرئك القرآن قال أوذكرت هناك قال نعم فبكى أبي قال ولا أدري شوقا أو خوفا

" ٧١٢٦ – أخبرنا أبو عبد الله الحافظ نا إسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمد الشعراني نا جدي نا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثني عبيد الله بن محمد بن حنين حدثني عبد الله بن محمد بن جابر بن عبد الله عن أبيه عن جده قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال : واذنوباه واذنوباه فقال هذا القول مرتين أو ثلاثا فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم قل :

فقالها : ثم قال : عد فعاد قال : ثم قال : عد فعاد قال : قم قد غفر الله لك قال أبو عبد الله :

"قبلنا فأما في شريعتنا فلا يجوز فقء العين التي ينظر بها إلى ما لا يحل لكن يستغفر الله تعالى من ذلك ولا يعود إليه وبالله التوفيق # ٦٧٦٥– أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو نا أبو عبد الله الصفار نا أبو بكر بن أبي الدنيا نا يعقوب بن عبيد نا يزيد بن هارون نا يوسف الصيقل عن الحجاج بن أبي زينب قال سمعت أبا عثمان

النهدي يقول ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الآية من قوله ! [١] ! الآية # ٦٧٦٦- أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو محمد بن أبي حامد المقرئ قالا نا ابو العباس محمد بن يعقوب نا الخضر بن أبان نا سيار بن حاتم نا جعفر بن سليمان عن ثابت عن مطرف قال إني لأستلقي من الليل على فراشي وأتدبر القرآن فأعرض أعمالي على أعمال أهل الجنة فإذا أعمالهم شديدة كانوا قليلا من الليل ما يهجعون يبيتون لربهم سجدا وقياما فلا أراني منهم أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما فأعرض نفسي على هذه الآية ! [٢] ! إلى قوله ! [٣] ! فأرى القوم مكذبين فأمر بهذه الآية ! [٤] ! فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا أخوتاه منهم # ٦٧٦٧- أخبرناه أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد الهروي في المسجد الحرام أنا إسحاق بن أحمد الفاسي أنا أبو العباس السراج نا عبد الله بن محمد نا محمد بن قدامة قال سمعت سفيان يقول كان من دعاء مطرف بن عبد الله اللهم إني أستغفرك مما سألتك منه ثم عدت فيه وأستغفرك مما جعلته لك على نفسي ثم لم أوف لك به وأستغفرك مما زعمت أني أردت فيه وجهك فخالط قلبي فيه ما قد علمت ." [٥]

" ٧١٦٥ – أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو نا أبو عبد الله الصفار نا أبو بكر بن أبي الدنيا نا يعقوب بن عبيد نا يزيد بن هارون نا يوسف الصقيل عن الحجاج بن أبي زينب قال : سمعت أبا عثمان النهدي يقول : ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الآية من قوله :

﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ﴾ الآية ." [٦]

" ٢٧١٦ – أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ثنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطي ثنا هارون بن عبد الله ثنا أبو أسامة حدثني أبو حيان التيمي عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فقالها : ثم قال : عد فعاد قال : ثم قال : عد فعاد قال : قم قد غفر الله لك قال أبو عبد الله :

---

(١) وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا

(٢) ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين

(٣) نكذب بيوم الدين

(٤) وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا

(٥) شعب الإيمان – البيهقي ٥/٤٣٢

(٦) شعب الإيمان – البيهقي ٥/٤٣٢

" ٧١٦٥ – أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو نا أبو عبد الله الصفار نا أبو بكر بن أبي الدنيا نا يعقوب بن عبيد نا يزيد بن هارون نا يوسف الصقيل عن الحجاج بن أبي زينب قال : سمعت أبا عثمان النهدي يقول : ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الآية من قوله :

﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ﴾ الآية ." (١)

"ذكر السبب الذي من أجله وقعت هذه المسابقة لبلال

. . .

ذكر السبب الذي من أجله وقعت هذه المسابقة لبلال

٧٠٨٥ – أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال: قلت لأبي أسامة: أحدثكم أبو حيان ، عن أبي زرعة

"١" "أبو" سقطت من الأصل ، واستدركت من التقاسيم ٢/لوحة ٤٠١ .

"٢" إسناده صحيح على شرط الشيخين . أبو حيان: هو يحيى بن سعيد بن حيان ، وأبو زرعة: هو ابن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي ، وقيل: اسمه هرم ، وقيل: عمرو ، وقيل: عبد الله ، وقيل: عبد الرحمن ، وقيل جرير .

وأخرجه البخاري "١١٤٩" في التهجد: باب فضل الطهور بالليل والنهار ، وفضل الصلاة بعد الوضوء بالليل والنهار ، ومسلم "٢٤٥٨" في فضائل الصحابة: باب فضائل بلال ، والنسائي في "الفضائل" "١٣٢" ، والبغوي "١٠١١" من طرق عن أبي أسامة ، بهذا الإسناد . وأخرجه أحمد ٢/٣٣٣ و٤٣٩ ، ومسلم "٢٤٥٨" من طريقين عن أبي حيان ، به . ." (٢)

---

(١) شعب الإيمان – تحقيق زغلول ٥/٤٣٢

(٢) صحيح ابن حبان مع حواشي الأرناؤوط كاملة ١٥/٥٦٠

البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا معتمر ، سمعت أبي ، ثنا أبو عثمان ، عن أسامة بن زيد ، حدث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ' أنه كان يأخذه والحسن ويقول : اللهم أحبهما فإني أحبهما ' .

حديث رواته عن آخرهم مدنيون ممن لا يعرف واحد منهم بجرح و لم يخرجاه ." (١)

"[٢٧٧]

في أربع : مال اليتيم والغلول والخيانة والسرقة لا يقبلن في حج ولا عمرة ولا جهاد ، وذكر حرفا آخر . (٦٩) أبو عثمان النهدي (١) حدثنا عفان قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت قال : قال أبو عثمان النهدر : إني لاعلم حين يذكرني ربي ، قالوا : وكيف ذاك ؟ قال : إن الله يقول : * (فاذكروني أذكركم) * فإذا ذكرت الله ذكرني . (٢) حدثنا يزيد بن هارون قال أخبرنا الحجاج بن أبي زينب قال : سمعت أبا عثمان يقول : ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الامة من قوله : * (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) * . (٧٠) أبو العالية رحمه الله (١) حدثنا حفص بن غياث عن عاصم عن أبي العالية * (كانوا قليلا من الليل) * قال : قليلا ما ينامون ليلة حتى الصباح . (٢) حدثنا مروان بن معوية عن عاصم عن أبي العالية * (لا يمسه إلا المطهرون) * قال : ليس أنتم ، أنتم أصحاب الذنوب . (٣) حدثنا عباد عن عوف عن أبي المنهال أن أبا العالية رأى رجلا يتوضا فلما فرغ قال : (اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين) فقال : إن الطهور من الماء حسن ، ولكنهم المطهرون من الذنوب . (٤) حدثنا يحيى بن سعيد عن التيمي عن رجل عن أبي العالية أنه كان إذا أراد أن يختم القرآن آخر النهار أخره إلى أن يمسي ، وإذا أراد أن يختمه آخر

---

(١) المستدرك للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص ٧٢٨/١

الليل أخره إلى أن يصبح .

------------- ." (١)

"١٣٣١- قوله : (لبلال) هو ابن رباح المؤذن . (عند صلاة الفجر) أي في الوقت الذي كان ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يقص فيه رؤياه ويعبر ما رآه غيره من أصحابه . قال الحافظ : في قوله عند صلاة الفجر إشارة إلى أن ذلك وقع المنام ؛ لأن عادته ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أنه كان يقص ما رآه ويعبر ما رآه أصحابه بعد صلاة الفجر ، كما وردت بذلك الأحاديث . (حدثني) أي أخبرني (بأرجى عمل عملته) بلفظ أفعل التفضيل المبني من المفعول ، وهو سماعي مثل أشغل وأعذر ،

في الإسلام ، فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة . قال : ما عملت عملاً أرجى عندي أني لم أتطهر طهوراً في ساعة من ليل ولا نهار ،

." (٢)

"وجدي وخاصمت إليه فأفلجني وخطب علي فأنكحني . ونزل معن بن يزيد الكوفة وشهد يوم مرج راهط مع الضحاك بن قيس الفهري .

طارق بن الأشيم

الأشجعي وهو أبو أبي مالك . واسم أبي مالك سعد . وروى طارق عن أبي بكر الصديق وعثمان وعلي ، رضي الله تعالى عنهم .

أبو مريم السلولي

---

(١) المصنف–ابن أبي شيبة ١٠/٥٥

(٢) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح ٤/٧١١

واسمه مالك بن ربيعة ، وهو أبو بريد بن أبي مريم ، روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، حديثا من حديث عطاء بن السائب .

حبشي بن جنادة

ابن نصر بن أسامة بن الحارث بن معيط بن عمرو بن جندل بن مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . وأم جندل بن مرة سلول ابنة ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، وبها يعرفون . أسلم حبشي وصحب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وشهد مع علي مشاهده .

قال: أخبرنا مالك بن إسماعيل عن إسرائيل عن قرة بن عبد الله السلولي قال: عاد حبشي بن جنادة رجل فقال: ما أتخوف عليك إلا مسيرك مع علي . قال: ما من عملي شيء أرجى عندي منه . ." (١)

"وجدي وخاصمت إليه فأفلجني وخطب علي فأنكحني . ونزل معن بن يزيد الكوفة وشهد يوم مرج راهط مع الضحاك بن قيس الفهري .

طارق بن الأشيم

الأشجعي وهو أبو أبي مالك . واسم أبي مالك سعد . وروى طارق عن أبي بكر الصديق وعثمان وعلي ، رضي الله تعالى عنهم .

أبو مريم السلولي

واسمه مالك بن ربيعة ، وهو أبو بريد بن أبي مريم ، روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، حديثا من حديث عطاء بن السائب .

حبشي بن جنادة

ابن نصر بن أسامة بن الحارث بن معيط بن عمرو بن جندل بن مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . وأم جندل بن مرة سلول ابنة ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، وبها يعرفون . أسلم حبشي وصحب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وشهد مع علي مشاهده .

قال: أخبرنا مالك بن إسماعيل عن إسرائيل عن قرة بن عبد الله السلولي قال: عاد حبشي بن جنادة رجل فقال: ما أتخوف عليك إلا مسيرك مع علي . قال: ما من عملي شيء أرجى عندي منه . ." (٢)

"أرجى عندي من ذلك .

قال: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن محمد قال: نبئت أن عمر ذكر بني تميم فذمهم فقام الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين ائذن لي فأتكلم ، قال: تكلم ، قال: إنك ذكرت بني تميم فعممتهم بالذم وإنما هم من

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٧/٦

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٧/٦

الناس فمنهم الصالح والطالح ، فقال: صدقت فعفا بقول حسن فقام الحتات وكان يناوئه فقال: يا أمير المؤمنين ائذن لي فأتكلم ، فقال: اجلس قد كفاكم سيدكم الأحنف .

قال: أخبرنا عارم بن الفضل قال: حدثنا حماد بن زيد عن أبي سويد المغيرة عن الحسن أن الأحنف قدم على عمر فاحتبسه حولا كاملا ثم قال: هل تدري لم حبستك ؟ إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خوفنا كل منافق عليم ولست منهم إن شاء الله .

قال: أخبرنا عارم بن الفضل والحسن بن موسى قالا: حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا علي بن زيد عن الحسن عن الأحنف قال: قدمت على عمر بن الخطاب فاحتبسني عنده حولا فقال: يأحنف قد بلوتك وخبرتك فلم أر إلا خيرا ورأيت علانيتك ، حسنة وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك فإنا كنا نتحدث إنما هلك هذه الأمة كل منافق عليم ، وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: أما بعد فادن الأحنف بن قيس وشاوره واسمع منه .

قال: أخبرنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا أبو كعب صاحب الحرير الأزدي قال: حدثنا أبو الأصفر أن الأحنف استعمل على خراسان ، فلما أتى فارس أصابته جنابة في ليلة باردة ، قال: فلم يوقظ أحدا من غلمانه ولا جنده وانطلق يطلب الماء ، قال: فأتى على شوك وشجر حتى سألت قدماه دما فوجد الثلج ، قال: فكسره واغتسل ، قال: فقام فوجد على ثيابه نعلين محذوتين جديدتين ، قال: فلبسهما فلما أصبح أخبر أصحابه فقالوا والله ." (١)

"أرجى عندي من ذلك .

قال: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن محمد قال: نبئت أن عمر ذكر بني تميم فذمهم فقام الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين ائذن لي فأتكلم ، قال: تكلم ، قال: إنك ذكرت بني تميم فعممتهم بالذم وإنما هم من الناس فمنهم الصالح والطالح ، فقال: صدقت فعفا بقول حسن فقام الحتات وكان يناوئه فقال: يا أمير المؤمنين ائذن لي فأتكلم ، فقال: اجلس قد كفاكم سيدكم الأحنف .

قال: أخبرنا عارم بن الفضل قال: حدثنا حماد بن زيد عن أبي سويد المغيرة عن الحسن أن الأحنف قدم على عمر فاحتبسه حولا كاملا ثم قال: هل تدري لم حبستك ؟ إن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خوفنا كل منافق عليم ولست منهم إن شاء الله .

قال: أخبرنا عارم بن الفضل والحسن بن موسى قالا: حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا علي بن زيد عن الحسن عن الأحنف قال: قدمت على عمر بن الخطاب فاحتبسني عنده حولا فقال: يأحنف قد بلوتك وخبرتك فلم أر إلا خيرا ورأيت علانيتك ، حسنة وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك فإنا كنا نتحدث إنما هلك هذه الأمة كل منافق عليم ، وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: أما بعد فادن الأحنف بن قيس وشاوره واسمع منه

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٩٤/٧

.

قال: أخبرنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا أبو كعب صاحب الحرير الأزدي قال: حدثنا أبو الأصفر أن الأحنف استعمل على خراسان ، فلما أتى فارس أصابته جنابة في ليلة باردة ، قال: فلم يوقظ أحدا من غلمانه ولا جنده وانطلق يطلب الماء ، قال: فأتى على شوك وشجر حتى سألت قدماه دما فوجد الثلج ، قال: فكسره واغتسل ، قال: فقام فوجد على ثيابه نعلين مخذوتين جديدتين ، قال: فلبسهما فلما أصبح أخبر أصحابه فقالوا والله ." (١)

"ما عملت عملا أرجى عندي من أني لم أتطهر طهورا في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي ، رواه البخاري ومسلم .

الدف : بضم الدال المهملة ، وفاء مشددة ، وهو صوت النعل حال المشي .

٨٤- وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " ما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ، ويصلي ركعتين يقبل بقلبه ووجهه عليهما ، إلا وجبت له الجنة " رواه مسلم .

٨٥- وعن عثمان رضي الله عنه ، أنه توضأ ، ثم قال : رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم قال : " من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه ، غفر له ما تقدم من ذنبه " رواه البخاري ومسلم .

٨٦- وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه (١) ، أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : " من توضأ فأحسن وضوءه ، ثم صلى ركعتين لايسهو فيهما ؛ غفر له ماتقدم من ذنبه " رواه أبو داود .

٨٧- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : " من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم قام فصلى ركعتين أو أربعا- شك سهل- يحسن فيهن الذكر(٢) والخشوع ، ثم استغفر الله غفر الله له " رواه أحمد بإسناد حسن .

٨٤- تقدم برقم (٨٠) .

٨٥- البخاري (١٥٩- ١٦٠) وفي مواضع أخر ، ومسلم (٢٢٩) و (٢٤٥) .

٨٦- أبو داود (٩٠٥) في كتاب الصلاة : باب كراهية الوسوسة ، وحديث النفس في الصلاة ، وأحمد ٤/ ١١٧ ، والطبراني في " الكبير " (٥٢٤٢) ، وصححه الحاكم ١/ ١٣١ . والحديث في " صحيح الترغيب " (٢٢٨) .

(١) هو أبو طلحة ، وقيل : أبو عبد الرحمن زيد بن خالد الجهني من جهينة زيد ، نزل الكوفة ، كان عالما بالفرائض والفقه ، فصيح اللسان كاتبا شاعرا ممن جمعوا القرآن ، شهد الفتوح . مات بالكوفة سنة ثمان وسبعين

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٩٤/٧

، وهو ابن خمس وثمانين سنة ، ويقال غير ذلك .

٨٧- أحمد ٦/ ٤٥٠ ، وهو حديث حسن كما في " صحيح الترغيب " (٢٣٠) ، و"الأحاديث الصحيحة " (٣٣٩٨) .

(٢) في الأصل : " الركوع والسجود " ، والتصحيح من " المسند " . ." (١)

حدثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن عبدوس بن كامل ح وحدثنا أحمد بن إسحاق ثنا أبو بكر بن أبي عاصم قالا ثنا حجاج بن يوسف الشاعر قال سمعت عبدالرزاق يقول سألت سفيان الثوري في الموسم عن شيء فقال هيهات أنت من أصحاب السلاح أراه يعني الإسناد

حدثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن عبدالله الحضرمي ح وحدثنا أحمد بن إسحاق ثنا أبو بكر بن أبي عاصم قالا ثنا الحسن بن علي ثنا أبو أسامة قال سمعت سفيان الثوري يقول إنما العلم عندنا الرخص عن الثقة فاما التشديد فكل إنسان يحسنه

حدثنا أحمد بن إسحاق ثنا أبو بكر بن أبي عاصم ثنا الحسن بن علي ثنا يحيى بن أيوب قال قال أبو عيسى الحواري لما قدم سفيان الثوري الرملة أو بيت المقدس أرسل إليه إبراهيم بن أدهم تعال حدثنا فقيل له يا أبا إسحاق تبعث إليه بمثل هذا قال إنما أردت كيف تواضعه قال فجاء فحدثهم

حدثنا إبراهيم بن إسحاق ثنا الحسين بن علي ثنا محاضر قال قال الثوري لركعتان أصليهما أرجى عندي من الحديث

حدثنا أحمد ثنا أبو بكر ثنا الحسن بن علي ثنا عيسى بن محمد وقال مرة عبدالسلام بن محمد قال سمعت يوسف بن أسباط يقول رأيت سفيان الثوري في المنام فقلت له أي الأعمال وجدت أفضل قال القرآن فقلت الحديث فحول وجهه ولوى عنقه

حدثنا سليمان بن أحمد ثنا معاذ بن المثنى ثنا معاذ بن أسد ثنا الفضل بن موسى الشيباني قال سمعت الثوري يقول تعلموا هذه الآثار فمن قال برأيه فقل رأيي مثل رأيك

حدثنا إبراهيم بن عبدالله ثنا محمد بن إسحاق قال سمعت محمد بن عبدالعزيز بن أبي رزمة يقول ثنا أبي عن ابن المبارك عن سفيان قال إنما العلم بالآثار

حدثنا سليمان بن أحمد ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل ثنا محمد بن حاتم الرومي ثنا علي بن ثابت الجزري قال سمعت سفيان الثوري يقول طلبت العلم ولم تكن لي نية ثم رزقني الله النية

---

(١) المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح ص/٥٧

(ك والضياء عن جابر) ." (١)

---

(١) كنز العمال ٢٩٩/٢

(حم خ م – عن أبي هريرة) (أخرجه مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل بلال رضي الله

تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين ." (١)

(١) مسند أحمد – قرطبة أحمد بن حنبل ٢/٣٣٣

" ٢٧١٦ - أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب ثنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطي ثنا هارون بن عبد الله ثنا أبو أسامة حدثني أبو حيان التيمي عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :

"

البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا معتمر ، سمعت أبي ، ثنا أبو عثمان ، عن أسامة بن زيد ، حدث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ' أنه كان يأخذه والحسن ويقول : اللهم أحبهما فإني أحبهما ' .

وروى الترمذي من طريق عمر بن أبي سلمة ، أن عليا والعباس قالا : ' يا رسول الله ، أي أهلك أحب إليك ؟ قال : فاطمة بنت محمد . فقالا : ما جئناك نسألك عن أهلك . قال : أحب أهلي إلي من قد أنعم الله عليه وأنعمت عليه : أسامة بن زيد . قالا : ثم من ؟ قال : علي بن أبي طالب . قال العباس : يا رسول الله ، جعلت عمك آخرهم ؟ قال : لأن عليا قد سبقك / بالهجرة ' . قال : هذا حديث حسن صحيح . رواه عن موسى بن إسماعيل ، عن أبي عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أسامة بن زيد . وعمر هذا ضعفه يحيى بن معين وأبو حاتم ، وتركه شعبة . باب فضل بلال رضي الله عنه

قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين ." (١)

"٤٧ - باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا) . (٤٧) وَقَوْلِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - « أُعْطِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا بِهَا ، وَأُعْطِيَ أَهْلُ الإِنْجِيلِ الإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهِ ، وَأُعْطِيتُمُ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ » . وَقَالَ أَبُو رَزِينٍ (يَتْلُونَهُ) يَتَّبِعُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ ، يُقَالُ يُتْلَى يُقْرَأُ ، حَسَنُ التِّلاَوَةِ حَسَنُ الْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ ، (لاَ يَمَسُّهُ) لاَ يَجِدُ طَعْمَهُ وَنَفْعَهُ إِلاَّ مَنْ آمَنَ بِالْقُرْآنِ وَلاَ يَحْمِلُهُ بِحَقِّهِ إِلاَّ الْمُوقِنُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) . وَسَمَّى النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - الإِسْلاَمَ وَالإِيمَانَ عَمَلاً . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - لِبِلاَلٍ « أَخْبِرْنِى بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِى الإِسْلاَمِ » . قَالَ مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَى عِنْدِى أَنِّى لَمْ أَتَطَهَّرْ إِلاَّ صَلَّيْتُ . وَسُئِلَ أَىُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ قَالَ « إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، ثُمَّ الْجِهَادُ ، ثُمَّ حَجٌّ مَبْرُورٌ » . ٩/١٩١ ." (٢)

" ١٠٩٨ - حدثنا إسحق بن نصر حدثنا أبو أسامة عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال أبو عبد الله دف نعليك يعني تحريك

---

(١) صحيح ابن حبان بتحقيق الأرناؤوط - مطابق للمطبوع ٥٦٠/١٥

(٢) صحيح البخاري - مكنز ٤١٠/٢٤

[ش أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل بلال رضي الله عنه رقم ٢٤٥٨

(بأرجى) بعمل عملته وأنت ترجو به الثواب أكثر من غيره من أعمالك . (بين يدي) قدامي .

)

" وقول النبي صلى الله عليه و سلم (أعطي أهل التوراة التوراة فعملوا بها . . وأعطي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به . . وأعطيتم القرآن فعملتم به) . [ر ٧٠٢٩]

وقال أبو رزين ﴿ يتلونه ﴾ / البقرة ١٢١ / يتبعونه ويعملون به حق عمله يقال ﴿ يتلى ﴾ / النساء ١٢٧ / يقرأ حسن التلاوة حسن القراءة للقرآن . ﴿ لا يمسه ﴾ / الواقعة ٧٩ / لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن ولا يحمله بحقه إلا الموقن لقوله تعالى ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بأيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ / الجمعة ٥ /

وسئل أي العمل أفضل ؟ قال (إيمان بالله ورسوله ثم الجهاد ثم حج مبرور) . [ر ٢٦]

[ش (يحمله . .) يأخذه فيقرؤه ويتعلمه ويعمل به . (حملوا . .) حفظوا وعلموا . (لم يحملوها) لم يعملوا بما فيها] ." (١)

"أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ الْمَلِيحِيُّ ، أَنَا أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَمْعَانَ ، نَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّيَّانِيُّ ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ زَنْجُوَيْهِ ، نَا أَبُو مُسْهِرٍ ، نَا الْهَيْثَمُ بْنُ حُمَيْدٍ ، نَا الْعَلاءُ بْنُ الْحَارِثِ ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ عَنْبَسَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ جَزِعَ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا يُجْزِعُكَ ، أَلَمْ تَكُنْ عَلَى سَمْتٍ مِنَ الإِسْلامِ حَسَنٍ ؟ قَالَ : وَمَالِي لا أَجْزَعُ ، وَلَسْتُ أَدْرِي عَلَى مَا أَقْدَمُ عَلَيْهِ ، مَعَ أَنَّ أَرْجَى عَمَلِي عِنْدِي حَدِيثٌ حَدَّثَتْنِي بِهِ أُمُّ حَبِيبَةَ ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ

---

(١) صحيح البخاري – تحقيق البغا ٦/٢٧٣٩

قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا ، حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ يَوْمِ سَمِعْتُهُنَّ إِلَى يَوْمِي هَذَا قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ." (١)

. . .

ذكر السبب الذي من أجله وقعت هذه المسابقة لبلال

٧٠٨٥ - أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال: قلت لأبي أسامة: أحدثكم أبو حيان ، عن أبي زرعة

"١" "أبو" سقطت من الأصل ، واستدركت من التقاسيم ٢/لوحة ٤٠١ .

"٢" إسناده صحيح على شرط الشيخين . أبو حيان: هو يحيى بن سعيد بن حيان ، وأبو زرعة: هو ابن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي ، وقيل: اسمه هرم ، وقيل: عمرو ، وقيل: عبد الله ، وقيل: عبد الرحمن ، وقيل جرير .

وأخرجه البخاري "١١٤٩" في التهجد: باب فضل الطهور بالليل والنهار ، وفضل الصلاة بعد الوضوء بالليل والنهار ، ومسلم "٢٤٥٨" في فضائل الصحابة: باب فضائل بلال ، والنسائي في "الفضائل" "١٣٢" ، والبغوي "١٠١١" من طرق عن أبي أسامة ، بهذا الإسناد . وأخرجه أحمد ٢/٣٣٣ و٤٣٩ ، ومسلم "٢٤٥٨" من طريقين عن أبي حيان ، به . ." (٢)

"

١٣٣ أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال أنا عبيد الله بن موسى قال أنا إسرائيل عن المقدام بن شريح عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ستة نفر فقال المشركون أطرد هؤلاء عنك فإنهم وإنهم قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت أسماءهما قال فوقع يعني في

---

(١) شرح السنة للبغوي ٢/١٢٢

(٢) صحيح ابن حبان مع حواشي الأرناؤوط كاملة ١٥/٥٦٠

نفسه ما شاء الله وحدث به نفسه فأنزل الله عز وجل ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ إلى ﴿ الظالمين ﴾ أبي بن كعب رضي الله عنه

١٣٤ أخبرنا محمد بن عبد الأعلى قال أنا خالد قال أنا شعبة عن قتادة قال سمعت أنسا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب إن الله عز وجل أمرني أن أقرأ عليك القرآن قال وسماني قال سماك فبكى

١٣٥ أخبرنا محمد بن يحيى بن أيوب قال أنا سليمان بن عامر قال سمعت الربيع بن أنس يقول قرأت القرآن على أبي العالية وقرأ أبو العالية على أبي وقال أبي قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقرئك القرآن قال أوذكرت هناك قال نعم فبكى أبي قال ولا أدري شوقا أو خوفا

" ١٠٨ - (٢٤٥٨) حدثنا عبيدالله بن يعيش ومحمد بن العلاء الهمداني قالا حدثنا أبو أسامة عن أبي حيان ح وحدثنا محمد بن عبد

الله بن نمير (واللفظ له) حدثنا أبي حدثنا أبو حيان التيمي يحيى بن سعيد عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال

"بنفسك ، فتعلم أنها إنما سلطت عليك بذنوبك ، فتبالغ في الاعتذار والتوبة .

فأما التضجر والأذى لها ، فما ينفع ، كما قال الحسن بن الحجاج١: عقوبة من الله لكم ، فلا تقابلوا عقوبته بالسيف ، وقابلوها بالاستغفار .

واعلم أنك في مقام مبتلًى ولك أجر بالصبر ، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] !

فعامل الله سبحانه بالصبر على ما قضى ، واسأله الفرج ، فإذا جمعت بين الاستغفار وبين التوبة من الذنوب والصبر على القضاء وسؤال الفرج ، حصلت ثلاثة فنون من العبادة تثاب على كل منها .

ولا تضيع الزمان بشيء لا ينفع ، ولا تحتل ظانًّا منك أنك تدفع ما قدر ، ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ

لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الانعام: ١٧] .

وقد روينا أن جنديًّا نزل يومًا في دار أبي يزيد ، فجاء أبو يزيد ، فرآه ، فوقف وقال لبعض أصحابه: ادخل إلى المكان الفلاني ، فاقلع الطين الطري ؛ فإنه من وجه فيه شبهة . فقلعه ، فخرج الجندي .

وأما أذاك للمرأة ، فلا وجه له ؛ لأنها مسلطة ، فليكن شغلك بغير هذا ، وقد روي عن بعض السلف أن رجلًا شتمه ، فوضع خده على الأرض ، وقال: اللهم ! اغفر لي الذنب الذي سلطت هذا به علي .

١٣٣٠- قال الرجل: وهذه المرأة تحبني زائدًا في الحد ، وتبالغ في خدمتي ، غير أن البغض لها مركوز في طبعي .

قلت له: فعامل الله سبحانه بالصبر عليها ؛ فإنك تثاب . وقد قيل لأبي عثمان النيسابوري: ما أرجى عملك عندك ؟ قال: كنت في صبوتي يجتهد أهلي أن أتزوج ، فآبى ؛ فجاءتني امرأة ، فقالت: يا أبا عثمان ! إني قد هويتك ، وأنا أسألك بالله أن تتزوجني ، فأحضرت أباها -وكان فقيرًا- فزوجني ، وفرح بذلك ، فلما دخلت إلي ، رأيتها عوراء عرجاء مشوهة ، وكانت لمحبتها لي تمنعني من الخروج ، فأقعد حفظًا

-

١ أبو السري السلمي ، الخراساني الواعظ البليغ الصالح . كان عديم النظير في الوعظ والتذكير ، وفاته في حدود المائتين . ." (١)

---

(١) صيد الخاطر – ابن الجوزي ص/٤٠٥